كتاب

ترياق القلوب من أدواء الغفلة والذنوب

للعارف بالله سيدي الحاج الحسين الإفــــراني

رضي الله عنه

آمين

اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ اِلْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ

وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي

إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ

الْعَظِيمِ

الجزء الثاني

الباب الخامس و فيه ثلاثة فصول، الفصل الأول في أوقات الورد، الفصل الثاني في فضائله وما أعد الله عز وجل للمداوم عليه و الفصل الثالث في فضائل المتعلقين بالقطب المكتوم والختم المحمدي المعلوم رضي الله عنه تلقينا ومحبة:

الفصل الأول في أوقات الاختيارية والضرورية للورد:قال في جواهر المعاني: وقته بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء ومن فاته في هذين الوقتين لعذر فالنهار كله له وقت والليل كذلك. و من فاته ورد فليتداركه على ممر الدهر. انتهى. وقال في منية المريد:

مختار ورد الصبح جا مصححا　　　من بعد ما صلاته إلى الضحى
أما الضروري فمـــن ذاك إلى　　　مغربنـا وهـــو لمن قد شغلا
مختار ورد العصر بعـد العصر　　　إلى العشـاء و غيره للفجـــر

قال شيخنا أبو المواهب السائحي رضي الله عنه: وأشار بهذا الذي ضمنه هذه الأبيات إلى ما في الجواهر وغيره من أن الورد في طريقتنا وردان: ورد الصبح و ورد المساء ولكل واحد من الوردين وقت مختار ووقت ضروري.فالمختار لورد الصبح وهو لمن لم يكن له شغل ولا عذر من بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى والوقت الضروري له أي لورد الصبح من الضحى الأعلى إلى غروب الشمس وهو أي الضروري لمن كان له شغل، فما كان بعد صلاة الصبح إلى الغروب كله أداء لورد الصبح، والقضاء من وراء ذلك.و أما مختار ورد المساء فمن بعد صلاة العصر إلى العشاء الأخيرة، وهو أيضا لمن يشتغل عنه والضروري له من العشاء أي من مغيب الشفق إلى طلوع الفجر. فما كان بعد صلاة العصر إلى انشقاق الفجر كله أداء لورد المساء والقضاء من وراء ذلك. هذا ملخص ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى وهو المنقول عن الشيخ رضي الله عنه وعليه عمل جميع أصحابه قولا واحدا. و ما وقع لصاحب الجيش الكفيل من عدم التقييد بالصلاة في الوقتين فهو ذهول منه رحمه الله تعالى عن الأمر الخاص بطريقتنا الخاصة، فلا يلتفت إليه وإن كان عليه أهل طرق أخر لاعتبارهم في ذلك الوقت مجردا. ومن تأمل ما عليه طريق شيخنا رضي الله عنه علم أنه الكمال لأنه الجاري على ما أشارت إليه الأخبار الواردة بالترغيب في الذكر في الوقتين. والله يجازيه عنا خير جزاء ثم لما بين الناظم رحمه الله تعالى وقت الورد مختاره وضروريه عقبه بذكر ما يجوز تقديم ذكره على الوقت و ما لا يجوز فقال:

و لا تقدمـن فـــــي النهـــار　　　ذا الورد للعذر على المختار
و جائـــــز تقديمـه للعـــذر　　　من بعـــد ما تقرأ ورد الفجر
في الليـل ثم ليس من اشكـال　　　لفضل ذكـر الله في الليـالي
و ورد صبـح إن تقدمه علـى　　　مختـاره بعـــد العشـاء نقـلا
بقـدر ما يتلـى مـــن القـرآن　　　خمســة أحـزاب بلا تـوان

قال شيخنا أبو المواهب السائحي ما نصه : وملخص ما أشار إليه في هذه الأبيات ما ثبت متواترا عن الشيخ رضي الله عنه من أن ورد المساء لا يقدم نهارا يعني لمن أراد أن يقدمه على وقته المختار بعد ورد الصباح، وسواء قبل دخول وقت العصر أو بعد دخوله وقبل صلاة العصر كما تقدم، وهذا إذا كان له عذر يتوقع حصوله وأحرى إذا لم يكن له عذر. نعم من أراد أن يقدمه ليلا فله ذلك، لكن بقيد توقع العذر في وقته المختار، وذلك بعد أن يقدم ورد الصباح لمكان الترتيب. وإنما رخص الشيخ رضي الله عنه في التقديم في الليل دون النهار لما اختص به الليل من تضعيف الأعمال فيه بأضعاف كثيرة. وقد ذكر في الجواهر عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه في كلامه على فضل صلاة الفاتح لما أغلق أن أعمال الليل تضاعف على أعمال النهار بخمس مائة ضعف. وعلى هذا فلا اشكال في

تخصيص التقديم المذكور بالليل دون النهار. و أما ورد الصباح فيصح تقديمه لمن أراده ولو بلا عذر ليلا، والمراد بالليل هنا ما بعد صلاة العشاء بقدر ما يقرأ القارئ خمسة أحزاب من القرآن وينام الناس. بهذا قدر سيدنا رضي الله عنه وقت التضعيف المذكور. فليس المراد جوف الليل و لا السحر و لا ثلث الليل الأخير كما قد يتبادر.

تنبيه: ما ذكر في الجواهر عن الشيخ رضي الله عنه من التضعيف يشهد له في الجملة ما في الرقاق من صحيح الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كتب الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وهو يرد على من أخذ بظاهر الحديث الآخر بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف حيث زعم أن التضعيف لا يتجاوز هذه الغاية. و انظر الارشاد وغيره من الشروح في باب حسن إسلام المرء في الكلام على حديث أبي سعيد الخذري رضي الله عنه:

و يلزم القضاء للوردين من — يفوته وقتهما من الزمن

ووجه إدخال هذا في الترجمة بين، لأن الوقت حكما يخصه. وأشار بهذا إلى ما ثبت عن الشيخ رضي الله عنه وهو في جواهر المعاني وغيره من أن من فاته ورده يلزمه قضاؤه على ممر الدهر ووجهه أن الورد صار واجبا بالالتزام كالنذر. فالقضاء على بابه وليس المراد منه التدارك لما فات من العبادة المتطوع بها ليعتاد الملازمة عليها، وهذا إنما يجري عندنا في الأوراد الزائدة على الورد الأصلي مما ليس بلازم للدخول في الطريق. فافهم.وفي خبر عن مولاتنا عائشة رضي الله عنها تشديد الوعيد في حق من ترك عبادة لله تعالى ملالة. ذكره في الاحياء فراجعه إن شئت. و هذا الحكم الذي ذكره في الأوراد اللازمة إلا ما استثناه في ذكر يوم الجمعة بعد العصر بقوله:

و من يفته وقتها لا يلزمه — قضاؤها بلا خلاف أعلمه
و تركها يفيت خيرا جمّا — إلا لعذر عارض ألمّا
يكفيك في الفضل حضور المصطفى — صلى عليه ربنا و شرفا

قال شيخنا أبو المواهب السائحي: أراد أنه لا قضاء عندنا في هذا الذكر أعني ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إذا فات وقته وهو كما عرفته من صلاة العصر يوم الجمعة إلى غروب الشمس. ثم إن كان فاته لعذر عرض له في الوقت فلا بأس و يرجى أن يكتب له أجره بفضل الله تعالى. إنما الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله. وإن فاته لغير عذر فقد فوت على نفسه خيرا كثيرا وضيع نفسه في فضل كثير، ولو لم يكن إلا الاستمداد من الحضرة المصطفوية صلى الله عليه وسلم لكفى في الحث على ألا يفوّته على نفسه لأنه ثبت عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن من فضائل هذه الحضرة حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها. هذا الذي عقده في هذه الأبيات الثلاث هو غالب لفظه في الجامع. فإياه اعتمد في ذكره الحضور المذكور إذ لم يذكره في جواهر المعاني. و لعل مؤلف الجامع سمعه من الشيخ رضي الله عنه بعد وفاة مؤلف الجواهر والله أعلم. وعلى كل حال، فهو مما لا يقوله أحد من عنديته وخصوصا من كان مثل صاحب الجامع من خاصة أهل الخير والصلاح رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين. انتهى من البغية وهو يفيد أن اعتبار الأوقات في الأوراد من أهم المهمات في الطريقة الأحمدية التجانية وبالله التوفيق.

الفصل الثاني في فضل الورد الأحمدي التجاني وما أعد الله عز وجل لتاليه من الخير وللمداوم عليه: فأقول مستعينا بالله إنه خير معين: قال في جواهر المعاني:

الفصل الثاني في فضل ورده و ما اعدّ الله لتاليه. قال: قال الشيخ رضي الله عنه أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظه لا مناما قال لي: أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب.ثم قال رضي الله عنه: فلما رأيت ما صدر لي منه من المحبة صلى الله عليه وسلم وصرح لي بها تذكرت الأحباب ومن وصلني إحسانهم ومن

تعلق بي بخدمة وأنا أسمع أكثرهم يقولون: نحاسبك بين يدي الله تعالى إن دخلنا النار وأنت ترى فأقول لهم: لا أقدر لكم على شيء. فلما رأيت منه صلى الله عليه وسلم هذه المحبة سألته لكل من أحبني ولم يعادني بعدها ولكل من أحسن إلي بشيء من مثقال ذرة فأكثر ولم يعادني بعدها وكذلك من أطعمني طعامه. قال رضي الله عنه كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب. ثم قال رضي الله عنه: وسألته صلى الله عليه وسلم لكل من أخذ عني ذكرا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر وأن تؤدى عنهم جميع تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم و أن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى وأن يكونوا معي في عليين في جوار النبي صلى الله عليه وسلم. فقال لي صلى الله عليه وسلم ضمنت لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين. انتهى.ثم قال صاحب الجواهر: ثم اعلم أني بعد ما كتبت هذا من سماعه وإملائه علنيا رضي الله عنه من حفظه ولفظه اطلعت على ما أرسمه من خطه و نصه: أسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى أنا وكل أب و أم ولدوني من أبوي إلى أول أب و أم في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي وجميع ما ولد آبائي وأمهاتي من أبوي إلى الجد الحادي عشر والجدة الحادية عشر من جهة أبي ومن جهة أمي من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والإناث و الصغار و الكبار و كل من أحسن إلي بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر وكل من نفعني بنفع حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر من خروجي من بطن أمي إلى موتي وكل من له علي مشيخة في علم أو قرآن أو ذكر أو سر من كل من لم يعادني من جميع هؤلاء. و أما من عاداني أو أبغضني فلا. وكل من أحبني ولم يعادني وكل من والاني واتخذني شيخا أو أخذ عني ذكرا وكل من زارني وكل من خدمني أو قضى لي حاجة أو دعا لي. كل هؤلاء من خروجي من بطن أمي إلى موتي وآبائهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم ووالدي أزواجهم وكل من أرضعني وأولادهم وبناتهم ووالديهم ووالدي أزواجه، يضمن لي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع هؤلاء أن نموت أنا وكل منهم على الإيمان و الإسلام وأن يؤمننا الله وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه وجميع الشرور من الموت إلى الاستقرار في الجنة. وأن يغفر لي ولجميعهم جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وأن يؤدي عني وعنهم جميع تبعاتنا وتبعاتهم وجميع مظالمنا ومظالمهم من خزائن فضل الله لا من حسناتنا وأن يؤمنني الله عز وجل وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة وأن يظلني الله و جميعهم في ظل عرشه يوم القيامة وأن يجيزني ربي وكل واحد من المذكورين على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة وأن يسقيني الله وجميعهم من حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأن يدخلني ربي وجميعهم جنته بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى وأن يجعلني ربي وجميعهم مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس و من جنة عدن.أسأل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن لي ولجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب جميع ما طلبت من الله لي ولهم في هذا الكتاب بكماله ضمانا يوصلني و جميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب إلى كل ما طلبت من الله لي ولهم في هذا الكتاب والسلام.فأجاب صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف: كل ما في هذا الكتاب ضمنته عنك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبدا إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في أعلى عليين وضمنت لك جميع ما طلبت مني ضمانة لا يخلف عنك الوعد فيها والسلام. انتهى من خطه حرفا حرفا.ثم قال رضي الله عنه: وكل هذا وقع يقظة لا مناما، وأنتم لا تحتاجون إلى رؤيتي إنما يحتاج إلى رؤيتي من لم يكن حبيبا لي ولا أخذ عني ذكرا ولا أكلت طعامه وأما هؤلاء فقد ضمنهم لي بلا شرط رؤية مع زيادة أنهم معي في عليين. ولا

يظن ظان ان عليين هي وعموم الجنة على حد السواء بل النسبة بينهما لو خرجت حبة عنب أو غيرها من الثمار التي في الجنة الأولى إلى الدنيا فضلا عن الحور لأطفأت نور الشمس، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثانية إلى الاولى لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثالثة إلى الثانية لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الرابعة إلى الثالثة لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الخامسة الى الرابعة لأطفأت جميع أنوارهم ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة السادسة إلى الخامسة لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من السابعة إلى السادسة لأطفأت جميع أنوارهم وهي الفردوس أي السابعة، وعليون فوق الفردوس ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من عليين إلى الفردوس لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم عن كل ما عندهم.و عليون مقام الأنبياء وأكابر الأولياء من هذه الأمة ومن اهتدى من الأمم السابقة من غير نبوءة لا من عداهم. فاعرف النسبة بين عليين والجنات و قس عليه كل ما خلق الله في الجنة من حور وقصور وغيرها.فإذا تأملت هذا عرفت قدر جنة عليين والجنات وأي نسبة بينهما. وقد تفضل لي صلى الله عليه وسلم حتى ضمن لي دخول من ذكرتهم إليه بلا حساب ولا عقاب واستقرارهم فيها وإن رآني فقط غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يعذب ولا مطمع له في عليين إلا أن يكون ممن ذكرتهم وهم أحبابنا ومن أحسن إلينا ومن أخذ عنا ذكرا فإنه يستقر في عليين معنا. وقد ضمن لنا هذا بوعد صادق لا خلف له إلا أني استثنيت من عاداني بعد المحبة والإحسان فلا مطمع له في ذلك. وطلبته أيضا أ ن يموتوا كلهم على الإسلام، فإن كنتم متمسكين بمحبتنا فأبشروا بما أخبرتكم به فإنه واقع لجميع الأحباب قطعا انتهى.ثم قال رضي الله عنه: ومن أخذ عني الورد المعلوم الذي هو لازم للطريقة أو عمن أدنته يدخل الجنة هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب بشرط ألا يصدر منه سب ولا بغض ولا عداوة ويداوم محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات، وكذلك مداومة الورد الى الممات. ثم قال رضي الله عنه: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا الفضل هل هو خاص بمن أخذ عني الذكر مشافهة او هو لكل من أخذه ولو بواسطة. فقال لي: كل من أدنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم ما ذكر. وهذا الفضل شامل لمن تلى هذا الورد سواء رآني أو لم يراني. وأخبره صلى الله عليه وسلم بقوله: بعزة ربي يوم الاثنين ويوم الجمعة لم نفارقك فيهما من الفجر الى الغروب، ومعي سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين يكتبون اسمه في رقعة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك. فأكثر من الصلاة علي في هذين اليومين فكل صلاة تصليها علي نسمعك وترد عليك وكذا جميع أعمالك تعرض علي والسلام.قلت : وهذه الكرامة العظيمة المقدار وهي دخول الجنة بلا حساب و لا عقاب لمن أخذ ورده ودخول والديه وأزواجه وذريته لم تقع لأحد من الأولياء ولا بلغنا من أخبار ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم، وإن وقع لهم أن من رأى من رآهم يدخل الجنة كالشيخ عبد القادر الجيلاني وسيدي عبد الرحمن الثعالبي و مولاي التهامي الوزاني رضي الله عنهم، لم ينقل عن واحد من هؤلاء عدم الحساب والعقاب لأصحابه او لمن رآه كما وقع لشيخنا رضي الله عنه وإن كانوا كلهم ذكروا دخول الجنة كما قدمنا. لكن هذه خصوصية لسيدنا رضي الله عنه ولأصحابه ومع هذا قال رضي الله عنه محذرا لأصحابه ومرشدا لهم لما فيه صلاحهم أقول لكم إن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال: من سبنا ودام على ذلك ولم يتب لا يموت إلا كافرا. وأقول للاخوان: ان من أخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وأنه لا تضره معصية، إن من سمع ذلك وطرح نفسه في معاصي الله لأجل ما سمع واتخذ ذلك حبالة إلى الأمان من عقوبة الله في معاصيه ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا، فإذا سبنا أماته الله كافرا. فاحذروا من معاصي الله ومن عقوبته، ومن قضى الله

عليه منكم بذنب، والعبد غير معصوم، فلا يقربنه إلا و هو باكي القلب خائفا من عقوبة الله والسلام. ولنذكر هنا أبياتا لبعض الأدباء أمنه الله في فضل الورد قال:

تجانينا بيته بالذكـــــر معمـــور ... و بالصلاة و بالخيـــرات مغمـور
مؤقت فيه ذكـــــر الله ما طلعــت ... شمس و ما غربت و هـذا مشهـور
أحيا طريقة أهل الله فهـــــي بـــه ... يؤلــــف شملها و الكسر مجبـور
شيخ المشايخ من فــي طي بردتـه ... جيب على النور و الأسرار مزرور
من داره جنة الفردوس و هو بـها ... رضوان خازنها اذكـــــارها الحـور
يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها ... فاشرب مفجــــــرها فأنت مأجـــر
اوراده عــــن رسول الله قـد روت ... كـــــــذاك افعاله و السر مأثـــور
فانقل فــــديتك في آثاره قدمـــا ... فان نقلت فذاك النقـــــل مدخـــور
و احرص بان تنتمي يوما لجانبـــه ... فحظ من ينتمي إليــــــــه موفـــور
و لازم اوراده في النفـــس او مـلأ ... فذاكــــــــر الله عند الله مذكـــور

فاغتبط بها ايها المريد واعلم انها في حقك من الأمر الأكيد ولا تزل عليها عاكفا صباحا ومساء، فإنها أعظم الوسائل لكل طالب وسائل فطيب بها حياتك وعمر بسردها أوقاتك عسى الله ان يجعل فيها نجاتك . فليس للعبد من دنياه الا ما افناه في طاعة مولاه وما سوى ذلك فلينبذه وراءه . وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله العناية . وهذا الذي ذكرناه هو فضل الورد الذي هو لازم للطريقة الذي لقنه لسيدنا رضي الله عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بإعطائه لكافة الخلق . انتهى من جواهر المعاني والى هذا الذي ذكره اشار صاحب منية المريد بقوله:

آخذه سكناه عليــون فــي ... جوار سيد الورى المشرف
ويغفـــــــر الله له الكبائـــر ... من ذنبه ويغفـــر الصغائر
والتبعات من خزائن المجيد ... اداؤها لا حسنات ذا المريد
لـــذاك كان ءامنا في الحشـر ... من هوله ومن عـــذاب القبر
وزوجه ونجلـــه لا الحفـده ... فيما مضى كذاك من قد ولده
ان لم يكن منهم للشيخ صدر ... بغض والا ما لهم وما غبــر

قال شيخنا أبو المواهب السائحي في شرح هذه الأبيات في بغيته : ان من جملة ما ذكره سيدنا رضي الله عنه من فضل هذا الورد العظيم عن نبينا المصطفى الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم ان كل من أخذه عن الشيخ أو عمن عنده الاذن الصحيح في التلقين يكون مقامه ومستقره في عليين من فضل الله تعالى بجوار سيد المرسلين وامام المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وصحبه أجمعين. ويغفر الله له تعالى بفضله من ذنوبه الكبائر والصغائر وتؤدى عنه التبعات من خزائن الرب المجيد القادر . ولذلك كان آمنا من ان يروعه هول المحشر أو يؤلمه ضنك القبر وأزواجه وأولاده المنفصلون عنه دنية. وكذا أبواه داخلون معه في هذا الخير الجزيل بفضل الله بشرط الا يصدر بغض من الجميع في هذا الشيخ الجليل وجنابه الاعز المنيع .ولم يذكر الناظم رحمه الله تعالى والدي الأزواج . وقد تلقينا عمن أدركنا من أصحاب سيدنا رضي الله عنه انه كان يذكرهم أيضا فيمن يعمه الفضل المذكور وذيلنا كلام الناظم ببيت يتضمن ذلك لمن أراد أن يلحقه به بعد قوله : ونجله وزوجه إلى آخر البيت ، وهو أعني البيت المذيل به:

ووالد الأزواج ايضا ذكره ... عن شيخنا قوم ثقات بررة

واعتمدت في نظم هذا البيت سماعي من ثقات أصحابه رضي الله عنهم وهو أيضا فيما الحقه مؤلف جواهر المعاني بهامش نسخته التي كتب له سيدنا رضي الله عنه عليها حسبما رايناه بخطه فيها، وعليه علامة الأصل فأدخلناه في النسخة التي كتبناها من نسخته المذكورة وهي الآن وقف على زاوية سيدنا رضي الله عنه التي بمكناسة. وقد كتب منها والحمد لله عدة نسخ و تفرقت في سائر الافاق ، ونسخة الأصل المذكورة بزاوية

عين ماضي عمرها عمرها الله بذكره آمين. وذكر المؤلف رحمه الله تعالى انه بعد ما كتب ما في الاصل من املاء الشيخ رضي الله عنه، اطلع على ما رسمه من الإلحاق المذكور بخط يده فليراجع. ففيه التصريح بوالدي الأزواج في جملة من طلب لهم الشيخ رضي الله عنه الفضل المذكور من النبي صلى الله عليه وسلم وضمنه له.قال في جواهر المعاني بعد إيراده لهذا الفضل ما نصه : قلت : وهذه الكرامة العظيمة المقدرا وهي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن أخذ ورده و دخول والديه وأزواجه وأولاده لم تقع لأحد من الأولياء فيما بلغنا وان وقع لهم ان من رآ من رآهم يدخل الجنة كالشيخ عبد القادر الجيلاني وسيدي عبد الرحمن الثعالبي ومولانا التهامي الوزاني رضي الله عنهم لم ينقل عن واحد منهم انه ذكر عدم الحساب والعقاب كما وقع لشيخنا رضي الله عنه، فهي خصوصية ومزية له ولأصحابه رضي الله عنه. انتهى.وحاصل ما ذكره في هذه الأبيات من الفضائل خمس الأولى : الاستقرار مع الشيخ رضي الله عنه بجوار النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين بلا حساب ولا عقاب لمن اخذ الورد ولوالديه وأزواجه وأولاده دنية و والدي أزواجه كذلك و لو لم يكن لواحد من هؤلاء المذكورين تعلق بالشيخ أصلا و انما ذلك بسبب الأخذ للورد. الثانية : مغفرة الذنوب الكبائر والصغائر ما تقدم منها وما تأخر للأخذ ولمن ذكر معه بسببه . الثالثة: اداء تبعات الآخذ للورد اعني ما عليه من الحقوق الخلقية من خزائن فضل الله لا من حسناته. وكذلك من ذكر معه تؤدى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم بسببه . الرابعة تأمينه من هول الموقف و كذلك من ذكر معه بسببه. الخامسة : تامينه من عذاب القبر ومن ذكر معه كذلك أيضا بسببه . وهذا كله بشرط ألا يصدر من أحد من المذكورين بغض للشيخ رضي الله عنه ولا اذاية لجانبه لأنه رضي الله عنه استثنى المبغض في طلبه حين طلب ضمان ما ذكر من النبي صلى الله عليه وسلم، ويشارك المذكورين في هذه الفضائل من تعلق بالشيخ رضي الله عنه بوجه من وجوه التعلقات كمن احسن اليه بشيء أو أطعمه طعامه او كانت له عليه مشيخة في قراءة او علم او قضى له حاجة ونحو ذلك.واما من راه فقط، فغايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولم يضمن له الاستقرار في عليين، وراجع جواهر المعاني فقد بسط فيه مؤلفه الكلام في ذلك بما كفى وشفى . ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى بعض ما ينال المحب للشيخ رضي الله عنه من الفضل من غير اخذ للورد بل بالمحبة فقط والى ما تؤول اليه عاقبة مبغضه والعياذ بالله تعالى فقال:

و لن يموت من يحب شيخنا — الا اذا نال ولاية المنا

من لم يتب من بغضه مات — على كفر اعاذنا الاله ذو العلى

يقول إن من فضائل التعلق بسيدنا رضي الله عنه أن من أكرمه الله تعالى بمحبته و وداده لا يموت حتى يكون وليا من أولياء الله تعالى وخاصته من عباده ، ومن كان على الأخرى والعياذ بالله مما ابتلي به فقد سجل عليه بالكفر. فيا بؤس منقلبه ولا غرابة في الأول . فان من أحب قوما حشر معهم والمرء مع من أحب، كما انه لا بعد في الثاني كذلك من عادى لي وليا من أوليائي فقد بارزته بالمحاربة ، ومن حاربه الحق تبارك وتعالى فقد هوت به الضلالة في مكان سحيق. ثم عاد الناظم الى تتميم الكلام في فضائل الورد بعد ان ذكر ما هو كالتتمة للكلام قبله فقال:

وصحبه لا تدرك الاقطاب — رتبهم من طيبه قد طابوا

وكل من عمل لله عمل — فرضا ونفلا و قبوله حصل

يعطيهم عليه معطي الفضل — و هم رقود وقت ذاك الفعل

اكثر من مائة الف ضعف — مااعطي العامل دون خلف

لدى الممات و السؤال يحضر — نبينا لهم و ذا مفتخر

يسوؤه ما ساءهم ولهم — لطف عن الانام قد خصهم

يجيزهم على الصراط دون مين ... رب الورى اسرع من طرفة عين
من حوض خير الناس يشربون ... و تحت ظل العرش واقفون
ولو رات اكابر الاقطاب ما ... اعد خالق الورى تكرما
لهؤلاء لبكوا عليه ... و ستنقصوا ما ركنوا اليه
سبعون الف ملك تذكر مع ... ذاكرنا من غير شك قد وقع
واجر ذاك كله لمن ذكر ... و ذا لأجل قطبنا الندب الابر
يجالسون سيد الأبرار ... نبينا في الليل و النهار
و نسبة المذكور للذي انكتم ... كنسبة النقطة للبحر الخضم
جعلنا الاله من ذي الناس ... بجاه شيخنا ابي العباس

قال شيخنا ابو المواهب المذكور في شرحه المذكور أيضا ما نصه:هذه اثنتا عشرة فضيلة اشتملت عليها هذه الأبيات الخمسة عشر من هذه الأرجوزة الجليلة ، منها ما هو مذكور في جواهر المعاني ومنها ما في الجامع وغيره من المؤلفات، والجامع المشتملة على كلام سيدنا رضي الله عنه الثابت عنه المشهور المتواتر، وسنبين جميع ذلك الآن إن شاء الله تعالى اتم بيان و الله المستعان و عليه التكلان.فأما الفضيلة الأولى فهي في الجامع وعدها مؤلفه رحمه الله تعالى من مناقب سيدنا رضي الله عنه فقال: ومن مناقبه ان اصحابه الداخلين في طريقته لهم مراتب يوم القيامة اكبر من مراتب الأولياء ، انتهى . و تعبير الناظم بالأقطاب تبع فيه ما في بعض الوجادات لمن لازم سيدنا رضي الله عنه من خاصة الأصحاب على ان ما في الجامع يتناوله بعمومه لان لفظ الأولياء عند الاطلاق يصدق عليه بمفهومه. وقول الناظم هنا : من طيبه قد طابوا ، كالتعليل لهذه الفضيلة السنية . ومعناه : انهم اعني أصحابه الداخلين في طريقته رضي الله عنه انما نالوا هذه الخصوصية على اكابر الاولياء من اجل مقامه الأرفع الذي لا مطمع فيه لغيره من كمل العارفين الأتقياء . وكان الناظم رمز به الى ما ثبت عن بعض الخاصة من الأصحاب المشار اليهم بالفتح بين الإخوان والأحباب من انه تلقى عن بعض أهل الاختصاص ممن كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذ ذاك بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام . ان مما أكرم الله به سيدنا رضي الله عنه وتفضل به عليه من الخصوصية التي يعز مثلها و وجودها لغير الحاق أصحابه بدرجته ورتبته في جميع مقاماته التي لا يزال مترقيا فيها إلى ابد الآباد ، فلا يرتقي من مقام من المقامات حتى يحصل المقام الذي قبله بمزية الالتحاق لأتباعه رضي الله عنه. ولا يزال كذلك من فضل الله تعالى كلما ترقى من مقام الى ما فوقه ، خلفه فيه أصحابه واتباعه دائما ابدا.ومزية الإلحاق التي اشرنا إليها هي المستأنس بها عندهم بقوله تعالى:(و الذين امنوا و اتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم). الاية. فكما ان الله تعالى يلحق بالمؤمنين ذريتهم المؤمنين في الفضل وان لم يساووهم في الأعمال الصالحة،فكذلك يلحق من يشاء من الأتباع لمتبوعهم في الفضل وان لم يدركوا درجته في العمل. ويشير إلى هذا الإلحاق ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من رواية ثابت البناني عن انس رضي الله عنه قال:جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة ؟ قال:وما اعددت لها؟ قال حب الله ورسوله .قال: فانك مع من احببت. قال انس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحا اشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: فانك مع أحببت. قال انس : فانا أحب الله ورسوله وابا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وان لم أعمل بأعمالهم . فتامل قوله وان لم أعمل باعمالهم تتضح لك هذه الاشارة. ثم انه لا يلزم من هذا ان تكون منزلة الملحق وجزاؤه مثل منزلة الملحق به من كل وجه.قلت : وهذه من أعظم الكرمات لسيدنا رضي الله عنه وان كان يعزب فهمها عن كثير من الناس كغيرها من جل كراماته رضي الله عنه وكرمات طريقته السنية. والسر في ذلك ان هذه الطريقة لما كانت اذواق من يسلك عليها غريبة لانها تفاض عليهم بحسب مقام شيخهم وأستاذهم لا بحسب مراتبهم وما هم عليه في استعدادهم ، كانت كرامتها في غاية ما يكون

من الدقة حتى يكون ادراكها كرامة أخرى في حق من ادركها لانها لا تدرك الا بالصفاء التام والفتح والالهام، وبهذا تكون كرامة دائمة لسيدنا رضي الله عنه بدوام من يفتح له في إدراكها من أصحابه وأتباعه وراثة محمدية وخصوصية احمدية والله تعالى اعلم.وأما الفضيلة الثانية فهي مما ثبت عن سيدنا رضي الله عنه على ألسنة الثقاة من أصحابه من المتواتر المشهور أيضا بين اتباعه وأحبابه وسببها ما حدثني به بعض الفضلاء من أصحابه وملازميه رضي الله عنه ان رجلا اجنبيا عن فقرائه بات معه ليلة من الليالي التي كان يبيت فيها بالزاوية المباركة مع الفقراء الكرام، فلما أصبحوا ذهب ذلك الأجنبي وجعل يتحدث مع العوام على عادة المتهورين القاصري الافهام ويقول : كنت اظن ان هذا الشيخ وأصحابه يبيتون في حال اجتهاد من انواع العبادة ،فاذا هم يبيتون كما يبيت غيرهم من الناس لا يزيدون على المحادثة بينهم فيما يتحدث به كل الناس ، فتناقل خبر ذلك الإنسان فبلغ الشيخ رضي الله عنه فقال رضي الله عنه مبشرا ومتبثا لأصحابه الذين طرق إسماعهم خبر ذلك : كل من عمل عملا لله تعالى فرضا او نفلا و تقبل منه يعطينا الله على ذلك العمل أزيد مما يعطيه لعامله بأكثر من مائة ألف ضعف ونحن رقود. انتهى.وادخل نفسه رضي الله عنه في عموم الكلام مع أصحابه إشارة الى ما تقدم من مزية الإلحاق . فافهم . وفي ذلك إيماء إلى أنهم انما نالوا تلك المزية من اجله رضي الله عنه ويؤيده ما في الجامع من التصريح بذلك في مثل هذا. وذلك أن مؤلفه اخبر ان سيدنا رضي الله عنه قال : يعطي الله لأصحابنا ثواب كذا .قال : فقلت له ثواب الأعمال والمرتبة . فقلت له : وهذا الفضل العظيم حصل لهم بسبب الفاتح لما اغلق او بغير ذلك؟ قال فسكت هنيهة ثم قال: من اجلنا لله الحمد والمنة . قال : ثم سألته رضي الله عنه عن الفرق بين ثواب العمل والمرتبة فأجاب بقول امام الطريقة الجنيد : من اقبل على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة اكثر مما عمله في ألف سنة . قال: قلت له: ما معنى كلامه ؟قال أهل التجلي يعطي الله للواحد في كل نفس كذا و كذا من التجليات في كل تجل قدر ما يعطيه لجميع الخلق، وفي الانفس الثاني كذلك وفي الانفس الثالث كذلك ، وهكذا ما دام عمر الدنيا والآخرة . ونسبة كل تجل لما بعده كنقطة في بحر ويقوم بوظائفها وآدبها كلها. فهذا هو ثواب المرتبة. قال رضي الله عنه : ويعطى ثواب المرتبة لأصحابنا و أن كانوا أصحاب حجاب. قال المؤلف اعني صاحب الجامع رحمه الله : وهذه خصوصية عظيمة جعلنا الله من أهلها دنيا وآخرى آمين .و اذا عرفت هذا فقد اتضح لك الوجه في هذه الفضيلة بحمد الله تعالى.و قد كان يتبادر لي في حال المذاكرة مع الأصحاب في هذه الفضيلة قبل أن أرى ما ذكره في الجامع هنا ان الوجه الذي من اجله اختص بها أهل هذه الطريقة هو ذكرهم لصلاة الفاتح لما أغلق وهو وان كان يظهر فيه ذلك لما فيه من تضعيف صلوات المصلين على النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم وتسبيحهم ، فهذا الذي ذكره في الجامع عن سيدنا رضي الله عنه أوضح وابلغ وأصرح ، كيف وقد اعطى القوس باريها واسكن الدار بانيها . نفعنا الله بعلوم سيدنا واسراره وعمر ظواهرنا وبواطننا بمشرقات أنواره آمين.و أما الفضيلة الثالثة فهي من المشهور المتواتر بين أصحابه رضي الله عنه ومن بعدهم من الأتباع. وحدثني بها بعض العلماء الإجلاء من خاصة أصحابه رضي الله عنه ومشاهير أعيانهم رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم. قال لي قدس الله سره: حضرت مع والدي وكان ممن اخذ الطريقة في اول ظهورها عن سيدنا الشيخ جعلنا الله في حماه ، وكان قد طال عهده رضي الله عنه برؤيته يعني ، والده المذكور فسأله الشيخ :من انت ؟ فقال له : ان المشايخ يعرفون تلاميذتهم بظهر الغيب ويحضرون معهم عند الموت ،في كلام ينحو منحى هذا . فقال سيدنا رضي الله عنه مجيبا له عن ذلك : هو صلى الله عليه وسلم كفاني الحظور مع أصحابي عند الموت وعند سؤال الملكين في القبر. ففرح الحاضرون بهذه البشارة العظيمة وعدوها من بركات السيد المحدث بها.و من مآثره الجسيمة لأنه هو الذي أتى

بوالده المذكور ليجدد العهد بالاخذ عن الشيخ رضي الله عنه لما كان حصل له من الفتور حسبما يظهر ذلك من خطابه للشيخ رضي الله عنه بما تقدم ، فجدد العهد وزال ما كان اتعراه من الفتور، وظهرت هذه الكرامة العظيمة والبشارة العميمة بسبب صدق نيته واثر همة ولده السيد المحدث بالقصة رحمهما الله. وقد ظهر والحمد لله مصداق هذه البشارة العظمى بين الأصحاب في سائر البلاد حتى شهد بها غير ما مرة من حضرها من اهل الانتقاد. فكثيرا ما اخبر بذلك المحتضرون من الرجال والنساء والعبيد والاماء من اهل هذه الطريقة المباركة في ذلك الموطن العظيم وكثيرا ما ظهرت آثار ذلك والشواهد الحالية على من لم يفصح بالاخبار به. جعلنا الله من المتعلقين بأذياله والثابتين على حبه وحب من يحبه بجاه سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه و إرساله صلى الله عليه وسلم وعلى آله آمين والحمد لله رب العالمين.و أما الفضيلة الرابعة وهي حضور النبي صلى الله عليه وسلم لأهل هذه الطريقة عند سؤال الملكين.فنص كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه فيها ما تقدم، ولا محالة ان هذا الحضور حضور مخصوص فهو غير الحضور العام المشار إليه في حديث سؤال القبربقوله فيه: ما علمك بهذا الرجل؟ على ما ذكره العلماء فيه لان في هذا الحضور كما يدل له سياق الكلام مزيد تانيس وكرامة لهم مع كفايتهم ذلك بحصول شفاعته صلى الله عليه وسلم لهم. ومآل ذلك الى ما هو مذكور في الجواهر وكذا في الجامع من ضمان النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ رضي الله عنه تأمينهم من كل مخوف و مكروه من الموت الى الاستقرار في عليين .

تنبيه:قال ابن ابي جمرة رحمه الله تعالى لما تكلم على فتنة القبر ما حاصله قوله عليه الصلاة والسلام : يقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ المراد به ذات النبي صلى الله عليه وسلم ورؤيته بالعين. في هذا الدليل على عظم قدرة الله تعالى . فان الناس يموتون في الزمن الفرد في أقطار الأرض على اختلافها وبعدها وكلهم يراه قريبا منه. ثم قال : وفيه رد على من يقول : ان رؤيته صلى الله عليه وسلم في الزمن الفرد في اقطار مختلفة على صور مختلفة لا تمكن لان القدرة صالحة لما نحن بسبيله.وأما الفضيلة الخامسة وهي انه يسوءه صلى الله عليه وسلم ما يسوء أهل هذه الطريقة فهي من المتواتر عن سيدنا رضي الله عنه ايضا، وذلك انه وقع بين رجلين من أصحابه رضي الله عنه توجب مجافاتا فأمرصلى الله أن يصلح بينهما و قال ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك وقال :قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فانه يؤذيني ما يؤذيهم . و وجه هذا ظاهر بين لان طريقة الشيخ رضي الله عنه طريقة المحبوبية والمحبوبية درجة يلتحق صاحبها بالأولاد والذرية عند من وقعت عليه منهم من نبي او ولي كامل كما يشير اليه حديث سلمان منا اهل البيت ، وكما وقع لسلطان العاشقين ابي حفص عمر ابن الفارض رضي الله عنه حيث الحقه صلى الله عليه وسلم ببنيه وذريته وهو من بني سعد قبيلة سيدتنا حليمة السعدية شرف الله قدرها. وقد قال صلى الله عليه وسلم في مولاتنا فاطمة الزهراء بنته رضي الله عنها فاطمة بضعة مني الحديث. ولا مانع ان يلتحق بها في ذلك من وقع عليه سهم المحبوبية الخاصة منه صلى الله عليه وسلم مزية له وخصوصية وكرامة من الله تعالى. ويؤيد ما ذكرناه من ثبوت المحبوبية منه صلى الله عليه وسلم لأهل هذه الطريقة من اجل شيخهم و أستاذهم رضي الله تعالى عنه بسابق الفضل الإلهي ، والاختصاص الرباني ما ثبت عن سيدنا رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أنت حبيبي وكل من احبك حبيبي . ذكره في الجواهر وكذا في الجامع أيضا. وفيما وقفت عليه من كلام صاحب الرماح أن من خصائص أصحاب سيدنا رضي الله عنه الداخلين في طريقة محبة النبي صلى الله عليه و سلم لهم محبة خاصة غير التي تشملهم وتشمل من ذكر معهم من المتعلقين به رضي الله عنه.وفيه أيضا أن بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الوارثين لأسراره و أنواره حدثه وهو معه في المدينة

المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له:
أنت ابن الحبيب واخذت طريقة الحبيب إلى غير ذلك مما يتأيد به ما ذكرناه.وأما الفضيلة
السادسة وهي أن لأهل هذه الطريقة لطفين: اللطف العام و اللطف الخاص. فهي مما هو
متواتر بين الأصحاب والأتباع، وقد حدثني بها بعض العلماء من أصحابه رضي الله عنه
قال الذي رحمه الله تعالى سمعته رضي الله عنه يقول : اللطف لطفان.اللطف الممتزج
بالمشيئة الإلهية وهو الذي أشارت إليه الآية الكريمة :(ان ربي لطيف لما يشاء). وهو
المشار اليه في قول صاحب الحكم : من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره .
ولطف خاص يختص الله به اهل الخصوصية من عباده، وهو لازم بفضل الله تعالى
لأصحابي لا ينفك عنهم في سائر تقلباتهم كما لا ينفك اللطف العام عن المشيئة الربانية.
وكان بعض الفضلاء من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الملازمين له يقول لنا عند
المذاكرة في هذه الفضيلة : قد شوهد جريان الالطاف الخاصة في أمور والذي من سبق
في علم الله انه سيكون من اهل هذه الطريقة بحيث تحس بذلك امه وهو في بطنها، وكذلك
في إبان رضاعة وغيره من أطوار طفوليته، ولا بعد في هذا الذي ذكره هذا السيد رحمه
الله تعالى، فان المشايخ الكمل لا يزالون يربون تلامذتهم في سائر أطوارهم قبل الأخذ
عنهم بلا شك ، كما هو مصرح به عن غير واحد منهم رضي الله عنهم أجمعين.و أما
الفضيلة السابعة وهي جواز أهل هذه الطريق على الصراط أسرع من طرفة العين على
كواهل الملائكة فهي مما هو داخل في ضمان النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ رضي الله
عنه حسبما في الجواهر والجامع وأما الفضيلة الثامنة وهي ورودهم الحوض الخ...، فهي
كالتي قبلها ايضا مضمونة لهم مذكورة في الكتابين.وأما الفضيلة التاسعة وهي وقوفهم
تحت ظل العرش في المحشر فهي كذلك في الكتابين معا، ورأيت فيما رقمت عليه من
كلام صاحب الرماح نفعنا الله ببركاته ما نصه: وقال سيدنا رضي الله عنه : أن أصحابي
لا يحضرون الموقف ولا يرون صواعقه ولا زلازله بل يكونون معي آمنين عند باب
الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى صلى الله عليه وسلم في الزمرة الأولى مع أصحابه
ويكون مستقرهم في جواره صلى الله عليه وسلم . انتهى بلفظه ، فلهم مع وقوفهم تحت
العرش زيادة هذه الكرامة أيضا.وأما الفضيلة العاشرة وهي غبطة أكابر الأقطاب لهم لما
يرون من مكانتهم ومالهم من الفضل عند الله تعالى فهي من المتواتر المشهور على ألسنة
الأتباع، رواية عن ثقة أصحابه رضي الله عنهم.و أما الفضيلة الحادية عشر وهي ذكر
سبعون ألف ملك مع الذاكر من أهل هذه الطريقة مهما ذكر ذكرا كيفما كان على الإطلاق.
فهي في الجواهر وهي مما خص به سيدنا رضي الله عنه عن سائر الأولياء ، ثم التحق فيه
أتباعه من فضل الله سبحانه وتعالى حسبما هو مذكور في الجواهر أثناء الكلام في فضل
اسم الله العظيم الأعظم. فليراجعه هنالك من أراد ذلك.وأما الفضيلة الثانية عشر وهي
مجالسة سيد البشر صلى الله عليه وسلم وهي في الجواهر أيضا من جملة فضائل جوهرة
الكمال وذلك من الشائع الذائع بين الأصحاب وغيرهم ، وهذا من الأسرار ما لا تستقل
بحمله الأسفار ولا تتسع له العقول والأفكار ، فلسان حال الشيخ رضي الله عنه ينشد في
مثلها تعزية منه رضي الله عنه فيها لمن ليس من أهلها فيها وإغراء لأهلها بإدراكها ونيلها:
وفي السر أسرار دقاق لطيفة تباح دمانا جهرة لو بها بحنا
و بقي من فضائل أهل هذه الطريقة الشريفة وخصائصهم السامية المنيفة ما لم يذكره الناظم
رحمه الله تعالى في هذا المحل من هذه القصيدة ولعله استغنى عنه بما سيذكره قريبا من
فضل الياقوتة الفريدة. انتهى كلام الغية.وقال أيضا في بيان حكمة ذكر الفضائل للورد : إن
معرفة فضائل الأعمال مما يحث على الاجتهاد فيها بغاية الذئوب ودوام الإقبال. قال بعض
العارفين : من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال . إذ لا يحمل النفوس
على الأعمال وملازمة قرع الباب الا معرفة ما لها من الثواب، والإشارة إلى هذا المعنى
موجودة في عدة أحاديث . قال صلى الله عليه وسلم : لو يعلم الناس ما في النداء والصف

الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا ستهموا عليه ، ولو يعلمون ما في التهجير لا ستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا ، إلى غير ذلك . ثم قال : لا يقدح في إخلاص العبد ان يريد بعمله حظوظ نفسه من النعيم الموعود به في الجنة ولا يغير صحة نيته لان الله سبحانه وتعالى مدح ذلك ورغب فيه في كتابة الحكيم وسنة نبيه الكريم . انتهى من بعض التقاييد بخط بعض العلماء ونسبه لتحفة العباد.وما ذكره ظاهر، فان قلت: العبادة من حيث هي لها مراتب ثلاث أعلاها أن تكون لتعظيم الله ومحبته وأوسطها امتثال الأمر وأدناها أن تكون لقصد الأجر و الثواب . و إنما كانت هذه أدناها لما فيها من حظ الانفس وذلك يلام عليه صاحبه عند المحققين لأنه عامل على مقتضى حظ نفسه ولم يقم بحق أوصاف ربه. وما وجهت به من تقديم ذكر الفضائل مثاله إلى هذه المرتبة الملوم صاحبها وما آل أمره إلى مثل هذا لا يحسن ان يتقدم غيره.قلنا : الأمر على ما ذكرته من التقسيم الا ان العمل للثواب لا تكون مرتبته ادنى على العموم في حق كل فرد من افراد العاملين وإنما تكون أدنى في حق العامة فقط وهم الذين لا يصح منهم إخلاص الا مع التجرد التام عن ملاحظة الثواب ، وباعتبارهم جاء التقسيم المذكور في المراتب . وأما الخاصة الذين لا يقدح في إخلاصهم ملاحظة الثواب بالعمل فإنهم لا يدخلون في المرتبة الثالثة بل هم من أهل المرتبة الأولى بلا شك لأنهم يعملون على التعظيم والمحبة وشهود المنة مصدقين في حال تعظيمهم ومحبتهم بما وعدوا به من الأجر العظيم . ولا محالة أن تصديقهم لا يقدح في تعظيمهم ومحبتهم بل هو مما يتقوى به ذلك كما يتقوى به شهود المنة أيضا، ولا يخفى أن هذا هو حالة الكمال لأنه حال أهل الصحو التام من أقوياء الرجال. وقال بعض أهل التحقيق والتحرير وكلامه هو الحكم العدل فيما اشرنا إليه في هذا التقرير ما نصه: واعلم ان العمل للثواب محمود جدا حيث قصد به مجاراة الحق في تنزله يعني لعبده من حضرة الاطلاق إلى حضرة التقييد مع أن أفعاله تبارك و تعالى لا تعلل وعطاياه سبحانه ليست لغرض .فالأدب التنزل بما رغب فيه. فلا تكون العبادة حينئذ للثواب بل صارت ملاحظة الثواب عبادة ثانية مع ان وصفك الفقر والاحتياج الى ما كان من سيدك . والمذموم الالتفات لغرض نفسي انتهى. وقد تقدم لنا فيما تقدم من باب الاذكار هذا الكلام برمته وإنما اعدناه لكون المحل محله لئلا يغفل صاحب الورد عن هذه الفرائد التي لا توجد الا في مثل شرح شيخنا ابي المواهب رضي الله عنه ءامين. انتهى ما جلبه صاحب المنية من فضائل الورد وان اخذ من جلها فضائل المتعلقين بالشيخ باي تعلق كان. ولا يضر في أمثال هذه المناقب ما فيه من نوع تكرار لما بين الورد وأهله من التلازم ، ولذلك اتبعنا فصل فضل المتعلقين بالشيخ رضي الله عنه لفصل فضائل الورد.

الفصل الثالث في ذكر فضائل المتعلقين بالقطب المكتوم والختم المحمدي المعلوم رضي الله عنه تلقينا ومحبة:(و فيه خاتمة في فضائل الياقوتة الفريدة وغيرها كذكر الدائرة الفضيلة الموهوبة من حضرة اسمه تعالى الوهاب لسيدنا الشيخ رضي الله عنه ولأتباعه بطريق الإلحاق به في ذلك).فأقول مستعينا بالله انه خير معين قال حواري هذه الطريقة الاحمدية الخليفة الاكبر سيدي الحاج عمر بن سعيد في رماحه ما نصه باختصار يسير : اعلم ياخي وفقني الله و اياكم لما يحبه ويرضاه ان اهل هذه الطريقة الاحمدية المحمدية الابراهيمية الحنيفية التيجانية محبوبون مقبولون على أي حالة كانوا مالم ينسلخوا عنها ولم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله تعالى . قال :قد اخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله عنه ان واحدا من اصحاب الشيخ رضي الله عنه كان جالسا في مسجد من مساجد فاس صانها الله تعالى من كل باس وكان بجنبه واحد من الفقهاء فقال لصاحب الشيخ رضي الله عنه : انكم تعمرون المساجد بابدانكم ولا تعمرونها بقلوبكم، وقال له صاحب الشيخ رضي الله عنه: نحن مقبولون على أي حالة كنا ثم خاف من هذه القولة ورجع إلى الشيخ رضي الله عنه خائفا وجلا مشفقا على نفسه وذكر القصة

كلها فقال له رضي الله عنه : نعم ، انتم محبوبون مقبولون على أي حالة كنتم . فهلا قلت له: نحن محبوبون مقبولون على أي حالة كنا على رغم أنوفكم.وقد تقدم ان بعض من لقيه اخبرني انه رضي الله عنه ما تنزل لإفادة الخلق بعدما أمره جده صلى الله عليه وسلم بذلك الا بعد قوله للنبي صلى الله عليه وسلم : ان كنت بابا لنجاة كل عاص مسرف على نفسه تعلق بي فنعم و الا فاي فضل لي؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : أنت باب لنجاة كل عاص مسرف تعلق بك، وحينئذ طابت نفسه لذلك . و اخبرني سيدي محمد الغالي أيضا انه سأل الشيخ رضي الله عنه عن سبب الفضل الذي كان في أذكاره فقال له رضي الله عنه لأجلي الخ.قال: وهذا ظاهر لكل من عرف أن الله تعالى أوقعه في الدائرة الفضيلة التي تقدم ذكرها وعرف أنها دائرة أهل طريقته. وإذا فهمت هذا فاعلم أن الله تعالى تفضل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم والبرزخ المختوم بأمور ضمنها له جده ومحبه وحبيبه سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما. و أكثر تلك الأمور لا يحل ذكره و لا إفشاؤه ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة. و ذكر رضي الله عنه منها جملة كافية يستبشر بها المعتقد على رغم انف المنتقد. فلذلك أردنا ان نذكر منها هنا ما يسعنا ذكره ونمسك عما ينبغي كتمه فرأينا أن نذكر منها 39 فضيلة ، 14 منها تحصل لجميع من تعلق به التسليم والاعتقاد وتعظيمه ومحبته وترك الاعتراض عليه والانتقاد، وبمحبة اهل طريقته واحترامهم وتعظيمهم وعدم اذايتهم ، والباقيات يختص بهاأهل طريقته المتمسكون بأوراده فنبدأ بالقسم الاول فنقول: الأولى: ان جده صلى الله عليه وسلم ضمن لهم ان يموتوا على الإيمان والإسلام .والثانية ان يخفف الله عنهم سكرات الموت. والثالثة لا يرون في قبورهم الا ما يسرهم. والرابعة ان يامنهم الله من جميع أنواع عذابه وتخويفه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة. والخامسة ان يغفر الله تعالى لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر. والسادسة أن يؤدي الله عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله عز وجل لا من حسناتهم. والسابعة الا يحاسبهم الله تعالى ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة . والثامنة ان يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة. والتاسعة ان يجيزهم الله على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة . والعاشرة أن يسقيهم الله تعالى من حوضه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . والحادية عشر ان يدخلهم الله الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى. والثانية عشر ان يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن . ثم ذكر كلام الجواهر المتقدم في الفصل الثاني وما اشتمل عليه من ضمان النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ جميع ما تقدم و غيره. و الثالثة عشر أن النبي صلى الله عليه و سلم يحب كل من كان محبا له رضي الله عنه. و الرابعة عشر ان محبه رضي الله عنه لا يموت حتى يكون وليا. قال رضي الله قد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه و سلم أن كل من أحبني فهو حبيب للنبي صلى الله عليه و سلم و لا يموت حتى يكون وليا قطعا.و قال رضي الله عنه قال لي سيد الوجود: أنت من الآمنين و من أحبك من الآمنين.أنت حبيبي ومن احبك حبيبي وكل من اخذ وردك فهو محرر من النار. قال رضي الله عنه: ابشروا أن كل من كان في محبتنا الى ان مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الإيمان من مكر الله . وقال رضي الله عنه: واما من كان محبا ولم يأخذ الورد فلا يخرج من الدنيا حتى يكون من الأولياء . فليجعل هذا آخر القسم ونشرع فيما اختص به أهل طريقته المتمسكون بأذكاره فنقول: والخامسة عشر ان ابوي ءآخذ ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب مع أن أحدا منهم لم يكن له ما تعلق به بوجه من وجوه المتعلقات ، وإنما نالوا هذا الفضل العظيم والخير الجسيم بسبب هذا الآخذ المتمسك بأذكاره اللهج بها. قال رضي الله عنه : من اخذ عني الورد المعلوم الذي هو لازم للطريقة او عمن اذنته يدخل الجنة هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب بشرط ان لا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة ويداوم

محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات وكذا مداومة الورد إلى الممات .ثم قال رضي الله عنه : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا الفضل هل هو خاص بمن أخذ عني الذكر مشافهة أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة ؟ فقال لي: كل من اذنته وأعطى لغيره فكأنما اخذ عنك مشافهة وانا ضامن لهم . وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرني . وقال رضي الله عنه : كل من اخذ وردنا يبعث من الامنين ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو و والداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة وعدم الأمن من مكر الله تعالى كما قدمنا ، ويكون من الآمنين من موته الى دخول الجنة.وقال رضي الله عنه يخاطب من سأله من أصحابه أن يبشره : واما ما ذكرت من ان أخبرك ببعض أمور ليطمئن قلبك وتزيد محبتك ويدوم سرورك فأقول لك: الأولى من ذلك الكرامة التي شاعت لدى المعتقد على رغم انف المنتقد وهي أعظم خير يرجى وأفضل مودة للعاقل تترجى وهي ان كل من اخذ وردنا ودام عليه إلى الممات انه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته ان سلم الجميع من الانتقاد. و السادسة عشر أنهم تلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم.والسابعة عشر ان النبي صلى الله عليه وسلم سماهم أصحابا له صلى الله عليه وسلم : أنت من الامنين وكل من احبك من الآمنين أنت حبيبي وكل من احبك حبيبي و فقراءك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي ، فكل من اخذ وردك فهو محرر من النار انتهى .
قال قلت : ولهذا صار اهل طريقته صحابيين بهذا المعنى حتى قال صلى الله عليه وسلم في حقهم مثل ما قال في الصحابة رضي الله عنهم اذ قال لشيخنا رضي الله عنه يقظة لا مناما : قل لأصحابك لا يؤذوني باذاية بعضهم بعضا وقال في حق الصحابة رضي الله عنهم : لا تؤذوني في أصحابي او كما قال. والثامنة عشر ان كل ما يؤذيهم فانه يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان محاورة وقعت بين رجلين من أصحابه فأمر أن يصلحوا بينهما فورا، ثم اخبر رضي الله عنه انه وقع لي الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالصلح بينهما و أخبره صلى الله عليه و سلم يؤذيه ما يؤذي أصحابه رضي الله تعالى عنه . التاسعة عشر ان الإمام المهدي المنتظر اخ لهم في الطريقة .قال رضي الله عنه : إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الإمام المهدي إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء.و الموفية عشرين أن أهل طريقته كلهم أعلى مرتبة من أكابر الأقطاب.قال رضي الله عنه: لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال رضي الله عنه:لو اطلع أكابر الأقطاب على ما اعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا:يا ربنا ما أعطيتنا شيئا. وقال رضي الله عنه : وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولوا عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا الا انا وحدي. و وراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم لأمر لا يحل ذكره و لا يرى ولا يعرف الا في الاخرة . وفي بعض الرسائل قال قدس الله روحه : إن الله تعالى أعطاني يعني: له ولأصحابه ما لم يعطه لأحد من الشيوخ ولا يعطيه لأحد من بعدي أبدا فضلا منه وجودا بلا استحقاق شيء عليه بل في سابق أزله قضى بذلك . فله الحمد ومزيد الشكر. والله يرزق من يشاء بغير حساب.قال في الرماح: قلت: ولاعجب أن يكون غير المفتوح عليه في الدنيا أكمل واكبر في الآخرة من المفتوح عليه في الدنيا. وفي الإبريز و سمعته يعني: القطب سيدي عبد العزيز رضي الله عنه يقول : شأن الفتح عجيب وأمره كله غريب ، وكم من عبد محبوب عند الله تعالى يمنعه الله من الفتح رحمة به، وذلك إن في الفتح أمورا إذا شاهدها المفتوح عليه قبل أن تطيب ذاته وان تصل ففي ساعة يرجع نصرانيا، و فيه أمور إذا شاهدها يرجع يهوديا وكم من رجل لا يفتح عليه إلا عند خروج روحه وكم من رجل يموت غير مفتوح عليه ويبعثه الله تعالى على حالة هي

أكمل واكبر من المفتوح عليه.انتهى وبفهم هذا الكلام ايضا يظهر لكل موفق سعيد منصف وجه كون عوام أهل طريقتنا هذه أعلى مرتبة في الآخرة من أكابر الأقطاب والاغواث فأحرى من دونهم. وقد تقدم أن أهل كل طريقة يدعون يوم القيامة باسم شيخيهم ويدعون الى مجاورته ، قال تعالى :(يوم ندعو كل اناس بامامهم). وقد تقدم أيضا ان المريدين يبلغون إلى درجات كبرائهم وشيوخهم ما آمنوا بأحوالهم و فقهوا كلامهم كما قال تعالى :(والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم). وبفهم هذا الكلام أيضا يظهر سر قوله صلى الله عليه وسلم لشيخ أهل طريقتنا هذه : فقرائك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي، فعلم صلى الله عليه وسلم أن بين أصحابه صلى الله عليه وسلم وبين أصحاب هذا الشيخ رضي الله عنه مناسبة تامة، وبتلك المناسبة كانوا عند الله اكبر من أكابر العارفين والاغواث وان كانوا في الظاهر من جملة العوام.قال : قلت وشواهد هذا في الشرع لا تحصى . قال تعالى :(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء). وقال تعالى:(ليلة القدر خير من ألف شهر). والحادية والعشرون ان في الأذكار اللازمة للطريقة صيغة من صيغ الاسم الأعظم قد من الله تعالى علي بمعرفتها على يد سيدي محمد الغالي ونحن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام. وهذه الصيغة ليست بصيغة الاسم الأعظم الكبير التي هي خاصة به صلى الله عليه وسلم ومن اخذ هذه الصيغة بسند متصل له نصف ثواب الكبير. قال رضي الله عنه ان الفضل المذكور في الاسم الكبير خاص بالصيغة التي هي خاصة به صلى الله عليه وسلم ولا يلقنها ولا يؤذن فيها إلا القطب الجامع ، وأما غيرها من صيغ الاسم ففيها النصف من ثواب الكبير ثم قال رضي الله عنه وهذا الفضل الكبير لكل من أخذ صيغة من صيغ الاسم الأعظم بسند متصل و أما من عثر عليه في كتاب أو غيره وذكره من غير إذن فثوابه حرف بعشر حسنات فقط ولا غير. انتهى.و الثانية والعشرون أن في أذكار هذه الطريقة الاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم قد من الله علي به و أنا في المدينة المنورة كما تقدم ولله الحمد والمنة. و الثالثة والعشرون ءأحادهم آمنون من السلب . قال رضي الله عنه : ومن خواص دائرة الإحاطة أن من علمه الله إياه أي لفظه دون أسراره كان مامونا من السلب لا يقدر عليه احد وان كان لم يفتح عليه في الولاية ولا يقدر على سلبه الا القطب . و الرابعة والعشرون ان لكل واحد من أصحابه فردا فردا حظا من ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو دائرة الإحاطة، ولو لم يعرف الاسم فضلا عن ذكره وذلك انه رضي الله عنه مهما ذكر كلمة من كل ذكر على الإطلاق ذكرت معه سبعون ألف ملك وذكر كل ملك ب سبعة آلاف كلمة وكل كلمة بعشر حسنات . وقد تفضل سيدنا رضي الله عنه بهبة هذا الفضل العظيم لأصحابه وذلك في شهر الله : جمادى الثانية سنة 1213 م . رزقنا الله من ذلك حظا وافرا بمحض فضله آمين. و الخامسة والعشرون أنهم ينالون من ثواب الأذكار العالية من الاسم الأعظم الكبير وما دونه ما لا يناله منها أكابر العارفين والأقطاب. قال رضي الله عنه بعد ذكره ثواب الأقطاب الذين كانوا قبله: من ذكر الاسم الأعظم وثواب أهل طريقته من ذكرهم الاسم الأعظم ومن ذكرهم الكنز المطلسم. ولعلك ترى ان ما في مراتب القطب من قبلنا يقل دونه ثواب الواحد من أصحابنا في الاسم الأعظم وذلك من قلة التأمل . وإذا تأملت ثواب القطب من قبل هذا الوقت مع ثواب مرة واحدة من أصحابنا بان لك ان ثواب القطب من قبلنا بالنسبة إلى ثواب مرة واحدة من ذكر واحد من أصحابنا كنقطة في البحر المحيط. ولما قيل له رضي الله عنه: بما نالوا ذلك ؟ قال : من اجلي . قلت : وسره يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم له رضي الله عنه : فقرائك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي علم صلى الله عليه وسلم ان بين أصحابه وبين أصحاب هذا الشيخ مناسبة تامة ، ولتلك المناسبة كانوا عند الله من الأكابر وان كانوا في الظاهر من جملة العوام.والسادسة

والعشرون ان الله تعالى يعطيهم من عمل كل عامل تقبله الله منه أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطي صاحب ذلك العمل. قال رضي الله عنه : كل من عمل عملا صالحا من أعمال البر وتقبل منه يعطينا الله ولأصحابنا على ذلك العمل أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطي صاحب ذلك العمل وأكثر سواء قل ذلك العمل او كثر مفروضا كان أو غير مفروض ونحن رقود والحمد لله . انتهى. سبحان الملك المختار الذي قال :(لا يسأل عما يفعل) و قال :(فعال لما يريد. ويرزق من تشاء بغير حساب). وقال : (والله يرزق من يشاء بغير حساب). وقال :(ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء). وعليك بالنظر إلى الفصول المتقدمة أول الكتاب والى الدائرة الفضيلة التي تقدم ذكرها لعلك تنجو من الانكار الذي يؤدي إلى الطرد والسلب انتهى.والسابعة والعشرون أن من آحادهم من إذا رآه شخص يوم الاثنين او يوم الجمعة فان الرائي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب . والثامنة والعشرون ان منهم إذا رءاه شخص وقال له الرائي : اشهد لي اني رأيتك وقال له المرئي : شهدت لك انك رايتني فان الرائي يدخل الجنة . والتاسعة والعشرون ان لهم في المحشر موضعا في ظل العرش يكونون فيه وحدهم . قال رضي الله عنه: ان أصحابنا لا يدخلون المحشر مع الناس ولا يذوقون مشقة ولا يرون محنة من تغميض اعينهم الى الاستقرار في عليين . وقال رضي الله عنه : ان اصحابنا يوم القيامة ليسوا مع الناس في الموقف بل هم مكتنفون في ظل العرش في موضع وحدهم ولا يقدم عليهم احد في دخول الجنة الا الصحابة رضي الله عنهم . والموفية ثلاثين انهم في اعلى عليين .و أما أصحابه الذين ليسوا من أهل طريقته و أوراده فغاية أمرهم أنهم في عليين.قال رضي الله عنه: اصحابي في جواره صلى الله عليه وسلم في اعلى عليين مع اولي العزم من الرسل وغيرهم من الانبياء . والحادية والثلاثون ان لهم برزخا وحدهم . وفي بعض الرسائل : واخبرنا ايضا قدس الله روحه ان لهم برزخا وحدهم يستظلون به، وهذا كله من كثرة الاعتناء بهم لما خصهم الله تعالى به من محبته ومعرفته.والثانية والثلاثون انهم لا يحضرون اهوال الموقف ولا يرون صواعقه ولا زلازله بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى في الزمرة الاولى مع اصحابه ويكون مستقرهم في جواره في أعلى عليين مجاورين لاصحابه صلى الله عليه وسلم . فسبحان من تفضل بما يشاء على من يشاء اختيارا منه لا تحكم عليه في شيء. والثالثة والثلاثون ان اكثرهم يحصل لهم في كل يوم فضل زيارته صلى الله عليه وسلم في روضته الشريفة و زيارة جميع اولياء الله والصالحين من اول الوجود الى وقته.قال رضي الله عنه : اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى بجوهرة الكمال من ذكرها اثني عشرة مرة وقال : هذه هدية مني اليك يا رسول الله فكأنما زاره في روضته الشريفة وكانما زار اولياء الله الصالحين من اول الوجود الى وقته. والرابعة والثلاثون ان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة يحضرون مع اهل هذه الطريقة كل يوم . قال رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان من قراها سبعا فاكثر يحضره صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة ما دام يذكرها . قال : قلت قد من الله على اخواننا في الطريقة بانها تذكر في الوظيفة 12 مرة فانها تكفي أهل الكسل. والخامسة والثلاثون ان النبي صلى الله عليه وسلم يحبهم محبة خاصة غير التي تقدمت لهم ولجميع الاحباب في القسم الاول.قال رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان من لا زمها في كل يوم ازيد من 7 مرات فانه صلى الله عليه وسلم يحبه محبة خاصة ولا يموت حتى يكون وليا . قال : قلت وهذا الفضل حاصل ايضا لأهل الكسل لاشتمال الوظيفة عليه الا اذا كانوا لا يقرئونها في الوظيفة . والسادسة والثلاثون ان لهم علامة يتميزون بها عن غيرهم ويعرف بها انهم تلاميذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراؤه وهي ان كل واحد منهم مكتوب بين عينيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى قلبه مما يلي ظهره محمد بن عبد الله وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه : الطريقة التجانية منشاها الحقيقة المحمدية . والسابعة

والثلاثون ان لهم من الله لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم ولذلك قال رضي الله عنه : ان صاحبي لا تاكله النار ولو قتل سبعين روحا اذا تاب بعدها.والثامنة والثلاثون : ان كل من لم يحترمهم وكان يؤذيهم طرده الله من قربه وسلبه ما منحه ذلك انه صلى الله عليه وسلم يغار لأهل هذه الطريقة غيرة خاصة كما كان صلى الله عليه وسلم يغار لاصحابه لان اهلها فقرائه وتلاميذه كما ان الصحابة رضوان الله عليهم كذلك . ولذا قال صلى الله عليه وسلم له رضي الله عنه اذا مر اصحابك باصحابي فليزورهم فقط واما غيرهم من الاولياء فلا ، وذلك كله لشدة الاعتناء باهلها لاجل حبيبه وولده الذي قال له : انت ولدي حقا، وقال له : انت حبيبي ومن احبك حبيبي . وقال صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه رضي الله عنه: انت ابن الحبيب ودخلت طريقة الحبيب ، وقال صلى الله عليه وسلم لمن ارسله الى الشيخ رضي الله عنه يقظة لامناما :قل لحبيبي التجاني . ولشدة محبته صلى الله عليه وسلم فيه رضي الله عنه اخبره ان كل من احبه رضي الله عنه لا يموت حتى يكون وليا وضمن صلى الله عيله وسلم له رضي الله عنه ان كل من سبه رضي الله عنه ودام على ذلك لا يموت الا كافرا. وهذه المحبة منه صلى الله عليه وسلم لشيخنا هي التي سرت منه صلى الله عليه وسلم الى اهل طريقته حتى قال صلى الله عليه وسلم له رضي الله عنه :قل لاصحابك لا يؤذوني باذاية بعضهم بعضا و ذلك لشفقته صلى الله عليه و سلم لألا يصيبهم ضرر من اذاية بعضهم بعضا لأن من آذا واحدا منهم فقد آذاه صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم في حق اصحابه رضي الله عنهم : لا تؤذوني في اصحابي او كما قال. ولهذا ،قال رضي الله عنه : ان لنا مرتبة عند الله تناهت في العلو عند الله الى حد يحرم ذكره ليست هي ما افشيته لكم ولو صرحت بها لاجمع اهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمن عداهم. وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها . ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغيير قلبي بعدم حفظ حرمة اصحابنا طرده الله عن قربه وسلبه ما منحه. نعوذ بالله من السلب والطرد بعد العطاء. والتاسعة والثلاثون انهم لا يذوقون حرارة الموت وهي المعبر عنها بسكرات الموت. وسياتي ان من داوم على قراءة حزب السيفي صباحا ومساء لا يذوق حرارة الموت اصلا، بل تخرج روحه وهو لا يدري ولا يتوجع وان من داوم على قراءة السلام عليك ايها النبيء ورحمة الله وبركاته كل يوم مائة مرة لا يذوق سكرات الموت اصلا ، داوم بعضهم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة . والفرق بين هذا وبين ما تقدم في القسم الاول هو ان أهل القسم الاول يسهل عليهم ، وهؤلاء لا يذوق اصلا ورأسا . انتهى كلام الرماح باختصار.فعليك ايها الواقف على هذه الفضائل بالتصديق وعدم انكار شيء منها اذا لم تفهم فان كلام الاولياء سر من اسرار الله تعالى ، واياك وانكار شيء منها فيسجل عليك بالدخول فيما تضمنته الاية الكريمة من ذم من اتصف بذلك في قوله تعالى :(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله) ولقد احسن القائل:

اتقدح فيمن شرف الله قدره ما زال مخصوصا به طيب الثنا
رجال لهم سر مع الله صادق فلا انت من ذاك القبيل و لا انا

وان كلام الاولياء لا يفهمه الا من ذاق ما ذاقوه واتفق مشربه مع مشربهم .فاذا رايت منكرا ينكر عليهم فلا تجادله الا بالتي هي احسن. لكن الاحسن ان تهمله ما لم يسترشدك كما قال العارف الرباني الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في ابيات نصها:

دع المنكرين الجاحدين فانهم ستائرنا التي تحجب الاجانب
من الغيب مدت بالكثافة من تجلى اسمه الستار رب المواهب.
نصان بهم كالدر في صدف السوى و كالعين بالاجفان تحت الحواجب
و لا ملك الا و حجابه به تحف اشتمالا بالفنا و القواضب
و للكنز ارصاد و فيه طلاسم يصان بها في الناس عن عين طالب
صدقت هم الاحساد نار قلوهم لقد نفخت في عودنا بالأطايب

و صان بنا عنهم لباب علومنا الاه البرايا بالقشور السوالب
و قد ذادهم عن ورد حوض نبينا لدينا بتبديل من الوهم غالب
خيالات أفكار من الغيب سلطت ملائكة فهم بهم في تناسب
ويخبث او يزكوا من الأرض نبعها على قدرها و هو اختلاف المشارب فان قلت:
من أين جاء هذا الفضل العظيم الخارق للعادة لهذا الشيخ رضي الله عنه وأهل طريقته المنغمسين تحت تيار أنواره وأسراره؟ قلت : إنما جاء ذلك لكون الشيخ رضي الله عنه من أهل الدائرة الفضيلة المفاضة عليه وعليهم من حضرة اسمه الوهاب كما سنبينه ان شاء الله عن قريب، و ذلك أمر محتم له ولهم من غير سبب و لا استحقاق، ولكن تفضل مولانا عليهم بذلك بطريق الفضل و المنة على يد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. انتهى.وممن صرح بذلك اعني كونه هو وفقرائه بطريق الإلحاق من أهل الدائرة الفضيلة من العارفين المحققين شيخنا أبو المواهب السائحي رضي الله عنه فيما تقدم من فصل فضل الورد و كذا حواري هذه الطريقة صرح في رماحه في فصل فضل الشيخ رضي الله عنه بذلك اتم تصريح وبينه اكمل بيان نصه : ومن أهم ما ينبغي ذكره ليتنبه به كل موفق الدائرة العظيمة التي أوقع الله فيها هذا الشيخ العظيم و أهل طريقته و حزبه الصميم و يتبين لكل ناظر في هذا المحل انه لا ينكر فضله رضي الله عنه على جميع الأولياء، وفضل اهل طريقته على غيرهم من أهل سائر الطرق. و لا يستغربه الا من غفل عن هذه الدائرة العظيمة و جهل انها دائرة طريقه و فيها يسبح أهلها و كان مسجونا في سجن عقله جاهلا بسعة فضل ربه. و كونه مختارا فيفضل من يشاء ويعطي من يشاء **لا** (يسأل عما يفعل).
فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق : اعلم أن لله تعالى دائرة تسمى الدائرةالفضلية و تلك الدائرة مكنوزة من وراء خطوط الدوائر التي هيدوائر الأمر والنهي والجزاء خيرا أو شرا والاعتبارات واللوازم والمقتضيات . فان هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق و تلك الدائرة الفضيلة هي دائرة اصطفائه و اختصاصه سبحانه و تعالى، فيضعها لمن يشاء من خلقه . وهذه الدائرة جعل سبحانه وتعالى عنده فيضها فائضا من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط، و لا يبالي بمن كان فيها وفي بالعهود أم لا انتهج السراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم.ولا يبالي فيها لمن أعطى و لا على ما اذا أعطى. ومن وقع في هذه من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع . وفيها أوقع الله تعالى هذا الشيخ الأحمدي المحمدي الإبراهيمي و جعلها سبحانه و تعالى دائرة اهل طريقته و أوقعهم فيها فضلا منه سبحانه و تعالى وجودا و كرما لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم الذي جمع له بين مقام المحبة والخلة الناشئتين من هذه الدائرة التي بها أتخذ الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه و سلم حبيبا و خليلا و سيدنا ابراهيم عليه السلام خليلا لوراثته اياهما من هذين البيتين .ولذلك كانت طريقته رضي الله عنه طريقة المحبة و الشكر. قال تعالى **:(إن** إبراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه اجتبه وهديه إلى صراط مستقيم) . و قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له**:** اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبدا شكورا أو كما قال صلى الله عليه وسلم. وكانت أسهل الطرق على الإطلاق و كان أهلها محبوبين مقبولين على أي حالة كانوا ما لم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله ومن بحرها سخر الله له جده سيدنا و مولانا رسول الله عليه وسلم حتى أحبه محبة لا تعرف ولا تكييف. و من بحرها جعله الله تعالى القطب المكتوم والبرزخ المختوم و الخاتم المحمدي المعلوم و مركزا يتفجر منه لجميع الاغواث الفيوض و العلوم كما سيبين ذلك في المحشر تصديقا بالنبي المعصوم إذ نادى مناديا : يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي كان مددكم منه. ومن بحرها تفضل عليه مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم بكيفيات منه ما تفضل بها غيره. ومن بحرها تفضل بها عليه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدائرة الاحاطة التي هي خاصة به صلى الله عليه و سلم. و من بحرها تفضل عليه مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم بالكنز المطلسم الذي هو خاص به صلى الله عليه و سلم و بمقامه. و من بحرها تفضل عليه مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم بإطلاقه رضي الله عنه في إعطاء جميع أوراده من الاسم الأعظم الكبير وما دونه لمن شاء ومنعها ممن شاء ، وكذا جميع من قدمه الشيخ رضي الله عنه في إعطائها، ومن قدمه من قدمه . هكذا الأمر إلى ان يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. وكان يقول رضي الله عنه:(هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب).ومن هنا يعلم كل من له أدنى علم ومعرفة أن أهل طريقة هذا الختم المحمدي أفضل من غيرهم لوجهين : احدهما انه لما كان إمام أهلها رضي الله عنه هو برزخ البرازخ وشيخ المشايخ المأخوذ منه جميع الطرق كان أهل طريقته الخاصة به افضل من غيرهم وراثة احمدية محمدية . وثانيهما انه لما كان دائرة الإحاطة الذي هو سره هو الساري في جميع أسماء الله تعالى الظاهرة و الباطنة والاسم الأعظم الذي لا يلقنه الا القطب والكنز المطلسم الذي ما نزل في القرآن ولا في جميع الكتب الالهية مثله و الخريدة الفريدة التي ليس فوقها الا الاسم الأعظم الكبير. وكل ما سواه فهو دونها كنوزا مطلسمات فيها من العلوم والأسرار والذخائر ما ليس في غيرها من جميع الأذكار . ونال هذا الختم من اسرارها وعلومها وخباياها ما لم ينله غيره من أكابر الاغواث. وكان مأذونا من جده صلى الله عليه وسلم في إعطاء جميع ما ذكر ، و هو رضي الله عنه تفضل بتلك الأذكار وأسرارها وعلومها و خباياها وظاهرها وباطنها ومفشوها ومكتومها على أهل طريقته ، لكل منهم ما يناسب حاله ومقامه وقابليته واستعداده كان أهل طريقته أفضل من غيرهم بلا ريب.وفي هذه الدائرة الفضلية قال مولانا جل وعلا :(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم). وقال :(قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم). وقال :(يستبشرون بنعمة من الله وفضل). وقال :(وكان فضل الله عليك عظيما). وقال:(ام يحسدون الناس على ما ءآتيهم الله من فضله). وقال:(واسألوا الله من فضله). وقال :(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله) . وقال:(فسوف يات الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) إلى قوله :(ذلك فضل الله يوتيه من يشاء). وقال:(ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين). وقال:(ولولا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا). وقال(يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه و فضل). وقال حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام :(ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون). وقال :(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا). وقال :(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم). وقال :(ان فضله كان عليكم كبيرا). و قال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون). وقال:(ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوات وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله). وقال :(وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله). وقال :(لئيلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم). وقال(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قالسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو قائم على المنبر يقول: انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، اعطي اهل التوراة

التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم اعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين . قال أهل التوراة : ربنا هؤلاء اقل عملا وأكثر أجرا . قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئا ؟ قالوا : لا. قال فذلك فضلي اوتيه من أشاء . وفي رواية : فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : يا ربنا . الحديث. والأحاديث الدالة على هذه الدائرة كثيرة جدا وانما نبهنا على هذه الدائرة مع اننا قد أودعنا في الفصول المتقدمة ما ينفر كل من له أدنى عقل و بصيرة من الانكار لكون غرضنا في هذا الكتاب سد باب الانكار على سادتنا الاخيار. قال تعالى:(ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد). و الله تعالى الموفق للصواب. انتهى كلام الرماح. وقد تقدم لنا غير ما مرة ان هذه الطريقة محمدية ابراهيمية فلا بد من تفسير معنى كونها محمدية لأن سائر الطرق محمدية بالوجه العام . فأقول مستعينا بالله انه خير معين: قال شيخنا أبو المواهب السائحي في بغية المستفيد في المطلب السادس من مقدمته. أما المحمدية فمنسوبة إلى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه اختصاصها بالانتساب إليه مع ان الكل راجعة اليه ومستمدة منه، ان صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المبين في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى ان تستولي محبته على قلبه ويخامر سره تعظيمه بحيث يهتز عند سماع ذكره ويغلب على قلبه مشاهدته وتصير تمثاله بين عيني بصيرته ، فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرة و باطنة ولا يجعل لمخلوق عليه منّة الا النبي صلى الله عليه وسلم فيراه في اليقظة والمنام و يسائله عما يريد . قال وقد سلك على هذا جماعة من المشايخ قديما وحديثا. قال الشيخ أبو سالم العياشي : ذكر العجمي في رسالته المذكورة جماعة منهم ثم قال ،اعني أبا سالم رحمه الله تعالى قلت ،و قد رأيت بالقاهرة سنة بجامع المارديني الشيخ محمد الخلوتي وهو رجل مسن منقطع بالمسجد وله أصحاب فسألته عن طريقه و لمن ينتسب فقال لي : أما أنا فطريقتي محمدية لا انتسب لأحد إلا للنبي صلى الله عليه وسلم . وذكر انه محافظ على استحضار صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم في باطنه فاغناه ذلك عن التقليد لشيخ والاستمداد منه او كلاما من هذا. انتهى كلامه في الرحلة.وفي صنيع الرسالة ما يشهد لكمال ذوق صاحبها حيث قدم الكلام على هذه الطريقة المنسوبة بالوجه الخاص لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم. وقد عرفت ما تميز به الطريق المحمدية من كلام الشيخ العجمي وكذا من كلام الشيخ محمد الخلوتي فيما حكاه عنهما صاحب الرحلة ، وبه تعلم انها طريق شهرة . وقد افردها القطب السمان بالتأليف وذكرها غير واحد من الائمة في غير ما تصنيف. ولغرابة علم الطريق في هذا الزمان تجد الكثير من أهل العلم وغيرهم من المتصلحين ينكرون وجودها بل لا يدرون لها حقيقة أصلا، والأمر لله ولا حولا ولا قوة الا بالله . ومن هذه الحيثية ، أي من حيث ما عم في الوقت من الجهل بعلم الطريق كبر في صدور بعض الناس أمر طريقتنا هذه المحمدية حتى ادعوا أنها لا شيخ لها و إمام فلم يهتد إليها إلا من سبقت له العناية الأزلية لا غير . انتهى كلام البغية و سيأتي لنا ان شاء الله مزيد بيان وإيضاح فيما اختصت به هذه الطريقة الشريفة نفعنا الله بها وبأسرارها بعد جلب كلام القطب الكبير سيدي محمد بن عبد الكريم السمان رضي الله عنه المشار اليه قبل. انتهى. وقد نص القطب الشعراني رضي الله عنه في تأليفه المسمى بالأخلاق المتبولية على عدة وافرة من أكابر الأولياء أنهم كلهم على هذه الطريقة المحمدية منهم : القطب الرباني الغوث الصمداني شيخ المشايخ السيد إبراهيم المتبولي رضي الله عنه ، ومنهم القدوة العظمى في الدخول إلى حضرة الله السيد الامي المحمدي الشيخ علي الخواص رضي الله عنه، ومنهم الشيخ الصالح الوارث المحمدي سيدي ابو بكر الحديدي رضي الله عنه ، ومنهم الشيخ الصالح الناسك الامي المحمدي سيدي محمد العدل رضي الله عنه بنواحي البحر الصغير بمصر. وكانوا يسمونه جليس رسول الله صلى الله عليه

وسلم على الدوام لما هو عليه من الطهارة الظاهرة والباطنة رضي الله عنه. ومنهم الشيخ الصالح الامي المحمدي الشيخ محمد بن داوود بنواحي المنزلة وضريحه على ساحل بحيرة دمياط رضي الله عنه. فكل هؤلاء محمديون في الطريقة لا شيخ لهم إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . انتهى ما ذكره في الأخلاق المذكورة.ونقل أيضا في كتابه لطائف المنن والأخلاق: ادركت بحمد الله جماعة ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعد منهم سيدي علي الخواص و الحافظ السيوطي وغيرهما .قال : يعني الشعراني ، وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول : نحن خمسة في الدنيا لا شيخ لنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنيد يعني نفسه والشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القناوي والشيخ ابو السعود بن ابي العشائر والشيخ أبو الحسن الشاذلي . انتهى نقله في بغية المستفيد. وأما كلام السمان على الطريقة المحمدية فانه في غاية التحقيق كما ستقف عليه .نصه:

مقدمة: اعلم و فقك الله وإيانا ولا أخلاك من انسه ولا أخلانا أن النبي صلى الله عليه وسلم واسطة الله بينه وبين عباده والى ذلك اشار صلى الله عليه وسلم بقوله: انا من الله والمؤمنون مني . وقد شهدت الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم وعلموا علو شانه عليهم في عظيم مكاناتهم واستمد الجميع منه في ذواتهم. والى ذلك الإشارة بامامته بهم فوق السماوات فهو إمام الأنبياء وقدوة الأولياء صورة و معنى صلى الله عليه وعليهم وسلم. واعلم انه صلى الله عليه وسلم لما تنزل من الحضرة الاحدية إلى الحضرة الواحدية ظهر فيها بحقائق الاسم بالمسمى والصفة بالموصوف، وفي كل معنى من معاني تلك الكمالات لا تشير بحقيقتها الا إليه ولا تدل بهويتها إلا عليه. وتقرير هذا الكلام هو لو تحقق مثلا ألف نبي أو ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نورا مطلقا ثم أطلقت اسمه النور لم يقع هذا الاسم إلا عليه ولم تصدق هذه الصفة إلا عليه ولهذا سماه الله في كتابه العزيز النور دون غيره، وذلك أن الأنبياء انما تحققوا بهذه الصفة وهو صلى الله عليه وسلم حقيقة هذه الصفة وكم بين حقيقة الشيء إلى من تحقق به .الفصل الأول: اعلم يا أخي طهرني الله وإياك انه لا يمكن لأحد أن يدرك حقيقة كنهه صلى الله عليه وسلم الا بمتابعة شريعته ولا يدرك سر الحقيقة المحمدية والتصورات الاحمدية الا بعد خوضه في بحار المحبة . قال بعض الكاملين من المشايخ المتقدمين : خضت بحرا وقفت الأنبياء على ساحله يعني بذلك بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء ، ولهذا من تحقق بالسنة المحمدية ظاهرا وباطنا خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وامتثاله بكمال الاتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله في بعض الحضرات بالقابلية المحمدية. فإذا علمت ذلك وتحققته فتعلق بحبل جنابه ولازم الوقوف ببابه . فان قلت لا ادري كيف هذا التعلق بهذا الجناب والملازمة لهذا الباب قلنا : التعلق الصوري بالجناب المحمدي هو على قسمين الأول : الاستقامة على كمال الاتباع له صلى الله عليه وسلم بمواظبة ما أمر به الكتاب والسنة قولا وفعلا واعتقادا على ما ذهب إليه الأئمة الأربعة : الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل رضي الله عنهم، اذ و قد وقع إجماع العلماء المحققين بأنهم أئمة الحق وهم الفرقة الناجية ان شاء الله يوم القيامة.ومن كمال هذا القسم ان من الإتباع الصوري ان يعتمد على فعل العزائم في قوله تعالى :(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) . وقد ذكرهم الله سبحانه بقوله :(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) . و هو صلى الله عليه وسلم خامسهم وسيدهم . فينبغي لكامل الإتباع ان يأتي عزائم الأمور ولا يقف معها فانه مقام الإسلام ، ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القرب والصديقية . وشرائطها : إتباع النبي صلى الله عليه وسلم في ارتكاب العزائم ولن تقدر عليه كما ينبغي الا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها. ولا

تعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله يدلك على ذلك ويعرفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأقوال والأحوال . الا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بدايته يتحنث بغار حراء الأيام الكثيرة فلما انتهى وعظم شانه ترك التحنث وقعد مع أصحابه طوال أيامه ما عدا العشر الأواخر من رمضان.واعلم انه لا يتحقق للطالب معرفة ما هو لائق به الا بواسطة شيخ مرشد له على الطريق او بواسطة جذب الاهي كاشف له عن ذلك، وليس مع المجذوب كلام. فينبغي بك أن تسعى لطلب شيخ كامل يدلك على معرفة الله بتعريفه لك بنفسك ، فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره و تفارق موضعه ولو قطعك الابلاء اربا اربا. واحذر ان تعصيه او تكتمه شيئا من أمرك .فان قضى الله عليك بمعصية فينبغي ان تعرضها عليه ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفك من أمرك او بالشفاعة والالتجاء إلى الله في حقك ليزيل عنك وخامة تلك الزلة . فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله فالزم طريقهم وجملة الطرق إلى الله أربعة أشياء : فراغ القلب عن الميل عما سوى الله في الدنيا والآخرة والإقبال على الله بكليته بالصدق والمحبة المنزهة عن العلل من غير فتور ولا ملل ولا التفات ولا طلب عوض. و داوم المخالفة للنفس في كل ما تطلب من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى. و أعظم المخالفة للنفس ترك ما سوى الله خطرا واعتقادا وعلما ودوام الذكر لله تعالى بالنظر إلى جلال الله و جماله سواء كان ذكر اللسان أو القلب أو الروح أو السر أو الجملة. وقد تكلم العلماء الراسخون و المشايخ المتقدمون و الأولياء الصالحون في ذلك و أوضحوه في كتابهم ، فلنمسك العنان ولنقتصر على هذا البيان و لنرجع إلى ما نحن بصدده وهو التصور الروحي . جعلنا الله من أهل التصور و التصديق في هذا الطريق.الثاني: ان تتبعه صلى الله عليه وسلم بشدة المحبة حتى تجد ذوقها في وجودك جميعا . النوع الثاني التعلق المعنوي بالجناب المحمدي وهو على قسمين : الأول : اعلم يا أخي بلغنا الله وإياك استحضار صورته صلى الله عليه وسلم والتادب بها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة ،فان لم تستطع فاستحضر الصورة التي رايتها بالنوم فان لم تكن رايته قط في منامك ففي حال ذكرك له صلى الله عليه وسلم تصور كأنك بين يديه متادبا بالإجلال و الاعظام والهيبة والحياء فانه يراك وسمعك كلما ذكرته، لأنه متصف بصفات الله تعالى و هو سبحانه جليس من ذكره . وللنبي صلى الله عليه وسلم نصيب وافر من هذه الصفات، لان العارف وصفه صفة معروفة. فهو صلى الله عليه وسلم اعرف الناس بالله تعالى.الثاني : من التعلق المعنوي استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة باوصاف الكمال الجامعة بين الجلال والجمال المتحلية بأوصاف الله الكبير المتعال والمشرفة بنور الذات الالهية في الآباد والآزال. فان لم تستطع فاعلم انه صلى الله عليه وسلم الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحادث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتا وصفاتا لانه صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور الذات جامع لاوصافها وافعالها وءاثارها ومؤثراتها حكما وعينا .و من ثم قال الله تعالى في حقه :(ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) كان صلى الله عليه وسلم برزخا بين الحقيقة الحقية والحقائق الخلقية لأنه حقيقة الحقائق جميعها ، ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش. وقد علمت ان العرش غاية المخلوقات اذ ليس فوق العرش مخلوق . فعند استوائه صلى الله عليه وسلم فوق العرش كانت المخلوقات تحته بأسرها وربه فوقه فصار برزخا بالمعنى لأنه موجود من الله والخلق موجود منه فهو المتصف بكلتا الصفتين من كلتا الجهتين صورة ومعنى حكما وعينا كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم في اول الرسالة: انا من الله والمومنون مني. فاذا علمت ما ذكرت سهل عليك هذا الكمال ان شاء الله تعالى.اعلم وفقنا الله واياك واذاقنا من المشرب الصافي ومن تبعني من اهل الصفا والوفاء الزائرين اللائذين بقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله ان للحقيقة المحمدية ظهورا في كل عالم بليق به، فليس ظهوره في عالم الاجسام كظهوره في عالم الأرواحلأن عالم الأجسام لا يسعه ما يسع عالم الأرواح. وليس

ظهور هفي عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى فإن عالم المعنى ألطف من عالم الارواح وأوسع وليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء وليس ظهوره في السماء كظهوره عن يمين العرش وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوره عند الله حيث لا أين ولا كيف. فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الاول ولكل ظهور جلالة وهيبة يقبلها المحل حتى انه يتناهى الى محل لا يستطيع ان يراه فيه احد من الانبياء والملائكة والاولياء . وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. فافهم الاشارة.واوصيك يا صفيي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ولو كنت في اول امرك متكلفا في الاستحضار فعن قريب تألف روحك به فيحضرك صلى الله عليه وسلم عيانا تجده وتحدثه وتسأله وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم ان شاء الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم اكثركم علي صلاة اقربكم مني يوم القيامة بالصورة الروحية تعشقا بموجب المحبة ودوام الذكر له بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. ولأجل ذلك يقرب اليه ويحشر عنده ويكون معه ، فاذا كان هذا نتيجة الصلاة عليه باللسان فما يكون نتيجة الصلاة عليه بالقلب فالروح فالسر . هل يكون الا معه عند الله تعالى لأن نتيجة العمل الظاهر و هو الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم الفوز بالمكان و هو الجنة. و نتيجة العمل الباطني وهو التعلق والاقبال ودوام الاستحضار صورة.و معنى القرب بالمكانة فهو عند الله نزل في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف. فافهم الاشارة تقع على البشارة.واعلم ان الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره على أنه لا ينساه ، وكلما ازدادت معرفته في رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب وظهرت الاثار عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك ان معرفة الولي لله تعالى انما هي على قابليته ومحتده في الله . ومعرفته بالنبي صلى الله عليه وسلم نشئت من معرفة الله تعالى على قابلية النبي صلى الله عليه وسلم . ولأجل هذا لا يطيق ان يثبت له و تظهر الآثام وكلما ازداد الولي معرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الالهية وادخل في معرفة الله على الاطلاق. انتهى.نعم ، هذه كيفية اخرى فتح بها وهو ان تلاحظه صلى الله عليه وسلم ملأ الكون بل عينه وأنه نور محض وأنك مغموس في ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة . فاذا حصل لك الاستغراق في هذا النور والتلاشي والغيبوبة فتتصف حينئذ بمقام الفناء. و من حصل له مقام الفناء فيه صلى الله عليه وسلم ذاق محبته وهو احد قسمي التعلق الصوري. وكيفيته كما سبق بأن تتبعه صلى الله عليه وسلم بالشوق و المحبة حتى تجد ذوق محبته صلى الله عليه و سلم في جميع وجودك .فاني والله لأجد محبته صلى الله عليه وسلم في قلبي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء البارد في وجودي اذا شربته بعد الضمأ الشديد في الحر الشديد.هذا، وان حبه صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل أحد. قال تعالى :(النبيء اولى بالمؤمنين من انفسهم). وقال صلى الله عليه وسلم : لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله ووالده و ولده والناس اجمعين . فان لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك فاعلم انك ناقص الايمان، فاستغفر الله وتضرع اليه وتب من ذنوبك وتولع بدوام ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والتادب معه والقيام بما أمر به مع الاجتناب عما نهى لعلك تنال ذلك فتحشر معه، لأنه صلى الله عليه وسلم القائل: المرء مع من احب. نعم اذا تحققت في مقام الفناء فيه صلى الله عليه وسلم فليكن فناؤك عن الفناء هو المقام المحمود، فعند ذلك تلقى ما يفاض عليك منها أي من الصورة التي ظهرت من النور وكيفيته ان تلاحظ عند توجهك له صلى الله عليه وسلم انه هو المتوجه لنفسه حتى تتلاشى فيه. وكذلك اذا صليت عليه صلى الله عليه وسلم لاحظ انه هو المصلى لا انت لان جميع الاشياء مخلوقة من نوره صلى الله عليه وسلم ، وفي كل ذرة من الذرات دقيقة منه صلى الله عليه وسلم ، وتظهر تلك الدقيقة بحسب حال الذي هي فيه وانت شيء من جملة الاشياء وفيك سر منه صلى الله عليه وسلم. فالمتوجه منك له صلى الله عليه وسلم

ذلك السر الكامن فيك ولم يزل يستولي هذا السر عليك بحسب توجهك حتى تستغرق فيه صلى الله عليه وسلم ولم تزل كذلك من مقام الى مقام ءآخر حتى ينقلك الله تعالى الى مقام البقاء به صلى الله عليه وسلم، فعند ذلك تكون انسانا كاملا وارثا للحقيقة المحمدية جامعا للكمالات المصطفوية . فاحمد الله تعالى على ما اولاك واعطاك وكن عبدا طالبا لمقام العبودية غارقا في بحار الاحدية عارفا بتصرفات الواحدية صاحب حيرة محمودة كما قال سيد السادات صلى الله عليه وسلم : رب زدني فيك تحيرا ما قامت بربها السماوات.
انتهى محل الغرض من الرسالة السمانية لم يترك فيها شيئا من اغراض الطريقة المحمدية التي هي اجل واعظم وافضل واكمل من غيرها . تقبل الله له العمل ولنثن العنان الى كمال ما تعلق به مما نص عليه المحققون من اهلها.قال شيخنا ابوا المواهب السائحي في مقدمة بغيته من المطلب السابع ما نصه : اعلم أمدنا الله واياك بانوار اليقين وسلك بنا وبك مسلك الذين يومنون بالغيب من عباده المتقين أن لهذه الطريقة الشريفة بين الطرق مكانة عالية ومرتبة قصوى سامية، وذلك لما امتاز به اهلها من الانتماء الحقيقي الى امام حضرة الانبياء ، وسلطان ممكلة الاصفياء اذ لا استناد لها الا استاذ الاساتيذ كلهم على الاطلاق وامام الكل وممد الكل وسيد الكل بالاطباق صلى الله عليه وسلم و على ءاله واصحابه الكرام البررة السباق. ولما تضمنه هذا المطلب من التحقق بوجه هذا الانتماء الفاخر والسبب في هذا الانتساب الاخص الباهر جعلناه كالفص لخاتم هذه المقدمة والخاتمة لمقاصدها المهمة رجاء ان يختم الله لنا بالتحقق بهذه النسبة الشريفة والالتحاق بدرجة هذه الاضافة السامية المنيفة. فنقول متبرئين من القوة والحول مستندين الى فضل من له المنة والطول ، اما تسميتها بالاحمدية كما عليه اطلاقات جميع اصحاب الشيخ رضي الله عنه ، فمن وجوه: اولها: وهو الظاهر المتبادر لكل احد ، انما سميت بذلك نسبة الى اسم صاحبها لان اسمه رضي الله عنه احمد وهو امامها المتلقي لها من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بدون وساطة شيخ ءاخر. فلا اشكال عليه في تسميتها بالأحمدية.الوجه الثانى أنها انما سميت بذلك لكونها طريقة شكر كما تقدمت الاشارة اليه ، فلكون القطب الذي عليه مدارها هو الحمد بالوجه الأبلغ سميت احمدية وهو ظاهر . الوجه الثالث : كون اذكارها الدائرة عليها مشتملة كلها على أبلغ المحامد اما تصريحا او ضمنا.
فمن ذلك ام القرءآن ولا شك انها مشتلمة من اسرارالمحامد على ما يقصر عنه اللسان ، ومن ذلك سورة "القدر" ومحل ذلك عندهم قوله تعالى : ليلة القدر خير من الف شهر.
سلام هي حتى مطلع الفجر . ومن ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ولا شك انها متضمنة للاعتراف بانعام الله علينا بهذا النبي الفاتح الخاتم الناصر الحق بالحق الهادي الى الصراط المستقيم المخصوص عند الله تعالى بالقدر العظيم والمقدار المفخم الجسيم عليه وعلى آله من الله افضل الصلاة وازكى التسليم . ومن ذلك جوهرة الكمال ومحال ذلك منها ظاهرة ، منها البرق الاسطع بمزون الارباح المالئة الخ . وكذلك دعاء: يا من أظهر الجميل وستر القبيح الخ... واما ما تضمنه دعاء السيفي من ذلك لا يحتاج الى بيان ، فلكون اذكارها المتداولة بين اصحابها دائرة على أبلغ الحمد تصريحا او ضمنا سميت أحمدية.الوجه الرابع : كون صاحبها هو الخاتم الأكبر المخصوص بوراثة السر الأبهر كما أشار اليه الشيخ محي الدين رضي الله عنه في حديث : كنت نبيا وءآدم بين الماء والطين بقوله. أي كنت نبيا بالفعل لا عالما بنبوتي و ءآدم بين الماء والطين .قال : وغيره لم يكن نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته الا عند بعثته .ثم قال : وكذلك خاتم الاولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته في ذلك العالم و غيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته الا بعد تحصيله ما يشترط في الاتصاف بالولاية من الاخلاق التي يتوقف الاتصاف بالولاية عليها من كون الله تعالى تسمى بالولي الحميد .انتهى . فعرف من هنا ان خاتم الاولياء قد سبق في حمد الله تعالى كل حامد من الاولياء. فما حمده أحد من الاولياء مثل ما حمده خاتم الأولياء، فتحقق فيه ما لم يتحقق في غيره من الاتصاف

بالحمد على جهة الابلغية، فصح اتصاف طريقه بالاحمدية . وها هنا وجوه اخر اقتضى النظر فيها أنها مما لا ينبغي أن تسطر لأن مدائر الكلام فيها على تعقل معنى الحقيقة الكتمية وذلك مما لا سبيل لنا الى الوقوف منه على جلية القضية ، على أن في هذه الوجوه التي ذكرناها غاية الكفاية للمريد الصادق فيما يتمسك به مما يحرك همته الى التوجه لحضرة الخالق والاقبال عليه سبحانه بمحو العلائق والعوائق فيستعد لتلقي أنوار المعارف والحقائق وتنكشف له الأستار من مخبئات تلك اللطائف والدقائق . وحسبه ذلك مما تنتجه له مطالعتها وتفيده اياه مراجعتها وبالله تعالى التوفيق.وأما تسميتها بالمحمدية وقد قدمنا أنها من اطلاقات سيدنا رضي الله عنه عليها فهي متعددة ايضا . اولها : كون الطريقة المحمدية بالوجه الذي تقرر في المطلب قبل هذا من جملة الطرق التي اشتملت عليها وهي الطريقة الثانية من الطرق الثلاث التي انتقاها صاحب ميزاب الرحمة الربانية من كتاب جواهر المعاني وجعل مدائر السلوك في هذه الطريقة عليها، وقد اجاد وافاد رحمه الله تعالى في بيان كيفية السلوك عليها والتربية بها. فلينظر ذلك فيه . وقد تقدم ما للشيخ حسن العجيمي في ذلك من أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المبين في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الى ان تستولي محبته على قلبه ويصير تمثاله بين عيني بصيرته فيسبغ الله نعمه عليه ظاهرة وباطنة ولا يجعل لمخلوق عليه منة الا النبي صلى الله عليه وسلم فيراه يقظة ومناما ويسئله عما يريد. كما تقدم ايضا قول الشيخ محمد الخلوتي لمن سأله عن طريقه ولمن ينتسب؟ قال لا انتسب لأحد. ثم ذكر عن نفسه انه محافظ على استحضار صورته صلى الله عليه وسلم في باطنه فاغناه ذلك عن التقيد بشيخ والاستمداد منه . انتهى. وذكر الشعراني في الانوار القدسية عن الشيخ احمد الزواوي انه كان يقول : طريقنا ان نكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حتى نصير من جلسائه ونصحبه يقظة مثل اصحابه ونساله عن امور ديننا وعن الاحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله فيها انتهى. الى غير ذلك من العبارات المشيرة الى كيفية السلوك على الطريقة المحمدية.

و حاصل ذلك كله أن القطب الذي يدور عليه السلوك في الطريقة المحمدية عندنا هو الاكثار من الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كون الذاكر على احسن الحالات واكملها باستحضار معاني الذكر والانصات اليه بقدر الاستطاعة وكذا استحضار صورته الكريمة صلى الله عليه وسلم في باطنه واعتقاد انه جالس بين يديه يستمد منه. فان قدر على استحضار صورته صلى الله عليه وسلم الذاتية الواردة في الاحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم فذلك اكمل وابلغ ، وان لم يقدر فليستحضر انه جالس بين صورة نورانية عليها ثياب من نور في غاية ما يكون من الجلال والجمال ونعوت الكمال، يداوم على ذلك حتى يشرق في قلبه نور الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ويصير تنطبع الصورة الكريمة في ذهنه كلما تامل في ذلك وتفكر فيه. وهذه اضعف مراتب الانطباع. ثم ينتقل منه الى انطباع صورته الكريمة في عيني بصيرته وقت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثم ينتقل منه الى انطباع الصورة الكريمة في عيني قلبه كلما مد عينيه نوما أو يقظة. و من هذه الحالة ينتقل الى حالة رأيته يقظة كفاحا. واهل هذه الحالة على قسمين منهم من يرى في اليقظة روحه الشريفة متشكلة بصورته الشريفة ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكانه معه في حياته صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم اهل المقام الاعلى في رؤيته صلى الله عليه وسلم . هذا ملخص ما للمشايخ في تحقيق معنى الطريقة المحمدية بالوجه الخاص في الطرق وان كانت كلها محمدية بالوجه العام فقد اختصت عنها هذه الطريقة المحمدية بهذه المزية العظيمة و الخصوصية الجسيمة التي من اجلها اختصت بحيازة هذه النسبة الشريفة والحلية السنية والمرتبة المنيفة. نعم اختصت طريقتنا هذه الاحمدية في هذه الطريقة المحمدية بمزيد كرامة وتفضيل وتخصيص لها من الملك الجليل وذلك بكون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالياقوتة الفريدة

وهي صلاة الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق التي لا يأتي الحصر على ما خصها الله تعالى به من المزايا الفاخرة والأسرار الباهرة والفضائل العديدة وذلك كما اوضحه صاحب ميزاب الرحمة الربانية لما اشتملت عليه مما لم يشتمل عليه غيرها من أسرار السير والسلوك في المقامات العرفانية . قال : فالتقرب الى الله تعالى بهذه الصلاة سير في مقامات الدين الثلاثة اذ المقامات مشتملة على مواقف مغلقة الابواب وأولها باب المتاب الى ءآخر ما بعده من الابواب . فالغلق شامل لجميعها اشتمال باب واحد والفاتح مطلوب في كلها لكل قائم و قاعد والختم محتاج اليه في كافة عوارضها المعتادة و ان في الختم معنى للزيادة و غلقا بين المريد و بين موانع جادة الافادة و ان في النصر لعدة لما يكون من الاعداء المذهلة والافات المعضلة من الأمال الخائبة واللوائح الكاذبة.ولقد كان المريد للهداية عند تلاطم امواج بحار حقائق الاسرار و للتوفيق لقطع مهامه تلك الاخطار والاهتداء الى الحضرة وما لها من الانوار في غاية الاحتياج والاضطرار، فكان الاليق بالمريد ان يتعلق بهذه الصلاة من بين كافة الصلوات على نبيه الكريم اذ ما كل صلاة تفي بما تفي هي به في ظلمة الليل الأليل البهيم . انتهى . وانظر الطريقة الثالثة من هذا الكتاب تستفيد مزيد بيان وتقف من اسرار هذه الصلاة على ما لا يفي بشرحه التبيان على ان ما اشتمل عليه بالنسبة الى ما لم يذكر انما هو قل من كثر ونقطة من بحر. و سنلم بالنزر من ذلك عند تعرض النظم لذكرها والاشارة الى شيء من مكنون سرها ان شاء الله تعالى ، وانما مرادنا الآن ان نشير الى ما يوذن ببعض ما امتازت به هذه الطريقة عن غيرها بالوجه الخاص ثم بالوجه الاخص لتعلم مالها من الخصوصية في ذلك والمزية و وجه تسميتها بالمحمدية.الوجه الثاني : انه صلى الله عليه وسلم اضاف جميع الفقراء المتمسكين بهذا العهد، المواظبين على هذا الورد الى سيادته السنية ومكانته العلية اضافة خاصة تؤذن بشرف منزلتهم وشفوف مرتبتهم عند الله تعالى وذلك انه صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا رضي الله عنه يقظة لا مناما : فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي حسبما صح الاخبار به رضي الله عنه من غير واحد من اعيان اصحابه ، فكان كل من أخذ هذا الورد عن الشيخ رضي الله عنه او عمن عنده الاذن فيه حائزا لهذه الاضافة الشريفة النسبة المنيفة سواء كان ممن سلك على الطريقة الثالثة من طرق الميزاب او على غيرها من شعب هذه الطريقة الاحمدية فوجب تخصيصا باسم المحمدية.
الوجه الثالث: انه صلى الله عليه وسلم هو الضامن لجميع ما بشر به اهلها من الشيخ رضي الله عنه عن اعظم الوسائل من باهر الكرامات وسني الفضائل ، كما انه صلى الله عليه وسلم هو القائم مقامه معهم في كل خطب هائل كحظوره صلى الله عليه وسلم موت من مات منهم على تباعد اوطانهم وتباين بلدانهم واختلاف السنتهم والوانهم . وجدير لطريق امتاز اهلها بهذه المزية ان تخص بالتشريف بالاضافة المحمدية .الوجه الرابع: ان لأهل هذه الطريقة علامة يتميزون بها عن غيرهم ويعرف بها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحبها بوجه خاص وهو كما قال حواري هذه الطريقة المشهود له في معرفة اسرارها بالتبريز والتحقيق ان كل واحد من اهلها مكتوب بين عينيه بطابع النبي صلى الله عليه وسلم : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قلبه مما يلي ظهره : محمد بن عبد الله . وعلى راسه تاج من نور مكتوب فيه: الطريقة التيجانية منشؤها الحقيقة المحمدية . انتهى كلامه فيما وقفنا عليه من بعض مؤلفاته.
ويؤيده ما تواتر بين الاصحاب عن جماعة من ارباب الاحوال انهم صرحوا لبعض اهل هذه الطريق بانهم راوا طابع النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه. وقد راينا بعض الاصحاب اذا راى أحدا من اهل هذه الطريق عرفه وقطع له بانه من اهلها ، ولم يكن رءآه قبل ذلك. ولا يبعد عن يكون كشف له الغطاء عن هذا الطابع الازهر والسر الابهر .
ومعلوم ان مثل هذا انما يراه من كشف الله له عن بعض اسراره الغيبية وايده بانواره الوهبية ، فلا مجال فيه للافكار ، اذ لا تعلق لبضاعة العقل في هذا المضمار وهو من

جائز الكرامات التي يتحف الله بها من شاء من عباده المومنين الاخيار ويختص بها من اراد مناوليائه المكرمين الابرار فسلم تسلم.

فكن صادقا في حبهم و مصدقا بأحوالهم و احذر مخالفة الشمس

الوجه الخامس: ان هذه الطريق اشبهت الملة المحمدية في كونها آخر الملل، وذلك لأنها آخر الطرق فلا ياتي احد بعدها بطريق جديدة لان سائر الطرق تدخل في طريقة الشاذلي رضي الله عنه كما تقدم عن الشيخ رضي الله عنه الا هذه الطريقة الأحمدية ، ولذلك سميت بالمحمدية.الوجه السادس : ان هذه الطريقة تدخل على سائر الطرق فتبطلها ، وطابعها ينزل على كل طابع ولا ينزل عليه طابع كما ان شرع سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يدخل على جميع الشرائع ولا يدخل عليه غيره. فلما اشبهت الشريعة المحمدية من هذه الحيثية فيل لها محمدية.الوجه السابع : ان من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في هذه الطريقة المحمدية امنه الله في الدنيا والآخرة ولا يخاف من شيء يصيبه ا من الله عز وجل ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه ايا كان من الأحياء أو من الأموات، وان من دخلها وتأخر عنها ودخل غيرها تحل المصائب به دنيا واخرى كما أن شرع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، فمن اجل هذه الخصوصية فيل لها المحمدية.الوجه الثامن : إن الطرق كلها في أواخر الزمان تصير إلى هذه الطريقة المحمدية وذلك عندما تصير الطرق طريقا واحدا والمذاهب مذهبا واحا على ما اخبر به أهل الكشف رضوان الله عليهم ، فاشبهت أيضا الشريعة المحمدية من هذه الحيثية فقيل لها المحمدية.الوجه التاسع : انه صلى الله عليه وسلم يغار لأهلها غيرة خاصة وانه يؤذيه ما يؤذيهم حسب ما اخبر به الشيخ رضي الله عنه وسيأتي بلفظه في محله من الكلام على أبيات النظم ان شاء الله تعالى . فمن اجل اختصاصهم بهذه الغيرة المصطفوية صحت النسبة المحمدية.الوجه العاشر: إن هذا الشيخ الأكبر لما كان هو الختم المحمدي الاشهر الحائز لكل ما للأولياء من الكرامات الاختصاصية كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحائز للأنبياء والرسل من الكمالات الإلهية سميت طريقه المحمدية.الوجه الحادي عشر: إن الله تعالى بمحض فضله العميم تفضل في أهل هذا الطريق بهذا الشيخ العظيم بان جعل سبحانه وتعالى نسبة تضعيف حسناتهم بالنسبة إلى تضعيف حسنات غيرهم من أهل الطرق كنسبة تضعيف ثواب حسنات هذه الامة الى تضعيف ثواب حسنات غيرها من سائر الأمم وراثة محمدية مصطفوية حبيبية ، ولهذا كان من أذكارها ما تكون المرة منه تعدل عبادة سائر العارفين، ومنها ما تكون المرة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات إلى غير ذلك مما يبهر العقول ويعجز عن ادارك كنه حقيقته الفحول . قال صاحب الرماح : ولا ينكر هذا الا من ينكر وجود الأذكار الجامعة وأسرارها ، ومن انكر ذلك سقط معه البحث لأنه انكار لما جاء به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انتهى. وفي هذا القدر الذي ذكرناه من وجوه تسمية هذه الطريقة المحمدية كفاية في بساط التذكير ببعض ما اختصت به هذه الطريقة السنية من أسرار هذه النسبة العلية. انتهى كلام البغية برمته وزاد عليه صاحب الرماح ثلاثة اوجه اخر . وانما تركناها لاندراجها فيما تقدم من الفضائل . وزاد قصيدة في فضائل القطب المكتوم والبرزخ المختوم رضي الله عنه وفضائل أصحابه من جنس ما تقدم يحسن ايرادها هنا نص المراد منه:قال : قلت : قد حبب إلى ان انشىء قصيدة مناسبة لما تقدم ولما سيأتي لهذا الفصل وفي الفصل الذي بعده ، وفي فصل سبب تسمية هذه الطريقة الاحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية وفي فصل فضل الأذكار اللازمة وفي فصل فضل الأذكار الغير لازمة أجراها الله تعالى على خاطري يفرح بها الموفق المعتقد السعيد على رغم انف المخذول الشقي المنتقد البعيد. فبتوفيق الله وتأييده اقول وبحوله وقوته على الأعداء أصول وهي :

يا رائم الخيرات روم رجالهـــا	يا مبتغي الانوار ثم ظلالهـــا
ان رمت نيل ولايــــة بكمالهـــا	وهداية فاجب نداء رجالهـــا
او رمـــت إدراك المعالي كلهـا	فلتستجب لرجالها وسؤالهـــا
يدعـوك داعي حضرة لكمالها	رام البرازخ نيل طيف خيالهـــا
يدعوك داعي حضرة غـــوتيـة	ختمية لا يرتقي لقلالهــــا
يدعوك داعي حضرة خفيت على	الاغواث طلعة شمس و هلالها
يدعوك داعي حضرة لعلـــوهـا	خضعت لها الاغوات روم جمالها
يدعوك داعي حضرة من فيضها	ما نال كل الأولياء بخصالهـــا
يدعوك داعي حضرة هي مفزع	الاقطاب والاغواث عين ثمالهـــا
يدعوك داعي حضرة من فضلها	إن الأكابر اذعنو لسفالهـــــا
يدعوك داعي حضـــــرة اعناق	كل الاولياء تطاطات لنعالهـــا
يدعوك داعي حضـــــرة حبيـة	خلية ومروثة بخلالهــــــا
يدعوك داعي حضرة مفتوحـة	فياضة مسدودة بحبالهــــا
يدعوك داعي حضرة مكتومـة	عن غير جنس رجالها و جزالهـا
يدعوك داعي حضرة لطفيــة	قهرية قتالة بشبالهـــــا
يدعوك داعي حضرة اسرارها	و علومها لا يهتدى بمثالهـــا
يدعوك داعي حضرة من حاد عنها	مبغضا يريده مر حجالهـــا
يدعوك داعي حضرة من زاغ	عنها جاحدا يهلكه سهم ثمالها
يدعوك داعي حضرة يسبى لها	المحبوب للمطرود سم نبالهـــا
يدعوك داعي حضرة اصحابها	يتعاونون على التقى لمئالهـــا
يدعوك داعي حضرة عشاقها	يتعاضدون لربهم بنصالهـــا
يدعوك داعي حضرة فرديــة	وهبية فضلية لنوالهــــا
يدعوك داعي حضرة احبابها	قد حبهم مولاهم بشمالهـــا
يدعوك داعي حضرة ما جاءها	الا سعيد مجتبى لوصالهـــا
يدعوك داعي حضرة من خاضها	بشروطها يدرك جميع نفالهـــا
يدعوك داعي حضرة من خاض فيها	صادقا يغشاه ضل ضلالهـــا
يدعوك داعي حضرة لرجالها	روح و ريحان و شرب زلالهـا
يدعوك داعي حضرة انذالهـــا	فاقوا الخصوص فكيف حال نبّالها
يدعوك داعي حضرة جوديــة	لا منتهى لدقاقها و عبالهـــا
يدعوك داعي حضرة فياضــة	من حضرة الرحموت فيض رجالها
يدعوك داعي حضرة ورادهـا	يسقون سر بحورها بسجالهـا
يدعوك داعي حضرة خلانهــا	هذا النبي يحبهم لفعالهــــا
يدعوك داعي حضرة خدامهـا	جيران هذا المصطفى بجلالها
يدعوك داعي حضرة اتباعهـا	بعد الصحابة فضلت لأثالهـا
يدعوك داعي حضرة سلاكهـــا	اخوان صحب محمد لكمالهـــا
يدعوك داعي حضرة فقراؤهـــا	رفقاء صحب محمد بهزالهـــا
حمدا لمنان يمن بنيلهـــــا	و نبيها و امامها و نوالهـــا
و بنيل ما فيها من الاذكـــــار	و الدعوات و الاسرار ثم نفالها

انتهت القصيدة رضي الله عن الممدوح بها وعن منشئها استوفت جميع ما تقدم وزادت عليه بأمور من فضائل الطريقة وشيخها وفقرائهاولم يبق من مطالب هذا الفصل الا أمران ،احدهما :ما المراد في هذا التوكيد المفاد من ذكر الفضائل المسطرة فيه ؟والثاني تذييل الفصل بفضائل الأذكار أللازمة وغير أللازمة لتشويق المريد الصادق إلى حليته بنتائج كل فضيلة من تلك الفضائل والاسرار وباستيفاء ما يمكن ذكره من ذلك يتم ويكمل الفصل إن

شاء الله فأقول مستعينا بالله إنه خير معين أن المراد فيما أستفيد من الحث والتوكيد للمريد في جميع ما تقدم العثور على بعض أسرار الحقيقة المحمدية وما يوصل إلى ذلك على ما قال في ميزاب الرحمة الربانية نصه:ومقصد هذه الطريقة التجانية كما علمت من أولها إلى آخرها العثور على بعض أسرار الحقيقة المحمدية وما يوصل إلى معرفة لائحة من لوائحها لما علمت أن لا سبيل إلى سر الأفراد إلا منه ولا ورود على بحر الجمع إلا من بحر برزخيته الصادرة منه. فالمطلوب في مقام الإسلام منها انطباع ظاهر صورته الكريمة في النفس حتى يتمكن من متابعته في ظاهر حليتها و بمقام الإيمان امتزاج معنى باطنها بالباطن حتى تنبعث أشعة أنوارها فتأتلف الأرواح بالروح و يقوم المعنى بالمعنى وتتحقق أبوته العظمى لكافة هذا المبنى إذ هو الأب الذي انشقت منه وارتقت الأسرار وفيه ارتقت الحقائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق. وفي مقام الإحسان تحلية الأسرار بمشاهدة حقائق صفاته الحسنى التي لا تملك وأسرارها التي لا تعرف ولا تدرك. فهو السر الجامع الدال على الله والحجاب الأعظم القائم بين يدي الله.فهذا المقصد الذي في هذا الورد عذب مذاقه وتيسر إنفاقه واستحكم نظامه واطمأنت أقدامه. ففي هذا الموقف يتأكد الاستغراق بالصلاة عليه بالصلاتين صلاة الفاتح لما أغلق وجوهرة الكمال لكون ما تضمنتاه من الصفات للمريد دليلا في مفاوز الحقائق وجنة واقية من تعطيل الرسوم الشرعية. فلا دليل في مثل هذه الحضرات الجبروتية كرسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن لازم دليله اهتدى ومن فارقه ضل وتردى. فليستغرق أوقاته في التعلق بأذياله كل الاستغراق وليلف الساق بالساق ليحصل على سر التلاق الذي ليس بعده فراق. فليورد لازم الطريقة وما يتلوه من استعمال الوظيفة حتى يقوم به سر الأفراد المؤذن بالجمع بلا نصب ولا تعب ولا تعرض لمواقع العطب. فبالاطلاع والعثور على بعض أنوار الحقيقة المحمدية يتيسر الورود على الأسرار الأحدية الصمدية ويقوى الروح على القيام بوظائف الحقوق الحقة والخلقية. وبدوام قوله في آخر الجوهرة: صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه. و بالهادي يهتدى إلى كافة المواقف. فمعرفته صلى الله عليه وسلم هي رأس المال في الدخول إلى حضرة الجمال والجلال مع أنها في بعض المراتب عين المحال. وقد قال شيخنا رضي الله عنه و أرضاه و جعلنا في حماه في شرح ياقوتة الحقائق ما نصه:ثم انها في حقيقتها يعني الحقيقة المحمدية، لا تدرك ولا تعقل. قال أويس القرني رضي الله عنه لسيدنا عمر ولسيدنا علي رضي الله عنهما حين لقياه: لم تروا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاظله . قالا: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة. لأنهم ما قال لهم ذلك حتى وصل إلى لجة المعارف طلبا للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فقيل له: هذا امر عجز عن الوصول إليه أكابر الرسل، فلا مطمع لأحد فيه بوجه ولا حال. قال : وفيه يقول الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه في صلاته: وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق و لا لاحق. قال أبو يزيد رضي الله عنه: غصت لجة المعارف طلبا للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت كما تحترق الشعرة إذا ألقيت في النار، فتأخرت القهقرى. انتهى.

و قال أيضا رضي الله عنه وأرضاه في شرح ياقوتة الحقائق عند قوله: وجعلتها في إحاطة العزة، أي في غاية المنع والاحتجاب من حيث لا يصل إلى فهمها ومعرفتها غيرها من جميع المخلوقات، فهي التي احتجبت في سرادقات العز والجلال. فلا مطمع لأحد في فهمها فضلا عن نيلها و رؤيتها، و هي ظرف لجميع الوجود. فهي في هذا الميدان عين الوجود بأسره وهي له كالجسد فالوجود كله لها بمنزلة الجوارح الملتصقة بالجسد و هذا السر لا يكشف و لا يعرفه غير الله تعالى. فعن تلك الحقيقة وجدت تلك الموجودات كلها بها قوامها وعنها نظامها ومنها مددها. انتهى.قلت : و ذلك لأن معرفة حقيقتها حينئذ من معرفة الذات العلية ولا سبيل إليها بوجه، والمعارف التي يهتدى اليها إنما هي معارف مرتبة الذات العلية، وأما الذات بنفسها فلا نسبة بينها وبين العالم بل لم تزل ولا تزال في حضرة الطمس

والعماء الذاتي. وأما الأسماء والصفات التي تطلب العالم ويطلبها فهي التي حصل التفاوت بين العارفين في معرفتها والخوض في لجتها والسلام.وقال أيضا عند قوله فيها: اللهم اجعله لنا روحا ولعبادتنا سرا ما نصه : طلب المصلي من الله تعالى أن يكون له صلى الله عليه وسلم بمرتبة كونه في نفس الأمر لكل شيء من العالم حتى لا وجود لشيء بدونه حتى الكفار وهي عامة للمصلي وغيره، إذ بها حياة الوجود كله. و المرتبة الثانية في كونه صلى الله عليه وسلم روحا لجميع الموجودات خاصا لا عاما. وهذه الروحانية في المرتبة الثانية صارت بكليتها في جميع العارفين و الصديقين والأقطاب والنبيين والمرسلين والمقربين. وهذه المرتبة له صلى الله عليه وسلم التي هي روحانيته بها قوام الطوائف المذكورين بين يدي الله تعالى بتوفية حقوقه وكمال الأدب معه والاستهلاك في عين الجمع والغرق في بحار التوحيد. فهم في هذا الميدان لله بالله في الله عن الله على الله. وهذا القيام لهم مع الله بسبب روحانيته فيه صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ما قاموا هذا المقام فيه.قوله: ولعبادتنا سرا. المراد بالسر هنا ان تكون صادرة من العبد بملاحظة وساطته صلى الله عليه وسلم بين الله وبين العباد. فمن لم يلاحظ هذه الحجابية في أعماله كانت أعماله غير تامة والحجابية هو أن يكون وسيلة بين الله وبين عباده يتوسل به جميع العباد الى الله تعالى. فهذا هو سر العبادة التي يؤذن بقبولها انتهى بتلفيق.وهذه هي معيته صلى الله عليه وسلم الخاصة. وأما العامة فهي لهذه الطوائف وغيرهم من جميع العالم والسلام. وثمرة هذا المقصد الاطلاع على الحقائق على ما هي عليه من غير شك و لا ريب. انتهى المراد من كلام ميزاب الرحمة. وقال : أعني صاحب ميزاب الرحمة في شرح جوهرة الكمال المسمى بميدان الفضل والافضال ما نصه:و كما أن الاسم الله هو جميع الأسماء وجميع الأسماء هو الاسم الله، كذلك الحقيقة المحمدية هي جميع الموجودات وجميع الموجودات هو هذه الحقيقة المحمدية على حد سواء، فعند ظهور الاسم الله ظهرت الأسماء و تلاطمت أمواجها موجا موجا، وعند ظهور هذه الحقيقة المحمدية ظهرت الأكوان فوجا فوجا، كما تظهر زريعة النبات عند نزول المطر بأنواع الفواكه والخضر. وكما تظهر الكواكب بظهور الليل والمظلم بعد غيبوبتها في النهار عن عين المبصر و أحدية الاسم الله السارية في الأسماء و الصفات التي لا تكرار فيها كوحدة هذه الحقيقة المحمدية، ووحدة هذه الحقيقة المحمدية هي عين ذلك الفارق فصارت هي نور الأكوان أي نور جواهر الأرواح والأشباح المكونة وهي أجناد مجندة والأرواح خلقت قبل خلق الأشباح ب 2.000 عام وهو صلى الله عليه وسلم نورها وبهجتها ومجدها ولم ينسب ذلك النور إلى جنس من الأجناس لا من الجنة ولا من الناس. انتهى محل الحاجة منه. و قال شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد أكنسوس في حلله الزنجفورية نصه: المطلب الثاني فيما يتعلق بالحقيقة المحمدية:

الله أكبر ما أجلى جلالتــه الله أكبـر جـــل الله مـولاه

الله اكبر من يدري حقيقته ما كان أرفعه قدرا وأعلاه

قال أبو يزيد رضي الله عنه: خضت لجة المعارف لأطلع على الحقيقة المحمدية فإذا بيني وبينها سبعون حجابا من نور لو دنوت من اولها لاحترقت كما تحترق الشعرة في لهب النار. وقال أويس القرني رضي الله عنه لمولانا علي ومولانا عمر رضي الله عنهما: ما رأيتم من محمد صلى الله عليه و سلم إلا ضله. فقالا: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة. انتهى قول البوصيري:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

فإنه يفهم منه ان وراء مبلغ العلم غير ذلك. قال تعالى:(و لا أقول لكم إني ملك). فمفهوم الظرف انه ملك فإنه كذلك وفوق ذلك عند العارفين، ولكنهم حجبوا عن إدراكه وعجزوا عن الرقي إلى عوالي أفلاكه.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم قال إمام المحققين السيد الشريف في تعريفاته كما نقله عنه الراغب في سفينته ما نصه: الحقيقة

المحمدية هي الذات مع التعيين الأول فله الأسماء الحسنى كلها وهو الاسم الأعظم. انتهى.
ولا يدهشك قوله: هي الذات مع قوله: فله الأسماء الخ ... فاشدد حيازمك واجعل التنزيه لمولانا جل وعلا ملازمك وكذلك اول الصلاة الغيبية وهي: اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية الخ... وهذا أوان اجتناء ثمرة ما أوصيناك بالاحتفاظ عليه كما تقدم في المرتبة الثانية من مراتب الوجود وهي الوحدة. وقد تقدم انه يطلق عليها الذات مع انها هي الحقيقة المحمدية، فإن معنى ذلك كما يؤخذ من كلام شيخنا حجة الله رضي الله عنه أنه البرزخ الأكبر الجامع بين الوجوب والامكان. فلها جهتان ان قلت واجبة صدقت باعتبار وإن قلت ممكنة صدقت باعتبار. فلذلك كانت الحجاب الأعظم. ومن جهة وجوبها وقع العجز عن إدراكها فتطاءلت لها الفهوم فلم يدركه منا سابق و لا لاحق. و غاية ما يقال هو قول البوصيري المتقدم: فمبلغه العلم الخ ... و وراء ذلك مهامه فيح لا يعلمها احد إلا الله سبحانه لا رسول مرسل ولا ملك مقرب.

يقولون لي صفها فأنت بوصفها　　　خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى　　　و نور و لا نار وروح و لا جسم

(قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا). وأعرف الناس بهذه الحقيقة أي بالقدر الذي يمكن إدراكه هو الصديق الأكبر رضي الله عنه، ومع ذلك ما رأى منه إلا ظله كما تقدم عن اويس القرني و أما غيره من الأقطاب والأفراد والأولياء فكل يدرك منها ما تسعه خلقته و جبلته. وما رأينا وما سمعنا فيما بلغنا اوسع عبارة وأعلى إشارة وأكثر إبرازا لأسرار هذه الحقيقة الكاملة ولا أبلغ محبة فيها من سيدنا حجة الله رضي الله عنه فإنه أتى في ذلك بما لم يسبق إليه ولا رأينا لأحد من أكابر المشايخ العثور عليه، فكلامه رضي الله عنه فيها تذعن له العقول وتخضع له الألباب وتتبرأ الأفكار من الانكار عند سماعه والعرب بالباب. وعبارته رضي الله عنه في غاية الوضوح والبيان وليس الخبر كالعيان، فإذا تحقق ان معرفتها لأكابر العارفين كأبي يزيد من وراء سبعين حجابا، ولا مفهوم للسبعين وفي رواية: سبعين ألف حجاب، ولا مفهوم لها أيضا حينئذ. إن كيفية سريانها في جميع الممكنات كسريان الماء في الشجر الأخضر وهل هي جوهر او عرض او جوهر لا يفتقر إلى محل وأنها لا علة لها إلا الذات وأنها علة لكل ما سوى الله سبحانه وأنها برزت قبل كل شيء عندما تجلى الحق سبحانه لنفسه بنفسه من سماء الأوصاف وسأل ذاته بذاته وأنها لبست الحلة الالهية ونحو ذلك مما وقع في عبارة العارفين والمحبين والعاشقين كل ذلك من وراء مبلغ العلم الحادث. وكل ما قيل او يقال إنما هي تقريب للأفهام المحجوبة واستحضر هنا قول المرسي رضي الله عنه: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد. وقل: لو كشف عن حقيقة العارف وقل: لو كشف عن حقيقة الفرد الجامع وكيف لو كشف عن حقيقة النبي بل لو كشف عن حقيقة الرسول فما بالك لو كشف عن حقيقة إمام المرسلين وروح اوراح سائر العالمين صلى الله عليه وسلم.و الحاصل أنه إذا أشكل عليك شيء من هذا الأمر فاستحضر ما تقدم من قول سيدنا رضي الله عنه ان من قوي بصره ميز بين المرآة المتجلي فيها وأعطى كل مقام ما يناسبه. انتهى. ولا تقل إن التمثيل بالمرآة قاصر أيضا. وراجع ما تقدم في التنبيه التاسع تجد الجواب المقنع. وأما كونه صلى الله عليه وسلم مفتوحا عليه في حال صغره وأنه من الأفراد قبل مبعثه ونبوته مع ما يتوهم من مخالفة ذلك لقوله تعالى: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان. فقد شرح شيخنا حجة الله رضي الله عنه ذلك شرحا بليغا واضحا لو سمعه الجماد لكاد أن يتعقله. والله ولي التوفيق و الهداية. وقد طوينا مسافة مباحث هذا المطلب للاختصار كما ترى. انتهى كلام الجلال الزنجفورية في الأسئلة الطيفورية. وفيما سقناه من ان المقصد الأعظم العثور على بعض أسرار الحقيقة المحمدية كفاية والله الموفق للصواب بمنه وكرمه.

تذييل في فضائل الأذكار الأزمة وغيرها: قال في جواهر المعاني: وأما فضل **صلاة الفاتح** لما أغلق فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: كنت مشتغلا بذكر صلاة الفاتح لم

أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها، وهو أن المرة الواحدة منها ب ستمائة ألف صلاة كما هي في وردة الجيوب. وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر، وكان قطبا رضي الله عنه ، قال: أن من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله عز وجل. وبقيت نذكرها إلى ان رحلت من تلمسان إلى أبي سمغون. فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة سبعون ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها وهي: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاما يعدل سلامهم. لما رأيت فيها من كثرة الفضل. ثم أمرني صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى صلاة الفاتح لم أغلق. فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني اولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانيا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير او صغير و من القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار.ثم قال سيدنا رضي الله عنه: وأما صلاة الفاتح لم أغلق الخ ...فإني سألته صلى الله عليه وسلم عنها : أولا أنها ب ستمائة ألف صلاة، هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه: نعم يحصل في كل مرة منها أجر من صلى ب ستمائة ألف صلاة مفردة. و سألته صلى الله عليه و سلم : هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة و هو الطائر الذي له 70.000 جناح إلى آخر الحديث، او يقوم منها في كل مرة 600.000 طائر على الصفة و ثواب تسبيحهم للمصلي على النبي صلى الله عليه و سلم. فقال صلى الله عليه و سلم: بل يقوم منها في كل مرة 600.000 طائر على تلك الصفة في كل مرة . ثم قال رضي الله عنه: فسألته صلى الله عليه وسلم عن حديث: إن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعدل ثواب 400 غزوة ، كل غزوة تعدل 400 حجة هل صحيح أم لا؟ فقال صلى الله عليه وسلم:بل صحيح. فسألته صلى الله عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق إلى آخر مرة أربعمائة غزوة أو يقوم منها 400 غزوة لكل صلاة من 600.000 صلاة و كل صلاة على انفرادها 400 غزوة. فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه:إن صلاة الفاتح لما أغلق ب 600.000 صلاة وكل صلاة من 600.000 صلاة ب 400 غزوة.ثم قال بعده صلى الله عليه وسلم: من صلى بها أي بالفاتح لما اغلق مرة واحد حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك 600.000 صلاة من اول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أي كأنه صلى بكل صلاة 600.000 صلاة من جميع صلاة المصلين عموما ملكا وجنا وإنسا. وكل صلاة من ذلك ب 400 غزوة. وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات و رفع عشر درجات و أن الله يصلي عليه و ملائكته بكل صلاة عشر مرات. قال الشيخ رضي الله عنه: فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة، فكيف بمن صلى بها مرات ماذا له من الفضل عند الله تعالى. وهذا حاصل في كل مرة منها.ثم قال الشيخ رضي الله عنه: وأخبرني صلى الله عليه وسلم أنها لم تكن من تأليف البكري. أي صلاة الفاتح لما أغلق الخ... ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور ثم قال الشيخ رضي الله عنه: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة قال رضي الله عنه: وقد كان أخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم فقلت: إنها أكثر منه. فقال صلى الله عليه وسلم: بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة. قال رضي الله عنه: في المرة الواحدة من الاسم الأعظم ب 6.000 مرة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ... والمرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل تسبيح ومن كل استغفار ومن كل دعاء في الكون صغيرا أو كبيرا 6.000 مرة كما سبق. فقال الشيخ

رضي الله عنه: يكتب لذاكر الفاتح لما أغلق مرة 6.000 من ذكر كل حيوان وجماد. و ذكر الجمادات هو ذكرها للاسم القائم بها لأن كل ذرة في الكون لها اسم قائمة به. و أما الحيوانات فأذكارها مختلفة وهذا ما اخبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا رضي الله عنه من فضل صلاة الفاتح.ثم قال سيدنا رضي الله عنه: وأما قدر صلاة الفاتح لما أغلق الخ... فالمرة الواحدة منها إذا ذكرتها تعدل عبادة 2800 عام أعني للمستغرق فيها على تقدير أنه كل يوم يذكر 10.000 بين الليل والنهار من غير صلاة الفاتح لما أغلق. فقلت له: هذا بالنظر للذاكرين معك؟ قال: نعم لأنه أخبرنا مهما ذكر ذكرا إلا وذكرت معه 70.000 ملك والمرة الواحدة من أذكارهم أي من كل واحد من الملائكة المذكورين تضاعف 70.000 مرة. .وثواب أذكارهم كلها لسيدنا كرامة من الله وموهبة له. و قد تفضل شيخنا وسيدنا وأستاذنا على أصحابه بكل من ذكر منهم ذكرا إلا وتذكر معه 70.000 ملك فضلا من الله ورحمة وموهبة وكرامة والسلام.ثم قال رضي الله عنه: ومن الأدعية من فضله يعدل قيام ليلة القدر في مرة واحدة كالسيفي كما تقدم. فإذا تأملت فضل مرة واحدة من الاسم من فضل ليلة القدر بالنسبة لفضل دعاء واحد كالسيفي وجدت المرة الواحدة من الاسم 36.000.000 ليلة القدر، ولأن المرة الواحدة من الاسم ب 6.000 من الصلاة المذكورة والمرة منها ب 6.000 من الدعاء المذكور فإذا ضربت 6.000 في 6.000 كان الخارج 36.000.000 . هذا في المرة الواحدة بالنسبة إلى دعاء واحد. وأما فوق المرة من الاسم فلا يعلم قدره إلا الله تعالى . فسبحان من يوتي فضله من يشاء. فهنيئا ثم هنيئا لمن أوتي هذا الخير العظيم. لا أحرمنا الله و كافة المحبين بمنه وكرمه آمين.وسألته رضي الله عنه عن صلاة الفاتح لم أغلق لأنها خالية عن السلام لأمر أوجبه. فأجاب رضي الله عنه بقوله: وأما سؤالكم عن صلاة الفاتح لما أغلق فإنها وردت من الغيب بهذه الكيفية، وما ورد من الغيب كماله ثابت خارج عن القواعد المعلومة ليست من تأليف مؤلف، ووراء هذ كيفيات وردت عنه صلى الله عليه وسلم في الصلاة الخالية من السلام وهي كيفيات نبوية متعبد بها فلا التفات لما يقوله الفقهاء والسلام. و خاصية الفاتح لما أغلق أمر إلاهي لا مدخل فيه للعقول فلو قدرت 100.000 امة في كل أمة 100.000 قبيلة في كل قبيلة 100.000 رجل وعاش كل واحد منهم 100.000 عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم 100.000 صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من غير صلاة الفاتح لما أغلق وجمعت ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق. فلا تلتفت لتكذيب مكذب ولا لقدح قادح فيها فإن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء فان لله تعالى فضلا خارجا عن دائرة القياس، ويكفيك قوله سبحانه وتعالى:(ويخلق ما لا تعلمون) .فما توجه متوجه إلى الله تعالى بعمل يبلغها وإن كان ما كان ولا توجه متوجه إلى الله تعالى بعمل أحب إليه منها ولا أعظم عند الله حظوة منها إلا مرتبة واحدة وهي من توجه إلى الله باسمه العظيم الأعظم لا غير هو غاية التوجهات والدرجة العليا من جميع التعبدات ليس لفضله غاية ولا فوقه مرتبة نهاية. وهذه الصلاة الفاتح لما أغلق تليه في المرتبة والتوجه والثواب و الفوز بمحبة الله لصاحبها وحسن المئاب. فمن توجه إلى الله تعالى مصدقا بهذا الحال فاز برضى الله وثوابه في دنياه وأخراه بما لا تبلغه جميع الأعمال يشهد بهذا الفيض الالهي الذي لا تبلغه الآمال. وليس يحصل هذا الخير المذكور إلا مع التسليم. ومن أراد المناقشة في هذا الباب وهذا المحل فليترك فإنه لا يفيد استقصاء حجج المقال، واترك عنك محاججة من يطلب منك الحجج فإن الخوض في ذلك رد أو جوابا كالبحر لا تنقطع منه الأمواج والقلوب بيد الله المتصرف فيها والمقبل بها و المدبر بها. فمن أراد الله سعادته والفوز بثواب هذه الياقوتة الفريدة جذب قلبه إلى التصديق بما سمع فيها وعرفه التسليم لفضل الله سبحانه وتعالى بانه لا يأخذه الحد والقياس فصرف همته في التوجه إلى الله تعالى بها والإقبال على الله بشأنها،(فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين).و من أراد الله حرمانه من خيرها صرف الله قلبه بالوسوسة و

بقوله: من أين يأتي خبرها؟ فاشتغل بما قلناه لك و من أطاعك في ذلك و أعرض عمن ناقشك في البحث بتحقيق ذلك، فإنا اخذناه من الوجه الذي تعلم وكفى. انتهى مما كتبه الينا سيدنا بعد سؤالنا له والسلام. وسألته رضي الله عنه هل خير سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب رضي الله عنه بما نصه: قال: الأمر العام الذي كان يأتيه عاما للأمة طوي بساط ذلك بموته صلى الله عليه وسلم وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، فإن ذلك في حياته وبعد مماته دائما لا ينقطع وأن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من جميع وجوه الأعمال والعبادات وجميع وجوه البر على العموم والاطلاق وجميع وجوه الشمول والامكان إلا ما كان من دائرة الاحاطة فقط، فإن ذكره أفضل منها بكثير دون غيره من الأعمال والسلام. فإن قلت ربما يعترض بعض القاصرين ممن لا علم له بسعة الفضل والكرم فيقول: إذا كان هذا كما ذكرتم فينبغي الاشتغال به أولى من كل ذكر حتى القرآن؟ قلنا له: بل تلاوة القرآن أولى لأنها مطلوبة شرعا لأجل الفضل الذي ورد فيه ولكونه أساس الشريعة وبساط المعاملة الالهية ولما ورد في تركه من الوعيد الشديد. فلهذا لا يحل لقارئه ترك تلاوته. وأما فضل الصلاة التي نحن بصددها فإنها من باب التخيير لا شيء على من تركها. وثانيا أن هذا الباب ليس موضوعا للبحث والجدال بل هو من باب فضائل الأعمال وأنت خبير بما قاله العلماء في فضائل الأعمال من عدم المناقشة فيها. وقد أجاب سيدنا رضي الله عنه عن هذه المعارضة قائلا: لا معارضة بين هذا وبين ما ورد من فضل القرآن و الكلمة الشريفة لأن فضل القرآن والكلمة الشريفة عام أريد به العموم، وهذا خاص ولا معارضة بينهما لأنه كان صلى الله عليه وسلم يلقي الحكام العامة للعامة في حياته يعني إذا حرم شيئا حرمه على الجميع وإذا افترض شيئا افترضه على الجميع .وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يلقي الأحكام الخاصة للخاصة وكان يخص ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض وهو شائع ذائع في أخباره صلى الله عليه وسلم. فلما انتقل للدار الآخرة وهو كحياته صلى الله عليه وسلم في الدنيا سواء صار يلقي إلى أمته الأمر الخاص للخاص ولا مدخل للأمر العام للعام فإنه انقطع بموته صلى الله عليه وسلم وبقي فيضه للأمر الخاص للخاص. ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده على أمته بموته صلى الله عليه وسلم كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبي صلى الله عليه وسلم وساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافرا إن لم يتب من هذا الاعتقاد انتهى.قلت لسيدنا رضي الله عنه: وهل كان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عالما بهذا الفضل المتأخر في وقته؟ قال : نعم هو عالم به. قلت: ولم لم يذكره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لما فيه من هذا الخير الذي لا يكيف؟ قال: منعه أمران الأول: أنه علم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت. الثاني: لو ذكر لهم هذا الفضل العظيم في هذا العمل القليل لطلبوا منه أن يبينه لهم لشدة حرصهم على الخير ولم يمكن ظهوره في وقتهم، فلهذا لم يذكره لهم. ونظر آخر غير ما تقدم وهو أن الله تبارك وتعالى لما علم ضعف أهل هذا الزمان وما هم عليه من التخليط والفساد رحمهم وجاد عليهم بخير كثير في مقابلة عمل يسير يختص برحمته من يشاء في الوقت الذي يشاء. ثم قال سيدنا رضي الله عنه: الفضل المذكور فيما دون الفرائض وأما هي فلا.قال : قلت لسيدنا رضي الله عنه: يفهم مما تقدم أن صاحب هذه الصلاة الذي يذكرها له فضل أكثر من جميع من تقدمه من عباد الله المؤمنين لكون جميع صلواتهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع أذكارهم وأورادهم تضاعف له كما تقدم في فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلا نوع واحد وهو قول دائرة الاحاطة، فلا مدخل له هنا ولا يتناوله هذا التضعيف. قال سيدنا رضي الله عنه: هو كما ذكرتم من تضعيف الأعمال لصاحبها ولكن كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب في صحيفته جميع أعمال من بعده من وقته إلى آخر الأمة. فإذا فهم هذا ففضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم، ولو كان من أهل هذا الفضل

المذكور من هذا الباب لمرتبة الصحبة لأنهم رضي الله عنهم حازوا قصبة السبق بصحبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

فائدة في بيان فضل تضعيف الفاتح لما أغلق:قال سيدنا رضي الله عنه: اعلم أنك إذا صليت بصلاة الفاتح لما أغلق الخ ... مرة واحدة كانت ب 600.000 صلاة من كل صلاة وقعت في العالم من جميع الجن والإنس والملائكة، ثم إذا ذكرت الثانية كان فيها ما في الأولى وصارت الأولى ب 600.000 صلاة من صلاة الفاتح لما أغلق، ثم إذا ذكرت الثالثة كان فيها ما في الأولى من الصلوات و يزداد فيه الفاتح لما أغلق 600.000 مرتين فهي 1.200.000. و سر على التضعيف إلى العشرة ثم إلى مائة و واحدة، كان في الواحدة ما في الأولى قبلها و فيها صلاة الفاتح لما أغلق 600.000 متضاعفة 100 مرة و ذلك 60.000.000 من الفاتح لم أغلق. و سر على هذا المنوال إلى 1.000 و واحدة. فيكون فيها ما في الأولى يعني من الآلاف وفيها 600.000 من الفاتح لما أغلق 1.000 مرة متضاعفة وذلك 600.000.000 . وهكذا على هذا المنوال وهذا الضابط. فإذا ذكرها في وقت السحر تكون كل واحدة منها ب 500 مرة فإذا ذكرها 1.000 وواحدة مثلا كان في الواحدة بعد ألف، 300.000.000.000 ثلاث مراتب. وأما في 1.000 وواحدة فيكون فيها 150.000.000.000.000 أربع مراتب و 450.000.000.000 ثلاث مراتب. فهذا خاص بوقت السحر. وأما في غيره فهو ما ذكر اولا من التضعيف السابق. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.وحدثني شيخنا رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما صلى علي أحد بأفضل من صلاة الفاتح لم أغلق. وقال رضي الله عنه: لو اجتمع أهل السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما فيهن على أن يصفوا ثواب الفاتح لما أغلق ما قدروا. انتهى. فهذا ما سمعناه منه رضي الله عنه في هذا الوقت وأبرزه الحق على لسانه. وقال رضي الله عنه كل ما سمعتموه في فضل صلاة الفاتح لما أغلق فهو بالنسبة لما هو مكتوم كنقطة في بحر. سبحان المتفضل بهذا الخير العظيم على هذا الشيخ الكريم. انتهى ما أردناه من كتاب الجواهر باختصار. وزاد في الجامع هنا ما نصه: إن سيدنا رضي الله عنه قال: إن لهذه الصلاة خاصية عظيمة في السلوك ليس هذا محلها انتهى. وقد أشرنا لذلك أعني لبعض ذلك فيما تقدم ثم قال صاحب الجامع. فائدة: سئل سيدنا رضي الله عنه: هل يحصل لأصحاب الفاتح لم أغلق ما يحصل للعارفين من كثرة الخيرات والتجليات أم لا ؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: يحصل لهم أكثر منهم وأكده بقوله ان العارفين لو اطلعوا على ما يحصل لأهل هذا الشأن في الدار الآخرة لبكوا عليه طول أعمارهم على ما يشاهدون من عظيم فضل الله واختصاصه بمن أراد. يختص برحمته من يشاء. وأما المرتبة الكبرى في هذا الشأن فلا تحصل في الدار الآخرة إلا للأنبياء ولا يطلعون عليها إلا بعد انتقالهم من الدنيا. ثم قال رضي الله عنه: ولا يحصل هذا الفضل المذكور إلا بالاذن مني مشافهة أو بواسطة صحيحة انتهى بلفظه. ثم قال رضي الله عنه: وعندي أنه لا يحصل الثواب الكبير إلا لمن علمه وأن من لم يعلمه يحصل له دون ذلك، وهذا في كل ذكر وليس خاصا بهذا المحل. وهذا مفهوم من قوله رضي الله عنه في تلاوة الفاتحة بنية كذا كما سيأتي بيانه. وسئل سيدنا رضي الله عنه: هل تحصل خصائص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المحمودة بالكيفية والعدد لذاكر الفاتح لما أغلق الخ... كما يحصل له جميع الفضائل من الخواص و غيرها قال: نعم يحصل ما ذكر لذاكر الفاتح لما أغلق. انتهى .قال في الجواهر: و ذكر سيدنا رضي الله عنه وجها آخر لبيان فضل أهل المراتب قال: إن الثواب المتقدم ذكره بسبب خاصية بعض الأذكار كما قدمنا إنما هو المعتاد لكل عامل مثلا إذا كان يحصل له في ذكره 10 حسنات أو 100 او 1.000 أو أكثر، فهذه هي التي يتضاعف فضلها لعامل الخاصية كصلاة الفاتح لما أغلق وغيرها. وهذا بالنظر لغير أهل المراتب، وأما هم فيتضاعف لهم العمل بحسب مراتبهم. فليس مرتبة الرسالة كمرتبة النبوة ولا الصديقية كالنبوة ولا يشملهم القياس وإنما هو بالنظر

للغالب او للجميع مع قطع النظر عن المرتبة. ولذلك قال سيدنا جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: إن عمر حسنة من حسنات أبي بكر بعد ان قال له: لو حدثتك بفضائل عمر قدر عمر الدنيا ما فرغت مع أنهما في العمل سواء أو متقاربين وإنما سبقه بحسب المرتبة لا بحسب العمل. و لهذا قال صلى الله عليه وسلم: ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره رضي الله عنه. انتهى من الجواهر. قال في الجامع : فائدة سئل سيدنا رضي الله عنه عن معنى صلاة الحق على عباده؟ فأجاب رضي الله عنه بأنها توقيفية ولا يقطع فيها شيء لأنها صفة للحق تعالى. قيل له: إنها من كلام الله وهو يفسر بلغة العرب ويحمل على أسلوب كلامهم كما فسرت في موضع بالدين وآخر بالدعاء كما هو ظاهر. و لهذا قال العلماء: معناها الرحمة. قال رضي الله عنه: صلاة الله عامة وخاصة، أما الخاصة فهي صلاته على أهل الابلاء كقوله تعالى : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة). وقوله:(هو الذي يصلي عليكم وملائكته) هي العامة ولا تفسر إلا بالنص ولا نص. ولذلك، قلنا فيها أنها توقيفية. وقد سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام: أيصلي ربنا؟ قال: نعم. قال: وكيف صلاته؟ قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح. رحمتي سبقت غضبي. فإذا كانت هذه صلاته، فكيف تخصص بالرحمة أو يقطع فيها بشيء.

بشارة عظيمة لمن عنده الإذن في الياقوتة الفريدة: سئل سيدنا رضي الله عنه عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق فأجاب رضي الله عنه بقوله: فمن ذكر منها 10 مرات مثلا لو عاش العارف بالله 1.000.000 سنة كان ذاكرها عشرا اكثر منه ثوابا، أعني العارف الذي لم يذكرها. و قال سيدنا رضي الله عنه: أردت أن نظهر ما كان مكتوما من فضلها فنهيت عنه. قلت لسيدنا رضي الله عنه: فهذه الصلاة العظيمة يمكن ألا تحبط لذاكرها كسائر الأعمال ان صدر منه ما يحبط العمل. نسأل الله السلامة والعافية. قال: نعم، قلت: عدم الاحباط المذكور للحافظ على الصلوات الخمس. وأما تاركها حسا او معنى لا ينظر الله إليه يوم القيامة في عمل العموم، منها او من غيرها لما ورد في الحديث: **أول ما ينظر يوم القيامة في عمل العبد الصلاة** الخ... هكذا قال سيدنا رضي الله عنه. **فائدة:** و أما تضعيف فضل صلاة الفاتح لما أغلق فإن الأولى ب 600.000 صلاة من غير صلاة الفاتح، وكل واحدة منها ب 600.000 صلاة من صلاة كل ملك وآدمي وجني من أول خلقهم إلى وقت تلفظ الذاكر بها. والمرة الثانية مثلها وتكتب الأولى ب 600.000 زيادة على ما تقدم فيها. ونسبة الأولى من الثانية جزء من 600 جزء وكذا الثانية من الثالثة والثالثة من الرابعة إلى العاشرة إلى المائة إلى الألف. وهكذا نسبة كل صلاة من صلاة الفاتح إلى ما بعدها إلى انقطاع الذاكر لها بالترك أو الموت. وهذا الفضل المذكور في صلاة الملائكة والإنس والجن. وأما غيرهم من الخلائق فالمرة الواحدة منها ب 6.000 مرة من صلواتهم كالأدعية وغيرها من الأذكار كما تقدم في أول الفصل. وذكر سيدنا رضي الله عنه في فضل هذه الصلاة أن لها سبع مراتب أو ثمانية، وكلما ذكر من الفضل الذي أظهره لأصحابه هو جزء من المرتبة الأولى. وأما غيرها فكلها مكتومة. ثم قال سيدنا رضي الله عنه: الملازمة على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بركتها تدرك الرجل واولاده وأولاد اولاده. وأما الصلاة الفاتح لما أغلق فهي ضامنة لخير الدنيا والآخرة لمن التزم دوامها لكن بالاذن الصحيح. وأما إن كان بغير إذن ففيه الثواب المذكور دون هذه الخاصية وهو خير الدنيا و الآخرة ثم بين رضي الله عنه خير الآخرة قال: من داوم على صلاة الفاتح لما أغلق يموت على الايمان قطعا والمداومة عليها تحصل بالمرة في كل يوم. ثم قال : و الفضل المذكور في الياقوتة الفريدة لا يحصل لذاكرها إلا بشرطين : **الأول:** الإذن من القدوة ولو بواسطة. **الثاني:** أن يعتقد الذاكر أن هذه الصلاة من كلام الله كالأحاديث القدسية وليست من تأليف مؤلف كما تقدم التنبيه عليه في أول الفصل. ثم قال سيدنا رضي الله عنه: ليس لأحد على وجه الأرض أن يأذن فيها غيرنا او من دخل من أصحابنا في طريقتنا. قال الإمام

الساحلي: واعلم أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ذكر من أذكار الله فلا يختلج في فكرك ما تفوه به بعض المحجوبين المطرودين عن تحقيق وجوه العبادات فقالوا: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليست من ذكر الله توطئة على ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واستدراجا للأقلال منها وهذا والعياذ بالله خروج عن دائرة العلم واخلاد إلى حضيض الحرمان. وقد جاء في بعض الآثار: إن **الله** تعالى قال: يا محمد من أحبك فقد أحبني ومن ذكرك فقد ذكرني انتهى.وليست كيفية من كيفيات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا وفيها اسم من أسماء الله او صفة من صفاته، وكيف يقال للمصلي عليه صلى الله عليه وسلم غير ذاكر لله ومع ذلك فالقيام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قيام بأمر **الله** تعالى حين امر بالصلاة عليه والقيام بالأمر ذكر للآمر. وهل المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا يناجي ربه بطلب الصلاة منه على النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقد تضمنت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله من وجوه ولها في تنوير الباطن و تزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقا سوى ما تضمنته من الأسرار والفوائد انتهى كلام الجامع.قال شيخنا أبو المواهب السائحي في شرح الخاتمة في فضل الياقوتة الفريدة وجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال من بغيته ما نصه: وفيه إشارة إلى أن دائرة أهل هذه الطريقة السنية دائرة الفضل المحض الذي لا سبب له إلا العناية الأزلية .
فأما الياقوتة الفريدة فهي صلاة الفاتح لما أغلق وسماها بذلك سيدنا الشيخ رضي الله عنه، وأما جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال صلى الله عليه وسلم فهي الصلاة المعروفة عند أهل الطريق وهي أحد أركان الوظيفة حسبما تقدمت الاشارة إليه. ثم الصلاتان الشريفتان كلتاهما من جملة الأسرار التي يتلقاها الكمل من العارفين الكبار في مقاماتهم الخاصة الشهودية إما من الحضرة القدسية كتلقي القطب سيدي محمد البكري للأولى على ما سيتضح قريبا إن شاء الله او من الحضرة المحمدية عليه الصلاة والسلام في حال اليقظة أو حال المنام كتلقي سيدنا الشيخ رضي الله عنه الثانية كما سينص قريبا أيضا هنا بحول الله تعالى. والكل من الثابت المعروف عند أربابه من الحق المعمول به في بابه.و الفضل المذكور هنا للصلاتين معا كله مما تلقاه الشيخ رضي الله عنه من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم. ومن المقرر عند العلماء الأعلام أنه يعمل بجميع ما يتلقاه العارفون منه عليه الصلاة والسلام سواء في اليقظة او في المنام ما لم يصادم شيئا من النصوص القطعية أو يؤدي إلى انخرام قاعدة شرعية. والقاعدة الشرعية في هذا الباب حسبما ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في فتاويه أنه ليس لأحد أن يحكم ذكرا او دعاء لم يرد بمقدار معين من الأجر. قال: لأن ذلك مرجعه الى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد علم أن اخباراته صلى الله عليه وسلم على قسمين: قسم عام وهو ما أمر صلى الله عليه وسلم أ ن يخاطب به عامة الناس وذلك كتشريع الشرائع وتحديد الأحكام وتبيين الفرض من النفل والحلال من الحرام. وهذا القسم انقطع بوفاته صلى الله عليه وسلم. و القسم الثاني خاص وهو ما أمر به صلى الله عليه وسلم ألا يخاطب به إلا الخواص وهذا لم ينقطع بوفاته صلى الله عليه وسلم فلا يزال يلقيه إلى آخر الدهر لمن أهله الله لذلك بحكم الاختصاص.وقال شيخنا رضي الله عنه بعد أن أجاب عن سؤال سائل عن المسألة بمثل التفصيل المذكور ما نصه: ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده عن أمته صلى الله عليه وسلم كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبي صلى الله عليه وسلم وأساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافرا ان لم يتب من هذا الاعتقاد.،وقد عرفت ان جميع ما هو مذكور عن شيخنا رضي الله عنه مما تلقاه من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم في فضل هاتين الصلاتين ليس فيه مصادمة النصوص القطعية ولا ما يؤدي إلى انخرام القواعد الشرعية إذ غايته أنه اخبار عدل عنه صلى الله عليه وسلم بذكر غير خارج عن معنى ما اتى به ولا منحرف عن أصول دينه القويم وبتضعيف الأجر الثابت أصله في الكتاب والسنة. والله يضاعف لمن يشاء. وفي الحديث: بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة

فافهم. وإلى ما تقدم عن الجواهر والجامع من فضل الياقوتة الفريدة أشار في منية المريد بقوله:

أما صلاة الفاتح الحسنى التي يدعون بالياقوتة الفريدة
ففضلها على مراتب انقسم و جلها عن الخلائق انكتم

قال شيخنا أبو المواهب: لأنه مما لا ينال إلا بالذوق والتعريف الالهي ومن كان سبيله ذلك لا يفشيه من فتح عليه فيه إلا باذن لا غير. وأشار إلى ما ذكره سيدنا في فضل هذه الصلاة وهو أن لها من الفضل سبع مراتب او ثمان مراتب وأن الذي ذكر من فضلها هو جزء من المرتبة الأولى وغير ذلك كله مكتوم ثم قال رحمه الله:

و من سوى المكتوم ان من تلا من هذه الصلاة عشرا حصلا
ما لم يحصلـــــه ولي ســـام قـــدرا و عاش ألف ألف عـام

و أشار بهذا إلى بعض فضل الياقوتة الفريدة في مرتبتها الظاهرة وهو أ ن سيدنا رضي الله عنه سئل عن فضلها فقال: من ذكرها عشر مرات لو عاش العارف ألف ألف سنة كان ذاكرها عشرا أكثر منه ثوابا يعني العارف الذي لم يذكرها انتهى. ذكره في ا لجامع وهو من باب تضعيف الأعمال بالأضعاف الكثيرة. واعلم أن من المقرر عند العلماء في التضعيف أنه يكون تارة باعتبار لفظه كاشتماله على جميع الأوصاف السلبية والذاتية والفعلية، ومثلوا ذلك بنحو ذا الجلال والاكرام ونحوه. قالوا : ولا شك أن الثناء بالأعم أبلغ من لأخص والخاص، وكاشتماله على ما يؤذن بالتعظيم نحو سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك كقوله في هذه الصلاة حق قدره وهو ظاهر وخصوصا على رأي من أخذ بظاهره عملا على ما هو الائق بالكرم. وقد تقدم بعض ما يوضحه وتارة باعتبار الأشخاص فإن عبادة أهل المراتب ليست كعبادة غيرهم في الفضل، وهم أيضا متفاوتون بحسب تفاوت مراتبهم فمنهم من يومه كليلة القدر و منهم من يومه بألف سنة ومنهم من يومه كيوم المعارج بخمسين ألف سنة. قاله سيدنا رضي الله عنه. وأشار إليه الشيخ زروق رضي الله عنه وكذا ابن عطاء الله. وقد يعظم فضل الله على أهل المراتب فيسري سر التضعيف في المذكورين لإتباعهم بسبب اذنهم لهم فيحصل للمأذون له قسط مما للاذن وإ ن لم يجاهد مجاهدته. وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انما تحملت التعب على أتباعي ومثله قول سيدنا رضي الله عنه في حق أصحابه: وهذا لهم من أجلي وذلك مما خصصوا به من الفضل. وتارة يكون باعتبار الأزمان وتارة يكون باعتبار الأمكنة كالعمل في الحرمين الشريفين على ما ورد في ذلك. وإذا عرفت هذا فاعلم أن هذه الصلاة الشريفة أعني صلاة الفاتح لم أغلق قد اشتملت من الوجوه التي تكون سببا التضعيف المذكور على ما لا يخفى، فإنها اشتملت على نداء الله تعالى بالاسم الجامع للذات والصفات والأفعال على ما مر بيانه وهو يتضمن الثناء عليه سبحانه بما هو أعم وجوه الثناء واشتملت من الثناء على حبيبه الأعظم ورسوله الأكرم على أبلغ الثناء وأعم المدح حسبما يفيده فيما يشير إلى معناها على جهة الاختصار مع ما اشتمل عليه قوله حق قدره ومقداره العظيم. وهذا باعتبار لفظها .و أما باعتبار الأشخاص فيكفي ما مر عن الشيخ رضي الله عنه من الفضائل التي أعطاها الله أهل هذه الطريقة من المحبوبية الفائضة عليهم من الحضرة المحمدية عليه الصلاة والسلام مع ما انضاف إلى ذلك من المزايا العظام والخصوصيات الجسام هذا مع حصول الإذن في الصلاة المذكورة من أستاذ هذه الطريقة الذي هو الختم الأكبر المحمدي وهو عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بلا واسطة حسبما تقدم بيانه.و أما باعتبار الأزمان فمن حيثية كونهم في آخر الأزمان الذي ورد الخبر بان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وأن للعامل من أهل هذا الزمان أجر الخمسين منا أو منهم. قال صلى الله عليه وسلم: " منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا". فتأمل ما ذكرناه ولا تظن أننا أردنا به التصور على إدراك ما انبهم عنا من سبب التضعيف المذكور بل الذي نعتقد وندين الله به أن الله تعالى تفضل بذلك بمحض جوده

وكرمه، إما بلا سبب أو بسبب لا يدركه أمثالنا إلا بتعريف من الله تعالى، وإنما ذكرنا شيئا مما يتعقل في ذلك ظاهرا ليستأنس به أمثالنا الضعفاء فيما يرونه هنا من فضل هذه الصلاة لا غير والله تعالى أعلم. ثم قال:

و عدم الاحباط الذي فعل ما هو في سواها يحبط العمل

أشار بهذا إلى أن من فضائل هذه الصلاة وخصوصيتها السامية المنيفة أنه إذا صدر من المصلي بها ما يحبط الأعمال فإنها لا تحبط هي في جملة ما يحبط بفضل الله تعالى. ذكره في الجامع عن سيدنا رضي الله عنه. ثم قال رحمه الله تعالى:

و مرة واحدة تقـــرأ مــن هذي تكفر الذنوب و تزن

من كل تسبيح و ذكر وقعا ستة آلاف و من كل دعـا

أشار بهذا إلى ما ثبت عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه من أن المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق تكفر ذنوب العبد ولفظه رضي الله عنه في الرسالة الأولى من رسائله ووصاياه: واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنها تنصب على الناس كالمطر الغزير، ولكن أكثروا من مكفرات الذنوب، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما أغلق فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة. هذا معنى قوله: و مرة واحدة الخ... وقوله: تزن من كل تسبيح الخ... أشار به إلى ما ثبت عنه رضي الله عنه أيضا من المرة الواحدة من هذه الصلاة الشريفة تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ستة آلاف مرة. فأقدروا إذا قدر ما أعد الله للمصلي بهذه الصلاة فإن جميع ما في الكون جامده و متحركه ذرة ذرة يسبح بحمد الله تعالى كما قال: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده). الآية. ثم قال رحمه الله:

و مرة منها بستمـــائـــة ألف من الواقع في البريـة

من صلواتهم لوقت الذكر و هي تضاعف بهذا القدر

أشار به إلى ما في الجواهر والجامع من بيان تضعيف ثواب صلاة الفاتح لما أغلق. وهي أن المرة الأولى منها إذا أتى به المصلي تضاعف له بستمائة ألف صلاة من صلاة كل ملك وإنس وجن من أول خلقهم إلى وقت تلفظ الذاكر بها. والمرة الثانية مثلها وتكتب له الأولى بستمائة ألف صلاة وهكذا إلى انقطاع ذكر الذاكر لها بالموت. وهذا أمر يبهر العقول والله ذو الفضل العظيم. فقوله: البرية، أراد الملائكة والآدميين والجان. وأما غيرهم من المخلوقات فهو داخل في قوله: من كل تسبيح وذكر وقع في الكون إلى آخره. ذكره في الجامع ويدخل في " البرية" المصلي نفسه، إذ صلاته من جملة الواقع في البرية من الصلوات كما يدخل في الصلاة الواقع في البرية صلاة الفاتح الخ... فيضاعف للمصلي بها جميع الصلوات التي وقعت في البرية حتى صلاة الفاتح نفسها بجميع ما اشتملت عليه من التضعيف في كل مرة من وقت صلاة المصلين به إلى وقت التلفظ بها مائة ألف مرة وهو معنى قوله وهي تضاعف بهذا القدر. وهذا من باب مضاعفة إفراد الثواب المجازى به على الحسنة المفعولة.و قد قال العلماء بجوازه، وقد نقل بعض شراح الرسالة عن القرطبي في شرح مسلم في حديث : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث ما هو صريح في ذلك ثم قال: ومن هذا المعنى ما قاله الحطاب أن الصلاة في جماعة ب 250 صلاة فإن كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم كانت ب 250.000 والله يضاعف لمن يشاء.وقد بسطنا الكلام في بيان هذا التضعيف بأكثر منها في تقييد لنا في بيان فضل الياقوتة الفريدة وهو بزاوية عين ماضي. ولم يبق بأيدينا نظير منه. ولم نيأس من روح الله تعالى أن يجمعنا بنسخة منه بمنه و طوله. وذكرناه ليبحث عنه من عسى أن تتشوف إليه نفسه من الاخوان و الله المستعان. ثم قال رحمه الله تعالى:

سعادة الدارين ضامنتهـــا في اليوم مــــــرة مداومتهـــا

و من يلازم مرة في كل يوم منها يموت مسلما من غير لوم

أشار بهذا الى ما ثبت عن الشيخ رضي الله عنه في كلام قال فيه: الملازمة على الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم بركتها تدرك الرجل و أولاده و أولاد أولاده. ثم قال : و أما صلاة الفاتح لما أغلق الخ فهي ضامنة لخير الدنيا و الآخرة لمن التزم دواءها. ثم بين رحمه الله و رضي الله عنه خير الآخرة بقوله من داوم على الفاتح لما أغلق يموت على الايمان قطعا و المداومة عليها مرة في كل يوم باختصار. و وقع في بعض النسخ من هذا الانظم من النساخ تخليط في هذا المحل. فلينتبه له. و قد ذكر الشعراني رضي الله عنه أذكارا من لازمها يموت مسلما برواية الخضر عليه السلام في ذلك. فينبغي أن يستعمل المومن جميع ما يقف عليه من ذلك مع كثرة اللجا و الاضطرار الى الله تعالى فيه. ثم قال رحمه الله:

و فضلها يحصل مع شرطين   مــن ذاك إذن الشيخ دون ميـن
ثم اعتقـــــاد أنها قد بــرزت   من حضرة الغيب لمن له سرت

الضمير في فضلها لصلاة الفاتح المتكلم فيها، والمراد بالفضل في البيت الفضل الخاص الذي تلقاه سيدنا الشيخ رضي الله عنه تفصيلا من الحضرة المحمدية ومنه ما تقدم ذكره للناظم في الأبيات السابقة. وأشار بهذا إلى ما ثبت عن سيدنا رضي الله عنه بأن الفضل المذكور يعني الخاص لا العام الذي هو مذكور في وردة الجيوب عن القطب سيدي محمد البكري رضي الله عنه لا يحصل لذاكرها إلا بشرطين : الأول الاذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه إذ هو رضي الله عنه المأذون له من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم في إبرازه. الشرط الثاني: اعتقاد المصلي أنها ليست من تأليف البشر وذلك لأن القطب البكري المذكور رضي الله عنه توجه إلى الله تعالى مدة يسأله أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها سر جميع الصلوات، فنزلت عليه مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة من نور وهي معنى قوله: قد برزت من حضرة الغيب إلى آخره.و في التعبير برزت إشارة إلى انكشاف الحجاب للقطب المذكور كما هو من عالم الملكوت والغيب الذي من شأنه عادة ألا يدرك بالحس فهو من باب خرق العادة كرامة لأولياء الله تعالى. وفي قوله سرت: إشارة إلى هذا من السرار التي لا يطلع عليها الناس حتى تظهر حيث أظهرها الله تعالى كما ان الساري لا يطلع عليه الناس حتى يصبح بالمكان الذي يصبح به، فافهم. قوله: دون مين، أراد به وصف الاذن بالصحة كما في عبارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه. فتحصل أن الفضل الخاص الذي تلقاه الشيخ رضي الله عنه من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم لا يحصل إلا مع الاذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه ولو بواسطة أو وسائط وكذلك مع اعتقاد المصلي أنها ليست من تأليف القطب البكري ولا غيره وأنها وردت من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورية. ثم إن بروز الأمر من الحضرة القدسية للولي المتمكن بالكتابة معروف، وقد عدوه من أقسام كيفية الإلهام للأولياء يعني الإلهام الذي يثلج له الصدر وهو معمول به عند المحققين أعني الإلهام وإن كان المعنى الأصلي هو معنى يجده الولي في سره يثلج له صدره من غير تعلق حس ولا خيال من الولي في ذلك. فقد عدوا من أقسامه أيضا ما يكون متلقى بالخيال في عالم الخيال وهي المبشرات. ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس وهو الذي يسمونه الواقعة ومنه ما يجدونه مكتوبا في ورقة مثلا. قالوا: و هو الذي يقع لأبي عبد الله قضيب البان وغيره. قال في اليواقيت والجواهر بعد ذكره لنحو ما تقدم ما نصه: فان قلت: فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله حتى يجوز للولي العمل بها؟ فالجواب أن علامتها كما قال الشيخ محي الدين في الباب 310 من فتوحاته المكية أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير، كلما انقلبت قلبت الورقة لانقلابها. قال الشيخ محي الدين: وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة، فلما رءاها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين. انتهى الغرض منه.و في الجيش الكبير ما نصه: فائدة: قال الهروشي: سألت شيخنا العياشي رحمه الله تعالى عن الثواب المذكور في بعض فضائل الأعمال

المروي عن غير النبي صلى الله عليه وسلم كقولهم: من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة الفلانية كذا فهي بمثابة فدية أو الصلاة الفلانية تعدل عشرة ءالاف أو غير ذلك، فأجاب بأن ذلك مما يلهمه الله تعالى لأوليائه يرونه مكتوبا بقلم القدرة على حجر او ورق أو شجر أو يسمعون الهاتف أو يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم في النوم او في اليقظة أو تخاطب به عوالمهم اللطيفة وهو أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم، دليله من السنة: قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: إنه كان فيمن قبلكم محدثون. وفي رواية: مكلمون من غير أن يكونوا أنبياء وان كانوا في أمتي معمر منهم. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.فإذا عرفت هذا عرفت أن الذي وقع للقطب البكري في هذه الصلاة من هذا الحيز فهي يعني الصلاة الشريفة المذكورة وردت من حضرة الحق تبارك وتعالى على طريق التعليم وفق ما قالوه في فاتحة الكتابة يعني من أنها وردت على طريق التعليم لنا. فافهم ذلك وبه تفهم ما وقع في تعبير صاحب الجامع من قوله الشرط الثاني اعتقاد أنها من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية. وهذه العبارة هي الدائرة على ألسنة الأصحاب اليوم. وعبارة الناظم التي شرحنا عليها هي الموافقة لعبارة جواهر المعاني ولذلك آثر التعبير بها على التعبير بغيرها وإن كان المئال واحدا والله تعالى أعلم. ثم قال رحمه الله تعالى:

ومرة من الجحيم فدية يوم القيامة بغير مرية

أشار بهذا إلى ما ذكروه عن القطب البكري رضي الله عنه من قوله: فمن قرأها مرة واحدة ودخل النار فليقبض صاحبها بين يدي الله تعالى وهو في " وردة الجيوب" . فهذا من الفضل العام الذي ذكره فيها غير سيدنا الشيخ رضي الله عنه ولهذا أردفه الناظم بقوله:

و ذا بلا اشتراط ما تقدما سبحان من فضلها وعظما

أشار بذا إلى ما ذكره من كون المرة الواحدة منها فدية من النار وأخبر أنه حاصل بفضل الله تعالى لكل من صلى بها بنية ذلك مصدقا. وأشار بقوله: سبحان من فضلها الخ... إلى أن هذا الفضل وهو كونها فدية من النار من أعظم ما يطلب ويرغب فيه ويعترف بالمنة العظيمة لواهبه ومسديه حيث كان سبحانه يمن على العبد بعتق رقبته من النار بسبب ذكره للمرة الواحدة من هذه الصلاة العظيمة المقدار. ثم أتى رحمه الله تعالى بما هو كالتحصيل لما ذكره من فضل هذه الصلاة تفضيلا على طريق الاجمال فقال:

و ما على النبي صلى أحد بمثلها سمع ذا ذا الأوحد

الضمير في مثلها لصلاة الفاتح لما أغلق و الاشارة الأولى راجعة إلى قوله : وما على النبي صلى الخ ... وذا الثانية راجعة الى الشيخ رضي الله عنه أوحد الأولياء علما وحالا ومقالا. وقوله: سمع يعني من النبي صلى الله عليه وسلم ففيه حذف المتعلق للعلم به. وأشار بهذا إلى ما في جواهر المعاني وغيره من قول سيدنا رضي الله عنه قال لي صلى الله عليه وسلم: ما صلى علي أحد بمثل صلاة الفاتح لما أغلق، فقد ظهر من هذا وفي جميع ما تقدم من فضلها أن الله تعالى استجاب دعوة القطب البكري رضي الله عنه في سؤاله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها سر جميع الصلوات. وقد صرح سيدنا رضي الله عنه بذلك فقال: إن جميع ما في الصلوات من الخواص وغيرها يحصل لذاكر الفاتح لما أغلق الخ...

تنبيه: قد عرفت أن الصلاة أهديت إلى القطب البكري رضي الله عنه على ما تقدم بيانه.

وأن الفضل الخاص لم يتلقه القطب المذكور وإنما تلقاه سيدنا الشيخ رضي الله عنه، وبسبب هذا وقع السؤال لمقيده عفا الله عنه من بعض الإخوان الصادقين حفظه الله تعالى عن الحكمة في عدم اظهار هذا الفضل على يد من نزلت عليه وبرزت بسبب توجهه إلى الله تعالى. فأجاب سامحه الله تعالى بأنه يمكن أن تكون الحكمة في ذلك والله أعلم تقرير فضلها اجمالا في عصر القطب البكري وفيما بعده حتى يكون ذلك كالتمهيد لقبول تفاصيله عند وجود من سبق في علم الله تعالى أنه صاحب إظهاره وأنه المخصوص بالتربية بهذه الصلاة لموافقتها لزمان وجوده الذي هو ءاخر الأزمان لما عليه أهله من ضعف الاستعداد

وقلة الرغب بالجد والاجتهاد في عظيم الافادات. ومن فضلها الإجمالي هو كونها فيها سر جميع الصلوات حسبما عرف والله تعالى أعلم وأحكم وهو المسؤول بفضله أن يتولى غفران ذنوبنا وستر عيوبنا بجاه السبب الأعظم لكل خير وسعادة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما. انتهى الغرض من المنية وشرح البغية فيما يتعلق بما تقدم عن الجواهر والجامع. وبقيت لنا زوائد أهملوها ثم ذكرها صاحب الرماح نص المراد منه:أعلم أن الشيخ رضي الله عنه أنه قال: اعلم أنه صلى الله عليه وسلم أمرني أن أفصح وأبين عن حكم المرتبتين الظاهرة والباطنة في صلاة الفاتح لما اغلق وعن المرتبتين الظاهرة والباطنة في الفاتحة بنية الاسم الأعظم، فها انا ممتثل أمره صلى الله عليه وسلم فيما أمرني به، ولكني أقدم مقدمة قبل المقصود تكون مهادا لاحتياج الناظر إليها إذ لا يفهم ما في المراتب الأربع إلا من عرف هذه المقدمة. وهي أن أرواح الموجودات كلها ناطقها وصامتها ومتحركها وساكنها حيوانها وجمادها كلها بالنسبة إلى الله تعالى على حد سواء وإنما اختلفت خواصها في النطق والصمت والحركات والسكون والحيوانية والجمادية بتخصيص الاهي صدر ذلك التخصيص عن المشيئة الالهية وهذا في الأرواح كلها، وإنما الاختلاف حاصل في الأجسام التي تلبسها الأرواح، لأن الأرواح كلها متحركة ناطقة حيوانية عالمة عارفة عابدة لله تعالى ذاكرة أبدا سرمدا بلا فتور. وهذا العلم كله غيب عن الإدراك البشرية والجانية لا تعلمه ولا يعلمه إلا الصديقون والأقطاب والنبيئون لا غير ومن سواهم لا علم لهم به حتى الأولياء لا يعلمونه ولا يعلمه إلا من وصل إلى مقام الصديقية فقط.ثم اعلم أن الأرواح في هذا على حد سواء حتى أرواح البشر والجن و الكفار وأصحاب الحجاب من المؤمنين فإن أرواحهم تنال هذا الأمر الذي ذكرناه ولا يعلمونه من نفوسهم لكنه مستور عنهم. فإنه أجمع أهل الكشف على أن لكل فرد من الجن والإنس في الغيب ذاتا نورانية متصلة بذات ذلك الشخص بخيط من نور، و تلك الذات النورانية هي التي تعبد الله حق عبادته في الغيب وتفعل ما تفعله الأرواح لأجل أن الروح من الجن والإنس انحصرت في قارورة الجسم وتلطخت بأوساخه فانحجبت عن مطالعة الغيب فصارت تلك الذات النورانية نائبة عنها في الغيب تفعل ما تفعله جميع الأرواح ولا علم لجميع الجن والإنس بهذا حتى علماؤهم وإنما يدركه أرباب الكشف والشهود. وليس للجن والإنس الانتفاع بهذه العبادة لأن هذه الذوات لم تخلق إلا لعبادة الله تعالى فقط دون طمع. وبذلك يتحقق قوله تعالى:(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). فتعالى الله أن يخلقها لعبادته فتتخلف، ولكن طرأ على أرواح المكلفين وأجسامهم حكم القبضتين في الأزل حيث قال في قبضة: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وفي قبضة: هؤلاء إلى النار ولا أبالي. وطرأ عليها حكم قوله تعالى:(ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم).و لا معارض لله تعالى في حكمه ولا منازع له في مراده في كل ما أراد بخلقه.وهذا موقف أصحاب الكشف بالغيب والعلماء بالله تعالى .ولا يستنكف عن هذا العلم وينكره إلا ظاهري جامدي على ظاهره، فهم في حجاب وسجن لا يعبأ بقولهم ولا بانكارهم.قال ابن عطاء الله في الحكم: الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذاته مسجون بمحيطات الأكوان.و قال صلى الله عليه وسلم: ان من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله تعالى. وبما ذكرناه يتحقق قوله سبحانه وتعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده). وهذا التسبيح صريح لا ضمني كما يظنه أهل الظاهر بل هو عند الصديقين كما ذكرنا.ثم اعلم ان الأرواح كلها لها القوة الالهية ، تجلى الله تعالى عليها بصفة كلامه. فكل روح في الكون هي قادرة على النطق بجميع ألفاظ الأكوان كلها في لفظة واحدة، وكل الصديقين يعلمون هذا ولا يجهلونه ولا يجهله إلا أهل الظاهر لأنهم يسجنون في سجن العقل. فالروح والجسد عندهم مهمى تكلم بكلمة انحجبت عن غيرها حتى يفرغ من تلك الكلمة. وعند أرباب الكشف ان الأرواح كلها قادرة على أن تذكر جميع ألفاظ الكون في كلمة واحدة فتكون تتكلم

في الكلمة الواحدة بأمور كثيرة متباينة إلى غير نهاية، أدركوا هذا كشفا وذوقا. فإن الله عز وجل هو الذي تجلى في الأرواح بذلك وأقدرها عليه وليس ينكر هذا إلا من أنكر قدرة الله تعالى في الأمور الخارقة وجعل غاية قدرة الله تعالى في الأمور العادية فقط. وصاحب هذا العلم جاهل بالله تعالى او كافر وليس هذا المحل محل البحث في إيمانه وكفره وكيف يتأتى لأحد ان يغفل عن قوله تعالى:(ويخلق ما لا تعلمون). ثم قال الشيخ رضي الله عنه: فإذا عرفت هذا فاعلم ان أرواح جميع الموجودات فردا فردا من كل ما سوى الله تعالى في كل لمحة من الزمان مشتغلة بأمور لا تنفك عنها حتى طرفة عين وتلك الأمور هي صلاة الفاتح لما أغلق وفاتحة الكتاب وجميع القرآن والاسم الذي خلقها به والاسم الأعظم الكبير والتسبيح الخاص بها. وقولنا: والاسم الذي خلقها به،إذ لكل روح اسم من أسماء الله تعالى خلقها به وبه قوامها، لا تشرك روحان فأكثر في اسم واحد فهي في كل طرفة عين تذكر هذه الأمور بتمامها. وإذا عرفت هذا عرفت ما نذكره بعد هذا. وهذا أوان الشروع في المقصود. فسلم الأمور ولا تنكر فإنا أخذناه من وجه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل هو في تحقيقه ووضوحه أشد وضوحا من الشمس في وقت الظهيرة صيفا. أما المرتبة الظاهرة في الفاتح لما أغلق مهما قرأها أحد بشرطها كتب الله له فيها ان يؤخذ جميع تلك الأذكار من تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد واستغفار وصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقراءة القرآن وغيره من الكتب الالهية كلها مثل التوراة والنجيل مثلا من أول منشأ العالم إلى بروز تلك الصلاة من الذاكر وتجمع تلك الجمعية المذكورة وتتضاعف 6.000 مرة ثم تحسب ألسنة جميع المخلوقات من كل ما سوى الله تعالى وتتضاعف فيه تلك الجمعية بعد مضاعفتها 6.000 مرة بتضاعف أيضا على عدد ألسنة جميع العوالم من كل ما سوى الله تعالى، ثم تتضاعف مضاعفة ثالثة على قدر مرتبة كل لسان، فإن من الألسنة من ليس له من ذكره إلا مرة واحدة من كل لفظ وفيهم من له التضاعف 100 مرة في كل كلمة من كل ذكر وفيهم من له 10.000 وفيهم من له 1.000.000 إلى 10.000.000 إلى 100.000.000 إلى 1.000.000.000 إلى ما وراء ذلك مما يكثر ذكره، ثم تحسب كل لفظة على حدتها بعد التضاعف المذكور ويجري القانون في ثوابها على قدر ما ذكر في رسم الشروع من كون كل صلاة عليه صلى الله عليه وسلم خواصها في الشروع وكل صلاة بحوراء وقصر في الجنة و 10 درجات و 10 حسنات ومحو 10 سيئات. والطائر الذي يقوم منها على صورة ما ذكر في الحديث يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة، وثوابه للمصلي 10 صلوات من الله تعالى ومن جميع الملائكة، وهذه الصلوات من الله تعالى في غير التي تأتي في المرتبة الباطنة، فإن تلك ليست هذه وفي كل صلاة أيضا يخلق منها ملك ينغمس في بحر الحياة ثم يخرج فينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكا يستغفر للمصلي إلى يوم القيامة. ثم في كل صلاة ثواب 400 غزوة وثواب 400 حجة مقبولة. وأما كل تسبيحة وتحميدة وتهليلة فكلها قرآن فيها ثواب القرآن. وأما ثواب القرآن في هذا فهو غير ما عند أهل الظاهر. فثواب القرآن في هذا أنه لو اجتمعت الأذكار كلها من كل روح في العالم فردا فردا من أي ذكر كان وجميع أسماء الله تعالى الظاهرة والباطنة وجميع الحسنات من جميع الموجودات في العالم فردا فردا وجميع العبادات في العالم من جميع الأرواح في جميع العالم فردا فردا وجمعت هذا الثواب الذي ذكرناه كله لم يعادل ثواب حرف من القرآن وهذا في غير الفاتحة. وأما الفاتحة فثوابها ثواب ختمة من القرآن كاملة في كل مرة، وفيها أيضا في كل مرة منها من الحور والقصور 1.000.000 حوراء يعني 1.000.000 ثم 1.000.000 أخرى ثم 607.000 . وكسر هذا العدد فيها كله كامل من الحور والأبكار ومثله من القصور وفيها ثواب قيام ليلة القدر كاملا وفيه أيضا اكثر ما سبح به ربنا في جميع كورة العالم من جميع الأذكار كلها وجميع القرآن من كل تال ومن كل روح من كل ما سوى الله تعالى وهذا كله في الفاتحة من كل قارئ لها. والأذكار المحسوبة في كورة العالم من كل روح من أول منشأ العالم إلى وقت بروز صلاة الفاتح لما

أغلق من ذاكرها. وهذا الذي ذكر في الفاتحة بعد مضاعفتها بالمضاعفات الإثلاث التي تقدمت. وكل سلكة في القرآن أيضا من كل قارئ من منشأ العالم إلى وقت بروز صلاة الفاتح لما أغلق من ذاكرها تتضاعف أيضا تلك السلكة من القرآن من كل تال على قدر المضاعفات الإثلاث المتقدمة ويكون ثواب تلك السلكة على قدر ما ذكرنا آنفا في ثواب القرآن عند اهل الظاهر. وخذ بجميع الأذكار هذا القياس وهذا المهيع واعمل به في المضاعفات الإثلاث المتقدمة. ولا يستثنى من هذه الجمعية التي في الفاتح لما أغلق من جميع ما ذكر في الفاتحة والقرآن و جميع الأذكار إلا الاسم الأعظم وأذكاره صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لهذين في صلاة الفاتح لم أأغلق لعلوهما عنها، لكن يحسب لسانه صلى الله عليه وسلم مع ألسنة الأكوان في المضاعفات. فإن له صلى الله عليه وسلم 124.000 لسان كل لسان من السنته صلى الله عليه وسلم إذا جمعت له آية واحدة من القرآن و تسبيحة واحدة من أي ذكر لم يعادلها ذكر جميع العالم من كل ذكر وتلاوة الفاتحة والقرآن من اول منشأ العالم إلى النفخ في الصور من كل ما ذكروه ومن كل ما قرءوه قرآنا وفاتحة ومن كل ما عبدوه من اول العالم وجودا إلى النفخ في الصور لم يعادلوا تسبيحة واحدة من تسبيحه صلى الله عليه وسلم أو آية من تلاوته فضلا عن الفاتحة. ثم من بعده صلى الله عليه وسلم كل لسان على قدر مبلغ ثوابه. فما عسى ان يكون الأمر إذا حسبت الجمعية التي ذكرناها قبل، كلها إلى لسان واحد من ألسنته صلى الله عليه وسلم وما عسى ان يكون ثوابه ذلك.فكيف إذا اضيفت الجمعية العظمى إلى كل لسان من ألسنته صلى الله عليه وسلم، فما عسى ان يبلغ ثوابها؟ و كذا لسان أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول جبريل لنبينا صلى الله عليه وسلم: لو حدثتك بفضائل عمر في السماء ما لبث نوح في قومه ما نفذت فضائل عمر، وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر. فما عسى أن يكون الأمر إذا تلا أبو بكر رضي الله عنه تلك الجمعية كلها بلسانه وكان ثوابه فيها على قدر رتبته وأعطى ذلك كله لصاحب الفاتح لما أغلق في كل مرة فما عسى ان يكون ثوابه. وكذا في الملائكة العالين الذين هم وراء العرش إذا ذكر كل واحد منهم تلك الجمعية بلسانه 6.000 مرة، وهم أبعد من أبي بكر الصديق رضي الله عنه بكثير لا حصر له وكذا ان تلا كل لسان من ألسنته صلى الله عليه وسلم تلك الجمعية ب 6.000 مرة فما عسى أن يحسب ثوابها. وكل لسان من كل نبي يتلو تلك الجمعية كل لسان منهم 6.000 مرة وهم ابعد من الملائكة العالين وهم خارجون عن الحصر والعد. و هذا الثواب كله بتمامه في كل مرة من صلاة الفاتح لما أغلق. فانظر ما جمعت من الثواب. هذا آخر مرتبتها الظاهرة. انتهى تكميل ما بقي علينا من الكلام على مرتبتها الظاهرة.ثم اعلم أن عدد الأرواح لا يوقف له على غاية، لأن عدد العوالم الالهية 8.000 عالم ، العرش بكل ما فيه عالم واحد من هذه العوالم وفي جوفه الكرسي والفلك الأطلس وفلك الكواكب الثابتة والمساوات السبع والأرضون و الجنة والنار وكلها مملوءة بالمخلوقات. وأرض السمسمة واسعة جدا لو وضع العرش فيها بجميع ما في جوفه لكان كحلقة ملقاة في فلاة وهي مملوءة بم.ا لا يحصي عدده إلا الله تعالى ثم هي كل مقدار طرفة يتزايد الخلق فيها تزايدا لا عدد له منذ خلقت إلى الأبد وأهلها لا يموتون وكل من خلق فيها بقي إلى الأبد . وأول نشأتها حين كون الله طينة آدم عليه السلام ومن حين انشاها الله تعالى والخلق يتزايدون فيها تزايدا لا يقع عليه عدد من كثرته، وفيها من أعداد عوالم المخلوقات ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى. وهي على هذا المهيع إلى الأبد وكل أهلها مع 8.000 عالم بجميع ما فيهم من المخلوقات داخلون تحت حيطة الفاتح لما اغلق. وأهل أرض السمسمة مجبولون على تعظيم الله عز وجل وعبادته، وزمانها مخالف لزماننا منذ خلقت فإن مقدار اليوم عندنا تمر عليهم فيه سنون وفي كل نفس يحدث الله فيها من الخلق ما لا يعلمه إلا الله تعالى وفي كل نفس يحدث الله تعالى فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون مثل الملائكة، وهكذا إلى الأبد بلا نهاية.ثم في عالمنا وغيره، كل ذرة على انفرادها لها روح لا تفتر عن ذكر الله تعالى ولا عن عبادته من حيوان وجماد حتى

اوراق الأشجار ورقة ورقة حتى الحصا والرمل والهباء فردا فردا وحتى قطر المطر فردا فردا حتى حبوب المأكولة وغير المأكولة فردا فردا . و كلما هلك من اجساد هذه المخلوقات بموت أو هدم او اكل، بقيت أرواحها لا تفنى لأن الأرواح خلقت للأبد، فهي على حالها منذ خلقت لم تفتر عن ذكر الله تعالى بالأمور التي ذكرناها وكذا من المخلوقات التي لها أرواح الحروف المكتوبة فما من حرف يوضع في محل أي محل إلا ألبسه الله تعالى روحا جديدة تذكر الله تعالى بتلك الأذكار التي قدمناها وكذا آثار الأقدام في المشي وكذا آثار العيدان في الجدران والتراب إذا حركتها الرياح كل فرد من ذلك له روح حيث انطمست تلك الأجسام بموت او هلاك بقيت أرواحه إلى الأبد لا تفنى بفنائها.فانظر في هذا كم في الأشجار من أوراق متجددة في كل عام وحبوب متجددة في كل عام بل وجميع ما يصور الخلق من الأواني عودا ومعدنا ونحاسا أو غيره او طينا او أجرا او زليجا او دورا او جدرانا، كل شيء من ذلك له روح حكمها حكم ما تقدم ذكرا وبقاء إلى الأبد لا تموت بموت جسدها وهدمه. وهذا كله من منشأ العالم إلى الأبد منسحب عليه هذا الحكم. ثم كل تلك الجمعية العظمى التي تقدمت في أول المرتبة الظاهرة تتضاعف على عدد هذه الألسنة في جميع العوالم ثم في 6.000 اخرى ثم في مراتب الذاكرين كما قدمنا. فإن مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر تلك الجمعية كلها، كل كلمة منه لا يقدر قدرها في الثواب ولا يحصى ثوابها من كل من كان من الأنبياء له لسان واحد ومن كل من كان قطبا فإن كل قطب من الأنبياء والصديقين له 366 لسان وغير القطب له لسان واحد.وانظر الملائكة العالين في عددهم وهم لا يحصى عددهم فإن السماوات السبع والأرضين السبع مملوءة بالملائكة وإن أضيفت إلى ملائكة الكواكب الثابتة كان نزرا قليلا وكذا نسبة ملائكة الفلك الثامن إلى الأطلس على هذا المهيع وأن حول العرش 600.000 سرادق والسرادق هو الصور. بعد ما بين كل سرادق وسرادق قدر مسافة السماوات والأرض وذلك 13.500 سنة وكلها مملوءة بالملائكة ومن وراء السرادقات 170.000 صف من الملائكة، وكل هذه الملائكة في ملائكة السور نزر قليل،ثم وراء العرش 70 حجابا محيطة به كإحاطة بيضة النعام، غلظ كل حجاب 70.000 عام سيرا وسعة ما بين كل حجاب وحجاب مسيرة 70.000 عام هواء وكل ذلك الهواء مملوءة بالملائكة لا تجد فيه قدر الأنملة فارغا. وبين الحجاب الأول والعرش 70.000 عام هواء كله مملوء بالملائكة ومن وراء العرش حجاب عالم الرقى. و كل حجاب فوق حجاب مثل الحجب التي فوق العرش حتى الشيخ العارف بالله تعالى السيد ابراهيم المتبولي إن كشفه انتهى إلى مشاهدة 700 حجاب وراء العرش يعني مثل الحجب السبعين في القدر والسعة. ثم عالم الرقا كله حجب مثل ما تقدم في السبعين حجابا إلى الطوق الأخضر المحيط بكورة العالم. ووراء الطوق الأخضر حجب كثيرة، بين كل حجاب وحجاب 70.000 حجاب كلها مملوءة بالملائكة وكل ملائكة الحجب من العرش إلى الطوق الأخضر إلى ما وراءه كلهم عالون و مرتبة كل ملك من العالين في الثواب كمرتبة النبي أو أقل بكثير أو تقرب منه . و لكل ملك من العالين 70 لسانا. فإذا زدت تلك الجمعية المتقدمة على كل لسان من ألسنة الملائكة العالين على كثرتهم إلى غير نهاية، كم يكون ثوابه، وهذا في كل مرة من الفاتح لما أغلق.

إلحاق: ثم من جملة ما تتلوه الأرواح ولا تفتر عنه دعاء: يا من اظهر الجميل من اول العالم إلى الأبد ثم التسبيح الذي يقدس الله تعالى به نفسه دائما. فالأرواح لا تفتر عنه. فأما يا من أظهر الجميل فذكر في الحديث أن الله تعالى يعطي ذاكره في كل مرة ثواب جميع الخلائق وهو عام لجميع الخلق في العوالم كلها من كل عابد وذاكر، فإذا كانت الأرواح تذكره من حين خلقت إلى الأبد ثم أخذت جمعية ذلك من كل روح وجمع وضوعف بالمضاعفات الثلاث المتقدمة، كم يبلغ ثوابه؟ ومثله التسبيح الذي يقدس الله تعالى به نفسه دائما تذكره الأرواح لا تفتر. وذكر في الحديث أن ثوابه في كل مرة ان يعطيه الله تعالى عبادة أهل السماوات والأرض. فإذا جمعت أذكار الأرواح بها من حين أنشأ الله العالم إلى

الأبد و ضوعف بالمضاعفات الثلاث كم يبلغ ثوابه؟ و في هذين الذكرين : يا من أظهر الجميل و التسبيح الذي يقدس الله تعالى به نفسه يستغرق جميع الثواب حتى ثواب الأنبياء والأقطاب والصديقين من غير ما يذكرونه بالاسم الأعظم فلا مدخل له فيه والباقي من الثواب كله داخل و يدخل فيه ثواب أعمال قلوبهم فإن ثواب عمل الصديق بإعطاء حقوق التجليات أدبا ووظائف، لو أضيف أعمال الجن والإنس وكثير من العوالم من منشأ العالم إلى قيام الساعة ما بلغت من عمل الصديق مقدار طرفة عين وجميع الصديقين لا يبلغ ثوابهم ثواب قطب واحد. وجميع الأقطاب من غير الأنبياء لا يبلغ ثوابهم ثواب نبي واحد من أعمال القلوب وهو حاصل لكل ذكر في هذين الذكرين، فاعتبرهما في الجمعية مع المضاعفات الثلاث كم تبلغ.ثم اعتبر أعمال جميع الملائكة العالين وثوابها من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى النفخ في الصور وهو داخل في ثواب يا من اظهر الجميل. واعتبر بقدر الجمعية التي تذكره جميع المخلوقات لا تفتر عنه من حين أنشأها الله تعالى إلى الوقت الذي ذكرت فيه صلاة الفاتح واعتبر جمعيته بالمضاعفات الثلاث من كل ملك عال كم يبلغ ثوابه.انتهى ما أردنا ذكره من ثواب المرتبة الظاهرة في الفاتح لما أغلق ونسبة ما ذكرناه من فضل مرتبتها الظاهرة بالنسبة لما لم نذكره منها كنقطة في بحر و ما ذكرنا فيها الا ما هو معلوم عند اهله. و ذلك لا يكتب في كتاب بل لا يكاد يذكر لخواص الخواص فضلا عن غيرهم. وهنا انتهى كلام الرماح . وأما فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلقا فمعلوم مشهور بين المسلمين ويكفي في ذلك قوله تعالى :(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).قال الشيخ جسوس في شرح الرسالة :وفي أمره تعالى بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد قوله :أن الله وملائكته يصلون على النبي ء إشارة إلى مزية هذه العبادة وشرفها على غيرها وذلك إن الله تعالى أمر بها بعد أن اخبر بأنه فعلها هو وملائكته المطهرون. وهذا شرف اختصت به من بين سائر العبادات والله تعالى اعلم. قال الشيخ الأكبر محي الدين الحاتمي :فالمصلي في الحقيقة هو الله تعالى جمعا وتفصيلا بواسطة وبغير واسطة ،ومن ذلك تعلم صلاة المومنين عليه وتسليمهم له ،فإنها من حيز التفصيل وحقيقة صلاتهم عليه قبولهم لهدايته وكماله ومحبتهم لذاته وصفاته فإنها إمداد له منهم وتكميل وتعميم للفيض إذ لو لم يمكن قبولهم لكمالياته لما ظهرت ولم يوصف بالهداية والتكميل .فالإمداد اعم من أن يكون من فوق بالتأثير و من تحت بالتأثير و ذلك كقبول المحبة والصفاء هو حقيقة الدعاء في صلاتهم بقولهم : اللهم صل على محمد و سلم. و تسليمهم جعلهم إياه بريئا من النقص والآفة في تكميل نفوسهم والتأثير فيها وهو معنى دعائهم له بالتسليم.وقال ابو الليث في مثل ما تقدم عن جسوس نصه :عن أبي عثمان الواعظ قال: سمعت سهل بن محمد يقول :الذي يشرف الله تعالى به محمد بقوله :إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية أتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر منه اشرف من تشريف تختص به الملائكة. حكاه الفاكهاني على أنهم نصوا على أن السجود لآدم صوري فقط وأما في الحقيقة فالسجود للنور النبوي الذي في صلب ادم عليه السلام. والى هذا يشير قول ابن الفارض:

و إني وإن كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وأصرح من هذا قول العارف بالله القطب الرباني سيدي علي وفا رضي الله عنه في داليته:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره   في وجه آدم كان اول من سجد

ومعنى قوله: صلوا أي ادعو الله تعالى بأن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم. قال في المسالك الحنفاء: فإن قلت ما الحكمة في أن الله عز وجل أمرنا أن نصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقول : الله مصل على محمد فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا يعني بأن يقول العبد في صلاته: أصلي على محمد. قال ابن خجلة: الحكمة في ذلك أنه لما أمرنا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولم نبلغ قدر

الواجب من ذلك أحلناه على الله عز وجل لأنه لا علم لنا بما يليق به، فهو كقوله: لا أحصي ثناء عليك. وعلل ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم طاهر لا عيب فيه ونحن فينا المعايب والنقائض، فكيف يثني من فيه المعايب على طاهر. فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر . انتهى. و بالجملة، ففضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا تحصى منها ما نص عليه القطب الجامع سيدي محمد بن سليمان الجزولي في " دلائل الخيرات" بقوله : وهي أي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أهم المهمات لمن يريد القرب من رب الأرباب. قال الصاوي في شرح " الصلوات الدرديرية" نقلا عن شارح " دلائل الخيرات" ما نصه : وجه أهمية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حق من يريد القرب من مولاه من وجوه منها: التوسل إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة). ولا وسيلة إليه أقرب ولا أعظم من رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم. ومنها أن الله تعالى أمرنا بها وحضنا عليها تشريفا وتكريما وتفضيلا لجلاله وتعظيما، و وعد من استعملها حسن المئاب و الفوز بجزيل الثواب. فهي من أنجح وأرجح الأقوال وأزكى الأحوال وأحظى القربات وأعم البركات . بها يتوصل إلى رضى الرحمن وتنال السعادة و الرضوان وبها تظهر البركات وتجاب الدعوات ويرتقى إلى أرفع الدرجات ويجبر صدع القلوب ويعفى عن عظيم الذنوب. وأوحى الله إلى موسى عليه الصلاة و السلام: يا موسى، أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك قال: نعم يا رب. قال: فأكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم.و منها أنه صلى الله عليه وسلم محبوب الله عز وجل عظيم القدر عنده، وقد صلى عليه هو وملائكته فوجبت محبة المحبوب والتقرب إلى الله تعالى بمحبته وتعظيمه والاشتغال بحقه والصلاة عليه والاقتداء بصلاته وصلاة ملائكته عليه ومنها ما ورد في فضلها من جزيل الأجر وعظيم الذكر وفوز مستعملها برضى الله وقضاء حوائج آخرته ودنياه، ومنها ما فيها من شكر الواسطة في نعم الله علينا المأمور بشكره. و ما من نعمة لله علينا سابقة ولاحقة من نعمة الايجاد والامداد في الدنيا والآخرة إلا وهو السبب في وصولها إلينا وإجرائها علينا. فنعمه علينا تابعة لنعم الله لا يحصرها عد كما قال سبحانه وتعالى:(و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها). فوجب حقه علينا في شكر نعمته ألا نفتر عن الصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه. ومنها ما جرب من تأثيرها والنفع بها في التنوير ورفع الهمة حتى انها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه حسبما حكاه الشيخ السنوسي في شرح " صغرى صغراه" والشيخ زروق. و أشار إليه أبو العباس أحمد بن موسى اليمني في جواب له. ومنها ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله، ففي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله ورسوله ولا كذلك عكسه. فلذلك كانت المثابرة على الأذكار والدوام عليها يحصل بها الانحراف وتكسب نورانية تحرق الأوصاف وتثير وهجا وحرارة في الطباع والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تذهب وهج الطباع وتقوي النفوس لأنها كالماء، فكانت تقوم مقام شيخ التربية أيضا من هذا الوجه.وفي كتاب ابن فرحون القرطبي: واعلم أن في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عشر كرامات، احداهن صلاة الملك الجبار. والثانية: شفاعة النبي المختار. والثالثة: الاقتداء بالملائكة الأبرار. الرابعة: مخالفة المنافقين والكفار. والخامسة: محو الخطايا والأوزار. والسادسة: العون على قضاء الحوائج والأوطار والسابعة: تنوير الظواهر والأسرار. والثامنة: النجاة من دار البوار. والتاسعة: دخول دار القرار. والعاشرة: سلام الرحيم الغفار. ثم فصلها كلها وذكر دلائلها. وفي كتاب " حدائق الأنوار في الصلاة و السلام على النبي المختار صلى الله عليه وسلم". الحديقة الخامسة في الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوائد التي يكتسبها ويقتنيها. الأولى: امتثال أمر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الثانية: موافقته سبحانه وتعالى بالصلاة

عليه صلى الله عليه وسلم. الثالثة: موافقة الملائكة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الرابعة: حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم بواحدة. الخامسة: أنه يرفع له عشر درجات. السادسة: يكتب له عشر حسنات، السابعة: يمحى عنه عشر سيئات. الثامنة: ترجى له إجابة دعوته. التاسعة: انها سبب شفاعته صلى الله عليه وسلم. العاشرة: انها سبب لغفر الذنوب وستر العيوب. الحادية عشر: انه سبب لكفاية العبد ما اهمه. الثانية عشر: أنها سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم. الثالثة عشر: انها تقوم مقام الصدقة. الرابعة عشر: انها سبب لقضاء الحوائج. الخامسة عشر: انها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلي. السادسة عشر: انها سبب زكاة المصلي والطهارة له. السابعة عشر:أنها سبب تبشير العبد بالجنة قبل موته . الثامنة عشر : أنها سبب النجاة من أهوال يوم القيامة . التاسعة عشر : أنها سبب لرده صلى الله عليه وسلم على المصلي عليه . الموفية عشرين : أنها سبب لتذكر ما نسيه المصلي عليه صلى الله عليه وسلم . الإحدى والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس وألا يعود على أهله حسرة يوم القيامة . الثانية والعشرون : أنها سبب لنفي الفقر عن المصلي عليه صلى الله عليه وسلم . الثالثة والعشرون : أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره صلى الله عليه وسلم . الرابعة والعشرون : نجاته من دعائه عليه برغم أنفه إذا تركها عند ذكره صلى الله عليه وسلم . الخامسة والعشرون : أنها تأتي بصاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها . السادسة والعشرون : أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . السابعة والعشرون : أنها سبب تمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الثامنة والعشرون : أنه يخرج العبد عن الجفاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . الموفية ثلاثين : أنها سبب لإبقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والأرض . الإحدى والثلاثون : أنها سبب رحمة الله عز وجل. الثانية والثلاثون : أنها سبب للبركة . الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم إلا به . الرابعة والثلاثون : انها سبب لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم للمصلي عليه صلى الله عليه وسلم . الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه . السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض المصلي عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنه صلى الله عليه وصلم . السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبيت القدم . الثامنة والثلاثون : أنها تأدية لأقل القليل من حقه صلى الله عليه وصلم وشكر نعمة الله التي أنعم بها علينا . التاسعة والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة إحسانه . الموفية أربعين : أن الصلاة عليه من العبد دعاء وسؤال من ربه عز وجل فتارة يدعو لنبيه صلى الله عليه وسلم وتارة لنفسه ولا يخفى ما في هذه المزية للعبد . الإحدى والأربعون : من أعظم الثمرات وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه انطباع صورته الكريمة في النفس . الثانية والأربعون : ان الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وصلم سبب الأزواج والقصور ويأتي في الحديث أنها تعدل عتق الرقاب والله أعلم . انتهى كلام الصاوي .وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمية ما نصه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وصلم ونرجو من ربنا الوفاء به أن نكثر من الصلاة والتسليم على رسول ا لله صلى عليه وسلم ليلا ونهارا ونذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب ونرغبهم فيه كل الترغيب اظهارا لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يجعلوا لهم وردا كل يوم وليلة صباحا ومساءا من 1.000 صلاة إلى 10.000 كان ذلك من أفضل الأعمال . قال : وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : صلاة الله تعالى على عباده لا يدخلها العدد لأنه ليس لصلاته ابتداء ولا انتهاء وانما دخلها العدد من حيث مرتبة العبد المصلي لأنه مقيد محصور بالزمان فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلة العبد وأخبر أنه تعالى يصلي على عبده بكل مرة عشرا فافهم .ويؤيد ما قلناه كون العبد يسئل الله تعالى أن يصلي على

نبيه دون أن يقول : اللهم إني صليت على محمد مثلا ، لأن العبد إذا كان يجهل رتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرتبة الحق تعالى أولى ، فعلم أن تعداد الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من حيث سؤالنا نحن لله تعالى لأنها مناجاة لله كالصلاة ذات الركوع والسجود وان لم تكن الطهارة شرطا لها في صحتها منه وصاحبها بين يدي الله عز وجل في محل القرب ، يسئل الله أن يصلي على نبيه وان كان الفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم أصالة فإنه هو الذي سن لنا أن نصلي عليه ليحصل للمصلي الصلاة من الله تعالى .
فمن واظب على ما ذكرناه كان له أجر عظيم وهو من أولى ما يتقرب به متقرب إليه صلى الله عليه وسلم . وما في الوجود من جعل الله تعالى الحل والربط دنيا واخرى مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن خدمه على الصدق والمحبة والصفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المومنين كما نرى فيمن كان عند ملوك الدنيا ، ومن خدم السيد خدمته العبيد وكانت طريقة نور الدين الشوني وطريقة العارف بالله أحمد الزواوي المدفون بدمنهور من أعمال الجبابرة ، فكان ورد الشيخ نور الدين الشوني كل يوم 10.000 وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي 40.000 صلاة . قال لي مرة: طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها. وما لم يقع لنا ذلك فلسنا من المكثرين للصلاة عليه صلى الله عيه و سلم.واعلم يا أخي أن طريق الوصول الى حضرة الله تعالى من طريق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أقرب الطرق فمن لم يخدمه صلى الله عليه وسلم الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله تعالى فقد رام المحال ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى. فحكمه حكم الفلاح اذا طلب الإجتماع بالسلطان بغير واسطة فافهم . فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على رسول اله صلى الله عليه وسلم ولو كنت سالما من الخطايا ، فان غلام السلطان أو عبده اذا سكر لا يتعرض له الوالي بخلاف من لم يكن غلاما له ويرى نفسه فوق خدام السلطان وعبيده وغيرهم ولا يدخل دائرة الوسائط. وما رأينا قط أحدا يتعرض لغلام الوالي اذا سكر أبدا اكراما للوالي .وكذلك خدام النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإستناد الخاص . وقد كان في زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشوني من هو أكثر علما وعملا و لكنه لم يكثر من الصلاة على رسول الله صلى عليه وسلم كما كان يكثر الشيخ ، فلم يكن ينهض له عمله وعلمه إلى التقرب الذي فيه الشيخ نور الدين . فكانت حوائجه مقضية وطريقته ماشية وسائر العلماء والمجاذيب تحبه . و والله ليس مقصود كل صادق من جمع الناس على ذكر الله إلا المحبة في الله ولا جمعهم على الصلاة على رسول الله صلى عليه وسلم إلا المحبة فيه فافهم.وقد قدمنا أوائل العهود أن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح العبد لمجالسته صلى الله عليه وسلم وأن من كانت له سريرة سيئة يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة لا تصلح له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان على عبادة الثقلين كما لا تنفع صحبة المنافقين ، ومثل ذلك تلاوة القرآن لا ينتفعون بها لعدم إيمانهم بأحكامه . وقد حكى الثعلبي في كتاب العرائس أن لله تعالى خلقا وراء جبل قاف لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ليس لهم عبادة إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .وقد حبب لي أن أذكر لك يا أخي جملة من فوائد الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم تشويقا لك لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وتصير تهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أشار إليه خبر كعب ابن عجرة : اني أجعل لك صلاتي كلها أي أجعل لك ثواب جميع أعمالي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إذا يكفيك الله تعالى هم دنياك

وآخرتك . فمن ذلك وهو أهمها : صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلى عليه وسلم . ومنها تكفير الخطايا وتزكية الأعمال ورفع الدرجات. ومنها مغفرة الذنوب واستغفار الصلاة عليه لقائلها. ومنها كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد والكيل بالمكيال الأوفى. ومنها كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل همته كلها عليه كما تقدم. ومنها محو الخطايا وفضلها على عتق الرقاب. ومنها النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله صلى عليه وسلم يوم القيامة ووجوب الشفاعة. ومنها رضى الله تعالى ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظل العرش. ومنها رجحان الميزان في الآخرة و ورود الحوض والأمان من العطش. ومنها العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت. ومنها كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم. ومنها رجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها . ومنها أنها زكاة وطهرة وينمو المال ببركتها. ومنها أنها تقضي بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر. ومنها أنها عبادة وأحب لأعمال إلى الله تعالى. ومنها أنها علامة على أن صاحبها من أهل الجنة. ومنها أن الملائكة تصلي على صاحبها مادام يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. ومنها أنها تزين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش. ومنها أنها يلتمس بها مظان الخير. ومنها أن صاحبها أولى الناس به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. ومنها أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها وكذلك من اهديت في صحيفته. ومنها انها تقرب إلى الله تعالى و إلى رسوله صلى الله عليه وسلم. ومنها انها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط. ومنها انها تنصر على الأعداء وتبرئ القلوب من النفاق والصدأ . ومنها رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وإن أكثر منها، في اليقظة وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعا في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأجور التي لا تخفى . انتهى.و عن حذيفة رضي الله عنه قال : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تدرك الرجل وولده ولد ما ولده. ذكره ابن بشكوال. انتهى. ويحكى عن ألشبلي رحمه الله تعالى قال :مات رجل من جيراني فرايته في المنام فقلت له :ما فعل الله بك فقال يا شبلي مرت بي أهوال عظيمة وذلك انه ارتج علي عند السؤال فقلت في نفسي : من أين أوتي علي؟ ألم أمت على الإسلام ؟ فنوديت: هذه عقوبة إهمالك للسانك في الدنيا . فلما هم الملكان حال بيني وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرني حجتي فقلت: ومن أنت يرحمك الله ؟ قال:أنا شخص خلقت من صلاتك على النبي صلى الله عليه وسلم وأمرت أن أنصرك في كل كرب.انتهى. ذكره ابن بشكوال من لوامع الأنوار للقسطلاني.وقال في الفتح المبين :الصلاة على سيد السادات من أهم المهمات في جميع الأوقات لمن يريد القرب من رب الارضين والسماوات وإنها تجلب الأسرار و الفتوحات و تصفي البواطن من جميع الكدرات و انها تتأكد في حق أهل البدايات وأرباب الإرادات وأصحاب النهايات ويستوي في الاحتياج اليها الطالب والسالك والمريد المقارب والطارف الواصل الطالب ترقيه و المريد تربيه والعارف تبقيه . وان شئت قلت :الطالب تعينه على السلوك والمريد ترفعه عند الشكوك والعارف تقول له :ها أنت وربك .وان شئت قلت: الطالب تزيده قوة و المريد تكسبه الفتوة و العارف تمسكه في مقام الهيبة.و ان شئت قلت الطالب تحمله و المريد تكمله و العارف تلونه. و ان شئت قلت الطالب تحبب إليه الإعمال والمريد تكسبه الأحوال و العارف تثبته في مقامات لا تزال . وان شئت قلت :الطالب تكسبه استنارة والمريد تمده بالعبارة والعارف تغنيه عن الإشارة .وان شئت قلت :الطالب يقوي بها إيمانه والمريد يكثر منها إيقانه والعارف يزداد منها عيانه. وان شئت قلت :الطالب تثبته والمريد تزيده والعارف تعينه .وان شئت قلت الطالب تكسبه الإطراق والمريد تفيض عليه الإشراق والعارف تؤيده عند التلاق.وان شئت قلت الطالب تزداد بها أنواره والمريد تفيض منها أسراره والعارف يستوي لديها ليله ونهاره . وان شئت قلت الطالب تحبب إليه الأعمال والمريد تصحح لديه الأحوال والعارف تؤيده عند الوصال. وان شئت قلت الطالب تزيده تشوقا والمريد تطربه تملقا والعارف يستمد منها

تحققا . وان شئت قلت الطالب تكسبه الأنوار والمريد تكشف له الآثار والعارف تلزمه الاضطرار و لا يكون له مع غير الله قرار.وان شئت قلت الطالب تشوقه بالمنامات والمريد تؤيده بالكرامات والعارف تحوله في المقامات .وان شئت قلت الطالب تؤيده بالثبوت والمريد تطلعه على غيب الملكوت والعارف تهيمه بالجبروت . وان شئت قلت الطالب تشوقه إلى اللقا والمريد تدعوه للملتقى والعارف تؤيده تحققا .انتهى .ولنورده هنا قصيدة الشيخ الحضرمي لما ضمنها رحمه الله تعالى من اغراء الاحباب على ملازمة خدمة هذا الجناب والتمسك بهذا الركاب وإدامة قرع هذا الباب وهي هذه :

صلاة ثم تسليم مجـــدد   على الهادي إمام الخلق أحمد
إذا شئت في الدارين تسعد   فكثر بالصلاة على محمــد
و إن صليت فابغ الأجر فيها   و شفع بالصلاة على محمـد
إن شئت القبول بها يقينــا   فتختم بالصلاة على محمـد
فلا صوم يصح ولا صلاة   لمن ترك الصلاة على محمد
و فعلك كله عقباه خيــر   إذا صليت فيه على محمـد
وقم في الليل وادع الله و ارغب   لربك بالصلاة على محمـد
وقل يا رب لا تقطع رجائي   و كن لي بالصلاة على محمد
فعجل بالمتاب على عبيـد   توسل بالصلاة على محمـد
يخاف ذنوبه لكن ويرجـو   أمانا بالصلاة على محمـــد
وكن لي عند خاتمتي فإنــي   سألتك بالصلاة على محمـد
فما تتضاعف الحسنــات إلا   بتكرير الصلاة على محمـد
وإن أبصرت قوما ليس فيهم   منيب للصلاة على محمـد
فجنب عنهم واطلب سواهم   و ذكر بالصلاة على محمد
فما الخيرات والبركات جمعا   ترى الا الصلاة على محمد
فما الخيرات و البركات الا   جميعا بالصلاة على محمـد
و خف مولاك في سر و جهر   و صل على الشفيع لنا محمد
وإن كانت ذنوبك ليس تحصـى   تكفر بالصلاة على محمـــد
و إن جاء الممات ترى امـورا   تسرك بالصلاة على محمـد
و عند القبر تظفر بالأمانــي   و ترحم بالصلاة على محمد
و لا تخش من الملكين رعبــا   اذا سألاك قل لهما محمـــد
رسول الله حقا اتبعنــــا   آمنا و صدقنا محمـــــد
وفي ضيق الضريح لك اتساع   و تلهم بالصلاة على محمـد
و في يوم الحساب إذا بعثنــا   تؤمن بالصلاة على محمـد
وتأتي الحوض تشرب منه كأسا   فتروى بالصلاة على محمـد
وتدخل جنة لا موت فيـــه   بما قدمت من ذكرى محمـد
فهذا كله من فضل ربـــي   هدانا بالصلاة على محمـــد
و تنعم بالنعيم وحور عيـن   بدار جارنا فيها محمــــد
و تنظر وجه ربك ذي الجـلال   بحفظك للصلاة على محمـد
فتحمده و تشكره كثيـــرا   على فضل الصلاة على محمد
رسول أبطحي هاشمـــــي   شفيع المذنبين غدا محمـــد
سلام طيب أرج بهيــــج   على المختار سيدنا محمـــد
أيا هادي الأنام و يا شفيـــع   و يا خير البرئية يا محمـــد
عسى منك القبول لحضرمـي   يخصك بالتحية يا محمـــد

انتهى . قلت:

أيا هـــادي البرايا يا حبيبي ... عمادي ناصري غوثي محمد

تول أمور عبد وهو عمــر ... لو عد منك يصدق يا محمــد

فأنت حياة نفسي ماء عيني ... وقوت روح أي والله احمــد

و يا خير البرايا كن شفيعـــا ... له دون انقطاع يا محمـــــد

فائدة في اعتبار كثرة الملائكة وأنهم أكثر جند الله تعالى: وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيه موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد او راكع. وروي أن بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر. وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر. وكل هؤلاء عشر ملائكة الأرض المكلفين. و كل هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا. و كل هؤلاء عشر ملائكة الثانية .ثم على هذا الترتيب إلى السابعة.ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل.ثم هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها 600.000 سرادق طول السرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما بينهما فإنما تكون شيئا يسيرا وقدرا صغيرا. وما من مقدار موضع قدم منها إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح و التقديس. ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحفون حول العرش كقطرة في بحر ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى. وقيل حول العرش 70.000 صف من الملائكة يطوفون به مهللين ومكبرين ومن ورائهم 70.000 قياما قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير. ومن ورائهم 100.000 صف قد وضعوا اليمين على الشمال ما منهم من أحد إلا وهو يسبح بما لم يسبح به الآخر. ثم كل هؤلاء في ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل عليه السلام نزر قليل. وقيل بين القائمتين من قوائم العرش خفقان الطير المسرع 80.000 عام وقيل في عظم العرش: أن له 366 قائمة قدر كل قائمة كالدنيا 1.000 مرة وبين القائمين 60.000 صحراء في كل صحراء 60.000 عام. وفوق العرش 70 حجابا في كل حجاب 70.000 عام وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام. وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا (بتشديد الراء والقاف) فإن هؤلاء الملائكة يصلون عشرا على من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة هكذا دائما أبدا كثر أو قلل. هذا في غير صلاة الفاتح لما أغلق. وأما هي فإن من صلى بها مرة واحدة فتكتب له بكل صلاة صدرت من كل ملك في العالم ب 600.000 صلاة مع صلاة كل ملك عليه عشرا. فهذا في عموم المؤمنين. انتهى كلام الرماح.و لأبي عبد الله الساحلي مؤلف بغية السالك قصيدة تنحو هذا المقصد نصها:

ملائكة الرحمن جل جلالــه ... تحف بقوم يذكرون محمــــدا

يقولون زيدوا من مدائح أحمد ... و جدوا ولا تنسوا من الذكر أحمدا

فجبريل والأملاك في درجاتهم ... غذاؤهم مثل الشفيع مسرمـــدا

وخدام ربي في السماوات كلها ... يصلون اكراما على عالم الهدى

وزمرة رسل الله كل بذكــره ... توسلوا للرحمن في موقف النـدا

و هل سيد السادات إلا نبينـا ... أتى رحمة للعالمين و سيـــدا

وما رافع للحجب إلا محمــد ... وما منقدي غير الحبيب من الردى

وما المصطفى المختار إلا مرفع ... و ذاكره أضحى بذكره سيــدا

و ما ذكر خير الخلق إلا مطهر ... لأدناس قلب قد أضر به الصـدا

و هل تثبت الظلماء في قلب ذاكر ... تلألأ بالنور العلي توقـــدا

و أي سناء مثل نور محمــد ... له أشرقت أرجاء قلب من اهتدى

تعلق بأذيال النبي ولذ بــــه ... تفز بجزيل الأجر يا طالب الهدى

و قد ضمن المختار للسالك الذي ... يصلي عليه ألف ذكر مقيــدا

يبشر بالجنان قبل وفاتـــــه ... بشارة تخصيص بذلك اوعـدا

و اما إذا صلاه في كل مطلـع فيبصر قبل الموت في الخلد مقعدا
و ليس بشارة كرؤية ناظـــر وان كانت البشرى يزال بها الردى
و اما الغنى للنفس لا فقر بعده فبالنصف من ألف فشأنك والهدى
و في مائة لا شك يحرم وجهـــه على النار يا هذا فعظم محمــدا
وبعد صلاة العصر من يوم جمعة يصلي ثمانون على علم الهــدى
فيغفر من أوزار ذاكر احمـــدا ثمانون عاما هكذا جاء مسنــدا
و أما جبان القلب في معرك اللقـا فيرجع بالهادي شجاعا و سيــدا
كما ان بالمختار يذهب بخلنـــا فإن لم تصدقنا فمد له اليـــدا
و كل صفات المجد يمنحها الفتى بذكر نبي في العلى بلغ المــدى
و ذكر حبيب الله لا شك عندنـــا طريق إلى الجنات فاسلك مجـددا
و رافق اخا الارشاد ينبئك ناصحا عن المسلك البر ولا تك مفــردا
و لذ بامام لا يفارق سنـة ودع قول من أضحى عن الرشد مبعدا
فما يرتقي السباق إلا بهـــذه ألا يا فتى فاسلك سبيلا مؤيـــدا
و أي طريق مثله وامامنـــــا أبو بكر الصديق بالصدق قلــدا
و ما فضل الصحب الكرام بصومه و لا بصلاة في الدجى تهجــدا
و لكن بسر قد أقر بصـــــدره به فاق أهل الأرض مجدا وسؤددا
و ما كان إلا مولعا متمسكـــا بذكر نبي طاب ذكرا ومولــدا
فلما تعالت في الأنام صلاتــــه على حبه اضحى العلي الممجدا
و لم يك مكثرا للأعمال ظاهــرا و لكنه للذكر دأبا تجـــددا
أتى عمر الفاروق يسأل أهلــــه عن أعماله في بيته يبتغي الهدى
فقالت و ربي ما رأيت بجسمــــه كثيرا من الأعمال يبغيه مقصدا
و ما ورده إلا ثلاثة عشــــرة من الركعات المحكمات تعبــدا
و لكنه قد كان يجلس دائمـــا بوجهه للبيت المكرم مقعـــدا
و يغض عينيه و يجعل رأســـه على ركبتيه ساهرا متهجـــدا
و يزفر زفرة تشم روائحـــا من الكبد الزكي أسا و تـود دا
و ما تلكم الزفرات إلا لأنـــه يردد بالقلب المبارك أحمـــدا
و من يلحق بالصديق في صلواته على حبه من ذا يزاحم مفــردا
يحق لطالب الرشاد اتباعـــه و هل فاز إلا من بأفعاله اقتــدى
فزاحم صفوف السالكين مصليا أيا ساحلي واذكر نبيك سرمــدا
فما يعصم الانسان من لجج الردا سوى ذكر مختار إلى الرشد أرشدا
فخذ منه وردا ألف ذكر عشيــة و ألفا إذا ما الصبح اشراقه بــدا
و لو أبصر الانسان بدر رشـاده لكان لذكر الهاشمي مـــرددا
فأنجاكم في الحشر في كل موطن من أهوالها من النبي تــزودا
ومنوا على أبصاركم بتأملي و طيبوا باشراق بوجه لكم بــدا
فقد طال ما كنتم تحبون رؤيتي و تدعون فيها قائمين ومنجـــدا
وكنتم من الأيام تبغون رؤيتي إلى يثرب من كل أرض تعمــدا
فهذا وصال ليس ينفك دائما و هذا نعيم لا يزال مؤبـــدا
من الله أرجو ان يفرحنا به إذا سبق الانجاد للمصطفى غــدا
ويجعلنا من خير قوم تسابقوا إليه وجدوا يطلبون محمـــدا
ويدخلنا الجنات في خير زمرة مع المصطفى المختار أعلى الورى غدا
صلاة واكرام عليه ورحمة وازكى سلام لا يزال مجـــددا

انتهت وهي في غاية الحث والتوكيد على ملازمة الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك طريق إلى الجنة ولكن بأدب تام من الطهارة وقصد الاجلال والتعظيم مع نية شكر الواسطة وذلك مأخوذ من قوله:

و ذكر حبيب الله لا شك عندنا   طريق إلى الجنات فاسلك مجددا

ورافق أخا الارشاد ينبئك ناصحا ...إلى و لذ بإمام لا يفارق سنة...الخ لأن أخا الإرشاد هو العارف بما تستحق الحضرة المصطفوية من الآداب والاجلال والاكبار دون غيره. ولذلك حرض الامام الساحلي رضي الله عنه على التعلق به و اللياذ باذياله وترك من قال بغير ذلك نص عليه بقوله: " ودع قول من اضحى عن الرشد مبعدا ". كالقائل بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تبرد المزاج وغير ذلك من الباطل. ويكفيك في هذا الباب ما صرح به في مجلي الأسرار والحقائق فيما يتعلق بالصلاة على سيد الخلائق في الفائدة الأولى ونصه:وفي الحديث : من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب . ذكره في الشفا. وفي رواية: تصلي عليه والصلاة عليه في الكتاب محتملة لكتابتها وهو أظهر ولقراءتها وهو أرجى. قاله سيدي أحمد زروق ونقله جسوس في شرح الرسالة. قال الحطاب: وظاهر الحديث وكلام العلماء أن الثواب المذكور لا يتوقف على التلفظ بها حين الكتابةهـ. نقله الشيخ الطيب في " شرح المرشد" وابن عبد السلام الفاسي في " شرح اللامية" وقال عقبه: فعليه، فمن تلفظ بها حال الكتابة حصل له أجران أجر التلفظ و أجر الكتابة وفضل الله أوسع من هذا كله. فلله أن يعطيه أجرا على سماعه من نفسه صلاته على نبيه فتحصل له ثلاثة أجور وله أن يزيده أجر نظره اليها مكتوبة عند كتابته لها، فتكون أربعة والفضل اوسع والعمل بالنيات انتهى.و في الحديث أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في صحيح مسلم وغيره: من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا. وما أعظم قدر هذه العبادة التي تكون سببا يتوصل بها العبد، الى صلاة سيده عليه مضاعفة وما أربحها تجارة يبلغ العبد بها من مولاه هذه المساعفة. و غير مستغرب ذلك بواسطة جاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن عطاء الله رضي الله عنه: من صلى علي مرة واحدة كفاه هم الدنيا والآخرة فكيف بمن صلى عليه عشرة؟ وقد ورد أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك؟ قال: نعم يا رب. قال: فأكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم. وروى القشيري في رسالته بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنها قال: اوحى الله إلى موسى عليه السلام أني جعلت فيك 10.000 سمع حتى سمعت كلامي و 10.000 لسان حتى أجبتني وأحب ما تكون إلي وأقربه إذا أكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم. وقال القاضي أبو عبد الله السكاكي:اعلم أن الصلاة من الله رحمة ومن رحمه الله رحمة واحدة فهو خير له من الدنيا وما فيها فما الظن بعشر رحمات كم يرفع الله بها من البلايا والمحن ويستجلب ببركتها من لطائف المنن. ثم نقل ما تقدم عن ابن عطاء الله ثم قال: وقال ابن شافع: انبسط جاهه صلى الله عليه وسلم حتى بلغ المصلي عليه هذا الأمر العظيم وإلا فمتى يحصل لك أن يصلي الله عليك؟ فلو عملت في عمرك كله من جميع الطاعات ثم صلى عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على ما عملت في عمرك كله من جميع الطاعات لأنك تصلي على حسب وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته، هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشرا بكل صلاة. ونقل القاضي عياض في الاكمال عن بعض من رآه من المحققين انه كان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا إن ذلك انما هو لمن صلى عليه محتسبا مخلصا قاضيا حقه بذلك إجلالا له وحبا فيه لا لمن يقصد في ذلك حظ نفسه من الثواب أو رجاء الإجابة لدعائه. قال: وهذا عندي فيه نظر. انتهى. كلام الإكمال.قلت ومعنى قول عياض فيه نظر أي في التقييد بقصد الاحتساب وقضاء حقه صلى الله عليه وسلم أي

والصواب ان ذلك الفضل العظيم والخير الجسيم الذي هو صلاة الله على من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يحصل بفضل الله ولو لمن قصد حظ نفسه من الثواب أو رجاء الاجابة لدعائه والله أعلم. وفي خبر ذكره ابن سبع أنه مكتوب على ساق العرش: من اشتاق إلي رحمته ومن سألني اعطيته ومن تقرب إلي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وفي حديث ذكره صاحب كتاب القربة عنه صلى الله عليه وسلم إذا صلى العبد علي صلاة نادى مناد: صلى الله عليك عشرا فيسمعه أهل السماء الأولى فيقولون : صلى الله عليك مائة. فيسمعه اهل السماء الثانية فيقولون: صلى الله عليك بها مائتين. فيسمعه اهل السماء الثالثة فيقولون: صلى الله عليك بها ألف مرة فيسمعه اهل السماء الرابعة فيقولون: صلى الله عليك بها ألفي مرة فيسمعه أهل السماء الخامسة فيقولون: صلى الله عليك به ثلاثة آلاف فيسمعه أهل السماء السادسة فيقولون: صلى الله عليك بها أربعة آلاف مرة فيسمعه أهل السماء السابعة فيقولون: صلى الله عليك بها خمسة آلاف مرة. فيقول الرب تبارك وتعالى : دعوا ثواب هذا العبد المصلي على نبيي كما عظم نبيي وصلى عليه بطيب نفس أن أغفر له كل ذنب.وروى الطبراني وابن عاصم عن أبي كامل عبد الله بن مالك قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا كامل: من صلى علي كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا وشوقا إلي كان حقا على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة، وذلك اليوم. وذكر أبو القاسم الرصاع في كتابه تحفة الأخيار: عن سيدنا علي كرم الله وجهه: قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: قال لي جبريل عليه السلام: يا محمد، إن الله تعالى: يقول: من صلى عليك عشر صلوات استوجب الأمان من سخطي. وذكر جلال الدين السيوطي في كتابه الحاوي عن سيدنا علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حج حجة الاسلام وغزا بعدها غزاة كانت له بأربعمائة حجة فانسكرت قلوب قوم لايقدرون على الجهاد فأوحى الله تعالى إليه: ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزاة وكل غزاة بأربعمائة حجة. ومن فضائلها أن بعضهم قال: انها الصلاة الوسطى المأمور بالمحافظة عليها بالخصوص. وهذا أحد الأقوال العشرين في تعيينها. ومشهور مذهب مالك والشافعي أنها الصبح.

تنبيه: هذه الفضائل الباهرة والفواضل السارة حاصلة بفضل الله حتى لمن قال مثلا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الحطاب: أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة فقال: الذي أعتقده أن قوله صلى الله عليه وسلم: من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ليست لمن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي لمن صلى عليه وسلم عليه كما علم مما نصصناه. انتهى. وقد ذكر السخاوي منامات كثيرة تدل على حصول الثواب الكثير في اللفظ المذكور والله أعلم. انتهى كلام الحطاب . نقله في شرح الدليل.قلت : وكلام الحطاب هو الظاهر في الاعتبار وتدل عليه ظواهر الأخبار والله أعلم. انتهى.وفيه أيضا في الفائدة الثانية ما نصه: وسئل الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى المشرع اليمني رضي الله عنه عن قراءة القرآن وعن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي قرآن القرءآن وفرقان الفرقان أي تنتج لصاحبها شهود الذات في حقائق الصفات وحقائق الصفات في معاني الذات انتهى.وفي ذلك رمز إلى خصوصية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأذكار. وحكى الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده عن شيخه أبي العباس ابن عقبة الحضرمي رضي الله عنه أنه كتب له يوم وداعه: و عليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى. إذا لم يلق الطالب شيخا مربيا فقد سمعت في سنة 846 بالحرم الشريف رجلا صالحا روى لي ذلك عن رجل من أهل الصدق مع الله وكلاهما معروفان رأيتهما. قال الشيخ زروق: قلت: وذلك يرفع همة المتوجه وإن كان في مقام التخليط لأنه نور كله، يعني الذكر والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والنور من طبعه ينفي الظلمة . فهي أعظم فائدة والحمد لله. انتهى.نقله في

شرح عقود الفاتحة ونقل بعضه العارف أبو زيد الفاسي في حواشي الصغرى.ونقل أيضا عن السيوطي في بعض تئاليفه عن بعضهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ابن سيناء وعن الغزالي وعن ابن الخطيب الرازي فأثنى على الغزالي خيرا كثيرا وقال في ابن الخطيب: إنه معاتب وقال في ابن سينا: انه رجل أراد أن يصل إلى الله تعالى من غير واسطتي فانقطع عن الله. قلت: وقد كنت سئلت سؤالا فأجبت بهذا المعنى ونص بعضه:

أمولاي هل طب لديكم لمدنف — أشيب قفاه في اقتفاء القبائـح

أطاع الهوى لما أطاع قرينـه — و قد رسخت أجداده في المدائح

فأجبت السائل بقولي:

تيمم إلى شيخ يهـــــذب ما نئـــا — عن الفوز باستيعاب سيرة صالح

و الا تجده يا أخي فواظب الصلاة — على المختار مســـدي المنائـــح

فقـــد جاءنا عن سادة أن من بهــا — تعـود أغنت عن مرب و ناصـح

ثم قال الفاسي في شرح الدليل وفي كتاب ابن فرحون القرطبي : و اعلم أن في الصلاة على النبي إلى ءاخر ما تقدم عن الصاوي من كلام الحدائق. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الصلاة على المصطفى أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب. وقال المحقق الشيخ الطيب ابن كيران في شرحه للحكم: ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أنها تنور القلب وبقدر ذلك يقبل صاحبه على الخير والاستقامة وينشأ عن ذلك النور نور حسي لخبر ابن وداعة عن ابن عمر رفعه: أكثروا من الصلاة علي فإنها نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة. وفي رواية: الصلاة علي نور يوم القيامة عند ظلمة الصراط ومن أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. ومنها تطهير القلب من النفاق كما في حديث ذكره العزفي ومنها تفريج الهموم وتكثير الأرزاق وقضاء الحوائج لخبر: من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة علي. الحديث. ومنها تكفير الذنوب و رفع الدرجات لخبر أحمد وغيره عن أنس مرفوعا: من صلى علي واحدة صلى الله بها عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات. ثم قال الشيخ الطيب: ومنها نيل الشفاعة. أخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رفعه: من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة ومنها: قلع الأغيار من القلب فإذا تجلى منها أشرق فيه نور جماله الحسي و المعنوي ومنها إحسانه وهما سبب المحبة فتقوى محبته في القلب فلا يبقى له غرض إلا رضاه ويميز بسبب ما أشرق فيه من النور بين الحقائق فيدركها على ما هي عليه بلا التباس فيظهر له الحق حقا والباطل باطلا إدراك تمكن كالمرآة الصقيلة تظهر فيها الأشياء على ما هي عليه فيزعجه ذلك للعمل بما جاء به ويصير هواه متبعا له. ومنها أن من لم يكن له شيخ يربيه ويرقيه فلازمها فإنها تهذبه وتربيه وترقيه وتوصله. ذكره زروق عن شيخه أبي العباس الحضرمي والسنوسي عن بعض أئمة التصوف وقاله المشارع اليمني. ومنها تقوية اليقين قاله ابن عباد منها انها تفتح من كيمياء السعادة أبوابا لا يفتحها غيرها. قاله ابن حجر.فملازمتها تنقل النفس الأمارة وهي كالرصاص والنحاس إلى لوم صاحبها على التقصير والمخالفة فتصير لوامة وهي حالة وسطى كالفضة،ثم تنقلها إلى الاطمئنان تحت الأمر والنهي من غير أن يبقى لها ميل إلى المخالفة والتقصير فتصير مطمئنة وهي كالذهب الابريز. وقد تنقل الأمارة إلى الاطمئنان ابتداء من غير واسطة باعتبار قوة الداعي ومنها التعرض لنفحات المزيد بذكر حبيب الله وأكرم الخلق على الله. وفي الحديث : إن الله نفحات فتعرضوا لها. والمراد بالنفحة انصباب الرحمة والسكينة ومنها استجابة الدعاء. قال الرصاع : من صلى عليه أحاطت به الرحمة ومن أحاطت به الرحمة كيف لا تجاب له الدعوة، وإذا كان الدعاء مقبولا عند ذكر الصالحين فكيف بمن هو رحمة للعالمين. انتهى المراد من كلام الشيخ الطيب رحمه الله تعالى.قال صاحب مجلي الأسرار والحقائق: وقد نص جماعة من العلماء الأجلة الذين هم في سماء الفضائل أهلة

على ان النبي صلى الله عليه وسلم جليس ذاكره ومقبل على مسامره ومن كان النبي صلى الله عليه وسلم جليسه وسميره كيف تحوم حول حماه الشقاوة أو تحتوي على قلبه القساوة. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : هم القوم لا يشقى جليسهم.فهم ولا شك، أ ن المحدث عنهم إنما نالوا ذلك بمدده الساري فيهم، وذاكره صلى الله عليه وسلم محفوف بالرحمة ومتحوف بأجل نعمة، وإذا كانت الرحمة تتنزل عند ذكر الصالحين كما قاله ابن عيينة وعقده من قال:

أذكر حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم تتنزل الرحمات

وأصحبهم تنل العلاء بقربهـم وقبورهم زرها إذا ماتـوا

فما بالك بسيدهم وسندهم ومددهم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

ذكرالحبيب لا يمل أبدا على التمادي أبـــدا مؤبـــدا

هو الحياة للقلوب وبـه نحظى ونرقى لمراقي السعدا

و قال العارف الفاسي في حواشي الصغرى : وطريق أئمتنا الصوفية مبنية على الصلاة على النبي الله عليه وسلم. فقد قال سيدنا الشاذلي رضي الله عنه: صلاة واحدة عليه صلى الله عليه وسلم تفرج كل هم وشدة في الدنيا و الآخرة. انتهى كلام العارف. ثم قال: ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رؤياه نوما وتكثر بكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حتى يصبر المصلي عليه يشاهد صورته الكريمة في غالب أوقات نومه ذكره غير واحد. قال الساحلي: و وراء هذا أن يراه عيانا بعيني رأسه في عالم الحس ولا تنكر هذا فإنه من جائز الكرامات التي يتحف الله بها أولياءه انتهى.قال: وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه أن يجعلوا أورادهم كلها صلاة عليه صلى الله عليه و سلم لما علم لهم في ذلك من الفضل والثواب. و روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: رأيت حمزة وجعفر بن أبي طالب في المنام فقلت لهما: ما وجدتما أفضل الأعمال؟ قالا :قول لا إله إلا الله. قلت: ثم ماذا؟ قالا: الصلاة عليك. قلت ثم ماذا؟ قالا: حب أبي بكر وعمر. و كان سيدنا علي رضي الله عنه لا يلقاه أحد إلا وهو يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ويقول: لو لا أن أنسى ذكر الله أي، أن أكون تاركا لذكره ما تقربت إلى الله إلا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. و قال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه في السفر والحضر. وقال سيدي عبد العزيز الدباغ نفعنا الله به كما في الابريز: لا شك أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال. وهي ذكر الملائكة الذين هم على أطراف الجنة. ومن بركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كلما ذكروها زادت الجنة في الاتساع فهم لا يفترون عن ذكرها والجنة لا تفتر عن الاتساع. فهم يجرون والجنة تجري خلفهم ولا تقف الجنة عن الاتساع حتى ينتقل الملائكة المذكورون إلى التسبيح ولا ينتقلون حتى يتجلى الحق سبحانه لأهل الجنة في الجنة، فإذا تجلى لهم وشاهده الملائكة المذكورون أخذوا في التسبيح فإذا أخذوا فيه وقفت الجنة واستقرت المنازل بأهلها ولو كانوا عندما خلقوا أخذوا في التسبيح لم تزد الجنة شيئا. فهذا من بركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى. قال الحطاب: ذكر ابن حجر أن بعض الصالحين ذكر له أن من أعظم الأسباب الدافعة للطاعون وغيره من البلايا العظام كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأنه ذكر ذلك للشيخ شمس الدين خطيب بيروت فاستصوبه واستدل له بحديث أبي بن كعب أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أجعل لك نصف صلاتي. الحديث، وفي آخره: أجعل لك صلاتي كلها قال: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك. أخرجه الحاكم وصححه وسنده قوي. انتهى. نقله شيخنا أبو عبد الله جنون في تعليقه على الموطأ. و قال البوصيري في داليته:

و تزود التقوى فإن لم تستطع فمن الصلاة على النبي تزود

و لبعضهم:

إن شئت من بعد الضلالة تهتدي صل على الهادي البشير محمد

يا فوز من صلى عليه فإنـــه   يحوي الأماني بالنعيم السرمـد
يا قومنا صلوا عليه فتظفــروا   بالبشر و العيش الهني الأرغـد
صلوا عليه و ارفعوا أصواتكـم   يغفر لكم من يومكم قبل الغــد
و يخصكم رب الأنام بفضلـــه   بأفاضل الجنان يوم الموعـــد
صلى عليه الله جل جلالـــه   ما لاح في الآفاق نجم الفرقـد

ولآخر:

ألا أيها الراجي المثوبة و الأجرا   و تكفير ذنب سالف أثقل الظهـرا
عليك باكثار الصلاة مواظــبا   على أحمد الهادي شفيع الورى طرا
و أفضل خلق الله من نسـل آدم   و أزكاهم فرعا و أشرفهم فخــرا
فقد صح أن الله جل جلالـــه   يصلي على من قالها مرة عشــرا
فصلى عليه الله ما جنت الدجى   و أطلعت الأفلاك في أفقها فجـرا

ولآخر:

حب الرسول على الأنام فريضة   جبلوا على حب الرسول الأكرم
إن الصلاة على النبي وسيلـــة   فيها النجاة لكل عبد مسلـــم
صلوا على القمر المنير فإنـــه   يجلوا الظلام عن الفؤاد المظلـم

ولآخر:

أما الصلاة على النبي فسيرة   محمودة تمحى بها الآثـــام
و بها ينال المرء عز شفاعة   يسدى بها الاعزاز و الاكرام
كن للصلاة على النبي ملازما   فصلاته لك جنة و ســلام

ولآخر:

أيا من أتى ذنبا و فارق زلـة   و من يترجى الحسنى من الله و القربا
تعاهد صلاة الله في كل ساعة   على خير مبعوث و أكرم من نبـــا
فتكفيك هما أي هم تخافـــه   وتكفيك ذنبا جئت أعظم به ذنبـــا
و من لم يكن يفعل فإن دعاءه   يجد قبل أن يلقى إلى ربه حجبـــا

ولآخر:

إذا أمّلت من مولاك قربا   فجدد ذكر خير الأنبياء
وصل عليه أول كل قول   وءاخره بصبح والمساء

وللساحلي رحمه الله تعالى ورضي عنه:

واصل بين ذكر المصطفى والهه   وإياك أن تنسى نبيك في الدهـــر
فما فاز من قد فارق البدر لمحة   و هل فاز إلا من تمسك بالبـــدر
تعلق بأذيال الذين تفرغـــوا   لخدمة هذا المصطفى كأبي بكـــر
فما فارق الصديق ذكر محمـد   و إن كان في الأفراد كالكوكب الدري
و ما نال تصديقا بغير حبيبـه   فدع قول بدعي تدنس بالـــوزر

أشار بقوله: فدع قول بدعي الخ ... للرد على بعض الجهلة المحرومين في قوله: لا ينبغي للذاكر لكلمة التوحيد أن يزيد محمد رسول الله، ولقد اعتنى بالرد على هذا المبتدع جماعة كالسنوسي والعارف أبي زيد الفاسي وغيرهما. قال السنوسي في شرح الصغرى: وهكذا ينبغي في كل ذكر من أذكار الله تعالى ألا يغفل فيه المؤمن على ذكر سيدنا ومولانا محمد

صلى الله عليه وسلم إما بأن يصلي عليه إثره أو يقر برسالته مع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك مما يوجب تعظيمه والتمسك بأذياله، إذ هو صلى الله عليه وسلم باب الله الأعظم الذي لا ينال كل خير الدنيا والآخرة إلا بالتعلق به فمن غفل عن ذكره و التمسك بشريعته صلى الله عليه وسلم لم ينل مقصده وكان مرميا به في سجن القطعية محروما من خير الدنيا والآخرة. و سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه و سلم هو دليل الخلق إلى الله تعالى، فكيف يصل إلى الله تعالى من غفل عن ذكر دليله؟ وقد قال بعض من طبع الله على قلبه ممن يتعاطى التصوف وليس هو من اهله مقالة قريبة من الكفر أو هي الكفر بعينه: ان الإكثار من ذكر النبي صلى الله عليه و سلم حجاب عن الله تعالى وقد سبك بعض الضالين مثل هذه العبارة فقال: إذا أفردت التهليل عن إثبات الرسالة كان أبلغ وأسرع في تأثير معنى التوحيد واحتج لضلاله وتسويل شيطانه بأن قال: للتهليل معنى ولاثبات الرسالة معنى، وإذا اختلفت المعاني على الباطن ضعف التأثير وبعدت الثمرة. قال: وإنما يحتاج إلى وصل الذكرين عند الدخول في الاسلام. قال بعض الأئمة الراسخين رضي الله عنهم: وهذه المقالة والعياذ بالله تعالى من الفتن التي لا مورد لها غير النار ولا عقبى لها سوى دار البوار وما ذلك إلا مكر واستدراج إلى رفض الشريعة والانحلال من ربقتها وتعطيل رسومها. ولو علم هذا الضال ما تحت قوله: محمد رسول الله من الأسرار التوحيدية والحكم التهليلية لانقشع عنه ذلك العمى وأصاب المرمى. انتهى كلام السنوسي رحمه الله.

تنبيه: سئل الإمام الراسخ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي محمد بن علي بن مرزوق العياشي رحمه الله تعالى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الأزقة والطرقات فأجاب بأن ذلك من خلاف الأولى. قيل له: فما بال ذكر الله تعالى مندوب إليه هنالك في غير ما حديث؟ فعلل ذلك بأن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه على هيئتها حتى من الزمان والمكان فيطلب من المصلي حينئذ أن يتحرى لها المكان الطيب الطاهر النظيف. انتهى.و هذا كان شأن الصادقين في محبته صلى الله عليه وسلم. نفعنا الله بهم وجعلنا منهم. فقد روي عن الإمام مالك رضي الله عنه أنه كان يتطهر ويتطيب لقراءة الحديث تعظيما لذكره صلى الله عليه وسلم ولدغته عقرب يوما نحو 16 مرة وهو يقرأ الحديث فما تنحى عن موضعه لاستغراق قلبه مع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا من غلبة المحبة حتى لم يبال بنفسه و إلا فهذا أمر ينكر شرعا. رضي الله عنه ونفعنا به.و الأخبار في هذا كثيرة، وحكي عن بعضهم أنه كان لا يذكر اسمه صلى الله عليه وسلم إلا وهو على طهارة تعظيما لجاهه العظيم وقدره العالي الفخيم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.ثم قال في الفائدة السادسة في حكمة مشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قال العلامة الأديب النقاد سيدي حمدون بن الحاج في شرحه لنظمه المسمى بعقود الفاتحة الذي عارض به البردة نقلا عن ابن عطاء الله ما نصه: ولعل سر مشروعية الصلاة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن روح الانسان ضعيفة لا تستعد لقبول الأنوار الالهية فإذا استحكمت العلاقة بين روحه وروح الأنبياء بالصلاة فالأنوار الفائضة من عالم الغيب على أرواح الأنبياء تنعكس على أرواح المصلين عليهم. انتهى كلام ابن الحاج. وقال سيدي يوسف الفاسي في شرح التثبيت: واختلف في الحكمة في أمر الله سبحانه ايانا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال القشيري في تفسيره: أراد سبحانه أن يكون للأمة عند رسولها يد خدمة يكافئها عليها من الشفاعة بيد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافأ سبحانه عنه على لسانه عليه السلام: من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات انتهى.و قال الحليمي: المقصود بالصلاة التقرب إلى الله تعالى و قضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا انتهى. وتبعه ابن عبد السلام في شجرة المعارف فقال: ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يتشفع لمثله ولكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء، فأرشدنا الله تعالى إلى الصلاة عليه لما علم

عجزنا عن مكافأة نبينا ونحوه للمرجاني. انتهى كلام شارح التثبيت. فتحصل أن في حكمة مشروعيتها ثلاثة أوجه، ولا ينبغي ان تجعل أقوالا كما يوهمه شارح التثبيت بل هذه نكت وهي لاتتزاحم وان ظهرت نكتة أخرى زيدت على هذه الثلاث والله اعلم.و لهذه الحكمة نص صاحب مجلي الأسرار على تحقيق معنى ما اشتهر في القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقوله: اعلم أنه اشتهر أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا بخلاف غيرها من سائر الأعمال ويدل لهذا في الجملة ما أخرجه أبو الشيخ والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدعاء محجوب عن الله تعالى حتى يصلى على محمد وأهل بيته. وقوله صلى الله عليه وسلم: اجعلوني في أول الدعاء وفي آخر الدعاء. وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البزار وأبو يعلى والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه أو إلى وضوء توضأ وإلا أهرقه، ولكن اجعلوني في وسط الدعاء وأوله وآخره. وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما أخرجه الترمذي : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يرفع منه شيء حتى يصلى على نبيك صلى الله عليه وسلم. قلت: هذا إذا لم يكن مرفوعا فحكمه الرفع لأنه لايقال من قبل الرأي كما علم في صناعة الحديث وقول أبي سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجته فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم أولا وآخرا فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع ما بينهما. وكل الأعمال فيه المقبول و المردود إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنها مقبولة غير مردودة. وقال في الشفا: الدعاء بين الصلاتين لا يرد . انتهى.و الأحاديث في هذا كثيرة جدا متباينة الألفاظ. وحكي عن بعض العارفين رضي الله عنهم قال: صليت ليلة فنسيت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد فغلبتني عيناي فنمت فرأيته صلى الله عليه وسلم فقال لي: نسيتنا من الصلاة علينا. فقلت: يا رسول الله اشتغلت بالثناء على الله. فقال لي: أما علمت أن الله لا يقبل الثناء عليه إلا بالصلاة علي ولا يقضي الحاجات إلا بالصلاة علي ولا يجيب الدعاء إلا بالصلاة علي؟ وقد سئل عن مسألة القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الشيخ سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله تعالى فقال في جوابه: قد رأيت ذلك منصوصا للشاطبي صاحب الألفية و كنت أستشكله بأنه لو قطع بقبول ذلك لقطع للمومن المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الخاتمة، وهي خفية مجهولة. وكنت أجيب بأن معنى القطع بقبولها أنه إذا قضى الله تعالى للمصلي بخاتمة الايمان وجد حسنة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقبولة لا ريب فيها بفضل الله، بخلاف سائر الحسنات، فإنها لا يوثق بقبولها وإن مات صاحبها على الايمان. ويحتمل ان يكون معنى قبولها على القطع أنها إذا صدرت من صاحبها على سبيل المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم أنه يقطع بحصول انتفاعه في الآخرة ولو بتخفيف العذاب ولو على سبيل الخلود المؤبد. وانظر إلى انتفاع أبي لهب بسقيه من نقرة الابهام او تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب عتقه الجارية التي بشرته بولادة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.وإذا حصل هذا الانتفاع بسبب الحب الطبيعي وإن كان لغير الله تعالى فكيف بحب المؤمن لهذا السيد وصلاته عليه صلى الله عليه وسلم. انتهى كلام السنوسي. وللحافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر في هذا المعنى:

إذا كان هذا كافـــــرا جاء ذمــه   و تبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنـــــه في يوم الاثنين دائمــا   يخفـف عنه للسرور بأحمـدا

فما الظن بالعبد الذي عاش عمره   بأحمد مسرورا و مات موحدا

و قد نقل استشكال السنوسي وجوابيه العلامة سيدي حمدون بن الحاج في شرح عقود الفاتحة وسلمه ونقله أيضا العلامة الشيخ الطيب بن كيران في شرح المرشد وقال عقبه: قلت: الظاهر أن مرادهم أنها دعاء مقبول مقطوع الاجابة للمدعو له فيزيده الله رفعة وشرفا

بسببها، لا أنه يقطع بالثواب للمصلي. انتهى كلام الشيخ الطيب. وهذه الأجوبة كلها لم تصب صوب الصواب. أما جواب الامام السنوسي فقد اعترضهما العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي في أواخر كتابه الذهب الابريز بأنهما في الحقيقة احتمالان عقليان لا دليل عليهما من الشرع فلا يقبلان في باب القبول الذي لا يعلم إلا من قبل الشارع فكان الواجب على الامام السنوسي بذل الجهد في تعيين النص على ما ذكر، فإن وجد فذاك، فالعقليات لا دخل لها في أمور الشرع، وبأن ما ذكره من القياس على أبوي طالب ولهب غير تام فإن النصوص من الكتاب والسنة تكاثرت باحباط عمل الكافر وأن الايمان شرط في القبول و أبو طالب ولهب خرجا من ذلك بنص فعدل بهما عن سنن القياس. فلا يقاس عليهما لأن من شرط المقيس عليه على ما تقرر في الأصول ألا يعدل به عن سنن القياس. هذا محصل كلام العلامة المذكور. ثم نقل عن السيوطي وابن حجر والسمهودي تضعيف ما اشتهر من حديث: عرضت علي أعمال أمتي فوجدت منها المقبول والمردود إلا الصلاة علي.و أما جواب الشيخ الطيب فإنه غير صواب أيضا لأن كلامنا في المصلي لا المصلى عليه والاصواب ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أرجى من سائر الأعمال في القبول، وعلى هذا انفصل سيدي أحمد بن مبارك واقتصر عليه سيدي المهدي الفاسي في شرح الدليل وهو الذي أجاب به العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي لما سئل عن هذه المسألة. نقل جوابه الشيخ جسوس في شرح الرسالة وهو الذي ارتضاه بعض المحققين من اشياخنا والله تعالى أعلم. انتهى من الفائدة التاسعة من مجلي الأسرار.و مما يؤيد القول بالقبول ما صرح به خاتمة المحققين الشيخ الأمير في ضوء الشموع حاشية المجموع نصه: قال أبو اسحاق الشاطبي: انها من الأعمال المقطوع بقبولها لا يبطلها رياء ولا غيره، واستشكله السنوسي بم اتقدم انتهى.و قال حجة الله في أرضه سيدنا وأستاذنا القطب المكتوم مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه في آخر شرح جوهرة الكمال ما نصه: وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فليس فيها إلا التلفظ بها باستصحاب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسية ثوبا وجسدا ومكنا وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن، فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلي عليه، ومن صلى الله عليه مرة لا يعذبه. ولا وسيلة عند الله أعظم نفعا وأرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وإن تدافعت العلماء في القطع بقبولها، فمن قائل بأن قبولها قطعي ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال. و الذي نقول به أنها مقبولة قطعا. والحجة لنا في ذلك أن الله تعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه، وهذا الوعد من الله صادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم وقيامه عنه بالمكافأة لمن صلى عليه صلى الله عليه وسلم. لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء وهو معنى قبول الصلاة من العبد. وبالله التوفيق. انتهى كلامه رضي الله عنه وهو أوضح من كلام غيره في جواب هذه المسألة.وبيان اعتبار حيثية شدة العناية منه تعالى بنبيه وقيامه عنه لأنه صلى الله عليه وسلم المدد الساري المفاض على كافة الوجود، والشيء الذي يفيضه هو مدده الساري في جميع الوجود، فإن الفيض الالهي من الحضرة الرحمانية لجميع الوجود من الأزل إلى الأبد يجتمع ذلك الفيض كله في الحقيقة المحمدية ثم يسري منه صلى الله وسلم منقسما على جميع الوجود على حد قوله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا قاسم والله معط. أخبر أن العطاء الأول وهو الاقتطاع الالهي كان مفصلا بالقسمة على ما نفذت به المشيئة الالهية، والاقتطاع أولا كان من الله لجميع خلقه والتقسيم هو تناوله من يد الملك او من حضرته وتوصيله إلى من امر باعطائه، كان عنه صلى الله عليه وسلم. فهو في ذلك بمنزلة العبد الذي يأمره الملك بتوصيل العطايا إلى الناس فهو يوصلها إلى أربابها على قدر ما أراده الملك. والعطية هنا التي أمر صلى الله عليه وسلم بتوصيلها هي صلاة الله على العبد

المصلي عليه صلى الله علهي وسلم مرة عشرا. و ذلك وعد من الله صادق لا يتخلف قطعا على ما أخبر نبيه صلى الله عليه و سلم من قوله عز وجل: من صلى عليك صليت عليه. انتهى.و بقي من المسألة ما جنح إليه الشيخ الطيب من انتفاع النبي صلى الله عليه وسلم بصلاتنا. الجواب ما ذكره في مجلي الأسرار بقوله في الفائدة الحادية عشر: اعلم أنه اختلف قول العلماء في ذلك يعني هل ينتفع صلى الله عليه وسلم بصلاتنا عليه أم لا ؟ فذهب القرطبي والقشيري إلى أنه صلى الله عليه وسلم ينتفع بصلاتنا عليه ويزيده الله تشريفا وتعظيما بدعاء أمته له لأن العبد لا يستغني عن الزيادة من مولاه في وقت من الأوقات. وذهب ابن العربي وعبد العزيزبن عبد السلام والشيخ السنوسي وأبو العباس المبرد إلى أن نفع ذلك راجع إلى المصلي فقط لأن النبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك بتشريف الله تعالى له. ووفق العارف أبو زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه بين القولين بأن الأول اخبار عن كرم الله تعالى وعدم تناهي افضاله و الثاني تنبيه على الأدب في القصد. قال الشيخ الطيب في شرح المرشد وقدم في هذا التوفيق بحديث أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي بن كعب. قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع. قال: ما شئت وان زدت فهو خير لك. قلت النصف. قال ما شئت و ان زدت فهو خير لك.قال: أجعل صلاتي كلها لك. قال : اذن تكفى همك ويغفر ذنبك. وأجيب بأن المنذري وغيره فسروا الصلاة فيه بالدعاء: أي أكثر الدعاء فكم أجعل لك منه صلاة عليك. وفيه ان هذا التفسير خلاف ظاهر العبارة ولو أريد لقيل: فكم أصرف لك من وقت دعائي مثلا، ويؤيد إرادة ظاهر العبارة ما في العهود للشعراني فإنه بعد أن ذكر الحديث عن كعب بن عجرة وتفسير المنذري المتقدم ذكر عن أبي المواهب الشاذلي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة : فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: أن تهدي ثوابها إلي لا إلى نفسك انتهى. وهو حسن، وهذا مذهب جماعة من الصوفية.قال أبو المواهب التونسي قال لي المصطفى صلى الله عليه وسلم في مبشرة : أنت تشفع في 100.000 . قلت: بم نلت هذا؟ قال : باعطائك لي ثواب صلاتك علي. وحج ابن الموفق حججا فجعل ثوابها للمصطفى صلى الله عليه وسلم فرآه يقول له: هذه يد لك عندي أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فادخلك الجنة بغير حساب. ولا يستلزم ذلك سوء الأدب كما زعموا. ومنهم سيدي زروق فإن المقصود من الاهداء للعظماء اجلالهم وإعظامهم لا أنهم محتاجون إلى ما يهدى لهم. والهدية على قدر مهديها لا المهدى إليه، والأعمال انفس ما عند المهدي وهي جهد المقل فلا محذور في إهدائها مع رؤية قصورها وعدم أهليتها. نعم إن استعظم ما أهداه فسوء أدب. ويمكن حمل كلام سيدي زروق عليه والله أعلم. انتهى كلام الشيخ الطيب.و حاصله أن ما ساقه من حديث كعب بن عجرة، ومن المرائي يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم أقر على جعل الثواب له، فلم يبق إلا اعتماد هذا القول وعدم الاحتياج إلى التوفيق بين القولين. قال بعض المحققين من أشياخنا: والصواب أن الحديث لا يقدح في التوفيق إذ ليس فيه ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب: لا تقصد الأدب. انتهى. قلت: الظاهر أن الحديث قادح كما قال الشيخ الطيب، وذلك لأنه صلى الله عليه و سلم قال لكعب: ما شئت أي اجعل لي ما شئت. ومعناه اقصد بالثواب من صلاتك لي ما شئت، ولو كان في ذلك سوء أدب لأرشده صلى الله عليه وسلم إلى تركه. واعلم أن الشيخ الطيب تابع فيما قاله تابع للشيخ جسوس والمحقق ابن زكري. وأقر اعتراض ابن زكري الشيخ بناني في حواشي الزرقاني عند قول الشيخ خليل في باب الحج وتطوع وليه عنه. وحاصل كلام ابن زكري ومن وافقه أنه يجوز للشخص أن يقصد بثواب صلاته حضرته صلى الله عليه وسلم بدليل حديث كعب، واعترض ذلك الشيخ الرهوني واستصوب ما للحطاب تبعا لجماعة من الأئمة الفحول، ورد ما استدل به ابن زكري من الحديث والمرائي بأن الصلاة في الحديث حملها جمع من الأئمة على الدعاء. ونقل نص جماعة ممن حملوها عليه وأن المرائي وإن كانت حقا لكن لا تقدم بها حجة في

الأحكام. هذا حاصل كلام الشيخ الرهوني.قلت :ولا غرابة في حمل الصلاة على الدعاء اذ هو معناها اللغوي الحقيقي كما سلف وهو وارد في القرآن .قال تعالى : (وصل عليهم).اي أدع لهم فلم تبق حجة في الحديث لتطرق الاحتمال له .فقول الشيخ الطيب وفيه أن التفسير خلاف ظاهر العبارة غير ظاهر. هذا ما انفصل عليه الشيخ الرهوني ،والذي مال اليه شيخنا المحقق المشارك ابو عبد الله سيدي محمد كنون رحمه الله تعالى في الاختصار هو ما لابن زكري ومن تبعه لأنه نقل كلام الشيخ الطيب عقب كلم الرهوني .وقال : ان أصله لجسوس عن شيخه ابن زكري ونقل نصهما وانفصل على ذلك، وهذا هو الذي حققه ابن حجر الهيتمي في فتاويه بعد ما اطال المسئلة وبالغ في التشنيع والرد على المقابل .فانظره. فان قلت :اذا سلكنا هذه المحجة خالفنا ما نقله الشيخ بناني عن الحطاب من ان جل العلماء أجاب يمنع إهداء ثواب القران او شيء من القرب للنبي صلي الله عليه وسلم لانه لم يرد فيه اثر ولا شيء عمن يقتدى به من السلف .انتهى.والقاعدة انه اذا اطلق لفظ العلماء انصرف لعلماء المذاهب كلها ونص على منع ذلك ايضا ابن حجر وغيره كما في شرح الدردير على المختصر. والمراد بابن حجر في كلام الدردير الحافظ العسقلاني.قلت :يحمل كلامهم على ما اذا قصد فاعل ذلك نفع النبي صلى الله عليه وسلم وراى عمله معتبرا في نفسه معتدا به فيلزم من ذلك حينئذ سوء الادب ويمنع. واما ان قصد المهدي تحصين عمله بذلك من الردى ليقوى بذلك رجاؤه احتراما بالنبي صلى الله عليه وسلم فان الهدايى للملوك اذا كانت لا تناسب جلالة مقاديرهم ويخشى ردهم لها ادخلت في جملة هدايا واسطة عظيم عند الملك فتقبل حينئذ من جملة هداياه .فتحصل ان الحديث قادح في التوفيق بين القولين السابقين ،فبقي الخلاف حقيقيا .واليه مع ترجيح القول اشار العلامة السجاعي بقوله:

و صححو بانه ينتفـــع بذي الصلاة شانه مرتفـــع
لكنه لاينبغي التصريـــح لنا بذا القول و ذا الصحيــح
و جائز بقول شخص اجعــلا ثواب ذا للمصطفى من قد علا
او مثله مقدما لحضرتـــه او زده تشريفا لا على رتبتــه
و منع بعضهم لاهتداء القـرب لحضرة النبي سيد العــرب
قد رده المحققون فاعرفـــا و احمد الكريم ربي و كفـــى

قوله :قد رده المحققون اخ.قد علمت ان الجمهور على خلافه وعلى أي طريق ينبغي حمل كلامهم .وقد سال العلامة ابو العباس سيدي احمد بن مبارك شيخه الولي الاشهر سيدي عبد العزيز الدباغ نفعنا به عن هذه المسالة وقال له : انه اختلاف فيها العلماء رضي الله عنهم فقال له رضي الله عنه : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرعها الله سبحانه لنا بقصد نفع نبيه صلى الله عليه و سلم و انما شرعها بقصد نفعنا خاصة الى آخر كلمة .انظره في الابريز.قال الشيخ جسوس في شرح توحيد الرسالة :فينبغي للمومن ان يقصد بصلاته التقرب الى الله تعالى والى نبيه بالصلاة على حبيبه ،ولا يكن قصده ايصال النفع منا اليه صلى الله عليه وسلم وان كان النفع حاصل بذلك لكنه غير محتاج الى ذلك منا،بل نحن المحتاجون الى ما يحصل منا من النفع والتقرب اليه والى ربه بالصلاة عليه .انتهى.والاولى من هذا كله ان يقصد العبد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم محبته وتعظيمه وامتثال امر الله تعالى بالصلاة عليه كما في الابريز .ونصه بعد كلام لسيدي عبد العزيز : وانما ينبغي ان يكون الحامل محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لا غير ،وحينئذ يشتعل نورها كما سبق .وأما ان كان الحامل عليها نفع النبي صلى الله عليه وسلم فان صلاته حينئذ لا تتعلق بالحق سبحانه ولا تبلغ اليه كما سبق والله الموفق .انتهى كلام مجلي الاسرار .وقد استوعب ما للنازلة من الأقوال والآداب فلله رده من عالم.وفي جواهر المعاني نقلا عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه نصه:سألته رضي الله عنه عن بيان ذلك اعني عن المسئلة المسطرة؟ فأجاب عنها رضي الله عنه بقوله: اعلم أنه صلى الله عليه وسلم

غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا و عن صلاتهم عليه وعن اهدائهم ثواب الأعمال له صلى الله عليه وسلم بربه أولا و بما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله. فهو في ذلك عند ربه صلى الله عليه وسلم في غاية لا يمكن وصول غيره اليها ولا يطلب معها من غيره زيادة ولا افادة يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى:(ولسوف يعطيك ربك فترضى). وهذا العطاء وإن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها فضلا عن الغاية التي هي أكبرها، فإن الله سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حظوته ومكانته عنده، وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة، ثم يرد على مرتبة لا غاية لها أيضا وعظمة على قدر وسعها أيضا. فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته. ولذا قال سبحانه وتعالى:(وكان فضل الله عليك عظيما).و اقل مراتبه في غناه صلى الله عليه وسلم أنه من لدن بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة كل عامل يعمل إليه ممن دخل في طوق رسالته صلى الله عليه وسلم يكون له مع ثواب عمله بالغا ما بلغ فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة اهداء الثواب لما فيها من كمال الغنا الذي لا حد له، وهذه أصغر مراتب غناه صلى الله عليه وسلم فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر والفضل الأعظم الأخطر الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عمن دونهم. وإذا عرفت هذا فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم ليست له حاجة الى صلاة المصلين عليه صلى الله عليه وسلم ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم، وليست له حاجة إلى اهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال وما مثل المهدى له في هذا الباب ثواب العمل متوهما أنه يزيده به صلى الله عليه وسلم أو يحصل له به نفعا إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة عشر مائة ألف عام وعرضه كذلك و عمقه كذلك متوهما أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده الى حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن تزيد فيه. وإذا عرفت رتبة غناه صلى الله عليه وسلم و حضوته عند ربه فاعلم أن أمر الله تعالى للعبادبالصلاة عليه ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه وليخبرهم انه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل الى الله به صلى الله عليه وسلم. فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجه إليه دون التوسل به صلى الله عليه وسلم معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشريع خطابه كان مستوجبا من الله تعالى غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد و البعد وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله إلا به صلى الله عليه وسلم كالصلاة عليه وامتثال شرعه. فإذا فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى الله عليه وسلم في جميع التوجهات والمطالب لا غير هذه من توهم النفع بها له صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنا. وأما اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم فتعقل ما ذكرنا من الغنا أولا، ثم تعقل مثلا آخر يضرب لاهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم بملك عظيم المملكة، ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها كل خزانة عرضها وطولها من السماء إلى الأرض مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتا وذهبا وفضة وزروعها أوغيرها من المتمولات.ثم قدر فقير لا يملك مثلا غير خبزتين من دنياه فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه فأهدى لهذا الملك احدى الخبزتين معظما له محبا و الملك متسع الكرم فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له، فوجودها عنده وعدمها على حد سواء. ثم الملك لاستاع كرمه علم فقر الفقير وغاية جهده وعلم صدق محبته وتعظيمه في قلبه وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك ولو قدر على أكثر من ذلك لأهداه له، فالملك يظهر الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة. وعلى هذا التقدير و ضرب المثل قدر اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم. وأما غناه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم

ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر أولا وامداده بنقطة القلم. وأما اثابته صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المثل لها باهداء الخبزة للملك المذكور والسلام. انتهى كلام الجواهر. و مفاده أن المهدي للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للحضرة المصطفوية إنما يهدي لأجل المحبة والتعظيم فقط .انتهى.فإذا عرفت ما ذكر لا تستغربه لأن الله تعالى لما خلق الحقيقة المحمدية أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ما قسمه لخلقه من فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها ثم هو صلى الله عليه وسلم الآن يترقى في شهود الكمالات الالهية مما لا مطمع فيه لغيره ولا تنقضي تلك الكمالات بطول أبد الآباد. ورد في الحديث الشريف أنه لما نزل عليه قوله تعالى :(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما). الآية.قال صلى الله عليه وسلم: إن الله أغناني عن صلاتكم. ثم قال بعدها: أما في هذا الحديث أو في حديث غيره أن جبريل أخبره صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى إن الله عز وجل يقول له: من صلى عليك صليت عليه. قال صلى الله عليه وسلم : وحق لمن صلى الله عليه ألا يعذبه بالنار. و من هذه الحيثية أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في حق الفاسق أفضل له من تلاوة القرآن لأنها شافعة له في افاضة رضى الله ومحقها لذنوبه وادخاله في زمرة أهل السعادة الأخروية ولا كذلك القرآن فإنه وإن كان أفضل منها فانه محل القرب والحضرة الالهية يحق لمن حل فيها ألا يتجاسر بشيء من سوء الأدب، ومن تجاسر فيها بسوء الأدب استحق من الله اللعن والطرد والغضب لأن حملة القرآن أهل الله، فإنهم يؤاخذون أكثر من غيرهم بأقل من مثاقيل الذر إلا أن تكون لهم من الله عناية سابقة بمحض الفضل فتكون له عاصمة من ذلك. فبان لك أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن، فإن القرآن مرتبته مرتبة النبوءة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بأخلاق الروحانية فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك .انتهى من جواهر المعاني في آخر شرح جوهرة الكمال.وزاد في تحقيق هذا المعنى عند قوله قيل: صراطك التام ما نصه: استعير له صلى الله عليه وسلم اسم الصراط لكونه صراطا بين يدي الحق لا عبور لأحد إلى حضرة الحق إلا عليه صلى الله عليه وسلم. فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق وانفصل، فهو مشبه بالصراط الذي يكون عليه عبور الناس في المحشر إلى الجنة لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الجنة من أرض القيامة إلا على الصراط الذي عليه العبور. فمن رام الوصول إلى الجنة من أرض القيامة على غير الصراط المعلوم للعبور انقطع عن الجنة وانفصل ولا مطمع له في الوصول إليها، كذلك هو صلى الله عليه وسلم هو الصراط المستقيم بين يدي الحق لا مطمع لأحد في الوصول إلى حضرة الحق إلا بالعبور عليه صلى الله عليه وسلم. ومن رامها بغير العبور عليه صلى الله عليه وسلم انقطع وانفصل وطرد ولعن انتهى. وهذا من فوائد التعلق به بالإكثار من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم.فإذا عرفت جميع ما تقدم من هذا التذنيب من فضائل الصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم وما خص به المصلي من المزايا الجسيمة و العطايا المنيفة اتضح لك معنى ما نص عليه علماء الأمة رضي الله عنهم من أن أجل النعم بعد الايمان هو الكون من هذه الأمة المحمدية بسبب ما اختصت به من الفضائل والخصائص التي منها ما منحوا من الحضرة الالهية من طلب الصلاة منهم عليه صلى الله عليه وسلم ومما أعد الله لهم من جزيل الأجر والثواب وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لأنهم أقل الأمم أعمالا وأكثرهم ثوابا. فتضعيف الحسنات المذكور فيما تقدم من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وغيرها من جميع الحسنات بأنواعها من خصائص هذه الأمة كما نص عليه ابن عمر في شرح الرسالة. وجسوس وغيرهما. انتهى.
وزاد في الجامع على فضائل الفاتح لما أغلق مما استفاده من سيدنا الشيخ رضي الله عنه أومن بعض من فاتح عليه من خواص أصحابه ما نصه: و من الأخبار الغيبية روح الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وهي:اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك

ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. قال: لها خاصية عظيمة في السلوك وهي أن من ذكرها 25.000 خمس مرات بنية خالصة لكل مرتبة من مراتبها في خلوة وقت الذكر بالإذن حصل مراده. فهذا ما سمعنا فيها. قال: أيضا: ومن أخبار الغيب الصلاة التي كان يلاقي بها الواسطة المعظم رحمه الله تعالى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إذا ذكرها عددا معلوما وهي:اللهم اجمع جميع أذكار الذاكرين وجميع صلوات المصلين واجعل جميع الأذكار ذكري وجميع الصلوات صلاتي على سيدنا محمد شفيع المذنبين وعلى آله بحر الكاملين عدد ما في علمك يا رب. قال: انتهى كلام الجامع.قلت و مما يناسب ما تقدم ما نص عليه في خزينة الأسرار بقوله: وكذا ابتلي المؤمن بالمصائب والأمراض والهموم والغموم والكروب أو يطلب المناصب والجاه أو ابتلي بالفقر والذلة وغيرهما أو عزل عن منصب وهو يريد ان يناله أو بنزول الآفات السماوية وظهور البلايا الأرضية وهو يريد دفعها ورفعها فليكثر الصلاة والسلام على سيد الأنام، فإنه ببركتها ينال مرامه والمقام. كذا ذكره الإمام الدنيوري في المجالسة وهو مذكور في حياة القلوب، والمرآة ودرة الواعظين.قال الامام السخاوي والفاسي وابن حجر المكي كما في روح البيان:اعلم أن الصلوات متنوعة إلى أربعة آلاف. وفي رواية إلى اثنا عشر ألفا كل منها مختار جماعة من أهل الشرق والغرب بحسب ما وجدوه رابطة المناسبة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وفهموا منها الخواص والمنافع. و بعضها مشهور بالتجربة والمشاهدة في تفريج الكروب وتحصيل المرغوب كالصلاة المشيشية والتفريجية الكاملة والمنجية الكاملة وبعض الصلاة المجربة نذكرها.والصلاة المنجية المشهورة على ما ذكره صاحب القاموس والامام الفاكهاني في الفجر المنير انه قال :اني سمعت عن الشيخ موسى الضرير رحمه الله تعالى أنه قال كنا على البحر المحيط فجاء الموج وكثر وخاف أهل السفينة الغرق وبقوا متحيرين فغلب علي النوم فرأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال :اخبر أهل السفينة فليقرأوه هذه الصلاة 1.000مرة وهي هذه :اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال و الآفات و تقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات و ترفعنا بها أعلى الدرجات و تبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات .فاخبرتهم فقراناها. فلما بلغنا الى ثلاثمائة رأينا الفرج والسلامة ثم انتشرت الى الاطراف والأكفاف ببركة هذا الشيخ .وزاد الشيخ محي الدين قدس الله اسراره في ءاخرها :وبعد الممات وعلى ءاله وسلم تسليما كثيرا برحمتك يا ارحم الراحمين. فانه كنز من كنوز العرش، ومن دعا به 1.000 مرة في جوف الليل لأي حاجة كانت من الحاجات الدنيوية والاخروية قضى الله تعالى حاجته و هي أسرع للأجابة من البرق الخاطف واكسير عظيم وترياق جسيم. فلا بد من اخفائه وستره عن غير أهله .كذا عليه كل يوم 11مرة او 41 مرة او 100او 313مرة او 1.000 و زيادة. كذا في خزينة الأسرار. و زاد في السنوحات رواية اخرى قائلا: قال أهل الخواص و الأسرار فيها ألف خاصية وهي : اللهم صل صلاة كاملة و سلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي تنجينا به من جميع الأهوال و الآفات و تقضي لنا بها جميع الحاجات و تطهرنا بها من جميع السيئات و ترفعنا به أعلى الدرجات و تبلغنا به أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحيات و بعد الممات و على آله بعدد ما في علمك .يداوم عليها كل يوم 11 مرة أو 41 مرة أو 66 مرة أو 100 مرة أو 313 مرة أو 1000 مرة. و قال الشيخ محي الدين انه كنز من كنوز العرش. و أن من دعى به 1000 مرة في جوف الليل لأي حاجة كانت من الحوائج الدنيوية و الاخروية قضى الله حاجته الى آخر ما تقدم .كذا في هامش خواص الأسماء. انتهى.و في خزينة الاسرار ايضا:فمن أراد السلامة في النفس و الأهل و الأموال و الأمن من كل آفات الدنيا و الآخرة و سعة الرزق في الكسب و التجارة و الزرع و الانكشاف التام و الفتوحات في الظاهر و الباطن و القربة عند الله و القبول عند الناس و أن يهون الله عليه سكرات الموت و أن تسل روحه من جسده كما تسل الشعرة من العجين فل يقل كل يوم 100 مرة: السلام عليك ايها النبي و رحمة الله

و بركاته. و يذكره بطريق الخطاب مع التعظيم و التوقير و الآداب مستشفعا و مستمدا و متوسلا به الى الله الوهاب. هذا ما يناسب في هذا المقام. قال : قد رايت من داوم عليها فمات وهو ساجد.و فيما ذكر أسراره كثيرة أو يقول في هذا المقام: الصلاة و السلام عليك يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي قلت حيلتي اذركني. و يكررها مع الخضوع و الخشوع و البكاء سائلا مطلوبه و راجيا شفاعته عند الله و يقول في أثناء الاشتغال بهذه الصلاة و السلام في ذلك المقام: يا رسول الله أنت باب الله و مفتاح الخيرات و لم يكن له باب غيرك. جئتك مع كثرة الذنوب و العصيان هاربا من ذنوبي و قد ظلمت نفسي و سنتك. و يذكر قوله تعالى (و لو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك...الى قوله لوجدوا الله ثوابا رحيما) . و يداوم عليها بهذا الحال على النشاط في أي مكان و زمان.قال الشيخ ابن سيف الدين الجباوي قدس الله سره. من قال هذه الصلاة و السلام الى ادركني 1000 مرة ليلة الجمعة و يداوم على ذلك كل ليلة 1000 الى الجمعة الأخرى نال مراده و أدرك مطلوبه. و هذا سر من الأسرار لقضاء الحوائج و رأية النبي صلى الله عليه و على آله و سلم في المنام. وقال الشيخ عيسى البراوي قدس الله سره: من قال ليلة الجمعة الصلاة و السلام عليك يا سيدي يا رسول الله ...الى أدركني 1000 مرة قضيت حاجته على الفور و حصل مطلوبه و أدرك غرضه في الدنيا و الآخرة. و هو مجرب بلا شك. فجرب أنت كذلك حتى يطمئن قلبك. كذا في سر الأسرار. وأيضا من الصلاة المجربة أن يداوم على قوله: الصلاة و السلام بعدد ما في علم الله عليك و على آلك يا رسول الله أغثني سريعا بعزة الله. يداوم عليه كل يوم 11 مرة أو 41 مرة أو 100 مرة أو 313 مرة أو 1000 مرة. و لها خواص كثيرة وتاثيرة عجيبة. فيناسب في هذا المقام الأعظم صلاة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقد صلى بها على جده الأعلى صلى الله عليه وسلم وهي مفتاح الكنز المحيط ولها اسرار عجيبة وتاثيرات بليغة وهي هذه :اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك. انتهى.واعلم ان خواصها كثيرة حتى قال بعض العارفين :لاينبغي ان يجاز فيها في اكثر من 11 مرة كل يوم . وهذه هي المشهورة لذا أرباب الطرق بالتازية ، لأن القطب الكبير سيدي ابراهيم التازي شهر بعض أسرارها فنسبت له .وأما المصلي بها فقد تقدم انه زين العابدين وريحانة العارفين سيدنا ومولانا علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ءامين. ومن خواصها إن من دوام على هذه الصلاة التازية كل يوم 11 مرة فكأنه استنزل الرزق من السماء واستخرجه من الأرض.وقال الإمام الدنيوري:من قرأ هذه الصلاة دبر كل صلاة 11مرة واتخذها وردا ،لا ينقطع رزقه وينال المراتب العالية والدولة الغنيمة.ومن داوم عليها بعد صلاة الصبح كل يوم 41 مرة نال مراده. ومن داوم عليها كل يوم 100مرة يحصل مطلوبه ويدرك غرضه فوق ما أراده . ومن داوم على قرائتها كل يوم بعدد المرسلين عليهم السلام 313مرة لكشف الأسرار فانه يرى كل شيء يريده . ومن داوم عليها 1.000مرة نال ما لا يصفه الواصفون مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :من داوم على هذه الصلاة كل يوم 41 مرة او 100او زيادة فرج الله همه وغمه وكف كربه وضره ويسر أمره ونور سره وأعلى قدره وحسن حاله ووسع رزقه وفتح له أبواب الخيرات الزائدة ونفذت كلمته في الرياسات وأمنه من حوادث الدهر وشر النكبات والفقر وألقى له محبة في القلوب ولا يسئل الله شيئا الا أعطاه إياه. ولا تحصل هذه الفوائد الا بشرط المداومة عليها . ومن أراد تحصيل أمر مهم عظيم أو دفع بلاء مقيم فليقرأ هذه الصلاة ألتفريجية وليتوسل بها الى النبي صلى الله عليه وسلم 4444 مرة فان الله يوفي مراده ومطلوبه على نيته انتهى. وقال الشيخ محمد حقي مؤلف خزانة الأسرار : إني جربت وشاهدت أسرارها كثيرا وعلمت هذه الصلاة لامرأة عمياء25سنة و قرأتها و

كملت العدد 4444 في ثمانية أيام ففتحت عينها وعمرت 12سنة ووقع في سنة 1284 وأخبرت بها رجلا من العلماء ابتلي بالصرع عشرين سنة فقراها بالعدد المذكور . وكذا قرائتها على المريض الذي عجز أطباء أناطول واسلامبول عن دوائه وأخبرت غيرهم فشفاهم الله تعالى وقالوا مطلوبهم بحول الله وبهمة رسوله صلى الله عليه وسلم .انتهى .وبهذا العدد كان شيخنا ابوعبد الله أكنسوس يخص أهل الجد والاجتهاد من الإخوان فنالوا بذلك فوق ما أرادوا . نسئل الله لنا ولكم تمام الخير ودوام التوفيق ءامين.وفي خزانة الأسرار :وان كان ما ذكره مندرجا في الفضل المتقدم وايضا هذه الصلاة المنجية الكاملة المنسوبة للشيخ التجاني رضي الله عنه وهي مفتاح الأسرار ومصباح الأخيار ،والتوسل بها أكمل والادعاء بها أجمع وأجمل وخواصها كثيرة وفوائدها عديدة وأسرارها منيعة وتأثيراتها سريعة والتوسل بها حقيقة عن ذاته المصطفوية وهي هذه:اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي تنجينا به من جميع الأهوال والآفات وتقضي لنا به جميع الحاجات وتطهرنا به من جميع السيئات وترفعنا به أعلى الدرجات وتبلغنا به اقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات وعلى ءاله بعدد ما في علم الله.اعلم أن هاتين الصلاتين صلاة زين العابدين وهذه الصلاة المنجية الكاملة صلاتان كاملتان لفظا ومعنى بالشروط والآداب ، وفيهما حقيقة التوسل والتوجه إلى ذاته المحمدية واسم سيدنا محمد مذكور في الصلاة الأولى ثمان مرات وفي هذه الصلاة سبع مرات بإرجاع الضمائر في به وآله وذكر المرادات والحاجات على طريق عرض الحال .ثم انظر حقيقة الأسرار، فإذا قلت :صلاة تنجينا بها الخ...بإرجاع الضمائر إلى الصلاة فإذا أنت تتوسل بصلاتك التي حصلت منك و برجائك فقط كما في الصلاة المنجية المشهورة و بارجاع الضمائر في به و آله على سيدنا محمد الذي تنجينا به أي الذي اجتمعت وتراكمت فيه صلواتك وبركاتك ورحمتك ورأفتك ولطفك وكرمك وسائر خيرات الدنيا والآخرة من الأزل إلى الأبد وصلوات ملائكتك وصلاة الأنبياء والمرسلين وصلاة جميع المومنين و المومنات و المخلوقات و ايضا اجتمعت في داته المحمدية أنواع الأنوار و التجليات والأسرار وأسباب النجاة والكرامات وبيده مفتاح الخيرات ومفتاح خزائن الله وباب الرحمة والمغفرة وبيده حقيقة الشفاعة وبه يتوسل ءادم .قال يا رب اسئلك بحق محمد. وبه توسل إبراهيم من نار النمرود عليهم السلام. ولذا قال الإمام الرباني في المكتوبات القدسية قدس سره :محمد رسول الله بحر المحيط ولا إله إلا الله قطرة من ذلك البحر .وفيه امتثال لقوله تعالى : (وابتغوا إليه الوسيلة). وقال بعض أهل الأسرار:ان لكل واحدة من هاتين الصلاتين 1.000خاصية .انتهى . و مما يناسب هذا المحل، هذه الصلاة قال بعضهم:وتقال 1000 لسعادة الدارين وهي ب600.000 صلاة نصها: اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .انتهى. ثم الصيغة الرضائية قال بعضهم من قالها 70 مرة استجيب دعاؤه بعدها :اللهم صل على سيدنا محمد صلاة الرضى وارض عن أصحابه رضاء الرضى. انتهى.ثم شرع في صلاة النور الذاتي لأبي الحسن الشاذلي وهي ب 100.000 صلاة وعدتها 500لتفريج الكرب وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النور الذاتي والسر الساري في سائر الأسماء و الصفات .انتهى.ومنها صيغة كرم الأصول وفضلها عظيم جدا والإكثار منها موجب لمحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم للتالي و هي:اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد كريم الآباء والأمهات .انتهى.ومنها صيغة اهل الطريق المشهورة بالصلاة الكمالية وهي من أورادهم المهمة التي تقال عقب كل صلاة عشرا وتقال في غيره 100فاكثر. وثوابها لا نهاية له .وذكر بعضهم أنها ب 14.000صلاة وهي:اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله عدد كمال الله وكما يليق بكماله .انتهى .ومنها صيغة الأنعام وهي من أبواب نعيم الدنيا والآخرة لتاليها وثوابها لا يحصى لما علمت من الثواب على حسب المطلوب من الصلوات وهي :اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله عدد إنعام الله وأفضاله . انتهى.ومنها صيغة

تسمى بالكمالية أيضا . قال بعضهم ب70.000صلاة وقيل ب100.000صلاة وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله كما لا نهاية لكمالك وعدّ كماله .انتهى. و منها صيغة الوصال وتسمى بذلك لان من داوم عليها أوصله الله بحبيبه و هو المنى وهي:اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله صلاة تليق بجماله وجلاله وكماله وصل وسلم وبارك عليه و على آله وأذقنا بالصلاة عليه لذة وصاله .انتهى ومعلوم ان من ذاق لذة وصال المصطفى ذاق لذة وصال ربه لان الحضرة واحدة ومن بلغ الوسيلة شهد المقصد ومن فرق بين الوصالين لم يدق للمعرفة طعما ، وفضل هذه الصلاة عظيم قال بعضهم : انها فريدة عديمة المثيل .ومنها صيغة الطب الظاهري والباطني تقرأ 2.000 على أي مرض ،وقيل :400فيشفى بإذن الله وهي :اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفاؤها ونور الأبصار وضيائها وعلى ءاله وصحبه وسلم .انتهى ومنها :صيغة الغالي القدر .قال السيوطي :من لازم عليها كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي صلى الله عليه وسلم:اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى ءاله وصحبه وسلم .انتهى .ومنها صيغة اللطف الخفي ،فمن أكثر منها عمه اللطف في الدنيا والآخرة وهي للقطب الشعراني رضي الله عنه وهي: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى ءاله وصحبه وسلم عدد ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما واجر يا رب لطفك الخفي في أمورنا والمسلمين أجمعين .انتهى .ومنها صيغة أخرى للطف الخفي للشعراني وقد تلقاها بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي: اللهم صل على سيدنا محمد صلاة أهل السماوات والارضين عليه واجر يا رب لطفك الخفي في أمري والمسلمين .انتهى.فهذه 12صلاة نقلتها من شرح الصاوي على الصلوات الدرديرية وإنما جلبتها في هذا المحل رفقا بالا خوان وشفقة ألا يفوت عليهم الاطلاع عليها وعلى أسرارها لأن الأمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يعم جميعها ولأن سيدنا الشيخ رضي الله عنه سائق وقائد إلى الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم . غير أن الأذن مطلوب لمن أراد نجاح الأمر ممن عنده الأذن من المقدمين في الإجازات العامة في سائر الأسماء والمسميات. وعلى العامل بشيء منها لاغتنام فضيلتها أن يخلص العمل لله تعالى مع ملاحظة ذلك كما تقدم ذلك في المقدمة .

فرع في الكلام على جوهرة الكمال: قال في مقدمة ميدان الفضل والأفضال في شم رائحة جوهرة الكمال للعارف بالله الشيخ عبيدة التشيتي ما نصه :اعلم فتح الله علي وعليك فتح العارفين وعاملني وإياك بمعاملة عباده المتقين من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين أن الصلاة من حيث ما هي صلاة ،هي توسل يتوسل بها إلى المطلوب وصلة يتوصل بها إلى نيل المرغوب وشفاعة تنال من أجلها محبة المحبوب وهي على قسمين :قسم يعود نفعه على طرف واحد من الطرفين وقسم يرجع نفعه على كلا الطرفين رأي العين . فالمصلي منا الصلاة الشرعية فرضا كان أو نفلا إنما يطلب النفع بها من طرف واحد وهو الشفاعة بها لنفسه عند ربه في العاجل والآجل عيانا متوسلا إليه بها دعاء وأركانا . فنفع هذه عائد فقط لأن الله تعالى غني عنه وعن فعله ويدلك على أنها شفاعة ووسيلة ، قوله تعالى :(وأمر اهلك بالصلاة إلى نحن نرزقك).أي ،استشفع بها وتوسل إلى وصول الرزق وخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه امر فزع إلى الصلاة أي ليستشفع بها إلى ربه الشكور في كشف ما حز به من الأمور.والصلاة على الميت مثلا شفاعة فيه ووسيلة إلى غفران الذنب والقرب من الرب بدليل قول المصلي في الصلاة للميت: جئنا شفعاء فشفعنا فيه . والصلاة أيضا في اللغة الدعاء .فهذه الصلاة اعني صلاة الميت ذات النفع من الطرفين نفع للميت بالشفاعة فيه من فتن القبر ليفهم الخطاب ويرد الجواب ونفع للمصلي بادخاره ما ادخر له من الأجر والثواب .فادا عرفت هذا فاعلم أن صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم من القسم الأول وهو كون نفعها عائد علينا فقط ،فمثله تعالى ومثلنا في شأنها كمثل عبيد استعملهم سيدهم أرضا لا تبلغها ارض في

الزراعة على أن يكون الزرع كله لهم ولم يعطها لهم على وجه الشركة. فصلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم لنا اجرها كلها و نفعها عائد الينا خاصة كثرها و قلها. و أما في حقه صلى الله عليه و سلم فهي تحصيل حاصل ولم يشرعها سبحانه وتعالى لقصد نفع نبيه صلى الله عليه وسلم .لا وكلا وإنما شرعها لقصد نفعنا خاصة وإلا فالأمة كلهم قاطبة انما اكتسبوا الأجور من اجل الأيمان والإيمان إنما هو من نوره صلى الله عليه وسلم .فالا جور الثابتة لنا انما هي منه صلى الله عليه وسلم ثابتة في ميزانه لأنه السبب فيها وخارجة منه .فمياه الأمطار كما قيل هي خارجة من البحر وإذا سالت على البحر من بطون الأودية فقد رجعت إلى أصلها وهو البحر فلم تزده. فما أمرنا بالصلاة عليه صلى الله وسلم ألا ليعرفنا بشفوف رتبته الشريفة وعلو درجته المنيفة وباصطفائه له على جميع خلقه من بين كافة أصفيائه ورسله وأنبيائه و ليخبرنا انه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله به صلى الله عليه وسلم لما أودع فيه من تمام حكمته وكمال معرفته ولنتوجه بها إلى تأدية شكر ما أسدى ألينا صلى الله عليه وسلم من الخير الكثير والفضل الغزير وليمتثل الأمر على حد قوله تعالى : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بعد قوله : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) أي طاقتها .فطلب رفع التكليف بذلك تحصيل حاصل ولا طائل تحته غير الامتثال. فكذلك صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم تحصيل حاصل إن خلت عن هذه المقاصد الأربعة. ومما يدل على كونها تحصيل حاصل أنه تعالى لم يجعل أمر الصلاة إلينا حين سئل الشارع عن كيفيتها فأجاب بقوله :قولوا اللهم صل على محمد ولم يقل قولوا :إنا نصلي على محمد .فكأنه قال :إنا أصلي عليه فاسألوني إن أصلي عليه لأنه أخبرنا قبل أنه هو و ملائكته يصلون على النبي ثم اتبع ذلك الأمر بالصلاة عليه بقوله: (يا أيها الذين ءامنو صلوا عليه وسلموا تسليما). فاذا قال الواحد منا :اللهم صل على محمد فقد حصل ما هو حاصل في نفس الأمر ،فانه تعالى كان يصلي عليه و لا يزال يصلي عليه .فأي نفع حصلناه للنبي صلى الله عليه وسلم من صلاتنا عليه بسؤالنا لله أن يصلي عليه وصلاته سبحانه لا تقبل الزيادة ولا النقص في بساط المشيئة التي لا تتوجه إليه النسب .وأما في بساط الحكمة فتقبلها ،فلم يبقى إلا أننا ممتثلون لأمر الملك الأعظم ومؤدون بها إحسانه صلى الله عليه وسلم وشاكرون أقل قليل من نعم الإيجاد ونعم الإمداد التي لا تتناهى ،اذ هو الواسطة فيها كما انه لم يجعل الله تعالى أمر رفع التكليف بعدم الطاقة والوسع إلينا ،بل اخبرنا انه لا يكلف الله نفسا ألا وسعها .ولذلك كان قوله تعالى : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ،هو دعاء بعض الاستسلام بنية التعرض للأغراض في الدعاء والتضرع إليه لتخليص الوجهة للعبودية وقصد الامتثال في الدعاء إذ الدعاء هو مخ العبادة. فمن قصد بصلاته نفع النبي صلى الله عليه وسلم فصلاته سعي مهمل وعمل في غير معمل ولا تبلغ حضرة الله تعالى ،واقرب إليها تكون على صاحبها وبالا. وأما صلاة الله عليه التوقيفية كما ذكره شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا، القسطاس المستقيم سيدنا أبو العباس احمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ،فقد حاك في الصدر وجه توقيفيتها مع ظهور منيتها ولم أقف على ما يزيل حيرة المتردد في ذلك ولا على ما يذهب بضبابه الحوالك فالتمست من مدد الشيخ رضي الله عنه الغزير الجزيل ما يرد عني سورة الجهل وينتج إنارة العقل ، فأمرني رضي الله عنه وكم له من مدد ينعش الجسد والخلد بما حاصله أن صلاة الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من مظاهر مرتبة الوحدة الجامعة للحضرة الاحمدية و الحضرة المحمدية. و موضوع هذه المرتبة الإنعام المطلق الذي انعم الله به عليه لا بعمل قدمه ولا بأمر حزّبه و همه ثم انعم الله به صلى الله عليه وسلم على سبيل الوساطة على من أضيفت إليه من الموجودات التي كان مددها عليه في محكم تنزيله في آيتين أظهرتا متين احداهما قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) .ومثله في حديث الإسراء فسمعت قائلا صوته كصوت أبي بكر رضي الله عنه يقول :يا محمد قف فان ربك يصلي .وثانيتها قوله : (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الاية . فالآيتان واردتان في معرض التنويه بالقدر

والامتنان من الحنان المنان الا أن كلا منهما في بساط ولكل من البساطين مناط .أما الأولى فخطاب في بساط المشيئة التي لا تكنفها الأسوار ولا تقف على حيطتها الأفكار ولا تتوجه إليها نسبة تعليل ما. فإلى المشيئة يستند كل شيء ولا تستند هي لشيء بدليل أن الصلاة وردت فيها بلا سبب مسبب عنها ولا علة نشأت هي منها، ما هو إلا التنويه بشرف الذكر وعلو القدر ولم يذكر ما يترتب على ذلك من أمداد حضرته المحمدية فتمحضت فيها الحضرة الاحمدية بقوانينها وضوابطها التي تتميز بها الحضرة المحمدية الآتية في الخاتمة .وأما الثانية فخطاب في بساط الحكمة وهي محل النسب والتعليلات وإظهار موجبات التجليات. ثم قد تختلف تلك العلل ولا تتخلف وذلك أنه لما ذكر الصلاة عليه وعلى أمته صلى الله عليه وسلم ليخرجكم من الظلمات الى النور أي ظلمة العدم الى نور الوجود و من ظلمة الجهل الى نور العلم بالملك المعبود ،ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان الممدود ومن ظلمة الأهوال والعناء إلى نور الراحة والهناء . فظهر أن معنى توقيفية الصلاة في الاية الأولى كونها غير معللة بنتيجة تتعداه صلى الله عليه وسلم من التنويه بذكره وشفوف قدره بحيث يشترك غيره معه من الموجودات فيها .فوجه توقيفيتها أنها لم تتجاوز حضرته الاحمدية فهي موقوفة عليها لا تتعداه إلى حضرته المحمدية فلم تكن ألا خصوصية له حيث قال على النبي ولم يقل عليكم كما في الاية الأخرى. فعلى نحو هذا تحمل توقيفيتها أي موقوفة على الحضرة الاحمدية وموقوف عنها. فلا سبيل إلى معرفة وجه منتها ما هي ولا إلى الوقوف والعثور على ما أنتجته غير التنويه بالقدر إذ هي حضرة لا تقبل التعليل ولا التأويل .فلا يقال نوه تعالى بقدر النبي صلى الله عليه وسلم بسبب كذا ولا لأجل كذا حيث صلى الله عليه في الأزل بل اصطفاه بسابق عنايته وصلى عليه لا بعمل سابق منه ولا بسبب نشأ ذلك عنه وذلك المعني بحديث: خلقتك من أجلي وخلقت الخلق من أجلك أي خلقتك فنوهت باسمك لا بسبب من الأسباب بل بمحض هبة من الملك الوهاب. وقوله: من أجلي ومن أجلك للمشاكلة كما في قوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) . لا للأجلية المعهودة المؤذنة بالغرض والعلة بخلاف الآية الثانية.وقد أظهر فيها العلة والنتيجة صريحا وهو الاخراج من الظلمات إلى النور بالانعام المتوقف على صلاة الله تعالى عليه وعلى أمته صلى الله عليه وسلم الموجب لشفاعته تعالى في محمده باخراج حقيقته المحمدية ليتم الحكمة فيها، والموجب أيضا لشفاعته صلى الله عليه وسلم في إبراز الأعيان من حقيقته التي هي للأكوان بمنزلة أصل الشجرة لأغصانها وبمثابة آدم عليه السلام لذريته وبنيه. فكما أن آدم عليه السلام أبو البشر، كذلك هذه الحقيقة المحمدية هي أم الأكوان وأصلها. فتوقيف الصلاة المذكورة بهذه المثابة أي لم يعلم لها سبب و لا أجلية لاحقة ولا سابقة أو لأنها مما لا يطلق لفظه على الله تعالى لو لم يرد عن الشارع لا أنها لا يعرف معناها ويتوقف عنه حتى يرد في الشرع مبينا كيف. وقد بينها الشرع حيث جعلها في معرض الامتنان بالتنويه بالقدر عند الاطلاق، وبالاخراج من العدم عند التعليل إذ لا واسطة بين الاسم المنعم وبين الإسم المعذب وكلاهما متجليان في حضرته المحمدية، والامتنان لا يقع إلا بعد الانعام، وإنما الوقوف عن معرفة الانعام واستقصائه. فعلمنا أن معنى صلاة الله تعالى تمام الحكمة به صلى الله عليه وسلم الذي هو اعظم النعم وأتمها خاصة كانت كما هو واقع في الحضرة الأحمدية او عامة كما هو واقع في الحضرة المحمدية، أو عامة كما هو واقع في الحضرة المحمدية. وتمام الحكمة في مرتبة الوحدة، الشفاعة أولا في حصول الوجود والراحة، آخرا من أهوال الموقف المورود في اليوم الموعود.فمقام صلاة الله تعالى المختصة به صلى الله عليه وسلم مقام تفرد وهو المقام المحمود مقام شفاعته الكبرى اولا وآخرا الموعود بأنه هو الذي يظهر فيه الفضل المختص به دون غيره كما اختص لفظ الصلاة المطلقة به دون غيره، ومقام الصلاة المشتركة هو مقام شفاعة الشافعين من بعده أولا في الامدادات ووجود الراحة آخرا.وقد كرر لفظ الشفاعة نحوا من ثلاثين موضعا في الذكر وهو المقام الذي جعل فيه صلى الله عليه وسلم

شافعا بعد تعقل مرتبة الأحدية الوترية فظهرت فيه شافعية وحدته صلى الله عليه وسلم وشفاعته. فشافع به وشفع . فهو اول شافع في الإيجاد وأول مشفع عند توجهات الأمداد. ومن هنا تظهر لك اولية تعقل اسم الوهاب على ما لبعض، لأن الحقيقة المحمدية في حضرة احتياج أعيانها للذات العلية وغنى الذات عنها وهبها الاسم الوهاب قوة تسأله بها الوجود فسألته فظهرت الأسماء التأثيرية الجامع لها الاسم الله وهو اول مؤثر. وعن بعضهم ان أول الأسماء تعقلا وتأثيرا الاسم الله لأن الاسم إنما يتعقل بتأثيره وأول مؤثر الاسم الله.الحاصل أن الصلاة وردت في معرض الامتنان ولا امتنان إلا عن إنعام و أعظم النعم تمام الحكمة التي عليها مدار المرتبة. فالصلاة هي تمام الحكمة به صلى الله عليه وسلم، وقد فعل ذلك تعالى إذ الحقيقة المحمدية هي مرآة الإمكان و لم يكن في الإمكان أبدع مما كان. فكأن المصلي عليه يقول: اللهم اتمم حكمتك بمحمد صلى الله عليه وسلم. انتهى كلام التشيتي. وإنما أعدته وأن استفيد بعضه فيما تقدم ليلا يغتر من وقف على الصلوات ذوات الفضائل المتقدمة فيظن النفع للحضرة المحمدية، ولذلك أشبعت الكلام فيه لدفع ظن النفع المذكور عن الظان رفقا به وشفقة عليه .قال في الشرح المذكور :وأما فضل الجوهرة وخاصيتها فمنها انه صلى الله عليه وسلم يحضر قارئها سبع مرات بروحه وتحضر معه أرواح الخلفاء الأربعة ،ولا تزال معه ما دام يذكرها.و منها أن من ذكرها سبع مرات عند النوم يرى النبي صلى الله عليه وسلم.و لا أقيد ذلك برؤية صورته الشريفة لأنه صلى الله عليه وسلم يظهر في صورة الأولياء والصالحين من هذه الأمة. و منها أن مرة منها تعدل تسبيح العالم كله انسيه وجنه وملكه وغير ذلك ثلاث مرات. ومنها أن من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زاره صلى الله عليه وسلم في روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله والصالحين من لدن ءادم إلى وقته ذلك. و منها أنها لا تقرأ في الورد إلا على طهارة مائية.انتهى.والى جميع ما ذكر أشار في المنية والبغية بقوله :

جوهرةالكمال من إملاء — إمام الإرســـــال والأنــبياء
على حبيبه الولي الـعالم — قطب الورى احمد نجل سالم
وبعض فضلها تقدم ومن — لازمها سبعا فأكثـــــر فمـــن
بان يكون خير الأنبيـاء — يحبه و مــــــــن الأوليـــــاء

قال شيخنا أبو المواهب السائحي في بغيته :أشار بهذا إلى ما هو مصرح به في جواهر المعاني وغيره من الإجازات بل هو مما بلغ الآن حد التواتر القطعي بين جميع الأصحاب وهو أن هذه الصلاة التي نحن بصدد ذكر فضلها هي من إملاء سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على سيدنا الشيخ رضي الله عنه وإنما قال الناظم على حبيبه لما ثبت عن الشيخ رضي الله عنه من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أنت حبيبي و من احبك حبيبي .وقد مر لنا الكلام في هذا ووصفه بالعالم بعد الولي إشارة إلى جمعه رضي الله عنه بين العلم والولاية على الوجه الذي انتهت إليه وجوه الكمالات شريعة ممزوجة بالحقيقة أتم مزج وأحسنه .فهو رضي الله عنه ، الوارث الأكبر للمقال والحال . ثم اخبر رضي الله عنه بأن بعض فضل هذه الصلاة الشريفة تقدم يعني في قوله:ومن تلا جوهرة الكمال سبعا الخ ...الأبيات الثلاثة المتضمنة للخاصية العظمى وهي حضور النبي صلى الله عليه وسلم وكذا الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم مع الذاكر لها ما دام يذكرها من حين يبلغ السابعة منها إلى ما لا نهاية له من الأعداد.ثم أخبر أيضا رحمه الله تعالى أن من فضلها الثابت عن الشيخ رضي الله عنه أن من زاد من سبع مرات في كل يوم يحبه النبي صلى الله عليه وسلم محبة خاصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء. ثم قال الناظم رحمه الله

و مرة تعدل تسبيح الــورى — ثلاث مـرات على ما سطـرا
و من يكن لازمها سبعا لـدى — منامه يــــرى الـنبي احمـدا

صلى وسلم عليه الله ما اشتاق مومن إلى لقياه
وآله الشم المطهرين و صحبه الغر المحجلين

وقال في البغية :اخبر هنا أن فضل هذه الصلاة الثانية أيضا أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم بالمعنى السابق بأسره ثلاث مرات.(ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله دو الفضل العظيم) . فراجع ما تقدم قريبا في جواب العياشي لتلميذه الهر وشي رحمهما الله لتعلم أن لهذا الفضل أصلا معمولا به عند المحققين من العلماء. ثم اخبر أيضا أن من فضلها الثابت أن من لازمها سبع مرات عند النوم على طهارة كاملة ثم ينام في فراش طاهر كذلك فانه يرى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه.انتهى .وتقدم عن الشيخ عبيدة انه قال :ولا أقيد ذلك برؤية صورته الشريفة الخ... قال شيخنا أبو المواهب في بغيته : وهذا الذي ذكره صحيح إلا أنهم نصوا على أن رؤيته في غير صورته و هيئته التي كان عليها صلى الله عليه وسلم في هذه الدار يدخلها التعبير بخلاف رؤيته على صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم .و قد حدثني بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه وهو من أهل العلم والفضل أن بعض وصفان الشيخ رضي الله عنه أخبره انه كان يستعمل لرأياه صلى الله عليه وسلم الصلاة التي كان الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي يستعملها للقيه عليه الصلاة والسلام .فكان ،أعني الوصيف المذكور، إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له :أنا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم.وذكر لي هذا الفاضل رحمه الله تعالى أن أصحاب سيدنا رضي الله عنه كانوا يميلون إلى التقييد بمثل هذا تثبتا منهم رضي الله عنهم خشية الكذب عليه صلى الله وسلم .والوصيف المذكور كان مشهورا بالخير معروفا بالجد والاجتهاد في طاعة الله تعالى اسمه سيدي الحاج بوجمعة . وقد تأخرت وفاته عن وفاة سيدنا رضي الله عنه بنحو 20 سنة .وهذا الذي ذكرته عنه كان يحدث به قيد حياة الشيخ رضي الله عنه وكم من واحد من هؤلاء الوصفان مماليك الشيخ رضي الله عنه ومماليك غيره ظهر عليهم آثار الفتح على يد الشيخ رضي الله عنه .ومن فضل هذه الصلاة الشريفة التي لم يذكرها الناظم هنا وأشار إليه فيما مر عند ذكر اللوازم أن من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال :هذه هدية مني يا رسول الله فكأنما زاره صلى الله عليه وسلم في روضته الشريفة وزار أولياء الله تعالى والصالحين جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى وقته ذلك ، يعني انه يحصل له من الثواب والفضل مثل ما يحصل للزائر للروضة الشريفة وجميع أولياء الله في كل عصر.انتهى كلام البغية .قلت وما ذكر شيخنا من تثبت أصحاب الشيخ رضي الله عنه في مقام الرؤية هو شأن الأصدقاء ويؤيده ما ذكر سيدي المهدي الفاسي في سمط الجوهر الفاخر من أن الشيطان يتصور في كل صورة غير الصورة الشريفة التي كان عليها صلى الله عليه وسلم في دار الدنيا ويكذب ويقول إنا رسول الله الخ....ونصه: ثم اختلفوا في رأياه صلى الله عليه وسلم هل لا تكون الا على صورته المعلومة التي كان عليها في الدنيا أو يرى في صورته المعلومة و غيرها.و الصحيح التعميم و أن رؤياه في أي حالة كانت هي حق ليست باطلة و لا اضغاثا الا انه ان رآه على صورته المعروفة في حياته لم تحتج رأياه إلى تعبير . وان رؤاه على غير صورته المعلومة احتاجت إلى التعبير والتأويل. هذا والله أعلم بشرط أن يكون لصورته الحقيقية الأصلية بقاء فيكون مثال ذلك كما إذا كان لك شخص من أقاربك تعرفه معرفة تامة فغاب عنك مدة مديدة ثم اتصلت به وقد شاب وصار شيخا وكان حين غاب شابا لم يشب أو غيرته الشمس وسودته وقد ذهب أبيض أو وقع له أثر في وجهه أو نقص في بعض أعضائه فإنك مع ذلك لا تمتري فيه أنه الشخص الذي غاب عنك بخلاف لو أتاك غيره وادعى أنه هو و هو مخالف له في صورته الأصلية.و المعنى والسر الذي امتازت به صورته عن غيرها فإنك لا تقبل دعواه أصلا ولو احتج على ذلك بما عسى أن يحتج، ولعل بهذا يجمع بين قول من قال لا يرى إلا على صورته المعروفة وبين من قال: يرى في كل

صورة. والله أعلم. وأما لو رآى في منامه شخصا مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أنه النبي صلى الله عليه وسلم أو قيل له ذلك فيه أو توهمه في نومه فالظاهر أن رؤياه غير صحيحة وتلك الصورة التي رأى غير محفوظة ولا ممنوعة من الشيطان أن يتصور فيها. والشيطان ليس بمحجور عليه أن يتصور في أي صورة شاء ويكذب ويدعي ما شاء فيدعي أنه رسول الله او غير ذلك وإنما الممنوع منه صورته صلى الله عليه وسلم التي هي صورته المعلومة المقدسة الشريفة أن يتكونها الشيطان ويصير ظاهرا في مثلها وشكلها. هذا الذي يقتضيه قوله صلى الله عليه وسلم: لا يتكونني الشيطان ولا يتمثل بي ولا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي. وفي رواية: ان يتمثل في صورتي.و لهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما، لمن قال له رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام: صفه لي. قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته به فقال: قد رأيته. وكان ابن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم قال : صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره ثم ما يرى في صورته صلى الله عليه وسلم من تغير ومخالفة لما علم من صورته صلى الله عليه وسلم فيتعلق بالرائي كما قال بعض العلماء التعبير أن من رأى شيخا فهو غاية سلم و من رآه شابا فهو غاية حرب. وقال غيره أن من رآه على حالته وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه و ظفره بمن عاداه و من رآه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دليل على سوء حال الرائي. و قال آخر: و من رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلى العكس فبالعكس. وقال العارف ابن أبي جمرة: من رآه في صورة حسنة فذلك حسن في دين الرائي وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين. قال: وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أو لا لأنه صلى الله عليه وسلم نوراني مثل المرآة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن أو غيره يتصور فيها وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها وكذلك يقال في كلامه في النوم أنه على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع الرائي برؤيا الذات الكريمة حق والخلل إنما هو في سمع الرائي أو في بصره. قال: وهذا خير ما سمعته في ذلك. انتهى. و قال بعضهم: ليست رؤياه رؤيا عين إنما يرى بالبصائر وذلك لا يستدعي حصر المرء بل يرى من المشرق إلى المغرب ومن الأرض إلى العرش كما ترى الصورة في المرآة المحاذية لها وليست الصور متنقلة إلى جرم المرآة و عين الناظر في مقابلة جميع الكائنات كالمرآة واختلاف رؤيته صلى الله عليه وسلم بأن يراه بعضهم شيخا وآخر شابا وآخر ضاحكا وآخر باكيا يرجع إلى حال الرائي كاختلاف الصورة الواحدة في مرايا مختلفة الأشكال والمقادير. ففي الكبيرة يرى وجهه كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا إلى غير ذلك. فالاختلاف راجع إلى اختلاف أشكال المرائي لا إلى وجه الرائي. فكذلك الراءون له عليه الصلاة والسلام احوالهم بالنسبة إليه مختلفة، فمن رآه متبسما إليه دل على ان الرائي متمسك بسنته صلى الله عليه وسلم والله أعلم. انتهى بنقل القسطلاني في المواهب.والمرئي في جميع الأحوال هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم لا حقيقة شخصه أو روحه، لأن روحه لا صورة لها ولا لون ولا شكل و رؤيا شخصه باطلة ببديهة العقل لأنه يراه ألف راء في ليلة واحدة في ألف موضع في صور مختلفة من الطول والقصر والشباب والشيخوخة والصحة والسقم وغير ذلك. فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة في هذه الصور المختلفة كلها وكيف يعتقد أنه خرج من قبره مرتحلا إلى المواضع كلها في آن واحد. فلم يبق الا أن رائيه انما رآى مثال روحه المقدسة و روحه تتشكل بصورة جسده الظاهر و اطلاق رؤيته على رؤية مثاله صحيح لا إشكال فيه والله أعلم. انتهى كلام الفاسي في سمط الجوهر الفاخر.وقال الشيخ عبد الغني النابلسي الولي الكبير في كتابه تعطير الأنام في تعبير المنام ما نصه: ورد في الحديث الصحيح عنه أنه قال: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة فإن الشيطان لا يتمثل بي. وفي رواية : من

رآني فقد رأى الحق. وفي رواية انس رضي الله عنه: من رآني في المنام فلن يدخل النار. وفي رواية : لن يدخل النار من رآني في المنام. وفي رواية: من رآني في منامه فقد رآني حقا ولا ينبغي للشيطان أن يتصور بصورتي. وهناك روايات أخر غير هذه. وقد اختلف العلماء في معنى الحديث فقال جماعة: محل هذا إذا رآه صلى الله عليه وسلم في صورته التي كان عليها وبالغ بعضهم فقال: في صورته التي قبض عليها. ومن هؤلاء ابن سيرين رحمه الله تعالى فإنه صح عنه انه كان إذا قصت عليه رؤياه قال للرائي: صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لم يعرفها قال: لم تره. ويؤيده حديث عاصم بن كليب ولفظه عند الحاكم بسند جيد. قلت لابن عباس رضي الله عنهما: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، قال: صفه لي. قال: فذكرت الحسن بن علي فشبهته به فقال: قد رأيته. ولا يعارضه خبرمن رآني في المنام فقد رآني فإنني أرى في كل صورة لأنه ضعيف. وقال آخرون : لا يشترط ذلك منهم ابن العربي رضي الله تعالى عنه قال ما حاصله: رؤيته عليه السلام بصفته المعلومة إدراك للحقيقة وبغيرها إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تغيرهم الأرض. فإدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات إدراك للمثال. و معنى قوله: فسيراني، تفسير ما رأى لأنه حق وغيب. وقوله: فكأنما رآني أي أنه لو رآه يقظة لطابق ما رآه نوما فيكون الأول حقا وحقيقة والثاني حقا وتمثيلا. هذا إن رآه بصفته المعروفة وإلا فهو مثال. فإن رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعكسه بعكسه. ومنهم القاضي عياض رحمه الله تعالى، حيث قال: قوله: فقد رآني أو فقد رأى الحق، يحتمل أن المراد به أن من يراه بصورته المعروفة في حياته كانت رؤياه حقا، ومن رآه بغير صورته كانت رؤيا تأويل وتعقبه النووي رحمه الله تعالى فقال: هذا ضعيف بل الصحيح أنه رآه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها وأجاب عنه بعض الحفاظ بأن كلام القاضي عياض لا ينافي ذلك بل ظاهر كلامه أنه رآه حقيقة في الحالين لكن في الأول لا تحتاج تلك الرؤيا إلى تعبير وفي الثانية تحتاج إليه. ومنهم الباقلاني وغيرهم فإنهم ألزموا الأولين بأن من رآه بغير صفته تكون رؤياه أضغاثا وهو باطل إذ من المعلوم أنه يرى نوما على حالته اللائقة به مخالفة لحالته في الدنيا. ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله: فإن الشيطان لا يتمثل بي. فالأولى تنزيه رؤياه ورؤيا شيء مما ينسب إليه عن ذلك فإنه أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في اليقظة. فالصحيح أن رؤياه في كل حال ليست باطلة ولا أضغاثا بل هي حق في نفسها وإن رئي بغير صفته إذ تصور تلك الصورة من قبل الله تعالى فعلم أن الصحيح بل الصواب كما قاله بعضهم ان رؤياه حق على أي حالة فرضت. ثم ان كانت بصورته الحقيقية في وقت ما سواء كان في شبابه او رجوليته أو كهولته او آخر عمره لم تحتج إلى تاويل وإلا احتيجت لتعبير يتعلق بالرائي. ومن ثم قال بعض علماء التعبير: من رآه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب ومن رآه متبسما فهو متمسك بسنته. وقال بعضهم: من رآه على هيئته وحاله كان دليلا على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفر بمن عاداه ومن رآه متغير الحال عابسا كان دليلا على سوء الحال. قال ابن أبي جمرة: رؤياه في صورة حسنة حسن في دين الرائي ومع شين او نقص في بعض بدنه خلل في دين الرائي لأنه صلى الله عليه وسلم كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها ما يقابلها وإن كانت ذات المرآة على أحسن حال وأكمله. وهذه هي الفائدة في رؤيته عليه السلام، إذ بها يعرف حال الرائي. ذكر هذا كله ابن حجر الهيثمي رضي الله عنه في شرح شمائل الترمذي. وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام، فإن الشيطان لا يتمثل بالله ولا بآياته ولا بالأنبياء ولا بالملائكة عليهم السلام، فمن رأى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل خفيف الحال، وإن كان مهموما فرج عنه أو مسجونا خرج من سجنه وإذا رئي في مكان فيه حصار وغلاء فرج عنهم ورخصت أسعارهم وإن كانوا مظلومين نصروا أو خائفين امنوا ورؤيته صلى الله عليه وسلم على ما وردت به السنة من صفاته التي لا يحسن واصف أن يعبر عنها، فبشارة

للرائي بحسن العاقبة في دينه ودنياه. وعلى قدر ذلك صفاء مرآتك تنزل رؤيته عليه السلام في المنام، فإن رآه مقبلا عليه او معلما له أو مؤتما في صلاته أو في طريق أو أطعمه شيئا حسنا او كساه ملبوسا لائقا او وعده او دعى له بخير فإن كان أهلا للملك ملك و كان في زمنه عادلا حاكما بالحق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان عالما عمل بما علم وإن كان عابدا بلغ إلى منازل أهل الكرامات وإن كان عاصيا تاب وأناب إلى الله تعالى وإن كان كافرا اهتدى. وربما بلغ قصده من علم أو قراءة او عمارة باطن مع أمته لقوله تعالى: فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي وإن كان الرائي خائفا أمن من ذي سلطان ورزق شفيعا مقبولا، لأنه صاحب الشفاعة، وإن كان الرائي على بدعة وضلالة فليتق الله في نفسه خصوصا إن رآه معرضا عنه وربما قدمت على الرائي بشارة مفرحة. وتدل رؤيته صلى الله عليه وسلم على إظهار الحجج وصدق المقالة والوفاء بالوعد وربما نال من بين أهله وأقاربه مبلغا لم يبلغه أحد منهم، وربما حصلت له منهم العداوة والحسد والبغض وربما فارق أهله وانتقل من وطنه إلى غيره وربما أدركه اليتم من أبويه. وقد تدل رؤيته صلى الله عليه وسلم على إظهار الكرامات لأن الظبي سلم عليه والبعير قبل قدميه واسري به إلى السماء وكلمه الذراع و ... إليه الشجار و إن كان الرائي من الكحالين الذين يعالجون الأبصار بلغ في صناعته مبلغا لم يبلغه أحد لأنه صلى الله عليه وسلم رد عين قتادة. وإن كان الرائي في سفر وقد أجهد الناس العطش دل على نزول الغيث وانصباب الرحمة لأنه صلى الله عليه وسلم نبع الماء من بين أصابعه عند عدم الماء، وكذلك إن كان الناس في جهد وقحط دل على الشبع والرخاء والبركة من حيث لايحتسبون وإن رأته امرأة بلغت رتبة عظيمة وشهرة صالحة وعفة وأمانة في نفسها وصيانة و ربما ابتليت بالضرائر ورزقت نسلا صالحا وإن كانت ذات مال انفقته في طاعة الله تعالى.ورؤيته صلى الله عليه وسلم تدل على الصبر على الأذى وإن رآه يتيم بلغ مبلغا عظيما وكذلك إن كان غريبا. وإن كان الرائي ممن يعالج الأبدان انتفع الناس بطبه وربما دلت رؤيته على نصر المؤمنين ودمار الكافرين خصوصا إن كان معه أصحابه. وإن رآه مديون قضي دينه وإن رآه مريض شفاه الله تعالى وإن رآه من لم يحج حج بيت الله الحرام وإن رآه محارب نصره الله تعالى وإن رآه ممتحن كفاه الله تعالى وإن رئي في أرض أخربت أخصبت إذا كان على هيئته وإن رآه شاحب اللون مهزولا أو ناقصا بعض الجوارح وذلك يدل على وهن الدين في ذلك المكان و ظهور البدعة وكذلك إن رأى عليه كسوة رثة وإن رأى أنه شرب دمه عليه السلام حبا فيه خفية فإنه يستشهد في الجهاد. وإن رأى أنه شربه علانية دل ذلك على نفاقه و دخل في دم أهل بيته وأعان على قتلهم، وان رآه راكبا فإنه يزور قبره راكبا وإن رآه راجلا توجه إلى زيارته راجلا وإن رآه قائما استقام أمره وأمر إمام زمانه وإن رآه قد مات يموت من نسله رجل شريف وإن رأى جنازته فإنه تحدث في تلك البقعة مصيبة عظيمة، وان رأى انه قد زار قبره أصاب مالا عظيما وان رأى أنه شيع جنازته حتى قبر فإنه يميل إلى البدعة، وإن رأى أنه ابن النبي صلى الله عليه وسلم وليس هو من نسله دلت رأياه على خلوص إيمانه ويقينه.ورؤيا الرجل الواحد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يختص ببركته بل يعم جماعة المسلمين وإن رأى النبي وقد أعطاه شيئا من متاع الدنيا أو من طعام أو من شراب فهو خير يناله بقدر ما أعطاه وإن كان ما أعطاه رديء الجوهر مثل البطيخ ونحوه فانه ينجو من امرعظيم إلا انه يقع به أدى وتعب .وان رأى إن عضوا من أعضائه عليه السلام عند صاحب الرؤيا قد أحرزه فانه يدل على بدعة من شرائعه ومن رأى انه تحول في صورته عليه السلام أو لبس ثوبا من ثيابه أو دفع له خاتمه أو سيفه فان كان طالبا للملك ناله ودانت له الأرض وانفي ذل و هوان أعزه الله و ان كان طالب علم نال من ذلك مراده وان كان فقيرا استغنى أو عازبا تزوج. ومن رآه في مكان خراب فانه يعمر ببركته وان رءاه في داخل مكان جالسا فيه فانه يكون في ذلك المكان ءاية وعبرة. ومن رءاه صلى الله عليه وسلم يؤذن في موضع كثر خصبه وعمارته ورجاله وان رءاه أقام

الصلاة في مكان وصلى فيه اجتمع الأمر المتفرق بالمسلمين وان رءاه يكتحل فانه يأمن بصلاح دينه و طلب حديثه. و ان رءته حامل او رآه بعلها فان الحمل غلام.و من رآه حسنا زائد الحسن فان ذلك زيادة في دين صاحب الرؤيا .ومن رأى لحيته الكريمة سوداء ليس فيها بياض فانه ينال سرورا وخصبا عظيما. ومن رآه في صورة كهل فانه يدل على قوة حاله ونصره على أعدائه وان رءاه عليه السلام أعظم ما يكون فان الإمام تعظم رياسته وسلطانه وان راءى عنقه غليظا فان الإمام حافظ لأمانة المسلمين وان رأى أن صدره أوسع ما يكون وأحسنه فان الإمام يكون سخيا في عطاء الجند .وان رأى بطنه خاليا فان الخزانة خالية لا مال فيها وان رأى أصابعه اليمنى مضمومة فان الإمام لا يعطي الأرزاق وصاحب الرؤيا لا يحج ولا يجاهد ولا ينفق على عياله وان رأى يده اليسرى مضمومة فان الإمام يحبس أرزاق جنده وأموال الجهاد والصدقات وصاحب الرؤيا لا يؤدي الزكاة ويمنع السائل. وان رءاه يده مفرجة الأصابع فان الإمام يعطي الأرزاق وصاحب الرؤيا يحج ويجاهد ،وان رأى يده قابضة أصابعها على كفها انعقدت أمور الإمام وأصابعه هم وكذا صاحب الرؤيا . و من رأى فخده عليه السلام أعظم وأجل وأكثر شعرا فان عشيرته يقوون بالكثرة والمال. وان رأى ساقيه طويلين طال عمر الإمام ومن رآه عليه السلام في في عسكر وعليه سلاح وهم يضحكون ويعجبون فان جيش المسلمين ينهزم في تلك السنة. وان رءاه في عسكر قليل وسلاح غير تام وتظهر عليهم الذلة والخضوع فان المسلمين ينتصرون على أعدائهم لقوله تعالى :(ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة).ومن رأى انه عليه السلام يمشط رأسه ولحيته فانه يدل على زوال هم صاحب الرؤيا . وان رءاه في مسجده عليه السلام أو حرمه أو مكانه المعروف فانه ينال قوة وعزا.ومن رءاه يواخي بين الصحابة فانهينال علما و فقها.و من رآى قبره عليه السلام فانه يستغني وينال مالا وان كان تاجرا ربح في تجارته وان مسجونا خلص .ومن رأى انه أبو النبي صلى الله عليه وسلم فانه يفسد دينه ويضعف يقينه. ومن رأى أن واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمه زاد إيمانه وان رأى انه يمشي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فانه متبع لسنته ومن راى النبي صلى الله عليه وسلم ينظر في أمره فانه يأمره بأداء حقوق امرأته. ومن رأى انه يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه يأمره بأداء زكاة ماله. ومن يراه عليه السلام يأكل وحده فان صاحب الرؤيا يمنع السائل ولا يتصدق فأمره بالصدقة. وان رأى النبي صلى الله عليه وسلم بلا نعل فانه تارك الصلاة مع الجماعة فأمره بالصلاة مع الجماعة. ومن رآه لابسا خفيه فإنه يأمره بالجهاد في سبيل الله تعالى. ومن رآه صافحه فإنه متبع سنته. ومن رآى دمه مخلوطا بدم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يصاهر شريفا أو يناكح العلماء. وإن رأى النبي صلى الله عليه وسلم يناوله شيئا من البقول فإنه ينجو من هم وإن ناوله شيئا مما يستحب نوعه كالرطب والعسل فإنه يحفظ القرآن و ينال من العلم بقدر ما ناوله. ومن رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن رأى النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه شيئا فإنه ينال علما ويتبع الحق فإن رده عليه فإنه يدخل بدعة. ومن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة شاب طويل فإنه يكون في الناس فتنة وقتل. وإن رآه و هو شيخ كبير فإن الناس في عافية. وإن رآه وهو آدم اللون فإنه يترك الصبا ويحدث نفسه بالتوبة. وان رآه أبيض اللون فإنه يتوب إلى الله تعالى ويحسن عمله وتستقيم طريقته. ومن رآه يعاتبه او يجادله أو يرفع عليه صوته فإن ذلك بدع قد أحدثها في الدين. ومن رأى أنه يقبله فلينظر ماذا يروي عنه فليتثبت في ذلك. و من رأى أنه مات في موضع من المواضع فإنه تموت السّنّة في ذلك الموضع. انتهى كلام النابلسي برمته.وإنما سقت جميعه لأنه مما يؤيد حديث إني أرى في كل صورة كما يفيده ما نقل أعلاه من اختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم على حسب الحكم الذي تفيده رؤياه صلى الله عليه وسلم، وذلك كله من ثمرات قراءة جوهرة الكمال سبعا عند النوم بشروط ذلك، وأنه صلى الله عليه وسلم يرى في كل صورة على ما قيد به التشيتي ذلك. وهذا الذي

حملني على الخروج عن المقصود لأن رؤياه من توابعه. انتهى ما أردنا ذكره من فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
وقد انجر بنا الكلام إلى تقديم فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على فضل الأول الذي هو الاستغفار والعذر في تقديمها واضح. ثم نرجع إلى ذلك فأقول اعلم أن الاستغفار من أهم الأبواب التي يعتنى بها ويحافظ على العمل بها. قال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو. وقال ابن وهب: من عظمت ذنوب نفسه لم يطمع في الرضى وكان غاية أمله أن يطمع في العفو. ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب واعتبر استغفار النبي صلى الله عليه وسلم بعد البشارة و اليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر. هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط و تقدس عن ذلك، فما ظنك بمن لا يخلو من العيب والذنب في وقت من الأوقات. وكان ابراهيم الخليل عليه السلام كثير التلاوة والبكاء، فبكى يوما بكاء شديدا فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا ابراهيم إن ربك يقول لك: هل رأيت خليلا يعذب خليله؟ فقال: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي. وإذا كان هذا حال ابراهيم عليه السلام مع نبوته وخلته فما حال العاصي مع زلته وخطيئته. فحاسب نفسك قبل أن تحاسب ومهد لها قبل أن تعذب وجاهدها الجهاد الأكبر وقل عند ذبحها: بسم الله والله أكبر. فالعاقل يقيم هذا الميزان على نفسه حتى يتبين لنا من أي الفريقين هو،(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا). قال في جواهر المعاني: قال مولانا جل من قائل:(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي). الآية. عن قتادة رضي الله عنه قال: إن القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما دائكم فذنوبكم وأما دواؤكم فالاستغفار. وأخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انزل الله علي امانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار إلى يوم القيامة. وأخرج احمد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله. وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه خمس مرات غفر له وإن كان عليه مثل زبد البحر. وقال تعالى :(ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما). انتهى كلام الجواهر. وقال حواري هذه الطريقة في رماحه: فاعلم ان الآيات والأحاديث قد حضت على الاستغفار، أما الآيات فكثيرة منها قوله تعالى: (ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار). وقوله تعالى(ولو أنهم إذا ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقوله تعالى:(و من يعمل سوء أو يظلم نفسه...الى رحيما). و قوله:(وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون). و قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا.. إلى قوله أنهارا).و قوله تعالى (فاعلم أنه لا إله الا الله و استغفر لذنبك وللمؤمنين و للمومنات). الآية: وقوله تعالى :(سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض... إلى قوله فاستغفروا لذنوبهم) وقوله:(فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا). و الآيات في الاستغفار كثيرة، وأما الأحاديث فكثيرة معروفة لا يمكن استقصاؤها ولكن أشير إلى طرف منها فأقول: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. وفي رواية لمسلم: ينزل الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له. فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر. وفي رواية:

إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه. و روى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحيي الليل صلاة يقول: يا نافع أ سحرنا فيقول لا فيعاود للصلاة، فإذا قال له نافع: نعم يستغفر الله ويدعو حتى يصبح.وروى أبو داود في سننه والطبراني في كتاب الدعاء وأبو يعلى وابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتاني آت من ربي فقال من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما. و قد كان شقت عليهم الآية التي قبلها: من يعمل سوءا يجز به. فأردت أن أبشر أصحابي. قال قلت يا رسول الله وإن زنى وان سرق ثم استغفر غفر له؟ قال نعم . قلت: يا رسول الله، و إن زنى وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم. ثم ثلثت قال نعم على رغم أنف عويمر. ثم قال كعب بن ذهل: وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه. وروى ابن جرير وابن المنذر من طريق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:(ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله). قال: أخبر الله تعالى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته. فمن أذنب ذنبا صغيرا كان او كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال.

وروى ابن جرير وعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: كان بنو إسرائيل إذا أصاب احدهم ذنبا أصبح قد كتبت له كفارة ذلك الذنب على بابه وإذا أصاب البول شيئا منه قرضه بمقراض فقال رجل: لقد أتى الله بني اسرائيل خيرا. فقال ابن مسعود: ما آتاكم الله خيرا مما آتاهم جعل لكم الماء طهورا وقال :(ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما). وروى ابن جرير عن حبيب ابن أبي ثابت قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن المغفل فسألته عن امرأة فجرت، ولما ولدت قتلت ولدها فقالت: ما لها؟ فقال: لها النار. فانصرفت وهي تبكي فدعاها فقال: ما أرى أمرك إلا أحد امرين،(من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما). فمسحت عينيها ثم مضت. وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنزل الله تعالى علي أمانين لأمتي : و ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار. وفي ترغيب الطالب إلى أشرف المطالب عن علي رضي الله عنه أنه قال: عجبت لمن يهلك ومعه النجاة، قالوا: وما هي؟ قال: الاستغفار. وقرأ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. وروي عن مكحول: مادام في الناس خمسة عشر يستغفر كل واحد منهم الله في اليوم خمسا وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب عام. و في ترغيب الطالب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إني عجبت ممن يشكو ضيق الرزق ومعه مفاتيحه. قيل له: وما هي: قال: الاستغفار. وقد نبه عليه قوله تعالى: (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين و يجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا). وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم.و روى أبو داوود والترمذي عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة. قال الترمذي: ليس اسناده بالقوى. وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: قال الله تعالى: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لم تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة. وروى ابن ماجد بإسناد جيد عن عبد الله بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكيه عن ربه عز وجل: إذا أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنوبي. فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب

فقال: رب اغفر لي ذنبي، قال ذلك ثلاث مرات فقال تبارك وتعالى: قد غفرت له فليفعل ما شاء وفي رواية : اعمل ما شئت فقد غفرت لك. وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر النساء أكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار. قالت امرأة منهن: مالنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن و تكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن. قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل وتمكث الأيام لا تصلي. وروى ابن حنبل والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال إبليس لعنه الله: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني. وفي ترغيب الطالب روى بإسناد لا بأس به عن الزبير رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أحب أن تقلّ ذنوبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: استغفر الله دائما لتقل ذنوبك. وفي ترغيب الطالب روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أكثروا من الاستغفار فإن الاستغفار يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وكما تأكل الشاة الخضرة وإن صحيفة المرء إذا عرج بها إلى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لها نور وإذا طلعت فيها الاستغفار كان لها نور يتلألأ وإن لم يكن فيها إلا استغفار يسير، وما جلس قوم بمجلس لهو ثم ختموه بالاستغفار إلاّ كتب لهم مجلسهم ذلك استغفار كله.وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أذنب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أذنبت فاستغفر ربك. قال: فإني أستغفر ربي ثم أعود فأذنب، قال: فإذا أذنبت فاستغفرْ ربك، فقال في الرابعة: استغفر ربك عز وجل حتى يكون الشيطان هو المُخسأ. وروى صاحب الفردوس عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من عبد يختم صحيفته عند مغيب الشمس بالاستغفار إلاّ محي ما دونها. وروى أبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل صدأ جلاء وأن جلاء القلوب الاستغفار.وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لقيَ عبد ربه عز وجل في صحيفته بشيء خير له من الاستغفار. انتهى. والأحاديث الواردة في فضل الاستغفار كثيرة جدا. وفيما ذكرناه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.ولنرجع إلى تمام فضائل أركان الورد الأحمدي التجاني لأن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قد تقدم قبل محله، لأن سائق القدرة سائق إلى ذلك فأقول مستعينا بالله إنه خير معين.قال في جواهر المعاني: قال الله تعالى في فضل الهيللة:(فاعلم أنه لا إله إلاّ الله). وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلاّ الله. وفضلها مشهور معلوم في الملة المحمدية. وقال في الرماح: وأما فضل الهيللة فمعلوم مشهور في هذه الملة المحمدية كما جاء في الكتاب والسنة. أما الكتاب فقد قال تعالى لسار خليقته وأفضل بريئته صلى الله عليه وسلم:(فاعلم أنه لا إله إلاّ الله). وقال في ذمّ أهل النار:(إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون). وأما السنة فقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة. روى مالك بن أنس عن طلحة بن عبيد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله. وروى أبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله ومدّها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر.وروى أبو منصور الديلمي أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثمن الجنة لا إله إلا الله, وثمن النعمة الحمد لله. وروى صاحب الفردوس من غير إسناد عن أمّ هانئ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إله إلاّ الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا. وروى الموصلي وأبو منصور الديلمي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم.فإذا آثروا صفقة دنياهم وتركوا لا إله إلاّ الله ردّت إليهم. وقال تعالى كذبتهم. وروى صاحب الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقنوا أمواتكم لا إله إلاّ الله فإنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان لو جعلت لا إله إلا الله في كفة وجعلت السماوات والأرض في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله. وروى النسائي وابن حبّان في صحيحه والحاكم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به قال يا موسى قل لا إله إلاّ الله قال: يا رب، كل عبادك يقول هذا قال: قل لا إله إلا الله قال: إنما أريد شيئا تخصني به قال يا موسى لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله.وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يوتى برجل يوم القيامة ثم يؤتى بالميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلا كل سجلّ منها مدّ البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم تخرج له قرطاس مثل هذا وأمسكَ بإبهامه على نصف أصبعه فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع في كفة أخرى فترجح بخطاياه وذنوبه. قال الفشني في شرحه على الأربعين النووية عند قوله عليه الصلاة والسلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. الحديث .

فصل في الكلام على لا إله إلا الله وبعض فضائلها: اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده يعتقدونها ويقولونها فقال سبحانه:(فاعلم أنه لا إله إلا الله) وذمّ مشركي العرب بقوله:(إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون). و قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب: قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها يوم القيامة. فلا إله إلا الله كلمة التقوى كما فسرها صلى الله عليه وسلم.و في حديث عثمان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنيَ لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلاّ حرمه الله تعالى على النار. فقال عمر رضي الله عنه: أنا أحدّثك ما هي كلمة الإخلاص التي ألزمها محمدا وأصحابه. قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: ليس لقول لا اله إلا الله ثواب إلاّ النظر إلى وجه الله تعالى والجنة ثواب الأعمال. وقيل: إن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر ينتفي عنه ظلمة الكفر ويثبت في قلبه نور التوحيد, وإذا قالها المومن في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئا لم تنفه المرة الأولى وهي أفضل الذكر كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وهي دأب الناسكين وعدّة السائرين وتحفة السابقين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يفتح الله أبواب الجنة وينادي مناد تحت العرش أيتها الجنة وما فيك من النعيم لمن أنت؟ فتنادي الجنة وكل ما فيها نحن ِلأهل لا إله إلا الله ولا نطلب إلا أهل لا إله إلا الله, ولا يدخل علينا إلا أهل لا إله إلا الله, ونحن محرّمون على من لم يقل لا إله إلا الله. وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب: لا يدخلني إلاّ من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله, وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله, ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إله إلا الله، وليس غيظي وزفيري إلا لمن أنكر لا إله إلا الله. قال فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول: أنا لأهل لا إله إلا الله وناصرة لمن قال لا إله إلا الله, ومحبة لمن قال لا إله إلا الله, والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله, والنار محرّمة على من قال لا إله إلا الله, والمغفرة من كل ذنب, غير محجوبة على أهل لا إله إلا الله. وقال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى:(إذا الشمس كوّرت وإذا النجوم انكدرت), أي يوم القيامة يتجلى نور كلمة لا إله إلا الله فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لأن أنوار تلك، أنوار مجازية, ونور لا إله إلا الله, نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى، والمجاز مقابلة في جانب الحقيقة. و جاء في الأثر أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب في ذلك أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد ردّ على كل كافر وكافرة. فلا جرم يستحق الثواب بعددهم. وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى:(وبير معطّلةٍ وقصْرٍ مَشِيدٍ)

فقال: البير المعطّلة قلب الكافر معطلة من قول لا إله إلا الله، والقصر المشيد, قلب المومن معمور بشهادة أن لا إله إلا الله. وقيل في قوله تعالى:(اتّقُوا اللهَ وقولوا قولاً سَدِيدا) يعني قول لا إله إلا الله. و روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطرق ويقول: قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا. وقال سفيان بن عينية: ما أنعم الله على العباد بنعمة أفضل من أنْ عرّفهم لا إله إلا الله, وأن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا.وذكر سفيان الثوري رحمه الله تعالى أن لذاذة قول لا إله إلا الله في الآخرة, كلذة شرب الماء البارد في الدنيا. وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى:(وأسبَغَ عليكُمْ نِعَه ظاهرةً وباطِنة) إنه لا إله إلا الله. وقيل: إن كل كلمة يصعد الملك بها إلاّ قول لا إله إلا الله, فإنه يصعد بنفسه، دليله, قوله تعالى:(إليه يصعَدُ الكَلِمُ الطـّيِّب), أي قول: لا إله إلا الله, (والعمَلُ الصـّالحُ يَـرْفعُـه), أي الملك يرفعه إلى الله تعالى، حكاه الرازي. وحكى أيضا أنه إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص في شيء منها. أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله تعالى، والمومن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه.وفي الخبر يقول الله تعالى: لا إله إلا الله حصني, ومن دخل حصني أمِنِ من عذابي, ويقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله سبعُ كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة من هذه الكلمات السبع, تغلِق بابا من الأبواب السبعة عن كل عضو من الأعضاء السبعة. حكي عن الإمام الرازي رحمه الله تعالى, أن رجلا كان واقفا بعرفات فكان في يده سبعة أحجار فقال: يا أيتها الأحجار، اشهدوا لي أنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنام فرأى في المنام كأنّ القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوَجبت له النار، فلمّا ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقت نفسها على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا. ثم سيق إلى الثاني فكان الأمر كذلك وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى العرش فقال الله سبحانه وتعالى: عبدي أشْهدتَ الأحجار فلا يضيع حقك, وأنا شاهد على شهادتك توحيدي،ادخل الجنة فلما قرب من أبواب الجنان فإذا أبوابها مغلوقة فجاءت شهادة لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل الجنة. وروى القرطبي بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: حضر ملك الموت عليه السلام رجلا, فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة, ثم شقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئا، ثم فكّ عن لحييْه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله, فقال: وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص. يعني لا إله إلا الله. وفي الحديث: من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة. وفيه أيضا: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم، وكأنّي بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: الحمد ِلله الذي أذهَبَ عنّـا الحَـزَنَ. والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة شهيرة, انتهـى. وفي الفتوحات الوهبية للإمام الشبرختي ما نصه: قال السمرقندي في كتاب الأربعين، ويقال من قال: لا إله إلا الله هدمت له أربعة آلاف سيئة، كلّ كلمة تكفّـر ألف سنة. و ذكر الفاكهاني أن ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفي الفقر, وقال بعض العلماء: إذا قال القائل لا إله إلا الله, اهتزّ لها العرش. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: لكل شيء مصقلة، ومصقلة القلب الذكر وأفضل الذكر لا إله إلا الله لجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر.وقال صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله, خرج من فيه طائر أخضر له جناحان أبيضان مكلّلان بالدّرّ والياقوت, يصعد إلى السماء, فيُسمع له دويّ تحت العرش كدويّ النحل فيقال له: اُسكُنْ فيقول لا حتى تغفر لصاحبي، فيُغفَر لقائلها ثم يجعل بعد ذلك للطائر سبعين لسانا تستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله إلى الجنة. وروى محمد بن ءادم قال: رأيت بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي نزعك من دين آبائك؟ قال: تبدّلتُ خيرا منه فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: ركبت البحر, فلما توسطناه, انكسر المركب فلم تزل الأمواج تدافعني, حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة, ولها ثمر أحلى من الشهْد,

وألين من الزّبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت: آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يقضيَ الله بأمره. فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها. فلما كان في جوف الليل وإذا بدابّة على وجه الماء تسبّح الله وتقول:لا إله إلاّ الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الأمصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مُبْغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبيس القرار. ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر. فلما طلع الفجر قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد وأبو بكر السديد، عمر بن الخطاب سورٌ من حديد ،عثمان الفضيل الشهيد ،عليّ بن أبي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغِضِهم لعنة الرّبّ المجيد. ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسي الهلكة فهربت فنطقتْ بلسان فصيح فقالت: يا هذا قف وإلاّ تهلك فوقفت فقالت: ما دينك؟ فقلت: دين النصرانية فقالت: ويحك، ارجع إلى دين الحنيفية فقد حللت بفِناء قوم من مسلمي الجنّ لا ينجو منهم إلاّ مَن كان مسلما. فقلت: وكيف الإسلام قالت: تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله, فقلتها فقالت: أتم إسلامك بالترحّم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فقلت: من أتاكم بذلك؟ قالت قوم منّا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول: إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان فصيح: إلهي قد وعدتني أن تشيِّد أركاني، فيقول الجليل جل جلاله: قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيّنتك بالحسن والحسين. ثم قالت الدّابّة: أ تريد أن تقعد هاهنا أم الرجوع إلى أهلك؟ فقلت: الرجوع إلى أهلي فقالت: اصبر حتى تمر بك مركب. فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجري فأومأت لها فدفعوا لي زورقا فركبت فيه ثم جئت إليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجل, كلهم نصارى فقالوا: ما الذي جاء بك إلى هاهنا؟ فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا من أمري وأسلموا كلهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم.وفي العلم في الورد الأعظم لابن النّحّاس عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فإذا قال العبد لا إله إلاّ الله, اهتز العمود, فيقول الله تبارك وتعالى للعمود: أسكُن، فيقول العمود إي ربّي كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول الله تبارك وتعالى: أسكن أيها العمود فإني قد غفرت له، فيسكن العمود عند ذلك.وذكر أبو محمد عبد الله اليافعي في كتاب الإرشاد عن الشيخ أبي عبد الله القرطبي أنه قال: سمعت في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار, فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد أعمالا ادّخرتها لنفسي, وعملت بها لأهلي. وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال أنه يُكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار, وكان في قلبي منه شيء، فاتّفق أنه استدعانا بعض الإخوان إلى منزله, فنحن نتناول من الطعام والشّاب معنا فصاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول: يا عمي هذه أمي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشكّ مَن سمعه أنه من أمر عظيم، فلما رأيت ما به قلت في نفسي: اليوم أجرّب، فقلت في نفسي: اللهم إني عملت سبعين ألفا وقد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار، فما استتمّ هذا الخاطر إلاّ و تبسم الشابّ وسُرّ وقال: يا عمي ها هي أمي قد أخرِجت من النار, فحصل لي فائدتان صِدق الأثر وعلمي بصدق الشاب المذكور. وفي آخر بغية المستفيد لشيخنا أبي المواهب السائحي ما نصه: وأما كلمة الإخلاص, لا إله إلاّ الله فهي أشرف الذكر وكل فضل الذكر على الإطلاق فهو لها والآي القرآنية الموذِنة بالترغيب في ذكرها كثيرة. قال تعالى:(فاعلم أنه لا إله إلا الله), وقال سبحانه: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم), وقال عز وجل:(شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم) إلى غير ذلك.وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم, مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة ألاّ يسألني

عن هذا الحديث أحدا أولى منك لِما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه. وعن يعلى بن شداد قال: حدّثني أبي شداد بن أوس وعبادة ابن الصامت حاضرٌ يصدّقه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل فيكم غريب؟ يعني مِن أهل الكتب، قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الأبواب فقال: ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله, فرفعنا أيدينا ساعة وقال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها, ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد. ثم قال: ابشروا فإن الله قد غفر لكم. ذكره في الترغيب والترهيب عن الإمام أحمد والطبراني وغيرهما. و فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جدّدوا إيمانكم, قيل يا رسول الله كيف نجدد إيماننا؟ قال: أكِثروا من قول لا إله إلا الله. و فيه أيضا: إني َلأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه, فيموت على ذلك, إلاّ حرم على النار, لا إله إلا الله. و فيه أيضا, قال رسول الله صلى الله عليه: أكثروا من شهادة ألاّ إله إلاّ الله, قبل أن يُحال بينكم وبينها. وفيه أيضا, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مفاتيح الجنة لا إله إلا الله. و فيه أيضا: ما من عبد قال لا إله إلاّ الله في ليل أو نهار إلاّ طمّست ما في الصحيفة من السيئة حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات.وفيه أيضا: التسبيح نصف الميزان, والحمد لله تملؤه, ولا إله إلا الله ليس بينها وبين الله حجاب حتى تخلص إليه. و فيه أيضا: إن الله يستخلص رجلا من أمّتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدّ البصر, ثم يقول: أتنكِر من هذا شيئا؟ أظَلَمَك كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب, فيقول أفَلَك عذر؟ فيقول: لا يا رب, فيقول الله تعالى: بلى إنّ لك عندنا حسنة, فإنه لا ظُلمَ عليك اليوم, فيخِرج بطاقة فيها أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله, فيقول: أحضِرْ وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلاّت فقال: إنك لا تُظلَم، فتوضَع السجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء. بنقل العلامة اليوسي في منهاج الخلاص. وفيه ومن كتاب الفوائد التامّة عن علي بن الحسين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني جبريل عليه السلام أن, لا إله إلاّ الله, أنس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره. يا محمد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم هذا يقول: لا إله إلاّ الله فيبيَضّ وجهه، وهذا ينادي: يا حَسرَتي عَلى ما فَرّطتُ فِي جَنْبِ اللّهِ، فيسودّ وجهه. انتهى. وذكر فيه أيضا ما نصه: وفي مفتاح الفلاح عن أبن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يفتح الله أبواب الجنة فينادي مناد تحت العرش, أيتها الجنة وكل ما فيك من النعيم لمن أنت فتنادي الجنة وما فيها: نحن لِأهل لا إله إلا الله, ونحن محرّمون على من لم يقل لا إله إلا الله, ولم يومن بلا إله إلا الله, وعند هذا يقال للنار وكل ما فيها من العذاب لمن أنت فيقول: لا يدخلني إلاّ من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب إلاّ من كذّب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله ولا أمتلئ إلاّ بمن جحد لا إله إلاّ الله وليس غيظي إلاّ لمن أنكر لا إله إلاّ الله. قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته يقولان: أنا لِأهل لا إله إلاّ الله وناصران لمن قال لا إله إلا الله ومحبّان لمن قال لا إله إلاّ الله ومتفضلان على من قال لا إله إلا الله ويقول الله تبارك وتعالى: أبحت الجنة لمن قال لا إله إلا الله وما تكوّنت الجنة إلا لأهل لا إله إلا الله. انتهى كلام البغية.

الفصل الخامس في فضل لا اله الا الله:وفي الدّرّ الثمين والمورد المَعين في شرح المرشد المُعين, ما نصه:اعلم أنه لو لم يكن في بيان فضلها إلاّ كونها علما على الإيمان في الشرع تعصم الدماء والأموال بحقها وكان إيمان الكافر موقوفا على النطق بها لكان كافيا للعقلاء كيف وقد ورد في فضلها احاديث كثيرة، فمنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي, لا إله إلا الله وحده لا شريك له. رواه مالك في الموطأ. وزاد الترمذي في روايته: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وروى هو و النسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل

الدعاء الحمد لله, انتهى. وفي نتائج الأفكار للشيخ مصطفى العروسي ما نصه: روى الترمذي يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كان له عدل عشرة رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلاّ واحد عمل أكثر من ذلك. انتهى.وروى الترمذي يرفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال في إثر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم, لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان و لم يتبَع بذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلاّ أن يشرك بالله. وروى مالك في الموطأ يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: من سبّح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبّر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر, انتهى. وفي نزهة الناظرين, لتقيّ الدين عبد المالك بن أبي المنى الحلبي ما نصه: قال صلى الله عليه وسلم: أكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحالَ بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة. وقال عطاء بن أبي رباح: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى:(غافرِ الذّنبِ و قابِلِ التّوبِ شديـدِ العقـابِ ذِي الطّوْلِ), غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله شديدِ العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله. و قوله: لا إله إلا هو إليه المصيـر مصير من قال لا إله إلا الله إلى الجنة و مصير من لم يقل لا إله إلا الله إلى النار. وقال صلى الله عليه وسلم: لقنوا أمواتكم لا إله إلاّ الله فإنها تهدم ما كان قبلها من الخطايا. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ شَهدَ اللهُ أنّـهُ لا إلهَ إلاّ هو وَالملائكةُ وأولوا العلمِ قائِماً بالقِسْطِ لا إله إلاّ هـوَ العزيـزُ الحكيمُ, ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إنّ الدينَ عندَ اللهِ الإسـلام يـُجاءُ بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: إنّ لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحَقّ مَن وفَى بالعهد، أدخِلوا عبدي الجنة.قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما نزل قوله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو خرّت الأصنام سجّدا حول الكعبة.قيل في لا إله إلا الله خاصيتان إحداهما أن جميع حروفها جوفية ليس فيها شيء من الحروف الشفاهية للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين. الثاني أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها مجردة من النقط إشارة إلى التجرد من كل معبود سوى الله تعالى.وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا وساعات الليل والنهار كذلك، فكأنه قيل كل ذنب أذنبت في هذه الساعات يغفر بهذه الحروف. و قيل قول لا إله إلا الله اثنى عشر حرفا، فلا جرم وجب بها اثنتي عشرة فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة، أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد. وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضى والزهد والتوبة.وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل: يحصل للمومن بسبب الشهادة أبوّة إبراهيم عليه السلام. قال الله تعالى:(ملّة أبيكمُ إبراهيمَ) وأمومة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم, قال الله تعالى: (وأزواجُهُ أمّهاتُهُمْ) وأخُوّة المومنين، قال الله تعالى:(إنّمَا المومنونَ اخوة)واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى:(واستغفِرْ لِذنبِكَ وللمومنينَ والمومناتِ), واستغفار الملائكة:(ويستغفِرون لِلّذيـنَ آمنوا), وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. قال عليه السلام: شفاعتي ِلأهل الكبائر من أمّتي, ومشاركة الله في الإسم: المومن. حكي أنه كان في الأمم الماضية ملِك متمرّد على ربّه، فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا فقالوا بأيّ قتلة نقتله؟ فأجمع رأيهم على أن

يضعوه في قمقم ويوقدوا تحته النار ليذيقوه قوة العذاب. ففعلوا ذلك به فجعل يدعو ءالهته واحدا بعد واحد يا فلان بما كنت أعبدك أنقذني مما أنا فيه. فلما رءاها لا تغني عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال: لا إله إلا الله مخلصا، فصبّ الله عليه ماء من السماء فأطفأ النار، فجاءت ريح فحملت القمقم وجعلت تدور بين السماء والأرض وهو يقول: لا إله إلا الله. و قذفته إلى قوم لا يعبدون الله وهو يقول لا إله إلا الله، فاستخرجوه وقالوا: ويحك مالك؟ فقال: أنا ملك بني فلان كان من أمري وجندي كيت وكيت وقصّ عليهم القصة، فآمنوا كلهم.و يروى عن الله عزّ وجلّ أنه قال: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمِن من عذابي. وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: وفي الخبر مفتاح الجنة لا إله إلا الله. قال أبو الليث: المفتاح لا بد لـه من أسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه، لسانٌ ذاكرٌ طاهرٌ من الكذب والغيبة وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة وبطْن طاهر من الحرام والشّبْهة وجوارح مشغولة بالخدمة، طاهرة من المعاصي. انتهى . وفي شرح السنوسي على عقيدته أم البراهين, مع حاشية العلامة الدّسوقي ما نصه: قال صلى الله عليه وسلم: أتاني ءاتٍ من ربّي فأخبرني أنه من مات يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دخل الجنة أي أن من مات مومنا يتلفظ بالشهادتين دخل الجنة. فقال له أبو ذر: وإن زنى و إن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق أي فله الجنة. فقد حذف جواب الشرط. وقال صلى الله عليه وسلم: من دخل القبر بلا إله إلا الله خلّصه الله من النار. وظاهره أنه لا يعذّب أصلا.انتهى. وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لن يوافـي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلاّ حرمه الله على النار. هذا ظاهر في أنّ لا إله إلا الله تكفّر الكبائر ولا مانع من أنّ الله يعفو عنه ببركاتها ويرضي عنه خصماءه. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: مفتاح الجنة لا إله إلا الله. و روى أنس رضي الله عنه أن لا إله إلا الله ثمن الجنة.وعنه صلى الله عليه وسلم: من لُقِن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة، أي فنطق بها. ففي العبارة حذْف لا بد منه لأن دخول الجنة مترتب على النطق بها بعد التلقين لا على مجرد التلقين كما هو ظاهر الحديث. وحاصله أنه إذا حضرت الوفاة إنسانا فلقنه شخص لا إله إلا الله فنطق بها ذلك المحتضر فإنه يدخل الجنة. و صفة التلقين أن يقول الجالس عنده وهو في النّزع: لا إله إلا الله، ولا يقول له قل لا إله إلا الله. فالتلقين يكون عند الاحتضار لا بعد الموت إذ ليس مشروعا عند المالكية وهو سنّة بعد الموت عند الشافعية. وفي مسند ابن سِنْجَر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره أصابه قبل ذلك ما أصابه. والمعنى من قال: لا إله إلا الله نفعته في يوم من دهره. والمراد بيوم النفع وقت الخلوص من المهالك ودخول الجنة. و في الإحياء قال عليه الصلاة و السلام: لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا وأتى بقُراب الأرض ذنوبا غفر له ذلك. وقال صلى الله عليه وسلم: لتدخلنّ الجنة كلكم إلاّ من أبـى وشرد عن الله شرود البعير عن أهله. قيل يا رسول الله من الذي يأبى؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله.وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: أوصيك بتقوى الله. فإذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها. قلت يا رسول الله، أمِنَ الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي من أفضل الحسنات. وفيه أيضا عن كعب: أوحى الله إلى موسى في التوراة: لولا مَن يقول لا إله إلا الله لسلّطت جهنم على أهل الدنيا. وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم، أي ومثل اليوم الليلة. فإذا قال: لا إله إلا الله ثلاث مرات في ليلة كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في تلك الليلة.وفيه وذكر عن أبي الفضل الجوهري قال: إذا دخل أهل الجنةِ الجنة سمعوا أشجارها وأطيارها وأنهارها وجميع ما فيها يقولون: لا إله إلا الله، فيقول بعضهم لبعض كلمة كنّا نغفل عنها.و حدث أيضا قال: يهتز العرش لثلاث: لقول المؤمن لا إله إلا الله ولكلمة الكفر إذا قالها وللغريب إذا مات في أرض غربة. و عن بعض الصحابة: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه

ومدّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذب من الكبائر. قيل فإن لم يكن له هذه الذنوب؟ قال: غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه. انتهى. و فضل هذه الكلمة كثير لا يمكن استقصاؤه، ولهذا اختار الأئمة ملازمة ذكرها في كل حال. و الأحاديث في هذا الباب كثيرة والغرض التبرّك منها بهذه النبذة اليسيرة. و الله الموفق للصواب.

ثواب الأذكار الغير لازمة: وأما ثواب الأذكار غير اللازمة فمنها ياقوتة الحقائق . ففي جواهر المعاني أن الشيخ رضي الله عنه ذكر أن من داوم على قراءتها تضمن له خير الدنيا و الآخرة، و أن من ذكرها مرتين في الصباح ومرتين في المساء غفرت له ذنوبه الكبائر والصغائر بالغة ما بلغت ولا يقع له وهمٌ في التوحيد، لكن بالإذن الصحيح عنه رضي الله عنه أو ممن أذن له. وأما حزب السيفي فقد ذكر حواريّ هذه الطريقة السيد الحاج عمر بن سعيد الفوتي في الرماح أن له اثني عشر ألف خاصية. قال شيخنا رضي الله عنه: قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: للسيفي اثنا عشر ألف خاصية ستة ءالاف في الدنيا وستة آلاف في الآخرة. فمن داوم على قراءته حصلت له الخواص بأجمعها الدنيوية والأخروية انتهى.وقال السيد محمد غوث الله في جواهره: اعلم أنّ السيفي ءآية من ءآيات الله تعالى فيها عجائب لا تحصى وغرائب لا تنكر وأكثر أهل الله وجدوا الفيض الفياض من هذا الدعاء وصاروا منه محظوظين بالحظ الأوفر. وعن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: إن له أسماء عديدة منها سيف الله و يمين الله و قدرة الله و يد الله و برهان الله و صمصام الله و الحزب اليماني و سهم الله و حرز المبرّة و الحرز الأعظم و الحزب السيفي انتهى. وقال الشيخ أبو عبد الله الأندلسي: اعلم أن من كان سعيدا في الدنيا والآخرة يصل إليه هذا الدعاء المبارك انتهى.وقال شيخنا رضي عنه: إن حزب السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق يغنيان عن جميع الأذكار حيث كانت. وما توجه متوجه وما تقرّب متقرب إلى الله تعالى, بأفضل منهما. وأما السيفي فله للنبي صلى الله عليه وسلم وله ستون ألف كرامة, انتهى.ومرادي أن أذكر من كراماته الأخروية فقط شيئا قليلا يمكن لي ذكره وإفشاؤه. فأقول وبالله تعالى التوفيق, وهو الهادي بمنّه إلى سواء الصراط: منها أن من لازم قراءته صباحا ومساء يحبه الله محبة خاصة. ومنها أن من كتبه وعلقه عليه يعدّ من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وإن لم يذكر. ومنها أن من لازم قراءته صباحا ومساء لا يكتب عليه ذنب. ومنها أن من لازم قراءته صباحا ومساء غفر الله له ما تقدم من ذنوبه. ومنها أن من قرأه في السّنة لا تكتب ذنوبه تلك السنة. ومنها أن من قرأه مرة يعطى عبادة سنة ومرتين يعطى عبادة سنتين وثلاثا يعطى عبادة ثلاث سنوات وهكذا على هذا المهيع. ومنها أن الله تعالى يعطي قارئه مرة ثواب صوم رمضان. ومنها أن الله تعالى يعطي قارئه مرة مثل ثواب قيام ليلة القدر بالغا ما بلغ في كل مرة.ومنها أن من قرأه إحدى وأربعين مرة, فإن الله تعالى يرزقه كرامات الأولياء ويجعله مصاحبا لهم في أي مكان بإذن الله تعالى. ومنها أن من قرأه كل صباح ثلاث مرات إلى تمام أربعين صباحا نال كرامة الأولياء وصار عزيزا مكرما بين الخلائق لا يخاصَم ولا يدافَع. ومنها أن من قرأه إحدى وأربعين صباحا متواليا بلغه الله مرتبة الولاية وكان من أولياء الله تعالى الذين يتصرفون في الغيب.ومنها أن من أراد رؤية نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أو واحد من أهله أو أقاربه فليقرأ إحدى وأربعين مرة فإنه يراه بإذن الله تعالى. ومنها أن من قرأه على نفسه وأولاده إحدى وأربعين مرة لا يرون في الدنيا شدة ولا في الآخرة مشقة.ومنها أن من قرأه مرة واحدة تقبّل الله تعالى أعماله الصالحة وتجاوز عن سيئاته. ومنها أن من قرأه مرة واحدة أنجاه الله من موت الفجأة.ومنها أن من قرأه أربعين مرة لإحضار الخضر يحضره الخضر عليه السلام. ومنها أن المداوم على قراءته لا يخرج من الدنيا إلا مع الإيمان ولو كانت أعماله لا تصلح ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر غفرها الله تعالى كلها بفضله وتاب عليه توبة نصوحا.ومنها أن من دام عليه خلق الله تعالى له شخصا حسن الوجه فإذا دنى أجله جاء إليه ذلك الشخص وجلس مقابلته فينظر إليه ويعجبه حسنه وجماله ويسبح الله

تعالى ثم يخرج روحه من غير تعب ولا مشقة وهو لا يتوجع ولا يدري بشيء. ومنها أن الملكين إذا جاءاه في قبره ليسألاه عن حاله يأمر الله تعالى هذا الحرز يجاوب عنه بأحسن جواب. ومنها أنه إذا قام يوم القيامة يخرج من قبره ووجهه كالقمر ليلة نصفه ببركته. ومنها أنه إذا قام من قبره أول ما يصافح النبيَّ صلى الله عليه وسلم. ومنها أنه إذا حضر إلى الميزان أمر الله تعالى ألاّ يحاسبوه ويقول انه كان يداوم في الدنيا على قراءة الحرز اليماني. ومنها أنه إذا وصل إلى الصراط جعل الله تعالى له هذا الحرز مَركْبا على الصراط ويقول اركبني واعبُر علي الصراط بأقلّ من لمح البصر. وقيل: يحمله ملك ويمر به فإذا سلِـمَ يقول له من أنت؟ فيقول: دعاؤك الذي كنت تدعو به في الدنيا.ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الفائزين إذا أتوه لزيارته بإكرام قارئ هذا الدعاء. ومنها أن من داوم على قراءته خلده الله تعالى في الجنة ببركته. ومنها أنه لا يكون لأحد خُـلعة ولا أعلى درجة أكثر من قارئ هذا الحرز. ومنها أن الله تعالى يهب له بكل حرف من هذا الدعاء درجة في الجنة ببركته.ومنها أن من كتبه وسقى محوَه للصبي يُفتح له باب التحصيل. ومنها أن من قرأه معتقدا بركته حضره سبعون ألف ملك. فإذا قال: اللهم أنت الله الملك الحقّ المبين... إلى قوله لا إله إلا أنت سجدت الملائكة كلها لله عز وجل وسألوه أن يقضي حاجة الداعي. انتهى.وأما حزب المغني فإنه يقرأ بعد قراءة حزب السيفي، لكن إن قرأت حزب السيفي مرتين أو أكثر في زمان واحد على الترتيب تقرأ حزب المغني مرة واحدة، وإن قرأت حزب السيفي مرة واحدة ولم تزد فإنك تقرأ حزب المغنى مرة واحدة.ومن فضائل حزب المغني أن من لازم قراءة حزب السيفي صباحا و مساء يحبه الله تعالى محبة خاصة كما تقدم. ومن لازم تلك المحبة الخاصة أن الله تعالى يمتحن صاحبها بالفقر ونحوه. ولا يمنَع بفضل الله تعالى من ذلك الامتحان إلاّ قراءة حزب المغني بعد قراءة حزب السيفي على الوصف المتقدم. وأما سورة القدر فإنها مثل السيفي في الثواب كما أخبر به الشيخ رضي الله عنه عن سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه و سلم. وأما سورة الإخلاص فقد روي في فضائلها أحاديث كثيرة. روى البخاري عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرله ذلك ، وكان الرجل يقللها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلام: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرءان. وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أيعجز أحدكم ثلث القرآن. وفي رواية قال النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه : أ يعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرءان في ليلة؟ فشقّ ذلك عليهم فقالوا: أيّـنا يطيق على ذلك؟ فقال: قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرءان.وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه, أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله جزّأ القرءان ثلاثـة أجزاء فجعل قل هو الله أحد ثلث القرءان. وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أقرأ عليكم ثلث القرءان، فقرأ قل هو الله أحد حتى ختمها . وروى الترمذي، وقال حسنٌ غريب، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ كل يوم مائـة مرة قل هو الله أحد محى الله عنه ذنوب خمسين سنة إلاّ أن يكون عليه دين.و في رواية عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أراد أن ينام على فراشه فنام عن يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائـة مرة. فإذا كان يوم القيامة يقول الرب تبارك وتعالى يا عبدي أدخل على يمينك الجنة. وروى الترمذي أيضا عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة، قل هو الله أحد الله الصمد، قال: حُـبّك إياها أدخلك الجنة. وروى الترمذي أيضا وقال، حديث حسن صحيح ،عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجبت ، قلت ما وجبتْ؟ قال: الجنة. و روى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة. وروى مسدد وأبو بكر بن أبي

شيبة والنسائي بإسناد صحيح عن مهاجر بن الحسن قال، سمعت رجلا يحدث قال، إني لأسير مع النبي صلى الله عليه و سلم في ليلة مظلمة فسمع قارئا يقرأ قل يا أيها الكافرون، فقال: أمّا هذا فقد برئ من النفاق. فسمع قارئا يقرأ قل هو الله أحد فقال: أمّا هذا فقد غفر له. فكففت راحلتي لأنظر من الرجل فأبشره، فنظرت يمينا وشمالا فما رأيت أحدا. وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرءان أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتّقى. و روى سعيد بن المسيّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أنه قال: من قرأ قل هو الله أحد أحد عشر مرة بنى الله له قصرا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة. فقال عمر رضي الله عنه إذن تكثر قصورنا، فقال صلى الله عليه وسلم: فضلُ الله أوسع من ذلك. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمِن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة. وفي هذا القدر كفاية. قال في السراج المنير: ولها أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدلّ على شرف المسمى، أحدها أنها سورة التفريد، ثانيها سورة التجريد، ثالثها سورة التوحيد، رابعها سورة الإخلاص، خامسها سورة النجاة، سادسها سورة الولاية، سابعها سورة النسبة، لقولهم أنسب لنا ربك؟ ، ثامنها سورة المعرفة، تاسعها سورة الجمال، عاشرها سورة الغشغشة، حادي عشرها سورة المعوذة، ثاني عشرها سورة الصمد، ثالث عشرها سورة الأساس قال: أسست السماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد ، رابع عشر المانعة لأنها تمنع فتنة القبر ونفحات النار، خامس عشرها سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت، سادس عشرها المنفرة لأن الشياطين تنفر عن قراءتها، سابع عشرها سورة البراءة من الشرك، ثامن عشرها المذكرة لأنها تذكّر العبد خالص التوحيد، تاسع عشرها سورة النور لأنها تنوّر القلب، العشرون سورة الحصن. قال صلى الله عليه وسلم: إذا قال العبد: الله، قال الله دخل العبد حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي. وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا في سَرية فكان يقرأ في صلاته فيختم بقل هو الله أحد. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سَلوه لأيّ شيء يصنع ذلك، فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها. فقال صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه. نسأل الله بفضله وكرمه أن يحبنا ونحبه حتى نلقاه على ذلك.وقال شيخنا رضي الله عنه كما في جواهر المعاني: ورد في الحديث الشريف أن من قرأ سورة الإخلاص مائة ألف مرة أعتقه الله من النار وبعث مناديا ينادي يوم القيامة: من كان له دين على فلان فليأتني أؤدّيه عنه. وليفعل ما يقدر عليه كل يوم حتى يكمل تلاوتها تكون مع البسملة في كل مرة واستقبال القبلة وعدم الكلام في وقت الذكر. وفيها عدد ثلاثة وثلاثين ألف سلكة وثلاثمائة سلكة وثلاثة وثلاثين سلكة (33333 سلكة) ، وفيها عشرة ءالاف قصر في الجنة. وأما آخر سورة الحشر وهو(لو انزلنا... إلى ءاخر السورة) فله فضائل كثيرة . وروى الترمذي، وقال حديث غريب ، عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث ءايات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي. وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا. ومن قالها حين يمسي كان كذلك. وروى أبو منصور الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسم الله الأعظم في ثلاث ءايات من ءاخر سورة الحشر. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سألت خليلي أبا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال: عليك بآخر سورة الحشر فأكثِر قراءتها فأعدت عليه, فأعاد عليّ. انتهى. ومن قرأها كل صباح بدون الاستعاذة غفر له, وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا وكذلك في المساء.وقال شيخنا رضي الله عنه: ومن

مكفرات الذنوب, الدوام على قراءة ءاخر الحشر, فإن صاحبها يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وروى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ ءاخر سورة الحشر, غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وأما حزب البحر فهو من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيخ الطريقة والحقيقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ثم أخذه شيخنا وسيدنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل إن فيه اسم الله الأعظم وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه. ومن أرادها فليطلبها من أربابها ويأتي البيوت من أبوابها. انتهى ما في جواهر المعاني. قلت: فها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه. أمّا فضله فيتبين بوجوه أولها أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تضمّن نحوا من ست وثلاثين آية من كتاب الله تعالى. ومن الأذكار المأثورة ستة أحاديث ونحوا من أربعين اسما من أسماء الله تعالى. وقد قال بعض أكابر الأولياء: إن فيه اسم الله الأعظم في ثلاثة مواضع. و ثانيها انتشاره واشتهاره في الأقطار حتى لقد أتهم وأنجد وطار في الآفاق كل مطار وشاع في البدو والحضر وسار في الناس مسير الشمس والقمر مغربا ومشرقا وشاما ومصر. وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها، وكم من قرية هو مشهور فيها. وقد حفظه الكثير من الصالحين والأولياء والصديقين يكررونه في الحاجات وعند الضرورات وفي المساء والبكرات يستعيذون به عند المخوّفات. قد حفظه الأكابر والعلماء واعتنى به الأخيار والصلحاء. وقد صار تمائم على الصدور وجعلوه حرزا على النحور وعلى الدواب والحيوان، ومسطورا في البيوت والجدران. وشاع في الناس وذاع وملئ به الأفواه والأسماع والأماكن والبقاع كما قيل:

و أتهم حزب الأحمديـــة مشرقــا	كبدر تمام في الأنــــام و أنجـــدا
سار به مــــن لا يسير مشمـــرا	و فاه بـه مــــن لا يـفوه مــــرددا
سمعه إن شئت شرقا و معــــربــا	و شهرتـــه في الخلق كالنجم موقـــدا
وفي الركــب إن ساروا تلوه تبركـا	و في القــوم إن خافوا به يامنوا العــدا
و في الطفـل إن يرقى تجده مباركـا	و في الحج إن يرجى ترى النجح قد بدا
وفي البحر فاذكره يريــك عجائبـا	و تيسيــــــر أسباب و أمرا مســـددا
ترى البحر مطواعا ترى الريح لينا	ترى اللطف من قرب ترى الوقت مسعدا
فأكرم بهـــذا من دعاء مبــارك	عظيم حجاب ظاهــــر النفـع و الجـدا

وإنما قلت و اتْهَم حزب الأحمدية مع أن الشاعر صاحب القصيدة إنما قال: واتهم حزب الشاذلية لكون شيخنا وسيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه أخذ هذا الحزب عن النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة، يقظة لا مناما . فلذلك نسبته إليه رضي الله عنه وإلى أهل طريقته رضي الله عنهم أجمعين. ولهذه الكثرة والانتشار باطن وعناية من الله تعالى، ولولا وجود نفع به وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار.

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا حتى يـروا عنده آثار إحسـان

والوجه الثالث: تجربته في الحالات وعند الضرورات، و هذا باب واسع جدا. فكثير من الناس وجد له بركة وحالة صادقة و أمورا ظاهرة وحكايات تجربته كثيرة منتشرة يضيق الوقت عن ذكرها. قال بعضهم: وقد اتفق لي أمور في بعض الحالات ولا سيما في الحروب ما يطول ذكره.وأما بعض خواصه فقد جاء عن الشيخ رضي الله عنه أنه قال: لو قرئ حزبي ببغداد لما أخذت. وهو العدّة الوافية والجُنة الواقية التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب، وما قرئ في مكان إلا سلِم من الآفات وحفظ من حوادث العاهات،وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ولأهل النهايات أنوار صافية. ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله دعوته وفرج كربته ورُفع بين الناس قدره وشرح بالتوحيد صدره

وسهل أمره ويُسّر عسره وكفاه شر الإنس والجن وأمنه من شر طوارق الليل والنهار. فلا يقع عليه بصر أحدٍ إلا أحبه، وإذا قرأه عند جبار أمِــن من شره. ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله تعالى عن خلقه وأمّنه من حوادث دهره ويسر عليه أسباب سعادته في حركاته وسكناته. ومن أراد أن يبلغ مراده فليقرأ عقب صلاة الصبح سورة يس عشر مرات ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة، فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه. و من ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في القلوب. قال بعض العلماء: من كتبه على شيء كان محفوظا بحول الله تعالى وقوته. ومن استدام قراءته لا يموت غريقا ولا حريقا ولا بريقا ولا شريقا، وإذا احتبس الريح على أهل سفينة وذكروه جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى. ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار مديرا عليها حرس الله تعالى تلك المدينة من شر طوارق الحدثان والآفات، وله منفعة جليلة في الحروب وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم. قال سيدي أحمد زروق رضي الله عنه: وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمّة يتصرف به في الجلب والدفع وينوي المراد عند قوله وسخر لنا هذا البحر كما قال ابن عباد رحمه الله تعالى فيما رأيته بخطه، وهو صحيح، ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه لذكرت هنا العجائب والغرائب، وفيما ذكرنا كفاية. وأما الأسماء الإدريسية, فلها خواص عظام وفضائل كثيرة ومن أرادها فعليه بمطالعة الجواهر الخمس لسيدي محمد الغوث مع شارحه سيدي محمد الشناوي رضي الله عنهما.وأما فضل فاتحة الكتاب فقد ورد في الحديث أنها أعظم من القرءان وهي السبع المثاني والقرءان العظيم إلى غير ذلك مما ورد في فضلها من الأحاديث المشهورة. فمن أراد ذلك فليطلبها في محالها.و أما ما أخبر به الشيخ رضي الله عنه فقد ذكر أن قارئ الفاتحة بنية الاسم يكتب له بكل مرة سبعين ألف مقام من كل ما خلق الله تعالى في الجنة. وعند تلفّظه بها يتلقاها مِن فيه أربعة من الملائكة الكرام ويقولون له، وهو أعلم، إنّ فلانا ذكر اسمك فيقول لهم: اكتبوه من أهل السعادة واكتبوه في جوار محمد صلى الله عليه وسلم وتذكره معه الملائكة في جميع عوالمه. و ذكر كل ملك يتضاعف بعشر مرات و يكتب ذلك لتالي الفاتحة بالنية المذكورة ويكتب له مع ذلك ثواب الفاتحة لكل حرف مائتا حسنة ولا تكتب عليه سيئة ويكون من المحبوبين والمقربين. وهذا من الأسرار العلية المكتومة، فاعرف ولا تجهل انتهى.وقال أيضا رضي الله عنه: أما المرتبة الظاهرة في ذكر الفاتحة بنية الاسم فهي للشخص نفسه في ذكر نفسه أربعة آلاف ألف ألف ألف (4.000.000.000.000 مرة) من ذكر صلاة الفاتح لما أغلق ومعها مائتا ألف ألف ألف مرة من الفاتح لما أغلق. هذا في ذكر نفسه. وأما في ذكر الملائكة معه فله بكل لفظة من لسان كل ملك في كورة العالم اثنان وأربعون ألف ألف ألف ألف مرة (42.000.000.000.000) من الفاتح لما أغلق. واعتبر صلاة الفاتح لما أغلق بما قدمناه فيها. فله فيها جميع ما قدمناه في مرتبتها الظاهرة والباطنة وثواب كل مرة من ذكره و من ذكر كل لسان من كل ملك في كورة العالم.و لعلك ترى ما في مراتب القطب من قبلنا يقل دونه ثواب الواحد من أصحابنا في الاسم الأعظم وذلك من قلة التأمل. وإذا تأملت ثواب القطب من قبل هذا الوقت مع ثواب مرة واحدة من أصحابنا بان لك ثواب القطب من قبلنا بالنسبة إلى ثواب مرة واحدة من ذكر واحد من أصحابنا كبصقة واحدة من البحر المحيط. قال رضي الله عنه: ولا يعرف كمية الزمان الماضي لكن الله عز وجل لمّا خلق روح الإنسان أقامها سبحانه وتعالى في حجر تربيته يلاطفها بالمحاسن والتكريم والإعزاز لها، أقامها الله تعالى في هذا الحال تسعمائة ألف عام وثمانين ألف عام. ثم قال: ثم اطلعت على زمان في الغيب مضى بعد هذا وقدره ثلاثمائة ألف ألف ألف عام وسبعون ألف ألف ألف عام وثمانية ألف ألف ألف عام, وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف عام أخرى انتهت .قلت: وقد علمت أن الحقيقة المحمدية أول الموجودات وأن أول ما خلق الله روحه صلى الله عليه وسلم، وقد رأيت ما مضى من الزمان بعد خلق الحقيقة المحمدية

قبل وجود المخلوقات مع أن كل ما مضى بعد خلقها لا يعرف. وإذا فهمت هذا فاعلم أن الشيخ رضي الله عنه قال أيضا: ثم إن الفاتحة لها ثلاث مراتب الأولى هي المرتبة الظاهرة والثانية هي المرتبة الباطنة والثالثة هي مرتبة باطن الباطن وكلها في ثواب الفاتحة وهذا من غير ما تقدم. أما المرتبة الظاهرة، ففي الفاتحة مرة واحدة ثواب كل ما ذكر به ربنا من منشأ الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم إلى وقت تلفظ التالي بالفاتحة. فكل ما ذكر به ربنا في جميع العوالم من كل ما أحاط به علمه من خلقه الموجودين وما يخلقه من الخلق بعد الفاتحة المذكورة فكل تسبيح وقع في الوجود في جميع تلك المدة وكل ذِكر ذُكِر به ربنا في جميع العوالم يعطى ثوابه لتالي الفاتحة مرة واحدة من أي ذكر كان ما عدا تلاوة الإسم الأعظم فيدخل تحتها جميع ثواب الإسم الأعظم من كل تال في الوجود.وفي مرتبتها الظاهرة أيضا ثواب ختمة من القرآن وفيها أيضا أن تحسب جميع حروفها وحروف جميع القرآن ويعطى لتاليها بكل حرف من ذلك سبع أبكار من الحور العين وسبعة قصور في الجنة وهكذا دائما كلما تلا.وفي الجواهر قلت: وقد قيل أن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون ألفا، وخمسة وسبعون ألفا. فإذا ضربتها في سبعة، وهي عدد الحور، لكل حرف سبعة، يخرج ألف الف ومائتا ألف وإحدى وعشرون الفا و خمسة وسبعون ألفا. فإذا ضربتها في سبعة،وهي عدد الحور، لكل حرف سبعة، يخرج ألف الف و مائتا ألف و سبع و أربعون ألفا، وخمسة وعشرون حوراء. انتهى.وفي سورة القدر، ثلاثمائة ألف وستون ألفا، لكونها فيها فضل صيام رمضان، ولكل يوم منه باثنى عشر ألفا. وإذا جمع هذا العدد مع الأول، يكون ألفي ألف وستة مائة ألف وسبعة ءالاف وخمسمائة وخمسة وعشرين انتهى. وهذا في غير الصلاة. وأما في الصلاة، فيتضاعف بمائة وثمانين مرة. فإذا نظرت إلى عدد الركعات، وهي سبعة عشر ركعة، بين النهار والليل يصير ثمانية عشر مائة وستا وثلاثين، أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف وهو ألفا ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ومثله تسبيح العوالم ومثله قيام ليلة القدر ومثله عبادة سنين ومثله ختمات من القرآن. الحاصل من قرأها في صلاة الجماعة فيعطى من الأجر في اليوم الواحد أربعة آلاف ألف ألف مرتين وسبع مائة ألف ألف مرتين وستا وثمانين ألف ألف مرتين وثلاثة وستين ألفا وتسع مائة حوراء مع الأجر المتقدم من تسابيح العالم وختمات القرآن إلى غيرها. قال الشيخ رضي الله عنه: وفي الحديث، من صلى خلف الإمام، فقراءة الإمام له قراءة، ثم قال سيدنا رضي الله عنه، وهذا لمن لا يفهم معنى التفسير، وأما من علم التفسير فيتضاعف الأجر مرتين وهو مائتا حسنة لكل حرف. ثم قال سيدنا رضي الله عنه، ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة يعني قارئ الفاتحة مرة. ثم قال رضي الله عنه، وهذا في غير نية الاسم الأعظم. وأما قراءة الفاتحة بنية الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله فإن فضل الله لا حد له والسلام. ثم قال رضي الله عنه: قال لي سيد الوجود صلى الله عليه و سلم ويجاورني في عليين . و هذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة. انتهى. قلت: وما ذكرت هنا من فضائل الفاتحة بالنسبة لِما لم أذكره كنقطة في بحر لا يعلمه إلاّ الله تعالى. وأما صلاة رفع الأعمال فقد ورد في بعض الآثار أن من صلى على النبي صلى الله عليه و سلم بها عشرا في الصباح وعشرا في المساء رفع له مثل عمل أهل الأرض.وأما اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي، فهو من مكفرات الذنوب. وفي حديث كما في المستدرك أن رجلا شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة الذنوب فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي فقال ذلك فقال أعِدها فأعادها فقال أعدها فأعادها فقال: قد غفر الله لك.وأما فضل وظيفة الليل والنهار وهي لا إله إلاّ الله والله أكبر الخ، فمن ذكرها في الصباح ثلاثا، لا يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، و من ذكرها في المساء كذلك، لا يكتب عليه ذنب في تلك الليلة حتى يصبح.وأما استغفار الخضر على نبينا وعليه السلام، فقد قال سيدنا

رضي الله عنه: من ذكره غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.وأما المسبعات العشر، فقد قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي أنها من الأوراد العظيمة التي جرت عادة الصالحين والعبّاد على قراءتها يقرءونها ويضيفونها إلى وظائفهم وأورادهم قديما وحديثا غدوة وعشية. ولم يزل الشيوخ رضي الله عنهم يأمرون إخوانهم وأصحابهم بقراءتها ويحضونهم عليها. وقد أسند حديثها أبو طالب المكي في القوت عن كرز بن وبرة قال وكان من الأبدال، عن أخ له من أهل الشام عن إبراهيم التيمي عن الخضر عن النبي صلى الله عليه و سلم. انتهى .وفي الإحياء: فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في المنام كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رأى في الجنة. قال: سألتُ الملائكة لمن هذا كله؟ فقالوا للذي يعمل مثل عملك. وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوْه من شرابها. قال فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق و المغرب فسلّم عليّ وأخذ بيدي فقلت: يا رسول الله، إن الخضر أخبرني أنه سمع منك حديثا قال: صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى. فقلت: يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله و لم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما أُعطِيتُه؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبيا إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه ليُغفَر له جميع الكبائر الذي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته و يؤمر صاحب الشمال ألاّ يكتب عليه من السيئات إلى سنة. و الذي بعثني بالحق نبيا، لا يعمل بهذا إلاّ من خلقه الله تعالى سعيدا ولا يتركه إلاّ من خلقه الله تعالى شقيا. وذكر الشيخ أبو طالب، أن إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى، مكث أربعة أشهر لا يطعم و لا يشرب بعد هذه الرؤيا. انتهى.وقال العلماء من أهل الحقائق أن في قراءتها بالغداة والعشي أسرارا نورانية للسالكين من أهل البدايات وأنوارا ربانية للواصلين من أهل النهايات. ومن استدام قراءتها، فتح الله عليه أبواب الخيرات والزيادات وأطفأ عنه حرارة الشهوات الترابية ورزقه البركة في دينه ودنياه وآخرته ونوّر باطنه بأنوار السعادة وجمّل ظاهره بآثار السيادة وأغنى فقره ويسّر عسره وسهّل أسبابه وكشف ضره وكفاه شر كل طاغ وباغ وحاسد وحرسه من شر الشيطان الرجيم فيها اسم الله الأعظم وذاكرها لا يقع عليه بصر أحد إلاّ أحبّه ولا يسأل الله تعالى بها شيئا إلاّ أعطاه ما سأل وفوائدها كثيرة،وأسرارها جليلة يعرفها أهل التفريد من الأصفياء و يشهدها أهل التجريد من الأولياء. انتهى.وزاد الشيخ أحمد الصاوي في كتاب الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية ما نصه: وهي يعني المسبعات من الأحزاب المعدة لدفع أهوال الدنيا والآخرة (جمع هول) وهو كل أمر مخوف كالاحتياج للخلق و الفقر و العيلة وغلبة الدين وقهر الرجال وشماتة الأعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وفتن الليل والنهار، والزوجة السيئة وجار السوء، وقسوة القلب، وغير ذلك من مصائب الدنيا والدين والعرض. وهذه أهوال الدنيا، فأما أهوال الآخرة كحضور الفتانات عند الموت وميتة السوء وفتنة القبر وعذابه وهول الموقف وما يقع فيه من الشدائد والفضائح و وقت تطاير الصحف و وزن الأعمال والمرور على الصراط. و تفصيل ذلك لا يحد ولا يحصى وهي منجية من ذلك كله فهي من جملة ما خصت به هذه الأمة دون سائر الأمم وهي من أوراد الطريق تقرأ صباحا ومساء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كما في الأحياء أو كل يوم مرة في المساء أو في الصباح لقوله تعالى:(وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا) أو كل جمعة مرة قياسا على كثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم وهو يوم المزيد في الجنة أي يوم المشاهدة أو كل سنة مرة قياسا على قيام رمضان كل عام.ومن فوائدها زوال الحقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء لعباد الله وزوال الحسد وهو تمني زوال النعمة للغير عنه. وهذان الوصفان سبب طرد إبليس عن رحمة الله لأنه يتسبب عنهما كل فاحشة ظاهرية وباطنية فحيث زالا عن شخص سعد في الدنيا والآخرة وأحبّ

عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده. ولا شك أنها اشتملت على الدعاء لعباد الله المؤمنين دنيا وأخرى. انتهى.وقال في الرماح: وأما فضل أشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله وأنّ عيسى الخ... ففي البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال أشهد أن لا إله إلا الله الخ... أدخله الله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء، على ما كان من عمل. وأما الأذكار التي بعد الصلوات، فالفاتحة تقدّم فضلها وءاية الكرسي من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت . انتهى.وزاد الصاوي في الكتاب المتقدم، قال الشيخ عبد الرحمن الفاسي في نوادر الأصول لقي جبريل موسى عليهما الصلاة والسلام فقال جبريل: إنّ ربك يقول من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة اللهم إني أقدم إليك بين يديْ كل نفس ولمحة، وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدّم إليك بين يديْ ذلك كله، الله لا اله إلاّ هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض الخ... فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس منها ساعة إلاّ ويصعد إليّ منه فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة. وروي أن من قرأ ءاية الكرسي قبل خروجه من منزله لم تصبه مصيبة ولم يمت حتى يعود إلى منزله. و من فوائدها أن من قرأها عدد حروفها وهي مائة وتسعون حرفا لا يطلب منزلة إلاّ وجدها ولا يطلب رزقا أو سعة إلاّ نالهما أو قضاء دين أو حصول فرج أو خروجا من سجن أو غير ذلك من سائر الشدائد يغاث بها. ومن قرأها عدّة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر حصل له من الخير ما لا يقاس عليه. قال النووي: وما جمع قوم هذا العدد في حرب فغُلبوا أبدا وإن سُقيَ المبطون حروفها مقطعة أمسك عن الجريان، ومن كتبها عدد كلماتها وهي خمسون كلمة وحملها أدرك غرضه من عدوه وحاسده. وإن كان للمحبة والألفة نال مقصوده. ومن داوم على قراءتها عدد فصولها، وهي أربعة عشر عقب الصلوات كان محبوبا للعالم العلوي والسفلي ولم يزل في أمن من الله. وفي الحديث: من قرأ ءاية الكرسي في دبر الصلوات المكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ الموت ولا يواظب عليها إلاّ صدّيق أو عابد.وعن الحسن من قرأ ءاية الكرسي في دبر الصلوات المكتوبة كان في ذمّة الله إلى الصلاة الأخرى.انتهى.وفي خزينة الأسرار للشيخ محمد حقي: خرج ابن عساكر والديلمي عن ابن عباس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم أنه قال: لمّا نزلت ءاية الكرسي استشرف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال كل رجل منهم أنا أكتبها دون فلان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: أما أنا فلا أستكتب إلاّ بوحي من السماء. قال أبو موسى فإنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى ءاله جلوس، إذ نزل الوحي فغشى بعباءته القطوانية فلما سرى عنه الوحي طفق يقول: ما فعل معاوية الغلام ؟ فأتى معاوية، فذُكر له ذلك فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وعلى أذُنه قلم ومعه كتف بعير، فقال النبي: أدْنُ يا غلام فدنا ثم قال أُدْن يا غلام فدنا حتى صيّر ركبتيه إلى ركبة النبي صلى الله عليه وسلم فقال أكتب يا غلام قال وما أكتب فداك أبي وأمي يا رسول الله؟ قال اكتب: الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم إلى قوله العليّ العظيم. نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد الهجرة ونزل معها أربعون ألف ملك. وفي بعض الروايات نزل معها ثمانون ألف ملك إجلالا وإعظاما لقدرها فدعا النبي صلى الله عليه و سلم زيد بن ثابت فكتبها.و ورد في أعظمية ءاية الكرسي مائة حديث مع خمسة عشر حديثا، فمن داوم على قراءتها أعطاه الله تعالى ثواب مقدار وزن الكرسي وثقله يوم القيامة. كذا في الدلائل النبوية. وأخرج الخطيب عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أتدرون أيّ ءاي القرءان أعظم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم... الخ. كذا في الدّر المنثور. فمن داوم على قراءتها فتح الله عليه جميع أموره في الدنيا والآخرة. وأخرج المستغفري عن واحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: قال صلى الله عليه وسلم من

رجع إلى منزله فقرأ ءاية الكرسي نزع الله الفقر من بين عينيه. وقال بعض الخواص لحصول البركة والنماء أن تقرأ ءاية الكرسي على طعام قليل أوعلى الحنطة أو الشعير أوغير ذلك كلما قرأتها تنفخ عليها إلى تمام عدد المرسلين فإن البركة والنماء يحصل فيها بإذن الله تعالى.

وفي الفردوس عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ ءاية الكرسي عند الكرب أغاثه الله تعالى. كذا في الإتقان. وأخرج الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا من قرأ أربع ءايات من أول سورة البقرة، وءاية لكرسي وءايتين بعدها وثلاثا من ءاخر سورة البقرة، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقرأن على مجنون إلاّ أفاق. كذا في الإتقان. و من فوائدها أنها نافعة لقارئها في جميع الأزمان والأوقات خصوصا عند الحجامة لما روي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من قرأ ءاية الكرسي عند حجامته كان منفعته منفعة حجامتين. رواه الديلمي وابن السني .ومن فضائلها ما أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إن الله تعالى خلق درّة بيضاء،وخلق فيها العنبر الأشهب،وكتب بذلك العنبرءاية الكرسي وأقسم بعزته وجلاله من قرأها خلف كل صلاة مكتوبة فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. كذا في شمس المعارف.

وأخرج ابن السني والجامي وابن الجوزي عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فاتحة الكتاب وءاية الكرسي وءايتين من آل عمران هما شهد الله أنه لا إله إلاّ هو... إلى قوله عند الله الإسلام، وقل اللهم مالك الملك... إلى قوله، بغير حساب، معلقات ما بينهن وبين الله حجاب يعني كلما أراد الله أن ينزلهن تعلقن بالعرش فقلن: تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك؟ قال الله تعالى: بيَ حلفتْ. وفي رواية، حلفت في نفسي أنه لا يقرؤكن أحد من عبادي، دبر كل صلاة مكتوبة إلاّ جعلت الجنة مثواه على ما كان منه وَلأسكننه حظيرة القدس وَلأنظره بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة و لقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة ولأعيذنّه من كل عدو وحاسد ولنصرته منهم. كذا في معالم التنزيل وغرر الأخبار.وأخرج الديلمي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُعطيتُ ءاية الكرسي من كنز تحت العرش ولم يوتها نبي قبلي. وأخرج ابن النجار في تاريخ بغداد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ ءاية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة أعطاه الله تعالى قلوب الشاكرين وأعمال الصدّيقين وثواب المنيبين وبسط عليه الرحمة بمنّه ولم يمنعه من دخول الجنة إلاّ أن يموت، فإذا مات فيدخلها.وأخرج البيهقي عن محمد بن الصنو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ ءاية الكرسي في دبر كل صلاة لم يكن بينه وبين أن يدخل الجنة إلاّ أن يموت، فإذا مات دخل الجنة. كذا في الدر المنثور. وأخرج الديلمي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران أن اقرأ ءاية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة، فإنّ من يقرؤها أجعل له قلب الشاكرين و لسان الذاكرين و ثواب المنيبين وأعمال الصدّيقين ولا يواظب على ذلك إلاّ نبي أو صدّيق أو عبد امتحنتُ قلبه بالإيمان أو من أريد قتله في سبيل الله. كذا في بحر العلوم .وروى الثعلبي في تفسيره، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: من داوم على قراءة ءاية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة أعطيته أجر المتّقين وأعمال الصدّيقين.وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول: من قرأ ءاية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ الموت ولا يواظب عليها إلاّ صدّيق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه، أمّنه الله على جاره وجار جاره والأبيات حوله. كذا في روح البيان.وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ ءاية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان الذي يتولّى قبض روحه

بيده ذو الجلال والإكرام وكان كمن قاتل عن أنبياء الله ورسله حتى يستشهد. انتهى.وأخرج الخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما: من قرأ ءاية الكرسي دبر كل صلاة لم يتول قبض نفسه إلاّ الله تعالى.وفي تفسير الواحدي الوسيط بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ ءاية الكرسي في دبر كل صلاة خرقت سبع سموات فلم تلتئم خروقها حتى ينظر الله إلى قارئها فيغفر له ويبعث الله تعالى ملكا فيكتب حسناته إلى الغد من تلك الساعة.وأخرج في الفردوس عن علي وأبي أمامة وأنس رضي الله عنهم أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ ءاية الكرسي دبر صلاته المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى وكان الرب عز وجل يتولى قبض روحه بيده وكان بمنزلة من قاتل عن الأنبياء حتى يستشهد ولم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت وكان له مثل أجر نبي أوصد يق أو شهيد ولا يداوم عليها إلاّ نبي أو صدّيق أو شهيد . وفي رواية جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ في دبر كل صلاة ءاية الكرسي فإن الليل والنهار أربع و عشرون ساعة ليس من ساعة إلا يصعد فيها سبعون ألف حسنة. كذا في الجامع. انتهى .قال الشيخ محمد حقي: وقوله عليه الصلاة والسلام: لم يمنعه من دخول الجنة، أي على السعادة إلاّ الموت. قال الطيبى إن الموت حاجز بينه وبين دخول الجنة فإذا تحقق وانقضى حصل دخوله. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: الموت قبل لقاء الله تعالى. وقال سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى معنى الحديث أنه لم يبق من شرائط دخول الجنة إلاّ الموت. فكأن الموت يمنع ويقول لا بدّ من حضوري أولا ليدخل الجنة. كذا ذكر علي القاري في شرح المصابيح.و من المعلوم أن الدخول لا يكون إلاّ بعد الحشر. فالظاهر والله أعلم، أن المراد بذلك دخول روحه أو يختم له بالإيمان ووقوع ذلك في وقته على أنه لا مانع من حمل الحديث على ظاهره كما جاء في أخبار بعض الأولياء وفضل الله واسع. كذا في الفيض القدسي للإمام السيوطي. وزاد في نعت البدايات من قرأ ءاية الكرسي إلى... خالدون أو العظيم، كل يوم وليلة عقب كل صلاة أمن من وسوسة الشيطان ومن لمح الجن وأغناه الله من الفقر ورُزق من حيث لا يحتسب. ومن أدمن على قراءتها كل صباح ومساء وعند دخول فراشه، أمن من السرقة ومن حريق النار، ومن الجن وصيحته، ومن الفزع بالليل وأمن من الرجفة والمنام المزعج ولم يضره في منامه شيء بإذن الله. ومن كتبها وجعلها في عتبة داره أو حانوته كثر خيره. ومن أدمن على قراءتها عقب كل صلاة مفروضة، لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة. انتهى إلى غير ذلك مما لا يحصى من الفضائل.ثم قال في الرماح: وأما سورة الإخلاص فقد تقدم فضلها، وأما أعوذ بكلمات الله التامات الخ... فمن ذكره ثلاثا في الصباح وثلاثا في المساء لم يضره السم. وأما فضل تباركت إلهي من الدهر إلى الدهر الخ... فمن ذكره دبر كل عمل كان مقبولا. وأما لقد جاءكم رسول من أنفسكم... إلى ءاخره، فمن ذكرها سبعا في الصباح وسبعا في المساء لم يضره سم ولا سحر ولا يلحقه ضرر من جانب جن ولا إنس ولا غيرهما ولا يموت موت الفجأة ولا يموت ما دام يذكرها انتهى.وفي خزينة الأسرار وعن أبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: ءاخر ما نزل هاتان الآيتان، لقد جاءكم... الخ. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما نزل القرءان عليّ إلاّ ءاية ءاية وحرفا حرفا ما خلا سورة برآءة و قل هو الله أحد فإنهما نزلتا عليّ ومعهما سبعون صفا من الملائكة. وقد ذكر في فضائل هاتين الآيتين اللتين أحدهما: لقد جاءكم الآية، والأخرى: فإن تولّوا الآية أنّ أبا بكر بن مجاهد المقري رحمه الله تعالى أتى إليه أبو بكر الشبلي قدس سره فدخل عليه في مسجد فقام إليه فتحدّث أصحاب ابن مجاهد بحديثهما وقالوا: أنت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير وتقوم للشبلي؟ قال: ألا أقوم لمن يعظّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة فإذا دخل فأكرمه. قال ابن مجاهد: فلما كان بعد ذلك بليلتين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلا من أهل الجنة. قلت يا رسول الله بم استحقّ الشبلي

هذا منك؟ فقال: هذا رجل يصلي خمس صلوات يذكر في إثر كل صلاة ويقول لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى ءاخر السورة، وذلك منذ ثمانين سنة أفلا أكرم من فعل هذا؟ كذا في عقد الدرر واللّئالئ .وقد روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال في كل يوم سبع مرات: فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، كفاه اللّه عز و جلّ ما أهمّه من أمر دنياه وءاخرته صادقا كان أو كاذبا .كذا في الأحياء. وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: قال جماعة ممن يقتدى بهم في الدين يتخلقون بقراءة لقد جاءكم إلى ءاخر السورة خلف كل صلاة مفروضة قالوا بها يحفظ وبها يرزَق وبها يرفع وبها ينال وبها يصل وبها يقرّب وبها يدفع وبها يطلب وبها يشاهد وغيرها. كذا في الخواص.ومن داوم على قراءة هاتين الآيتين سبع مرات في دبر الصلوات المكتوبة إن كان ضعيفا قويَ أو ذليلاً عزّ أو مغلوبا انتصر أو معسرا يسّر اللّه تعالى أموره أو مدينا قضى دينه أو مكروبا رُفع عنه الهمّ والغمّ والحزن أو مضيقا وسّع اللّه عليه الرزق والخيرات أو مغلقا عليه فتح عليه أبواب المغلقات والكشوفات أو مسجونا فليداوم عليها إحدى وأربعين مرة يخرج من سجنه بلطفه وكرمه ببركة هاتين الآيتين الجليلتين. ومن داوم على قرآءتها كل يوم إحدى وأربعين مرة، ظهرت له أسرار من العجآئب، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذا في خواص القرءان .وقال الشيخ البكري: حدّثني والدي عن والده عن الشيخ شهاب الدين عن والده الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله أسرارهم أن في السّنّة حديثا وهو، قال عليه الصلاة والسلام، من قرأ كل يوم لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة سبع مرات، فإنه لا يموت ما دام يقرؤها، ولا مانع من إبقاء هذه الخصوصية على حقيقتها، بأن يهب الله تعالى له مدّة مخبوءة في علمه، لم يطّلع عليها ملك الموت في صحيفته. وهذا جآئز شرعا وعقلا لقوله تعالى:(يمحو اللّه ما يشآء ويثبّت وعنده أم الكتاب).وخّرج الطبراني عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما طال عمر المسلم كان له خير. ومن الأسباب القوية لزيادة عمر المرء، قراءة هاتين الآيتين الجليلتين، للخبر الصحيح، قال: وءاتيناه من كل شيء سببا. فاتّبع.وقد ذكر أهل التفسير و الامام الغزالي و الشيخ الشاذلي والامام القرطبي قدس الله أسرارهم مرفوعا عن النبي عليه الصلاة و السلام أنه قال من قرأ في اليوم آيتين من آخر سورة التوبة لم يمت ذلك اليوم .و في رواية لم يقتل و لم يقربه أحد بحديد .وان قرأها في ليلة،فكذلك. وذكر هذا الحديث بعض الصالحين وكان يستعمله أي يقرؤه في حال مرضه وأظنه كان ابن سبعين سنة فبقي بقراءة الآية إلى أن بلغ مائة وعشرين سنة. فحين أراد الله موته عند تمام المدة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له: كم تهرب منا؟ فترك الآية فمات رحمه الله تعالى كما في خواص القرءان. قوله تعالى:(فإن تولّوا فقل حسبي الله إلى ءاخر السورة)، خاصيتها أنها تعطّف قلوب المعرضين على من أعرضت عنه، وتنفع من كيد الكافرين والحاسدين. فمن قرأها ليلة الجمعة نصف الليل ثلاثين مرة ويقول آخر كل مرة اللهم أنت ربي وحسبي يا الله على فلان بن فلانة، أو فلانة بنت فلانة أعطف قلبه أو قلبها وذلله أو ذللها فإن الله يحصّل مراده البتة. انتهى.ومن قرأ هاتين الآيتين لقد جاءكم إلى ءاخره كل يوم ثلاثا أو خمسا أو سبعا، صباحا ومساء حفظ من الحرق والغرق والسرق ولا يضر به الحنش والشيطان وجميع ءالات الحرب والجارحة. قال المقيد لهذه الفوائد، أن هذه الخاصية في زماننا هذا يلزمنا أن نداوم عليها لكثرة الفتن وأصحاب الأغراض. فيا أيها الإخوان وفقنا الله وإياكم لدوامها في أكثر الأزمان إنّ لهاتين الآيتين خواص كثيرة ومنافع عديدة لا تحصى خصوصا لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم، وإن داوم المرء دبر الصلاة المكتوبة ثلاثا أو سبعا أو عشرا أو إحدى وأربعين مرة في كل يوم أو مائة أو زيادة كلما زاد قرآءتها زاده الله علمه وتقواه ونوره وقرّبه إلى روح النبي عليه الصلاة والسلام. ومن أراد المعانقة معه عليه الصلاة والسلام في المنام أو في اليقظة بمقتضى المقام فليداوم على قراءة لقد جآءكم إلى ءاخرها مائة مرة

و واحدة بعد صلاة العشآء قبل الوتر إحدى وأربعين يوما فإنه ينال المعانقة بحول الله وقوته وببركة هاتين الآيتين. انتهى.ومن فوائد لقد جاءكم ما رواه السيد الحاج علي حرازم عن الشيخ رضي الله عنه ما نصه: ومن المجربات لدفع كل إذاية وقمع كل عدو وكفاية شر كل ذي شر وينفع لكل طائع وعاص أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم سبع مرات، لقد جاءكم... إلىءاخر السورة سبع مرات حسبنا الله ونعم الوكيل سبع مرات انتهى. فمن قاله في صبيحة يومه حفظ من سوء يومه ومن قاله في مسائه حفظ من سوء ليلته انتهى .وكذا وجدته في كناش السيد الحاج علي المذكور بخط يده.

فوائد وخواص زائدة على ما ذكره المفسرون: منها من قرأ لقد جاءكم..الخ بعد صلاة الصبح مرة واحدة حفظ الله تعالى قلبه ومن قرأها مرة واحدة بعد صلاة الظهر أحيا الله تعالى قلبه وثبّته بالقول الثابت. ومن قرأها بعد صلاة العصر مرة واحدة لم يمت موت الفجأة. و من قرأها بعد صلاة المغرب مرة واحدة رزقه الله تعالى الاستقامة في الدين. ومن قرأها مرة واحدة بعد صلاة العشاء حفظه الله تعالى من المعاصي الكبار. ومن قرأها مرة واحدة بعد صلاة الوتر كفاه الله همّ الرزق وخوف الخلق. ومن قرأها سبع مرات بعد صلاة عيد الفطر أمن من الصّمم في تلك السنة وهكذا في كل سنة ما دام عليها. ومن قرأها إحدى عشرة مرة بعد صلاة عيد الأضحى أمن من العمى في تلك السنة وهكذا في كل سنة ما دام عليها. ومن قرأها ستة وستين مرة بعد صلاة الكسوف شفاه الله في بدنه من سآئر الأمراض. ومن قرأها ثمانية وعشرين مرة بعد صلاة الاستسقآء أجاب الله دعوته. ومن قرأها مرة واحدة بعد صلاة الفجر لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يُرى لها. ومن قرأها مرة واحدة بعد الاستخارة النبوية تكون الملائكة في عونه ولم ير بأسا. ومن قرأها مرة واحدة بعد النافلة أو النوافل مثل صلاة الضحى وغيره يرزقه الله حلاوة الإيمان. ومن قرأها تسعة وتسعين مرة بعد صلاة الجمعة، فإنها تحفظه من أكل الحرام ما دام عليها. ومن قرأها ستين مرة وثلاثمائة مرة في كل يوم عرفة أخذ الله بيده، ومن أخذ الله بيده كفاه. ومن قرأها ألف مرة في يوم عاشوراء تخدمه الروحانية وتأتيه الأرزاق من الكون. ومن قرأها خمسمائة مرة في كل ليلة النصف من شعبان ينجيه الله تعالى من سؤال الملكين في القبر.من قرأها مرة واحدة صباحا ومسآء، فإن الله تعالى يحفظه من جميع الآفات ولا يضره شيء. ومن قرأها على أحد حفظه الله. ومن خاف من عدو أوظالم فليضع يده على رأسه ويقرأ عليه آية الحرص فإن الله تعالى يحفظه من ذلك العدو أو الظالم ويكفيه شره في ظهر الغيب. ومن قرأها ثلاث مرات عند طلوع الشمس وعند غروبها كفاه الله شر الظالم بأسره. ومن قرأها ثلاث مرات في عشية الجمعة لم يضره سحر ولا يعمل فيه سم. ومن قرأها سبع مرات بصدق الطلب على دواء وسقاه لأيّ عليل كان عوفي من مرضه عاجلا. ومن قرأها ألف مرة بصدق الطلب على المريض الذي أعيى الأطباء في علاجه شفاه الله تعالى من مرضه عاجلا، ومن دخل إلى خلوة وقرأ ءاية الحرص ثلاثة ءالاف مرة ويداه على صدره، لم يمرض أبدا ولم يتصرف فيه أحد لا من أهل الظاهر ولا من أهل الباطن. ومن قرأها ستة وستين مرة بصدق الطلب على ملسوع شفاه الله تعالى من حينه. ومن قرأها إحدى عشرة مرة ومائة مرة على عولة لم يفقدها ما دام يقرأها على كل عولة في كل سنة. ومن قرأها عند كل أكل لم يفقد النعمة ولو كان في فلاة من الأرض. ومن قرأها على المرأة الحاملة وداوم على قراءتها أربعين يوما، فإن الله تعالى يحفظها وولدها من جميع الآفات، ويكون ولدها من أهل الصلاح. ومن كان يشاهد الخيالات من الجن والشياطين، فليقرأها إحدى عشرة مرة عند نومه، فإن الله تعالى يحفظه من ذلك كله.ومن كان مسافرا فعند خروجه من منزله فليضع يديه على رأسه ويقرأها ثم يخرج في الحين ويسافر فإن الله تعالى يحفظه من جميع الآفات حتى يرجع إلى مكانه. ومن قرأها على أموال حفظها الله تعالى. ومن قرأها على دار أو بستان أو مدينة أو قرية أو حصن فإن الله تعالى يحفظ الجميع. ومن قرأها على ركب أو قافلة أو سفينة فإن الله تعالى يحفظ الجميع. ومن قرأها

ألف مرة في غزوة، انهزم الأعداء بإذن الله وتكون الغزوة للإسلام. وإذا قامت النار في بقعة فليقرأ ءاية الحرص ستة وستين مرة تخمد النار بإذن الله، ومن دخل إلى خلوة وقرأ ءاية الحرص سبعين ألف مرة تخدمه الروحانية والجن المومن طول حياته، ويكون له الإقبال في قلوب الخلائق، وتخضع له قلوب الجبابرة طوعا أو كرها، و يعافيه الله في بدنه من جميع الأمراض، ولا يصعب عليه مطلب.ومن أكثر من قراءتها ليلا و نهارا في ممشاه وقيامه وقعوده يرزقه الله خير الدنيا والآخرة، وتحصل له محبة النبي صلى الله عليه وسلم ويراه في كل وقت وحين. ومن داوم عليها أربعين سنة، لا يحجب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينال ما نال الأولياء الصدّيقون. انتهى كلام صاحب الجواهر. وإنما أطلت في نقل الخواص لأن من علم بها يعلم أن الكل غرض سيدنا رضي الله عنه في المداومة عليها أعقاب الصلوات انتهى .قال في الرماح: وأما يا من أظهر الجميل، ففي جواهر المعاني قال الراوي: جاء به جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أتيتك بهدية وقال وما تلك الهدية؟ قال فذكر هذا الدعاء فقال صلى الله عليه وسلم ما ثواب هذا الدعاء قال له جبريل لو اجتمعت ملائكة السماوات السبع على أن يصفوه، ما وصفوه إلى يوم القيامة، وكل واحد يصف ما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه. ومن جملة ذلك أنّ الله تعالى يقول أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السماوات السبع وفي الجنة والنار والعرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار وعدد الحصى والرمل. ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيا كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك. وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عَمْرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم و هو عبد الله بن عمرو بن العاص من أكابر الصحابة رضي الله عنه. صححه الحاكم ورُواته كلهم مدنيّون.ثم الأسمآء الإدريسية تقدّمت . قال الشناوي في شرحه لجواهر الغوث على الأسماء الإدريسية ما نصه: قال في شروط دعواتها، اعلم أن الداعي لا بد له من 8 شروط أكيدة مرتبة: الأول أن خواص هذه الأسماء حق بلا ريب لأن الأرواح مطّلعون على الضمائر، فإن أحسّوا بتوهّم تعجيزهم من أحد خذلوه. الثاني إذا لم يظهر له أثر الدعوة بعد أدائها فلا يسيء ظنه ولا يتركها فلعل ظهورها مقيد بزمان أو يكون في نفسه كلال يحتاج مزيد ذكر.الثالث ألا يتصور عجز نفسه ولا يتوهم أنه غير مستحق للقيام بهذا الأمر إذ لكل فرد قابلية جميع المطالب القلبية وصلاحية اكتساب سائر الأمور السنية. فمن طلب شيئا وجدّ وجد. الرابع كتمُ الأعمال والأحوال و الجوارح و الآثار فإنّ الأرواح تكره الظهور. الخامس ألاّ ينوي بتسخيرهم قبيحا فإنهم فُطروا على الخير المحض مجبولون على المحاسن فقصد ذلك يؤذيهم فيُخاف عليك الهلاك. وقد شوهد ذلك كثيرا لما دعوا إلى ما يخالف جبلّتهم.السادس الغذاء الخفيف وليس بروح ولا روحاني ليتقوّى تأثير النفس فلا يختلف الأثر منهم.السابع طهارة البدن والمكان والملبس والتحرز من الوسخ والدّرن والحدث والنجس وتطييبها بالريح الطيب لأنسهم بذلك وميلهم إليه بالطبع. الثامن أن يعيّن عند الشروع مقصوده ومطلوبه ويشخّصه في خاطره وضميره ويكون مناسبا لحاله وهي من أعظم الإمكان. فليعرف قدره ولا يعدو طوره فلا بدّ من مناسبة تجمع بين الطالب والمطلوب وعلاقة تشمل المحب بالمحبوب. وطلب جاهل أو خامل الذكر درك الحقائق أو أن يكون ذا سلطان في أقلّ زمان لا حصول لذلك الطلب إلاّ الحرمان و لا ربح لتلك التجارة إلاّ الخسران فسدنة الأسماء يستنكفون من مثل هذا الطلب لأنه إساءة الأدب وفعل بلا سبب ويصيرون منه جُمْحا ويصدون عنه صفحا إذ طلب المحال محال. فإن لم يراع الشرائط المرعية البيّنة و إلاّ حيل بينه و بين ما يشتهيه. انتهى.وأما الدعاء الذي ذكره أبو طالب المكي، وهو: أنت الله الذي لا إله إلا أنت الخ..ففضله أن من ذكره يُكتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وإبراهيم و موسى في دار الجلال وله ثواب العابدين في السماوات والأرضين. وأما فضل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر الخ... فمن ذكره مرة واحدة يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ويكون أفضل من ذكره

بالليل والنهار وينظر الله تعالى إليه. ومن نظر الله تعالى إليه لم يعذبه و محيت عنه ذنوبه ويكون له غرسا في الجنة وأيضا يزوجه الله من الحور العين. انتهى.هكذا في جواهر المعاني. قال رضي الله عنه في رسالته: ومن مكفرات الذنوب سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ملئ ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم. فإن المرة الواحدة منها تكفر الذنوب وتؤمّن العبد من عذاب الله تعالى. وقال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبابه من تجار فاس: واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك سبحان الله والحمد لله والله أكبر إلى ءاخر ما تقدّم فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله انتهى. قال في الرماح قلت وهذه الأذكار هي الباقيات الصالحات عند جمهور المفسرين وفضلها معلوم مشهور في الكتاب والسنة. قال الله تعالى:(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا). ووردت أحاديث، تدل على أنّ سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر، هي الباقيات الصالحات. منها ما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلمات قلهنّ قبل أن يحال بينك وبينهن فإنهنّ الباقيات الصالحات وإنهن كنز الجنة قلت: وما هي يا رسول الله قال: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر. رواه ابن ماجه والمنذري من طريق عَمْرو بن راشد. وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الباقيات الصالحات، لا إله إلاّ الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. من قالها خمس مرات أعطاه خمس مسألات. اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارشدني وارزقني. وأخرج أحمد بن حنبل وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس والترمذي وحسّنه والمنذري عن رجل من بني سليم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، ليس لهن عدل من القول وهي الباقيات الصالحات. سبحان الله نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ولا اله إلاّ الله تملأ ما بين السماء والأرض عدل أي مثل.وأخرج النسائي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مقدّمات ومعقّبات ومجنّبات وهن الباقيات الصالحات. من فضائلها أنها أحبّ الكلام إلى الله وأفضله عنده ومصطفاه ومقاليد السماوات و الأرض. وأخرج أحمد بن حنبل عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أحبّ الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر لا يضرّك بأيّهنّ بدأت. وأخرج الإمام أحمد والحاكم الضياءي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر فمن قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحطّت عنه عشرون خطيئة. ومن قال: الله أكبر مثل ذلك. ومن قال لا اله إلاّ الله مثل ذلك. ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبَل نفسه كتب له ثلاثون حسنة وحطّت عنه ثلاثون خطيئة.وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله اختار لكم من الكلام أربعا ليس القرءان وهي القرءان، سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر. وروى الحرث بن أسامة بسند منقطع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مقاليد السماوات والأرض فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر مقاليد السماوات والأرض، ولا حول ولا قوة إلا بالله من كنوز العرش، ومنها أنها تجزّئ عن القرءان. أخرج البيهقي في الكبير وابن حبّان في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني لا أحسن شيئا من القرءان فعلّمني ما يجزيني عنه قال: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فذهب ثم رجع فقال:

هؤلاء لربّي فما لي؟ فقال: قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واعف عني. فلما ولّى الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا هذا فقد ملأ يده من الخير. رواه المنذري مختصرا.ومنها أنها تقوم مقام الصلاة النافلة. أخرج سعيد ابن منصور في سننه موقوفا بسند رواته ثقاة ومحمد بن نصر المروزي عن طارق بن شهاب قال: دخلت على سلمان رضي الله عنه في حصن بالقادسية وهو يعالج على علجة له على أن تصلي فقال سلمان: ينزل الناس ثلاث منازل فمنهم من له ولا عليه ومنهم من عليه ولا له ومنهم من لا له ولا عليه. فقلت أيّ شئ له ولا عليه؟ ومن عليه ولا له؟ ومن لا عليه ولا له؟ فقال يا ابن أخي يقوم الرجل ظلمة الليل وغفلة الناس فيقوم فيسعى في معاصي الله عز وجل. فهذا الذي عليه ولا له. وينام الرجل حتى يصبح فهذا الذي لا له ولا عليه. قال فأعجبني ما سمعت منه فقلت لأصحبنّه فخرجت معه فكنت لا أستطيع أن أفضله في عمله حتى إذا كان الليل طرح لبدة فاتّكأ عليها فجئت فاتكأت إلى جنبه وكانت لي ساعة من الليل أقومها. قال فاستيقظت فإذا هو نائم وكان إذا قام من الليل قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر حتى إذا أقبل الفجر قام فتوضأ ثم صلى ركعات يسيرة ثم جلس فصلينا. قلت يا أبا عبد الله كانت لي ساعة من الليل أقومها فلما استيقظت فإذا أنت نائم فقال ما نمت الليلة قلت رأيتك تذكر الله عز وجل، قال يا ابن أخي فإن تلك الصلاة، فعليك بالقصد فإنه أفضل. ورواه الطبراني والمنذري. وقال الشيخ نظام الدين الأربلي من توضأ وعنده أبواه أو أستاذه أو شيخه أو من يكون أفضل منه فيترك الركعتين ويقرأ ءاية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم فيجزؤه . ومنها أن الصلاة كلها ذكر الله تعالى والباقيات الصالحات من أعظم ما فيها. قال تعالى:(وأقِمِ الصلوة إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولِذكر الله أكبر). والصلاة مشتملة على التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل. قال النووي: اعلم أن الصلاة التي هي ركعتان يشرع فيها إحدى عشرة تكبيرة، والتي هي ثلاث ركعات سبع عشرة تكبيرة، والتي هي أربع ركعات إثنان وعشرون تكبيرة، فإنّ في كل ركعة خمس تكبيرات تكبيرة للركوع وأربعة للسجدتين والرفع منهما وتكبيرة الإحرام وتكبيرة القيام من التشهد الأول. وإذا حسبت تكبيرات الفرائض والنوافل الرواتب وغيرها من النوافل المشروعة في الأحوال والأعراض مما هو خاص باليوم و الليلة وقفت على عدد كثير. وكذلك التسبيحات والتحميدات والتهليلات. ومنها أنها تقوم مقام الصدقة وتفْضُلها. وفي الصحيح: أو َليس قد جعل الله لكم تصدّقون أن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة و بكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة. ومن حديث الطبراني لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر أفضل. والصحيح أن هذا موقوف وحديثه أيضا: من كبّر مائة وسبّح مائة وهلّل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها. وأخذ بقضية هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا: إنّ الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال.ويدل له أيضا حديث أحمد والنّساءي أنه صلى الله عليه وسلم قال ِلأم هانئ: قولي سبحان الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة ومسرجة في سبيل الله تعالى، وكبّري الله تعالى مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهلّلي الله تعالى مائة تهليلة. ولا أحسبه إلاّ قال، تمَلأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرفع ِلأحد يومئذ مثل عملك، إلاّ أن يأتي بمثل ما أتيت. وأخرج البيهقي في شُعب الإيمان، وابن حنبل بإسناد حسن والترمذي والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من إن غزوتم عدوكم فضربتم رقابهم و ضربوا رقابكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فاذكروا الله كثيرا.وأخرج مسدد بسند رواته ثقاة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: َلأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، أحبّ إليّ من أن أنفق

بعددهنّ في سبيل الله.ومنها أنها تقوم مقام الصوم وتفْضُله. أخرج الشيخ أبو محمد ابن حبان وأبو منصور الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما سبّحت ولا سبّح الأنبياء قبلي بأفضل من سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر. ومنها أنها تقـوم مقام الحج وتفْضله بكثير، لأن الجهاد أفضل من الحج، و ذكر الله أفضل من الجهاد، ورأس الذكر الباقيات الصالحات.أخرج أبو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس اذكروا الله على كل حال فإنه ليس من شيء أحبّ إلى الله عز وجل ولا أنجى للعبد من كل سيئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله عز وجل. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال:الإيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور. وأخرج الإمام أحمد بسند رجاله رجال الصحيح، عن ماعز رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل، أيّ الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله وحده ثم الجهاد، ثم حجة برّة تفضُل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها.وذكر بعضهم عن مجاهد أن ءادم عليه السلام طاف بالبيت، فلقيته الملائكة ثم صافحته وسلمت عليه وقالت برّ حجك يا ءادم، طف بهذا البيت فإنّا قد طفنا قبلك بألفي عام. فقال لهم ءادم عليه السلام، ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. قال ءادم وأنا أريد أن أقول أيضا، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حجّ ءادم عليه السلام، فطاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا برّ حجك يا ءادم إنّا قد حججنا بهذا البيت قبلك بألفي عام. قال فماذا كنتم تقولون في الطواف؟ قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر. قال ءادم فزيدوا فيها ولا حول ولا قـوة إلاّ بالله، فزادت الملائكة فيها ذلك. ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بنائه البيت فلقيته الملائكة في الطواف فسلّموا عليه فقال : ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا كنا نقول قبل أبيك ءادم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، فزاد فيها أبوك ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. فقال إبراهيم: زيدوا فيها العليّ العظيم. فقالت الملائكة ذلك. ومنها أنها تقوم مقام الجهاد وتفْضله. أخرج إسحاق بـن راهويه موقوفا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:ما عمل ءادمي عملا أنجى له من عذاب الله أفضل من ذكر الله. قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولو ضرب بسيفه، قال ولَذكر الله أكبر. رواه أبو بكر بن أبي شيبة. وعند عبد بن حميد بسند صحيح ولفظه عن معاذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما عمل ابن ءادم عملا أنجى له من النار من ذكر الله تعالى، قالوا يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد في سيل الله، إلاّ أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع. قالها ثلاثا.وأخرج البيهقي في شُعب الإيمان عن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلاّ من يحب. فإذا أحبّ الله عبدا أعطاه الإيمان فمن ضنّ بالمال أن ينفقه وهاب الليل أن يكابده وخاف العدو أن يجاهده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر، فإنهن متقدمات ومنجيات ومتعقبات، وهن الباقيات الصالحات. رواه البيهقي ورواه الطبراني مختصرا والمنذري ثم قال وفي رفعه مقال. ومنها أنها من أثقل الأعمال في الميزان.وفي الصحيح: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. وأخرج أبو داوود الطيالسي بسند فيه راو لم يسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ بخ خمس ما أثقلهنّ سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر والولد الصالح يموت فيحتسبه والده. هكذا رواه أحمد بن حنبل ومسدّد لكن له شاهد صحيح عن أبي سالم. وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء والبزار بإسناد حسن عن ثوبان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول: بخ بخ خمس ما أثقلهنّ في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه.ومنها أنها من موجبات المغفرة.صلاة التسبيح: أخرج سعيد بن منصور موقوفا بسند رواته ثقاة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله تحاثت خطاياه كما تحاث ورق الأشجار. وأخرج الترمذي وابن ماجة عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: يا عمّ ألا أصِلك ألا أحْبوك ألا أمنحك؟ قلت بلى يا رسول الله. قال: يا عمّ صلّ أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا انقضت القراءة فقل، الله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا اله إلا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع، ثم اركع فقلها عشرا، ثم ارفع فقلها عشرا، ثم اسجد فقلها عشرا، ثم ارفع فقلها عشرا، ثم اسجد الثانية فقلها عشرا، ثم ارفع فقلها عشرا قبل أن تقوم، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، وهي ثلاثمائة بأربع ركعات، فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله تعالى لك. قال يا رسول الله من يستطيع أن يقولها؟ قال إن لم تستطع أن تقولها في كل يوم فقلها في جمعة وإن لم تستطع أن تقولها في جمعة فقلها في شهر. فلم يزل يقول له حتى قال قلها في سنة. قال الترمـذي حديث غريب. انتهى من الرماح.ولمّا كثر كلام الأئمة في صلاة التسبيح أردت أن أسوق بعض ما قيّدناه من ذلك إن شاء الله فأقول مستعينا بالله إنه خير معين. قال في منهج التوضيح لمسائل صلاة التسبيح ما نصه: اعلم شرح الله صدري وصدرك بأنوار اليقين ولطف بنا جميعا بما لطف به لأوليائه المتقين أن صلاة التسبيح قد ورد بها الحديث الصحيح خرجه أبو داوود وابن حبان والحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط، عن ابن عباس رضي الله عنهما وعند أبي داوود فقط رواية أخرى فيها عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفا. وخرجه أيضا أبو عيسى الترمذي عن سيدنا عبد الله ابن المبارك. وخرّجه أيضا هو وابن ماجة، عن أبي رافع رضي الله عنه وستأتي ألفاظ هذه الأحاديث كلها إن شاء الله في فصل الكيفية وتتم بها للراغب المقاصد والأمنية. وأخرجه أيضا الدارقطني في الإفراد وابن شاهين في الترغيب، عن مولانا العباس رضي الله عنه و ستأتي.وقال النووي ،وهو شافعي المذهب، وقد نصّ جماعة من أصحابنا رضي الله عنهم على استحباب صلاة التسبيح منهم البغوي والروياني. وقال في كتابه البحر: اعلم أن صلاة التسبيح مرغّب فيها مستحبّ أن تعاد في كل حين ولا يُتغافلُ عنها. قاله سيدنا عبد الله ابن المبارك وجماعة من الفضلاء، والروياني من فضلاء أصحابنا المطّلعين. وقال النجم الغيطي: قال الحافظ صلاح الدين العلاءي، حديث صلاة التسبيح حديث صحيح أو حسن ولا بدّ. وقال البلقيني في التدريب حديث صلاة التسبيح صحيح وله طرق يعضد بعضها بعضا. فهي سنة ينبغي العمل بها. وقال البيهقي بعد تخرجه حديثها كان عبد الله بن المبارك يصلّيها وتداولها الصالحون بعضهم عن بعض وفي ذلك تقوية للحديث المرفوع.وقال عبد العزيز بن رواد من أراد الجنة فعليه بصلاة التسبيح وهو أقدم من ابن المبارك، بل أقدم مَن روى عنه فِعلها أوس بن عبد الله البصري وهو من ثقاة التابعين. وقد نصّ على استحبابها أئمة الشافعية المتقدمون منهم والمتأخرون حتى الرافعي والنووي في نكتهما والله أعلم. وقال السّبكي: فمن سمع ما ورد فيها ثم تغافل عنها فهو متهاون في الدين غير مكترث بأعمال الصالحين لا ينبغي أن يعدّ من أهل الخير في شيء. نسأل الله السلامة والعافية. وقال أبو عبد الله الخطاب في كتابه المسمى بتفريج القلوب في الخصال المكفّرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب، بعد ذكره حديث أبي داوود، عن ابن عباس رضي الله عنهما ما نصه، قال الحافظ بن حجر بعد كلامه على إسناده. فهذا الإسناد من شرطه الحسن. قال وأقوى طرقه حديث ابن عباس ثم قال وقال أحمد بن حنبل لا يصح عندي في صلاة التسبيح شيء ولا يلزم من نفى الصحة ثبوت الضعف لاحتمال الواسطة وهو الحسن. وقد قال الإمام أحمد بعد ذلك لما قيل له أن المستمر بن الديان رواه فقال هو شيخ ثقة فكأنه

أعجبه. وسئل ابن الصلاح عن هذه الصلاة فأجاب بأنها سنة غير بدعة وحديثها حسن معتمد معمول بمثله لا سيما في العبادات والفضائل. ذكره جماعة من أئمة الحديث. وقال الديلمي في مسند الفردوس: صلاة التسبيح أشهر الصلوات وأصحها إسنادا انتهى.وقد ذكر هذه الصلاة من المالكية الحافظ الثقة عالم سبتة وغيرها وقطبها في وقتها القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى وعدّها من الفضائل في كتابه القواعد. ولا تلتفت لكلام شارحها القباب في اعتراضه عليه في عدّها على مذهبه من الفضائل والمقاصد وستمسع فيه ما يتلى عليك من صحيح المقال. وتبع القاضي عياضا في عدّها من الفضائل على مذهبه من أئمة المالكية أماثل كالإمام شمس الدين التتآئي في شرحه على المختصر وسلمه له محشيه المحقق الشيخ مصطفى ومن هو أحقّ بالتقديم وشيخ أهل التعليم الإمام أبو القاسم بن جزي الأندلسي في قوانينه وأبو العباس سيدي أحمد زروق رضي الله عنه. فتحصل من هذه النقول ثبوت هذه الصلاة بالأحاديث التي رويت عن الفحول منها ما ورد في الترغيب فيها كما يؤخذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه كما في رواية أبي داوود وابن حبان والحاكم ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحْبوك ألا أفعل بك عشر خصال إذا فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وءاخره قديمه وحديثه خطأه وعمده، صغيره وكبيره سره وعلانيته. وفي رواية الترمذي وابن ماجة، ألا أصلك ألا أنفعك... إلى أن قال فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله لك. ومن قوله لعمه المذكور عباس رضي الله عنه، وسيأ تي حديثهما معا مطولا، ائتي غدا أخبرك وأثبك وأعطيك حتى ظننت أنه يعطيني عطية. فذكر كيفية الصلاة الآتية، فقال في آخر الحديث، فإنك لو كنت أعظم أهل الدنيا ذنبا غفر لك ذلك بتلك انتهى. وقد تقدم قول سيدي عبد العزيز بن رواد من أراد الجنة فعليه بصلاة التسبيح. وقال أبو عثمان الحيري الزاهد رضي الله عنه: ما رأيت للشدائد والغموم مثل صلاة التسبيح انتهى.وقد حقق الإمام العارف بالله ابن أبي جمرة أن المغفرة أعلى ما يناله العبد من الله قائلا، أن الرحمة وإن نال منها الإنسان ما عسى أن ينال فيمكن أن يبقى معها بقية ذنب، يؤاخذ به بخلاف المغفرة ولذا امتنّ الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم انتهى.وقال المحقق أبو سالم عبد الله العياشي عقب هذا الكلام ما نصه: فينبغي إذا للعاقل أن يكون أهمّ ما لديه تعاطي أسباب المغفرة من الله تعالى كصلاة التسبيح، فقد ورد فيها ما يحمل الراغب في ربه المشفق من ذنبه ألاّ يدَعَها ولا يقدّم عليها سواها. فشُدّ يد الضنين عليها ولا يشغلنّك عنها شاغل واستبشر بنعمة من الله و فضل أن وفّقك الله وأهّلك لتعاطيها ونشّطك لها إذ لو أراد بك الخزي عياذا بالله لثبّطك عنها، فتكاسلت وتوانيت. ولا يزهدك عنها زاهد، فإن العارفين بالله بالغوا في الحث والحض عليها. والله يوفّقنا وإياك انتهى. وبهذا اللفظ نقله عنه القطب سيدي أحمد بن محمد بن ناصر رحمه الله في رحلته.
وفي العهود المحمدية للإمام الشعراني رحمه الله ما نصه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على صلاة التسبيح لما ورد فيها من الفضل ويتعين العمل بهذا العهد على كل من غرق في الذنوب وتاه في عددها كأمثالنا. وقد تقدم آنفا قول ابن السبكي من أمهات المسائل في الدين، صلاة التسبيح. و زاد فينبغي أن يعتادها المريد كل حين، وقد كان عبد الله بن المبارك يواظب عليها انتهى. وقال شيخنا أبو المواهب السائحي في بغيته ما نصه:تكميل قد ذكر الناظم رحمه الله تعالى مكفرات الذنوب وقد ذكرنا حض الشيخ رضي الله عنه عليها وترغيبه فيها وسوقه الكلام في ذلك مساق المبالغة في النصيحة والإرشاد التام وهي أعني الخصال المكفرة للذنوب كثيرة وردت بها أحاديث شهيرة. وقد ذكر سيدنا رضي الله عنه عدة منها في نصائحه ورسائله وأفرد أحاديثها بالتأليف غير واحد من الحفّاظ والفقهاء كالحافظ ابن حجر والإمام الحطاب، شارح مختصر الشيخ خليل وغيرهما، كالحافظ المنذري والجلال السيوطي رضي الله عنهم وجزاهم خيرا ءامين.واعلم أن هذه المكفرات متفاوتة في الفضل وعظم الفائدة. فمنها ما ورد النص فيه بأنه يكفّر الكبائر والصغائر ومنها ما ورد أنه يكفر ما تقدم وما تأخر ومنها ما ورد أنه

يكفر ما تقدم فقط ومنها ما ورد أنه يكفر ذنوب العبد على الإطلاق ولم يذكر كبيرة ولا صغيرة ولا ما تقدم وما تأخر. وعلى هذا فيتأكد العمل بما صرح فيه بغفران الكبائر والصغائر ثم بما صرّح فيه بما تقدم وما تأخر وكذا بما جيء فيه بالإطلاق ثم بما صرح فيه بما تقدم فقط. فمما صرح فيه بتكفير الصغائر والكبائر صلاة التسبيح، لقوله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه حين علّمه إياها: يا عمّاه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحْبوك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك، غفر الله لك ذنبك أوله وءاخره، قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته. الحديث. خرجه جماعة منهم أبو داوود وابن حبان والحاكم في المستدرك. انظر الحصن و شرحه.وزاد بعض من ألّف فيها والترمذي وابن ماجة والنساءي. ونقل عن ابن الصلاح أنه قال في حديث صلاة التسبيح أنه حسن معتمد معمول به لا سيما في العبادات والفضائل والمنكِر لها غير مصيب. وقد رغّب فيها سيدنا الشيخ رضي الله عنه في رسائله غاية الترغيب وكنت حين تلقيتها بالإذن عن بعض خاصة أصحابه وخزانة أسراره رضي الله عنه قال لي بعد أن بالغ في الحض عليها: لو وجدت لألزمت كل واحد من الأصحاب أن يصليها في كل يوم. فعلِمت أنها من مهمات الأمور المعمول بها في طريقنا.قال بعض من ألّف في هذه الخصال المكفّرة للذنوب، وقد استمر على فعلها، يعني صلاة التسبيح، عمل القديم والحديث من الصالحين كعبد الله بن المبارك فإنه كان يواظب عليها وهلمّ جرا. ثم قال، قال السبكي: فمن سمع ما ورد فيها ثم تغافل عنها فهو متهاون في الدين غير مكترث بأعمال الصالحين لا ينبغي أن يعدّ من أهل الخير في شيء. انتهى كلام البغية.قال في منهج التوضيح لمّا تكلم على وقتها ما نصه: اعلم أن هذه الصلاة هي من جملة النوافل. فوقتُ جواز إيقاعها وكراهته وحرمته معلوم من الدواوين إلاّ أنه يستحب فعلها عند الزوال إما مرة في العمر أو في كل سنة أو في كل شهر أو في كل أسبوع أو في كل يوم على التوالي. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص من رواية أبي داوود فقط قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتني غدا أجزك وأثبك وأعطك حتى ظننت أنه يعطيني عطية قال: إذا زال النهار فقم فصلّ أربع ركعات. الحديث الآتي وفيه فإن لم أستطع أن أصليها في تلك الساعة؟ فقال: صلّها من الليل والنهار انتهى. فهذا يدل على أن فعلها عند الزوال هو المختار بدليل الإطلاق الواقع في غيره من الأحاديث الدالّ على جواز إيقاعها في سائر الأوقات ما عدا أوقات النهي وبدليل ما في آخر هذا الحديث أيضا كما هو مبيّن. قال الدميري عن السبكي وينبغي للمتعبّد أن يفعلها بعد الزوال قبل صلاة الظهر انتهى.وينبغي في كلامه للإستحباب كما هو أحد معانيها بل هو أصلها بلا اضطراب، كما هو مشهور في كتاب النظائر مسطور. وفي كتاب اللمعة في فضائل يوم الجمعة لأبن أبي الصيف اليماني نزيل مكة المشرفة: تستحب صلاة التسبيح عند الزوال يوم الجمعة انتهى. قلت وهذا الذي أخذ به القطب سيدي حسين بن محمد بن شرحبيل خديم القطب ابن ناصر رضي الله عنهما. ثم قال ابن أبي الصيف والأقرب إلى الاعتدال للمومن أن يصلّيها من الجمعة إلى الجمعة، وهو الذي كان عليه حبر الأمّة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فإنه كان يصليها عند زوال يوم الجمعة انتهى.وفي بغية السالك، وما قرب من وقت الزوال أفضل أن تصلى فيه، لما ورد فيها من الأثر، فليجعلها ءاخر تنفّله في المسجد قبل طلوع الإمام على المنبر، إلاّ أن يخشى أن يدخل بذلك شغبا على من يليه لقلة معاهدة الناس لمثل هذه الصلاة فليصلها في منزله أوان تنفلّه في المسجد قبل اجتماع الناس. انتهى. وفي الرحلة العياشية ما نصه: وأفضل أوقاتها ما بين الزوال وصلاة الظهر إن تأتى لك ذلك، وإلاّ فكسائر النوافل انتهى. وفي القوت: واستحب له أن يصلي صلاة التسبيح مرتين، مرة نهارا ومرة ليلا . انتهى. وتبعه في الإحياء وحكم قراءتها، من استحباب أسرارها نهارا ومقابله معلوم مشهور مقرر في محله. و ذكر في فتح الودود أن فعلها في وقت السحر من أسباب كثرة الأرزاق، وليخلص العبد نيته في جميع أعماله ولا يقصد إلاّ تعظيم الله عز وجل.انتهى.وأما كيفيتها فاعلم أنه

ورد في كيفيتها فيما وقفت عليه، وذكره من المتأخرين مقتصرا عليه، أبو سالم العياشي ومن المتقدمين الشيخ عبد العظيم المنذري والتاج السبكي رحمهما الله روايتان فقط. الرواية الأولى رواية العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم رويناها عن أبي داوود وابن حبّان والمستدرك. واقتصر عليهم الأستاذ السيد محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري، في الحصن الحصين ونصه: صلاة التسبيح التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس فقال: يا عمّاه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك عشر خصال، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وءاخره قديمه وحديثه خطأه وعمْده صغيره وكبيره سره وعلانيته أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة. فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائما قل: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها عشرا وأنت راكع ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوي ساجدا فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا. فتلك خمس وسبعون مرة. في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات. إن استطعت أن تصليها في كل يوم فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة فإن لم تفعل ففي كل شهر فإن لم تفعل ففي كل سنة فإن لم تفعل ففي عمرك مرة. (دحب س) انتهى.وبما تقدم من التصريح، يعلم أسماء من أشار له بالرمز والتلويح.وقد تقدم أنه لم يصرح في هذه الرواية بكونه يقول ذلك وهو جالس جلسة الاستراحة ولكن مقتضى قوله: فتلك خمس وسبعون في كل ركعة كما مرّ عن الحطاب. كما لم يصرح أيضا في هذه الرواية بكونه يسلم من ركعتين فمقتضاه موقوفا على ظاهر مساقه أنه لا يفصل بينهن بسلام. وروي مثل هذه الرواية أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعند أبي داوود فقط رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي عن أبي الجوزاء قال، حدثني رجل كانت له صحبة يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتني غدا أجزك وأثبك وأعطك حتى ظننت أنه يعطيني عطية قال: إذا زال النهار فقم فصلّ أربع ركعات. فذكر نحو هذه الصفة المارة عن العباس رضي الله عنه إلى أن قال: ثم ارفع رأسك من السجدة الثانية من الركعة الأولى واستو جالسا فلا تقم حتى تسبح عشرا وتحمد عشرا وتهلل عشرا وتكبّر عشرا. ثم تصنع ذلك في الأربع ركعات. قال فإنك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنبا غفر لك بتلك. قلت فإن لم أستطع أن أصليها تلك الساعة؟ قال: صلّها من الليل والنهار انتهى.وفي الأذكار للنووي روينا في كتابي الترمذي وابن ماجة عن أبي رافع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس يا عم ألا أصلك ألا أحبوك ألا أنفعك، قال بلى يا رسول الله، قال يا عم، صل أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة فقل، الله أكبر ولا اله إلا الله والحمد لله وسبحان الله، خمس عشرة مرة قبل أن تركع، ثم اركع فقلها عشرا ثم ارفع رأسك فقلها عشرا ثم اسجد فقلها عشرا ثم ارفع رأسك فقلها عشرا ثم اسجد فقلها عشرا ثم ارفع رأسك فقلها عشرا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، وهو ثلاثمائة في أربع ركعات. فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله لك. قال يا رسول الله فان لم أستطع أن أقولها كل يوم؟ قال فقلها في كل جمعة، قال إن لم يستطع أن يقولها كل جمعة، قال فقلها في كل شهر، فلم يزل يقول حتى قال قلها في سنة انتهى.وعالج موضع ببادية الحجاز كثير الرمال.وفي هاتين الروايتين التصريح ببيان ما أجمله في الأولى واقتصر على هذه الصفة صاحب الحصن كما سبق والحافظ عبد العظيم المنذري وزاد ما نصه: قال ابن المبارك وإذا صلاها ليلا فالأحبّ له أن يسلّم من ركعتين وإن صلاها نهارا فإن شاء سلّم وإن شاء لم يسلّم. قال ويبدأ في الركوع بسبحان ربي العظيم، وفي السجود بسبحان ربي الأعلى ثلاثا ثم يسبح التسبيحات انتهى. وكذا اقتصر عليه الإمام الساحلي في بغيته والحافظ السيوطي في كتابه عمل اليوم والليلة إلاّ أنه قال: أربع ركعات بلا فصل. انتهى. و هو بإطلاقه مشكّل لما سيأتي على الإثر. وكذا اقتصر عليه تلميذه

العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله نقلا عن الشيخ عبد العظيم المنذري كما تقدم قوله في الترغيب جمهور الرواة على الصفة المذكورة في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وأبي رافع رضي الله عنه انتهى. الرواية الثانية رواية عبد الله ابن المبارك رواها الترمذي. قال النووي في الأذكار قال الترمذي حدّثنا أحمد بن عبدة قال حدّثنا ابن وهب قال سألت عبد الله بن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها قال يكبر ثم يقول خمس عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله أكبر ثم يقرأ فاتحة الكتاب وسورة ثم يقولها عشرا ثم يركع فيقولها عشرا ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا ثم يسجد فيقولها عشرا ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا يصلي أربع ركعات على هذا الوصف. فذلك خمس وسبعون في كل ركعة يبدأ بخمس عشرة تسبيحة ثم يقرأ ثم يسبح عشرا. فإن صلى ليلاً فالأحبّ إلي أن أسلم في كل ركعتين، وإن صلى نهارا فإن شاء سلم وإن شاء لم يسلم. وفي القوت أنه إذا صلاها نهارا لم يفصل بينهن بتسليم، وإن صلاها ليلا سلم فيهن سلامَيْن انتهى .وكان وجه ذلك والله أعلم، أن ظاهر الأحاديث المارة عدم الفصل فيها بسلام لكن يعارض هذا الظاهر فيما إذا صليت ليلا نصٌّ صلاة الليل مثنى مثنى، فقد تقدم النص على الظاهر إذ هو أقوى كما هو مبيّن في مبحث التعارض من فن الأصول.وأما إذا صليت نهارا فلا معارض لما يظهر من حديثها من الوصل فتوصل حينئذ على ما قال في القوت أو يخيّر فيها على ما قال ابن المبارك بين الوصل اعتبارا بظاهر حديثها والفصل اعتبارا بقياس النوافل النهارية على الليلية وحملها عليها في الفصل كما هو مذهب إمامنا إمام الأئمة سيدنا مالك رضي الله عنه إلغاء لمفهوم هذا الحديث المذكور لكونه مفهوم لقب وهو غير حجة عند الجمهور خلافا للدّقاق والصيرفي وابن خويزمنداد ولكونه أيضا خرج على سؤال سائل. فلا يؤخذ به كما هو مبسوط غاية في فن الأصول. وتظافر عليها الجمّ الغفير من أهل النقول وتلقوه بالقبول، فوجب المصير إليه عند تعارض النقول.ومن هنا يلوح لك وجه الإشكال السابق في كلام الحافظ على إطلاقه كما يقتضيه ظاهر سياقه لما فيه من تعارض النص مع الظاهر والعمل على الأخذ بالأول، وإلغاء الثاني عند الماهر ولذا قال في الرحلتين العياشية والناصرية أنه يسلّم من الركعتين. وفي بغية السالك للساحلي ما نصه: قلت لوالدي بأيّ الأمرين تأخذ في ذلك؟ أي في صلاة التسبيح بإفراد كل ركعة بتكبيرة الإحرام والسلام أو جميع الأربع ركعات بإحرام واحد وسلام واحد؟ فقال لي أي ذلك أكثر أجرا؟ قلت إفراد كل ركعتين لما في ذلك من زيادة ذكر في التكبير والسلام وحركة الإثارة عند انفصال السلام. فقال التاجر يطلب زيادة الربح انتهى.
ثم بعد كتبه هذا وجدت في الحصن الحصين ما نصه: صلاة الليل (خ م) والنهار(اش) مثنى مثنى انتهى. فزاد من طريق الإمام ابن حنبل، والنهار كما هو اصطلاحه بالرمز بالألف، وعليه يقوى ما سبق من الإشكال من معارضة ما مرّ من الأنقال فيما إذا صليت نهارا بهذا النص المؤيد لما في الرحلتين و الله أعلم. قال المنذري، وهو الذي ذكر عن عبد الله بن المبارك في صفتها موافق لما في حديث العباس وابنه رضي الله عنهما وأبي رافع رضي الله عنه، إلاّ أنه يسبح على روايته قبل القراءة خمس عشرة مرة وبعدها عشرا ولم يذكر في جلسة الاستراحة تسبيحا.و في حديثٍ غيره أنه يسبح بعد القراءة خمس عشرة مرة ولم يذكر قبلها تسبيحا ويسبح أيضا بعد الرفع في جلسة الاستراحة قبل أن يقوم عشرا انتهى. وقوله ولم يذكر في جلسة الاستراحة تسبيحا هو من باب: على لاحب لا يهتدي بمناره و مثله ولا ترى الضب ينجحر أي لا منار له حتى يهتدي به. ولا ضبّ بها حتى يدخل جحره. فعلى وزنه يقال، لا جلسة للاستراحة عنده فيها حتى يذكر فيها تسبيحا، فهو من باب نفي المقيّد بما قيده وهو قليل. والأكثر نفي القيد مع بقاء مقيده كما هو مشهور. وفي شرح التلخيص مذكور وبهذا يزول الإشكال ويبدو وجه الكلام ويكون مؤديا للمعنى المراد في هذا المقام وإلاّ فظاهره غير مراد لما يؤدي إليه من الفساد. واختار الغزالي في الإحياء ما عليه عبد الله بن المبارك ولذا قال الدميري عن الإمام السبكي وينبغي للمتعبد أن يعمل

بحديث ابن عباس رضي الله عنهما تارة، وبما عمل به ابن المبارك أخرى انتهى.وعلى هذا اعتمد أبو سالم العياشي وتبعه تلميذه أبو العباس ابن ناصر في رحلتيهما، إذ قالا فيهما رضي الله عنهما ما نصه: وتصلي مرة على ما رواه ابن المبارك من تقديم الأذكار خمس عشرة مرة على القرآن ثم يقول الذكر بعدها عشرا عشرا. ولا يجلس للاستراحة وهذا في كل ركعة، وتارة على ما رواه سيدنا العباس رضي الله عنه من تقديم القرآن على الأذكار ومن الجلوس للاستراحة قائلا: الأذكار فيها قبل أن ينهض قائما وقبل التشهد. ثم إنه على رواية ابن المبارك يكبّر إذا شرع في الركعة الثانية والرابعة كسائر الصلوات.وأما على رواية غيره فيقولهما من غير تكبير لتقديمه إياه في جلستي الاستراحة كما أجاب به المحقق سيدي حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل، عمن سأله عن ذلك. وفي بغية السالك ما نصه: ثم يرفع من السجود الثاني ويقولها وهو جالس عشرا وفي ءاخر العشر يقوم بالتكبير انتهى. فحرر ذلك والله أعلم. وهذا الذي وقفت عليه من الروايتين في كيفية الصلاة المذكورة كما هي في كتب أئمتنا مسطّرة محرّرة. ووقع في أجوبة القطب ابن ناصر ما يقتضي أنّ ثمّ صفة ثالثة قائمة من الصفتين المذكورتين على أن تكون الركعة الأولى على رواية سيدنا العباس رضي الله عنه والركعة الثانية على رواية ابن المبارك أو العكس. ولكن وقع في نسخها اضطراب لم يتحصّل من أجله تحقيق الصفة على الصواب ولم أقف على ذلك في شيء من كتب الأحاديث العلومية التي بأيدينا والله أعلم.

تنبيهان:الأول مقتضى إطلاق قوله في الأحاديث السابقة بفاتحة وسورة إنه لا يشترط في هذه الصلاة سورة معينة ذات طول أو قصر. وفي القوت عن إسماعيل بن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في السورة التي بعد أم القرءان عشرون آية فصاعدا انتهى. وفي رواية للطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: فاقرأ بفاتحة الكتاب وسورة إن شئت جعلتها من أولى المفصل. انتهى. وقال السبكي وينبغي للمتعبد أن يقرأ فيها من المفصل تارة وبالزلزلة والعاديات والفتح والإخلاص وتارة بألهاكم والعصر والكافرون والإخلاص. ففي كل شيء ذكرته وزدته على الفاتحة. انتهى. وتبعه في الأجوبة الناصرية واقتصر في كتاب اللمعة في فضائل يوم الجمعة والحافظ السيوطي في كتابه عمل اليوم والليلة على قراءة الأربع الأواخر. وفي بغية السالك للساحلي ما نصه: قلت لوالدي: بماذا تقرأ فيها؟ أي في صلاة التسبيح مع أم القرءان، قال: في الأولى التكوير وفي الثانية الانفطار وفي الثالثة المطففين وفي الرابعة الانشقاق انتهى. التنبيه الثاني:ألفاظ الذكر الوارد في هذه الصلاة أربعة تسبيح وتحميد و تهليل و تكبير كما هو نص الأحاديث السابقة. وفي القوت لأبي طالب المكي ما نصه: وأحب زيادة ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم لِما ذكرناه في الخبر الآخر. وتبعه في هذه الزيادة الإمام السيوطي في عمل اليوم والليلة والقطب ابن ناصر في أجوبته. قال في شرح الحصن الحصين: وهو الذي ينبغي أن يعول عليه والله أعلم. وأما الدعاء الوارد فيها ومحله، ففي شأنه قال الحافظ عبد العظيم المنذري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا غلام ألا أحْبوك ألا أتحفك ألا أعطيك؟ قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله، فظننت أنه سيقطع لي قطعة من مال فقال: أربع ركعات تصليهن فذكر الحديث كما تقدم. فقال في ءاخره: فإذا فرغت قلت بعد التشهد وقبل السلام إلهي إني أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجدّ أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك. اللهم إني أسألك مخافة تحجزني عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفا وحتى أخلص لك النصيحة حياء منك وحتى أتوكل عليك في الأمور حسن ظنّ بك. سبحان خالق النور. انتهى. ونقله عنه بهذا اللفظ الحافظ السيوطي وتبعه تلميذه القطب الشعراني في العهود والقطب ابن ناصر في أجوبته إلاّ أنّ مكان توفيق تحقيق ومكان جد حذر بحاء مهملة وذال معجمة وراء، وزيادة لفظة بها بعد قوله تحجزني ومكان حياء منك بحاء مهملة

مفتوحة وياء ممدودة آخر الحروف حبا لك بباء موحدة من أسفل وتعرف ظن بعد حسن. ووجد بخط ابن الدقاق حسنا ظني بك، بمصدرين أولهما منصوب منوّن، وثانيهما فاعله وهو مضاف إلى ياء المتكلم بهامش كلام العهود واضعا عليها علامة (خ)، إشارة إلى أنها في بعض النسخ كذلك. وفي كتاب اللمعة ما نصه: فإذا أكمل الثلاثمائة من الأذكار قال بعد فراغه من التشهد وقبل السلام اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى فذكر الدعاء المتقدم في نقل المنذري وزاد بعد قوله النور ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أرحم الراحمين ثم يسلم انتهى. ونقله عنه الحطاب في تفريج القلوب وسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، في الحصن وزاد ما نصه: والدعاء المذكور أخرجه صاحب الحلية من طريق عبد القدوس بن حبيب بدون قوله ربنا أتمم لنا نورنا الخ. وعبد القدوس قال فيه ابن الجوزي: وضاع. وأورده المنذري كذلك بدون الزيادة المذكورة وعزاه للطبراني في الأوسط وإسناده واه. والله أعلم. و درج على هذه الزيادة القطب ابن ناصر مع ما علمت فيها وبما سبق تعلم أن محل هذا الدعاء على القول به هو بعد الفراغ من التشهد وقبل السلام كما هو في النصوص السابقة. ووقع في الأجوبة الناصرية ما نصه: وتدعو بهذا الدعاء ثم تشهد وتسلم بعد كل ركعتين. وهو ما دام محمولا على ظاهر مخالف لما سبق فالاعتماد على النصوص السابقة الصريحة والله سبحانه وتعالى أعلم. و أما السهو فيها، فإنه لا يخلو إمّا أن يكون في غير الذكر الوارد فيها وإما أن يكون واقعا فيه. أما الأول فأمره ظاهر لا يخفى عن قاصر فضلا عن ماهر إذ هذه الصلاة هي من جملة النوافل. فحكم السهو فيها كحكمه في الفرائض إلا في خمس مسائل مشهورة. وأما الثاني فهو أن يكون السهو واقعا في الذكر الوارد فيها فقد سئل شيخ الشيوخ أبو عبد الله المسناوي ونص السؤال: ما حكم السهو عن هذا الذكر كله أو بعضه بما يفوت تدارُكه؟ فأجاب بأنه لم يقف على شيء من أحكامه لأحد ممن تكلم عليها من الأئمة، وأوعبُهم كلاما فيما رأيت الإمام الحطاب في تأليفه المذكور ومع ذلك لم يتعرض فيه لشيء من أحكام السهو الواقع فيها إلا قوله، قيل لإبن المبارك إن سها في هذه الصلاة هل يسبح في سجدتيْ السهو عشرا عشرا؟ قال: إنما هي ثلاثمائة تسبيحة انتهى. قلت لعلهم لم يتكلموا عليه لوضوحه بالقياس على غيره فإن السهو فيها لا يخلوا إما أن يكون بترك الذكر كله أو بعضه أو بزيادة عليه. فالثاني غير مضر قياسا على ما قالوه في غيره من الأذكار العددية كما في كتب الفروع. والأول بقسميه إن أمكن تلافيه و تدارُكه بحيث لم يتلبّس الساهي بمحل ذكر آخر مماثلُه تلافاه فيأتي به على تمامه في الصورة الأولى ويبني على اليقين في الثانية. وإن لم يمكن تلافيه وتدارُكه لفوات محله لتلبسه بمحل ذكر آخر مماثله فهل يفعله في ذلك المحل الذي تلبّس به زيادة على الذكر الوارد في ذلك المحل؟ وسواء كان المحل مواليا للمحل المتروك منه الذكر أو لا. وهو الذي قاله سيدي أحمد بن عبد الله الغرفي لمّا تفاوضت معه في هذه المسألة أو يتم الصلاة نافلة مجردة من تلك الأذكار ثم يستأنف إن شاء الله صلاة أخرى على سنّتها السابقة على الكيفية الواردة. ولا يخفى ما في الثاني من التوفية بالصلاتين والفوز بثواب هاتين الخصلتين والمحافظة على الصلاة الثانية إن أتى بها على الكيفية الواردة عن الشارع صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقتضيه النظر. وظاهر من كلام العارف بالله سيدي علي الخواص وتلميذه الشعراني رضي الله عنهما لما يلزم على الأول من تغيير الكيفية المنصوصة الواردة من قبل الشارع صلى الله عليه وسلم. ونصوص الأحاديث الصريحة السالفة مع أنه لا ضرر على الناسي فيها بالإتيان بالأخرى على وجهها فيعطى ثواب المنتقل عن إتمامها على سنّتها لعارض السهو وثواب المنتقل إليها قلتُه تفقها و لم أره مسطورا. ومن وقف على عين النازلة،فليلحقه هنا مأجورا مشكورا، وإلا فصمْته عن غير الصواب هو عين الصواب والعلم عند الفتاح الكريم الوهاب انتهى.وما بقي من أحكام الصلاة المذكورة إلا ما يتعلق بغفران كبائر الذنوب ببعض الأعمال الصالحات والمراد أنه وقع بين علماء السنة رضوان الله عليهم اضطراب كثير في غفران كبائر

الذنوب ببعض صالح الأعمال. والخلاف في ذلك بينهم شهير والتحقيق عند ذويه أنّ محل الخلاف بينهم في ذلك إنما هو إذا وردت عن الشارع المغفرة للذنوب مطلقة غير ناصة على تكفير كبائر الذنوب كقوله صلى الله عليه وسلم: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. فهل يحمَل على عمومه فيكون شاملا للكبائر وقوفا مع ظاهره المطلق لاستغراقه أو عمومه مختص بأحاديث أخر نحو ما اجتنبت الكبائر. فلا يتناول حينئذ إلاّ الصغائر. فهذا محل تردد النظار وسبب تحيّر الفكر. وأما إذا وردت المغفرة ناصة على تكفيرها للكبائر فلا سبيل إلى تنصيصها بل تبقى على ما اقتضاه العموم الاستغراقي كما في صلاة التسابيح فإنّ الأحاديث المارّة بجميع طرقها ناصة على غفران الذنوب الكبائر والصغائر. وهذا نخبة ما ذكره المحققون وهو القطب الذي عليه المدار. وإن أردت تحقيق المطابقة بمقتضى الحال فاستمع لما يتلى عليك من صريح المقال. فأقول قال صاحب مطالع المسرات رحمه الله تعالى: صرّح قوم من العلماء بجواز تكفير الكبائر بالأعمال الصالحات بفضل الله تعالى منهم ابن المنذر كما نقله ولي الدين العراقي وأبو نعيم الإصبهاني كما نقله في فتح الباري مفسرا به حديث الترمذي وغيره: من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن فرّ من الزحف. ومشى على ذلك في كتاب المرضي من فتح الباري أيضا وكذا السيوطي وقاله الباجي في المنتقى في حديث التأمين والقاضي عياض في الإكمال. ونقل كلامه الشيخ الثعالبي في كتاب جامع الفوائد واستحسنه وجعله قاعدة عظيمة في كل ما ورد من الوعد الجميل في القرآن والأحاديث من أنه من عمل كذا دخل الجنة. كما نقله أيضا في تفسيره وفي كتابه العلوم الفاخرة. وكذا الإمام الفخر الرازي. وقال بذلك القرطبي في المفهم. ونقل كلامه الأبي ثم نقل كلام الإمام ابن العربي المحكى عنه من أن الكبائر إنما تكفر بالتوبة حاكيا في ذلك الإجماع وزيفه. وقال ابن دقيق العيد والشيخ زروق بعد حكايتهما ما لابن العربي ما نصه: وفيه نظر. و زاد الثاني وظاهر الأحاديث يقتضي خلاف ذلك سيما حديث إنّ الله غفر لأهل عرفات وضمن لهم التبعات، وهو حديث صحيح. واختار ابن أبي بزيزة تكفير الطاعات للكبائر موافقا في ذلك لما سلف ذكره من الأئمة العظام قائلا: قلت الجاري على مذهب الأشعرية من أنه يجوز مغفرة الكبائر دون توبة حجّته تكفير الحج ونحوه لها. ونقله الشيخ السنوسي في تكميله لإكمال الإكمال وأقرّه ونقل القول بذلك أيضا ابن التين الصفاقسي في شرح البخاري، والبدر الدماميني في حواشيه وكذا قال بذلك أيضا ابن عرفة فيما نقله عنه السيد الشريف البلوي والبسيلي في تقييدهما في التفسير. وقال خاتمة المحققين الشيخ أحمد بابا أقيت بعد نقله نصوص هؤلاء المذكورين وغيره، في تأليف له في المسألة ما نصه: وأقول الذي يتبادر للذهن ويظهر من جهة النظر هو القول بجواز غفران الكبائر ببعض الأعمال الصالحات بفضله تعالى لأمور: أحدها: ما ثبت من قواعد أهل السنة وأصولهم أن الله تعالى يغفر ذنوب من شاء متى شاء بلا توبة منها فما المانع من أن يجعل الله تعالى بفضله وكرمه سبب نجاة من شاء من عباده العاملين عملا صالحا يعمله أو قولا طيّبا يقوله من أي أنواع الطاعاة سيما التي جاءت الأخبار أنها تكفّر الذنوب. ثانيها: ما قاله الأئمة أن ظواهر الشرع هي الجادّة عند اختلاف الآراء، واشتباك الأقوال إن لم تخالف الأدلّة العقلية. ولا شك أن ما جاء في الأحاديث من تكفير الأعمال للذنوب كثير جدا بحيث لا يحاط بها عن ءاخر. ثم جماعة ألفوا في الخصال المكفرة لما تقدم وتأخر من الذنوب من حفاظ المتأخرين. ثم قال: وليس ردّ جميع الأحاديث الواردة في ذلك لحديث ما اجتُنبت الكبائر والحكم عليها بالتقييد به سيما ومنها ما لا يمكن تقييده به. ثم ذكر أحاديث كثيرة مما لا يمكن تقييدها به، ثم قال إلى غيرها من الأحاديث في هذا المعنى التي لو تتبعت لجاءت منها أوراق عدة بعضها صحيح وبعضها ضعيف ولا تقييدها بحديث ما اجتُنبت الكبائر أصلا لأنها صريحة في تكفير الكبائر صراحة لا يقبل التقييد به. انتهى كلام الشيخ أحمد بابا. قلت، ومما لا يمكن تقييده بما ذكر مسألة صلاة التسبيح للتصريح فيها من جميع طرقها

بتكفير الكبائر. ثم قال في مطالع المسرات والذي يظهر أن خلافهم لم يتوارد على محل واحد فإنّ المانعين لتكفير كبير السيئات كابن العربي وابن مرزوق ومن نحا نحوهما إنما يعنون مطلق الحسنات التي في قوله تعالى:(إنّ الحسنات يُذهِبْن السيئات). من غير تصريح فيه بالكبائر كما في صلاة التسبيح ولا بخروجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه كالحج. وهذا هو الذي تقتضيه قاعدة السنة من عدم لزوم الموازنة والإحباط وأن المجيزين لتكفيرها بالأعمال الصالحة إنما يعنون ما ورد فيه نص تكفيرها لها .و من شاء الله يغفر ذنوبه كلها بسبب عمل صالح يعمله. ومن قواعد السنة أن الله يغفر ذنوب من شاء بلا توبة فضلا ورحمة منه تعالى انتهى.وإنما أطلت الكلام في مسألة تكفير الذنوب لأن سيدنا رضي الله عنه يحث أصحابه على العمل بالمكفرات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما نص عليه شيخنا أبو المواهب السائحي في شرح قول المنية: وبالمكفرات للذنوب. البيت نصه. وخصّت مكفرات الذنوب من الشيخ رضي الله عنه بمزيد الترغيب فيها والتأكيد في الحض عليها لشدة الاحتياج إليها في الوقت وكثرة مناسبتها لأحكامه وأحوال أهله حسبما يشير إليه سياق كلامه رضي الله عنه في الترغيب فيها والحض على العمل بها في رسائله ونصائحه كقوله في الشامية بعد إخباره بهيجان بحر الذنوب في هذا الزمان وعظم أمواجه وتراكم ظلماته وعجْز الناس عن الخروج عن الذنوب إلاّ صدّيق أو من قارب مقامه ما نصه: فحيث كان الأمر هكذا فليشتغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب... إلى ءاخر كلامه فيها رضي الله عنه. وكذلك في غيرها من الرسائل، فإنه يشير إلى ما ذكرناه من شدة احتياج الناس إليها عموما وخصوصا المريدين الصادقين لمناسبة العمل عليها لحكم الزمان وأحوال أهله كما لا يخفى انتهى.وقال حواريّ هذه الطريقة في رماحه ما نصه: قال شيخنا رضي الله عنه، كما في الرسالة التي أرسلها إلى كافة فقراء الشام، اعلموا أن بحر الذنوب قد طما وكثرت أمواجه وتراكمت ظلماته حتى عجز الخلق عن الخروج عنه إلاّ صدّيق أو أجلّ منه أو من يقارب مقامه. ومن عدا هؤلاء فقد تمكّن العجز فيهم على الخروج عن الذنوب. فحيث كان الأمر هكذا فليشتغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب فإنّ من اشتغل بها مع كثرة ذنوبه خفّت مُؤنة الذنوب عليه وهو خير من الذي يقتحم الذنوب ولا يأتي بمكفّراتها. قال سبحانه وتعالى إنّ الحسنات يُذهبن السيئات. وقال صلى الله عليه و سلم: إذا أتيت بسيئة فأتبعها بحسنة تمحها. أو كما قال صلى الله عليه وسلم مما معناه هذا... إلى أن قال: وكل معصية لا بدّ لها من عقوبتين، عقوبة دنيوية وعقوبة أخروية، أما العقوبة الدنيوية فلا ترفع عنه إلاّ بأحد أمرين،الأول بإخراج صدقة لله تعالى بعدها من مال حلال أو كالحلال، فبها يدفع عنه بلاء المعصية. والثاني من الأمرين، الرجوع إلى باب الله تعالى بالضراعة والابتهال والذل والانكسار والتضرع بالدعاء بطلب العفو منه سبحانه وتعالى، وبطلب رفع بلية تلك الذنوب، فإنه بسبب ذلك يرتفع عنه، وأما عقوبة الآخرة فلا ترتفع عنه ولا بدّ منها، إلاّ أن يعفو عنه سبحانه وتعالى، إمّا بسبب أو بلا سبب، وأسباب العفو كثيرة. انتهى.ثم قال أيضا في إتمام الكلام على الباقيات الصالحات. ومنها أنها من موجبات النجاة من النار. أخرج أبو يعلى الموْصلي وأبو منصور الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال العبد لا اله إلاّ الله والله أكبر، صدّقه ربّه فقال: صدق عبدي لا إله إلاّ أنا وأنا أكبر، فإذا قال لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، قال صدق عبدي لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد، قال صدق عبدي لا إله إلاّ أنا ليَ الملك وليَ الحمد، وإذا قال لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، قال صدق عبدي لا إله إلاّ أنا ولا حول ولا قوة إلاّ بي. رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح.وأما السلام عليك أيها النبيء ورحمة الله وبركاته، فمن بعض فضائلها أن من داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت. قال وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله عنه وأنا معه في المدينة المنورة بأنوار ساكنها صلى الله عليه وسلم أن الشيخ رضي الله عنه كان يحض

على ذلك والدوام عليه ويقول: إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلا انتهى. قلت: وقد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين، داوم عليها فمات وهو ساجد في الصلاة.
وفي تحفة الأخيار في الصلاة النبي المختار ما نصه، قد ورد في فضل السلام عليه أحاديث منها عن وهب بن منبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة. و في رواية: ما سلّم عليك أحد يا محمد إلاّ سلمت عليه عشرا، وسلام الرب جل جلاله على عبده عنايته به وتأمين له من عذابه. فاستحضر يا أخي أن رب العزة بجوده وكرمه المستغني عنك وعن جميع خلقه يردّ عليك السلام ويناجيك بالتحية والإكرام. ومن أين بلغت هذا المقام مع بُعدك وقطيعتك وقلة حيائك من ربك، ومع ذلك لمّا سلّمت على أكرم خلقه، وأهل ودّه سترك سلامه عن قبائحك وكنت أهلا عند ربك ِلأن يردّ عليك السلام. فسبحان من عمّ جوده وإحسانه جميع خلقه وظهر عزّه وسلطانه في سمائه وأرضه. فلا ربّ غيره ولا معبود سواه.

سلام على الهادي الشفيع محمد	سلام على الداعي إلى الله أحمـد
فطُهّر عن غيّ الرجيم المبعّـَد	سلام على من شُق طفلا فـؤادُه
و أكرم مولود وأطيب مولـــد	سلام علـى المختار من ءال هاشم

ومما روي في فضل السلام عليه أنه عليه الصلاة والسلام قال: ما من مسلم يسلّم عليّ إلاّ ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه. هذا الحديث العظيم فيه عناية وتكرمة للمحبين من أمته عليه الصلاة والسلام وهو تشريف للمسلمين على سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم ما دامت الليالي والأيام. فاستحضر يا أخي زادك الله وزادني لهذا النبي الكريم زيادة في التبجيل والتكريم مخاطبتك والسلام عليك من نبيك وحبيبك وشفيعك وكيف جعله مولاه رحمة في حياته ورحمة في بعثه ولم ينس أمّته في جميع أحواله.فإياك أن تغفل عن منفعتك وعن السلام عليك من نبيك وربك، لأنك إذا سلمت على نبيك في أي وقت وحال سلم عليك ربك ومنحك منه الإقبال و رد عليك السلام نبيك وحبيبك وشفيعك عند ذي الجلال صلى الله عليه وسلم تسليما. ما روي في فضل السلام عليه أنه قال: السلام عليّ أفضل من عتق الرقاب. و هذا الحديث الكريم ينظر فيه هنا مع ما قدمناه قبل في قوله عليه السلام: من سلم عليّ عشرا فكأنما أعتق رقبة. فظاهره أن عتق الرقبة أفضل من السلام الواحد، ِلأنه عليه الصلاة والسلام جعل العشر التسليمات عليه تقوم مقام عتق الرقبة.لى الله عليه وسلم حق وصدق ولا بد من تحققه، ويستحيل فيه أن يتوهم خلاف ذلك. قال ولعل الجواب عن هذا أن الرقبة الواحدة التي قام مقامها السلام عليه عشر مرات من ولد إسماعيل. قال كذا أظنه ورد في بعضها. و الحديث الآخر الذي اقتضى أن السلام الواحد عليه أفضل من عتق الرقاب تكون من غير ولد إسماعيل. قلت ويمكن هنا جواب ءاخر وهو أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف مراتب المسلمين عليه صلى الله عليه وسلم فهذه منّة من الله على هذه الأمة المحمدية لأن عتق الرقبة لله تعالى، ورد فيه أن من أعتق رقبة أعتق الله تعالى بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه. فإن قال المحبّ السلام عليك أيها النبيء ورحمة الله وبركاته حصل له العتق من النار برقبة واحدة، وباقي ذلك ثواب ورفع درجات عند الله تعالى مع سلام النبي عليه السلام وردّه على المسلم عليه ثم بسلام رب العزة جل جلاله عليه، وهو يرجع إلى تأمينه وتبشيره بالإنعام عليه. فاشكروا عباد الله مولاكم على إحسانه إلينا ومنّته علينا بمن بعثه إلينا رحمة صلى الله عليه وسلم. وفي فضل السلام عليه ما روي أنّ ِللّه ملائكة سياحين في الأرض يبلّغون السلام عليه إليه صلى الله عليه وسلم. انتهىفائدة:ذكرالشيخ محمد التافلالتي الخلوتي في شرحه للدور الأعلى المسمى بالدورالأعلى ما نصه: مقدمة في ذكر خواص هذا الحزب المجربة عند أهل التحقيق منها المحبة والمعزة في القلوب والحفظ من قرين السوء وأم الصبيان والريح الأحمر والقولنج والنجاة في السفر برا وبحرا والأمن من لسع الحيات والعقارب وتيسير تعسير الولادة وقضاء الحوائج في جميع المعاملات والحفظ من السلاح والطاعون. ومداومته تبطل

السحر وتورث حفظ القرءان والعلم وتصفية الأذهان. وإذا قرئ في كل يوم بعد سورة الواقعة بعد العصر يكثر به الرزق وينفي الفقر إلى غير ذلك مما يجده أرباب الهمّة العالية. وشرط تأثيره في هذه الأمور مواظبته صباحا ومساء مع خلوص النية والإذن من مرشد كامل في العلم وإن لم يجده فخلوص النية و الاذن من مرشد كامل في العلم. و ان لم يجده فخلوص النية كاف.

تنبيــه: قال العلماء العارفون: ذِكر أسماء الله الحسنى والتوسل بها سنة في كل مطلوب لكن من ذكرها لأجل الحظ الدنيوي يخشى عليه الطرد والخيبة لأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة وما نظر إليها منذ خلقها نظرة رضى فكيف يليق من عاقل أن يذكر اسمه تعالى لأجل أمر مبغوض عنده، وضربوا لذلك مثلا وقالوا لو تشفع أحد عند أعظم ملوك الدنيا بأحد وزرائه في أن يعطيه جيفة كلب أو حمار فما جزاؤه من الملك؟ ما جزاؤه إلاّ الطرد. وهكذا في مثل ذكر الله لأجل الحظ الدنيوي ولِلّه المَثل الأعلى. والمخلص من هذا المضيق هو أن العبد يعلم أن كل شيء بتسخير الله تعالى، وأن أسماءه تعالى وسائل شفعاء لكل مطلوب والله أمرنا بالتوسل بها. ولِلّه الأسماء الحسنى فلنذكرها و ندعوا بها امتثالا لأمره ونفوّض إليه الأمر سبحانه فنفوز بعبادته قصدا ونحصل مطلوباتها ونفوز بالحالتين برضى الله تعالى في الدارين. وهكذا جميع ما ورد في خواص القرءان والسنة والأذكار فاسمع وأطع ولا تكوننّ من الجاهلين. إذا انتقشت في مرءاة قلبك هذه اللطائف فابتهل لمولاك بهذا الحزب مستغفرا حامدا مصليا مراقبا مقبلا عليه لأن المؤلف ضمّن حزبه كثيرا من أسماء الله الحسنى التي رويت بسند حسن من رواية الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لِلّه تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة. وفي رواية ابن مردويه من دعا بها يدل من أحصاها ومعنى أحصاها قرأها متوسلا بها مرتلا وهو حفظ العوامّ، أوعلمها وتدبّر معناها وهو حفظ العلماء أو اطّلع على حقائقها وهو حفظ الأولياء. و في رواية البخاري ومسلم: إنّ لله تسعا وتسعين اسما مائة إلاّ واحدا، من أحصاها دخل الجنة. انتهى لكن كل اسم منها إنما يقطع حجابا واحدا، لأن الأذكار كما قال شيخنا رضي الله عنه نوعان: نوع منها يقطع ويزيل كل حجاب عن الروح من أي أمر كان ونوع منها لا يقطع إلاّ حجابا واحدا. فأما التي تقطع وتزيل كل حجاب فهي لا اله إلاّ الله أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر، أو باسم الله الرحمن الرحيم، أو الله الله الله، أو الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم. وأما التي تقطع وتزيل حجابا واحدا فهي سائر الأسماء الحسنى. وكل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدّى للجزء الآخر انتهى. وإنما نبّهت على ذلك ليلا يغتر من لا علم له بهذه الفائدة فيسلك مسلكا لا يليق بحاله، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمئاب.

الباب السادس في ما يلزم المريد لشيخه و ما يلزم الشيخ لمريده إذا وفى بالعهد:فأقول مستعينا بالله إنه خير معين، قال في جواهر المعاني: اعلم أيّدك الله بروحه أن المريد الصادق هو الذي عرف جلال الربوبية وما لها من الحقوق في مرتبة الألوهية على كل مخلوق وأنها مستوجبة من جميع عبيده دوام الدؤوب بالخضوع والتذلل إليه والعكوف على محبته وتعظيمه ودوام الانحياش إليه وعكوف القلب عليه معرضا عن كل ما سواه حبا وإرادة. فلا غرض له ولا إرادة في شئ سواه لعلمه أن كل ما سواه(كسراب بِقِيعَة يحسبه الظمئان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا). فلما عرف هذا وعرف ما عليه من دوام العكوف على الانقطاع إلى الحضرة الإلهية و عرف ِخسّة نفسه وكثرة شؤمها وشرها وأنها في جميع توجهاتها مضادة لحضرة الألوهية وأن جميع حظوظها ومراداتها مناقضة للحقوق الربانية وعرف ما فيها من التّثبّط والتثبيط عن النهوض بالقيام بحقوق الله ومعرفة ما يجب له تعالى من الخدمة والأدب ِلما ألفته من الميل إلى الراحات والعكوف على الشهوات والانقطاع عن خالق الأرض والسماوات وأن جميع حظوظها لا تدور إلاّ في هذا الميدان وعرف عجزه عن تقويم هذه النفس الأمارة بالسوء وعن ردّها إلى الحضرة الإلهية منقطعة عن هواها وشهواتها وعرف أنه إن قام معها على هذا الحال استوجب من الله، في العاجل والآجل من الغضب والمقت وشدة العذاب والنكال المؤبد و الخلود مما لا حدّ له ولا غاية، وارتعب قلبه من هذا البلاء الذي وقع فيه والعلة المعضلة التي لا خروج له منها. فلا يمكنه المقام مع نفسه على ما هي فيه مما ذكر قبل إلا استجابة الغضب والمقت من الله ولا قدرة على نقل نفسه من مقرها الخبيث إلى استيطان الحضرة الإلهية.فحين عرف هذا رجع بصدق وعزم وجد واجتهاد في طلب الطبيب الذي يخلّصه من هذه العلة المعضلة، ويدلّه على الدواء الذي يوجب كمال الشفاء والصحة. فهذا هو المريد الصادق وأما غيره ممن لم يتِصف بهذه الصفات المتقدمة فهو طالب لا غير قد يجد وقد لا يجد تعلقت نفسه بأمر فطلبه.وأما الأول، فلِمكان ِصدقه كان الشيخ أقرب إليه من طلبه فإن عناية الحق به التي وهبته ذلك العلم المذكور هي التي تقوده إلى الشيخ الكامل وتلقيه في حضرة الشيخ الواصل وتقلّب له قلب الشيخ بالمحبة والتعظيم فيقع الإئتلاف بينهما والأدب فينفتح باب الوصول لأن عناية الحق متى وقعت على امرئ جذبته جذبا قويا لا يمكن توقفه ولو كان ما كان. فالذي يجب على المريد الصدق في الطلب مع كمال العلم المتقدم و شدة الاهتمام بالأمر المطلوب وعماية القلب عن سوى مطلوبه. فلا يشتغل بشيء سوى ما يريد. هذا هو الصدق المفيد وهو الذي يخرجه من المقت اللاحق.فالذي يجب على المريد قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسب الطاقة مع اعتقاد أنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم مع دوام الإعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وإعراضها والسعي في كل ما يحبّبه إلى الله تعالى من نوافل الخيرات، وهي معروفة في الأوقات كوقت الضحى وقبل الظهر وبعده وقبل العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد النهوض من النوم وفي ءاخر الليل. و ليقلل من ذلك ويجعل اهتمامه بالذكر و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح أبواب الخير مع العزلة في وقت الذكر وتقليل الغذاء والماء واستعمال شيء من الصيام والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطّر عند أهل الطريق. و الحذر الحذر من كثرة التخليط في الأذكار وكثرة تشعيب الأفكار بين أقاويل المتصوّفة فإنه ما اتّبع ذلك أحد فأفلح قط، ولكن يجعل لنفسه ذكرا واحدا يهتم به ووجهة واحدة يهتم بها وأصلا ثابتا يعوّل عليه من الطرق. هذا سلوكه وتربيته قبل لقاء الشيخ ثم يسعى في طلب الشيخ الكامل كما قال طمطم : الطالب الصادق لا ينظر في غير مطلوبه. الطالب لا يسعى في غير مطلوبه. فهذه صفة المريد وأحواله.وأما ما يقطعه عن أستاذه فأمور.فقد قال سيدنا رضي الله عنه: الأمور التي تكون سببا لطرد المريد عن الشيخ منها: الأغراض ومنها الاعتراض بالقلب واللسان ومنها كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة ومنها سقوط حرمته

من القلب. فأما الأغراض سواء كانت دنيوية أو أخروية وذلك أن الشيخ لا يصحب ولا يعرف إلاّ لله عز و جل لا لشيء. وهي في أمرين يعني الصحبة، فإمّا أن يواليه لله تعالى بأن يقول: هذا ولي الله تعالى وأنا أواليه لله وسر ذلك قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنتُه بالحرب. وفي طيه من والى لي وليّا من أجل أنه وليّ، اصطفيته واتّخذته وليا. و هذا هو السر الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى.والأمر الثاني أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب وما يفسد المرء فيهما من الأوطار والإرب. فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وعلى ما يقربه إليه والصحبة في هذين الأمرين لا غيرُ. ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة. فإذا عرفت هذا فاعرف أن الرب سبحانه وتعالى يعبَد لا لغرض بل لكونه إلاها يستحق الألوهية والعبودية من ذاته ِلما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهيّة. وهذه هي العبادة العليا.
و كذلك الشيخ يُصحب لا لغرض بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى و يتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى. و كل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محمودا فهو شين على العبد في حضرة الله تعالى. ولذا أٍمرتِ الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقلّ قليل لأن المريد في وقت متابعته الهوى كافر بالله صريحا لا تلويحا لكونه نصب ِالاها وعصى أمر الله وخالفه. فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة، ليس من الله في شيء. وإن قال لا اله إلاّ الله في هذا الحال قال له لسان الحق: كذبت بل أنت مشرك. و من هذا القبيل خرج قوله صلى الله عليه وسلم: ما تحت قبة السماء إله يُعبد من دون الله أعظم من هوى متّبع.فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغيّر إذا لم يوافق هواه في غرضه فإن الشيخ أعرَف بالمصالح وأدرى بوجوه المضار والتلميذ جاهل بذلك. فإذا طلب منه غرضا من أي فن كان ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه منه لأجل مصلحته ودفْع مفسدته. فإذا عوّد نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طُرد عن حضرة الله وانقطع عن الشيخ. فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيّره. انقطاعا كليا لا رجوع له أصلا.وأما الاعتراض بالقلب أو باللسان فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده. فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ. فإن لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه فاعلم أن هناك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها التلميذ. و الشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه. فإذا خالف صورة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق. وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله وبمراتبه الخُلقية وذلك أن الحق سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجل به في غيرها من المراتب. وذلك التجلي تارة يكون كمالا في ِنسب الحكمة الإلهية. ثم إن ذلك التجلي وإن كانت صورته صورة النقص في نسب الحكمة الإلهية فلا محيد لتلك المرتبة عن ظهور التجلي فيها بصورة ذلك النقص لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية.وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحوّلها لغير ما تعلقت به فلا بدّ لكل عارف من ظهور النقص في ذاته، ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال للدقائق التي بينه وبين ربه وتارة يلابسه متعمدا أنه نقص وليس له في هذه الملابسة إلاّ معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث ألا محيد للعبد عنه. فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إمّا شرعا وإمّا يخِلّ بالمروءة فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها ويعلم أن ذلك لا يخِرج الشيخ عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محل قربه ولا يحطه عن كمال أدبه. فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية. و كل مريد يطلب مرتبة للحق يتعلق بها للقرب والوصول يريد ألاّ يظهر فيها نقص كأنّ لسان حاله ينادي عليه: لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى لأن كل المراتب لا بدّ لها من نقص. فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وِحسا بريئا من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلاّ في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها وهي الرسالة لمن دخل حضرتها

والنبوءة لمن دخل حضرتها والقطبانية لمن دخل حضرتها. فإن هذه الثلاثة لا صورة للنقص فيها والباقي من المراتب يظهر فيه النقص في الغالب وقد لا يظهر فإن هذه المراتب الثلاث، ولو ظهر للمرء فيها نقص فذلك النقص هو غاية الكمال وإنما ينتقصه المرء بجهله وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أفعله إني َلأعْلمهم بالله وأخشاهم له. وأما سقوط حرمته فهي أكبر قاطع عن الله تعالى. وسقوط الحرمة هي عدم ظهور المبالاة إذا أمره أو نهاه. و من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو ألاّ يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه ويتأمل ذلك في شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم. فمَن ساوى رتبة نبيه صلى الله عليه وسلم مع رتبة غيره من النبيئين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أنه يموت كافرا إلاّ أن تداركته عناية ربانية بسبق محبة إلاهية.
فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب. فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك فيها غيره. ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم و الترقي في المقامات كل نور منها يحن إلى مركزه وهي الحضرة الإلهية التي منها برز وفيها نشأ. فلكل شيخ من أهل الله حضرة يشترك فيها مع غيره. فإذا أورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محله. وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهية أن الله قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه. قال تعالى:(ادْعوهم ءلابائهم هو أقسط عند الله). فمن نسب أمرا إلى غير محله من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق جل جلاله وكذب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب. فلذا يطرد ويسلب والعياذ بالله. انتهى ما أملاه علينا من حفظه ولفظه في مجلس واحد رضي الله عنه. انتهى كلام الجواهر وهو غاية في بابه.وأبيات الرائية للإمام الشريشي المسماة بأنوار السرائر التي ساقها صاحب الجواهر أردت الزيادة عليها بشرح يبيّن المراد إن شاء الله لمناسبة ما ذكره سيدنا رضي الله عنه من الشروط نصه: ومن كلام الشيخ محي الدين ما نصه ما سامح شيخ مريده في الاجتماع بغيره إلاّ حصل له تردد في أيّ الشيخين أعلى من الآخر حتى يتلمذ له. و إذا حصل له ذلك رفضه قلب الاثنين فلا ينتفع بأحد منهما لأن شرط الانتفاع جزم التلميذ بأنه لا يخرج عن دائرة شيخه حتى يحصل له الكمال ولذا قال:

ولا تقدّمَنّ قبل اعتقادك أنه مربّ و لا أولى بها منه في العصر
فإنّ رقيب الالتفات لغيـره يقـــول لمحبوب السراية لا تســـر

ومن شرط المريد أيضا ألاّ يردّ على الشيخ كلامه ولو كان الحق بيد المريد فإن الشيخ إنما يقول له ما فيه مصلحة. فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماريه. ومتى وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاعه في خاطره فإن النزاع وإن كان في نفسه عين الاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين. وإذا أشكل على المريد أمر من أحوال الشيخ فليتذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء فينكرها موسى فإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره. فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شيء عذر بلسان الحال والحكمة. وقال بعض الشيوخ: من قال ِلأستاذهِ لَمَ ؟ لا يفلح أبدا، ولذا قال رحمه الله:

و لا تعتـــرض يوما عليه فإنــه كفيــــــلٌ بتشتيت المريد على هجـــر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدري

و من شرط المريد أيضا أن يعتقد في شيخه أنه على بينة من ربه وشرعة منه ولا يزن أحواله بميزانه. و قد تصْدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة. ولا ينبغي أن يعتقد فيه العصمة في أحواله وكيف ينبغي له أن يعتقد ذلك وقد سمع اللّهَ يقول:(وعصى ءادم ربّه)، وقيل لبعضهم أيزني العارف؟ فقال: وكان أمرُ اللّه قدَراً مقدورا. ولذا قال رحمه الله:

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظلّ من الإنكار في لهب الجمر

ومن شرط المريد أيضا أن ما ثمّ في الوجود إلاّ هو وشيخه وأن يجلس في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل البحر ينتظر رزقا يساق إليه. قال بعضهم: من شرط المريد الإطراق وعدم الإلتفات وفضول النظر فإنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام حتى لو سئل أحدهم عن جليسه ما درى صفته كيف لو سئل عن صفة شيخه؟ فإن المريدين ينبغي أن يكونوا بين يدي شيوخهم كأنهم لصوص ورد عليهم السلطان فهم للعقوبة خائفون كما قيل

كأنما الطير منهم فوق رأسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

ولذا قال رحمه الله:

ولا تعرفنّ في حضرة الشيخ غيره ولا تمَلأ عينا من النظر الشزر

ومن شرط المريد ملازمة الصمت لا سيما بحضرة الشيخ. قال الجنيد رضي الله عنه: رأيت عند أبي حفص النيسابوري إنسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لأصحابه من هذا؟ فقيل هذا إنسان صحب أبا حفص وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستأذنته في مائة ألف أخرى أن ينفقها عليه، فما سوّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة، ولذا قال رحمه الله:

و لا تنطقنْ يوما لديه فإن دعا إليه فلا تعدل عن الكلم النـزر

وينبغي للمريد ألا ينبسط برفع الصوت و كثرة الضحك وكثرة الكلام إلاّ إذا باسطه الشيخ. قال ابن عطاء الله في قوله تعالى:(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) زجر عن الأدنى لئلاّ يتخطّى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة. وقال سهل بن عبد الله في ذلك: لا تخاطبوه إلاّ مستفهمين. وقال أبو بكر بن طاهر: لا تبدؤوه بالخطاب ولا تجيبوا إلاّ على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولكن فخّموه واحترموه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله. ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع الشيخ. قال أبو عثمان الحميري: الأدب عند الأكابر في مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه الدرجات العلى والفخر في الأولى والعقبى، ولذا قال رحمه الله ورضي عنه:

ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته و لا تجهروا جهر الذي هو في القفر
و لا ترفعن بالضحْك صوتك عنده و لا قبح إلاّ دون ذلك فاستقـــر
و لا تقعدنْ قدّامه متربّعـــا و لا باديا ِرجلا فبادر إلى الستــر

ومن آدابهم الظاهرة أن المريد لا يبسط سجادة بحضرة الشيخ إلاّ لوقت الصلاة فإن المريد من شأنه التبتّل للخدمة وفي السجادة إيماء للاستراحة والتعزز. ويكره لبس الجبة إلاّ للشيوخ فإنها بمنزلة الطيلسان للعلماء وكذلك لباس الفرجية لا يلبسها إلاّ من استقلّ وكملت تربيته وحان أوان انفطامه ولذلك قال رحمه الله ورضي عنه:

و لا باسطا سَجّادة بحضـوره فلا قصد إلاّ السعيَ للخادم البَـرّ
و سجّادةُ الصوفي بيت سكونه لا وكر إلاّ أن يطير عن الوكـر
و ما دمتَ لم تُفطَم فلا فرجية عليك و لا تلف عليها بمستجـر

ومن شرط المريد أن يرى نفسه أنه أقلّ الناس وأقلّ المريدين ولا يرى له حقا على أحد.ومن رأى نفسه أنه خير من أحد من غير أن يعرف مرتبته ومرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو جاهل بالله مخدوع لا خير فيه. ومن أحوالهم الإلتجاء إلى الله سبحانه في جميع أمورهم لا إلى الخلق لتحققهم بأن الأمر بيده. فلا فائدة للتعرض لمن ليس بيده خلق شيء.(ألاَ لهُ الخَلقُ والأمْرُ).ولذلك قال رحمه الله:

و لا تـرينْ في الارض دونك مومنا و لا كافرا حتى تغيّب في القبــر
فإن ختام الأمر عنك مغّيـــب ومن ليس ذا خسر يخاف من المكـر
ولا تنظرنْ يوما إلى الخلق إنـــه يخلّى طليق الصّفو في كدر الأسـر

ومن شرط المريد ألاّ يكتم الشيخ شيئا من أموره ولا يخونه أصلا فإن مضرّته تعود عليه لأنها كلها علل وأمراض. فمتى سكت عنها حرم الدواء وهلك ونقض عهده ولا يستقل واقعته أو كشفه دون مراجعته الشيخ، فإن الشيخ ِعلمه أوسع وبابه مفتوح إلى الله أكبر. فإن كان واقعة المريد من الله يوافقه الشيخ ويمضيها له وما كان من عند الله لا يختلف، وإن كان فيه شبهة تزول بشبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف والمريد لعله في واقعته يخامره كون إرادة النفس تشبه كون الإرادة بالواقعة مناما كان أو يقظة. ولهذا سر عجيب. ولا يقوم المريد باستفصال كشفه الكامن في النفس وإذا ذكره للشيخ فما في المريد من كون إرادة النفس مفقودة في حق الشيخ. فإن كان من الحق تبرهن وتبرأ ساحة المريد ويحتمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة أبوابه إلى جانب الحق ومعرفته و لذلك قال رحمه الله تعالى:

و إنْ نَظَمَ الحقّ الكرامات أسطـرا فـــلا تبدين حرفا لغيرك من سطـــر
سوى الشيخ لا تكتمـــه سرا فإنـــه بساحة كشف السر يجري على بحـر
و في الكشف إن كوشفتَ راجِعْه إنه لإيضاح ســر الكشف مبتسم الثّغــر

و من شرط المريدين تفريغ قلوبهم وجميع ما عندهم وقبولها لما يلقي إليهم الشيخ. و إذا وقع لهم ما لا يقبلونه رجعوا على أنفسهم بالملامة وقالوا: هذا مقام لم تصل إليه نفوسنا ولا ينسبون للشيخ الخطأ. ومن فعل ذلك فليس بمسترشد في طريق القوم. و من استحسن شيئا من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادتُــه إلاّ أن يرجع إلى البداية فيوقظ نفسه. وقال أبو سليمان: ما استحسنت من نفسي شيئا فأحببته، ولذلك قال رحمه الله ورضي عنه:

وفرّ إليه في المهمات كلهـــا فإنك تلـقى النصر في ذلك الفرّ
ولا تك ممّن يحسن الفعل عنـده فيفسُدُ إلاّ أن يفرّ إلى الكـــر

انتهى القول في الشيخ والمريد لدى الناظم رضي الله عنه.وفي مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين للقطب الشعراني ما نصه: اعلم رحمك الله أن أحدا لا يبلغ قط إلى حالة شريفة إلاّ بملاقات المشايخ ومعانقة الأدب معهم وملازمة خدمتهم. ومن صحب الأكابر على غير طريق الاحترام حرم مددهم وفوائدهم وبركات نظرهم ولا يظهر عليه من ءاثارهم شيء ولو تكلف ذلك. وكان الجنيد رضي الله عنه يقول: من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت بين العباد. نسأل الله العافية. ومن جالس هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب الله منه نور الإيمان. و في رواية من جلس معهم ونازعهم في شيء يتحققون به في أنفسهم يُخاف عليه من سوء الخاتمة لأن الله تعالى يغضب لبغضهم. و كان رضي الله عنه يقول: إنما حرموا الوصول بتركهم الإقتداء وسلوكهم بالهوى فطالت عليهم الطريق، وربما مات أحدهم في أثناء الطريق ولم يحصل على حاصل. إذا علمت ذلك فمن شروط المريد ألاّ يدخل في صحبة أحد من الشيوخ حتى يقع له في قلبه الحرمة لأن ذلك أسرع لنتاجه وإدراكه. فبقدر ما تسقط عنده حرمة شيخه تطول عليه الطريق ويعدم النفع. وبقدر ما يعظم شيخه في عينيه يقرب فتحه. وقد كان الجنيد رضي الله عنه إذا جاءه مريد يريد الطريق إلى الله تعالى يقول له: اذهب فاخدم السلطان وءال حضرته واعرف مواسمهم ثم تعال. وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه يقول: الفقراء كالملوك فمن لم يعرف أدب الملوك لا ينبغي له مجالستهم لأنه ربما جره عدم احترامهم إلى العطب بل أقول: إنه ينبغي أن يتأدب مع الفقراء أعظم من الملوك كما يشهد لذلك كلام الجنيد السابق لأن أدنى الفقراء قد زهد فيما رغب فيه أعلى ملوك الدنيا. فهم أعلى مرتبة من الملوك وأعظم مروءة فافهم.ومن هنا كان إبراهيم بن أدهم يقول: لو يعلم الملوك ما الفقراء فيه لقاتلوهم عليه بالسيوف. وكان

شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا ضحك الفقير في وجه أحدكم أو انبسط فاحذروه ولا تجالسوه إلاّ بالأدب فربما كان ذلك مكرا بكم وطردا لكم عن صحبته حين لم يتفرّس فيكم خيرا. فاعلم ذلك. ومنها أن بجانب الفقراء الجاهلين بآداب الشرائع كالمطامعة ومن انتسب إلى الأحمدية والبرهانية ونحو ذلك من أهل الخرق الذين يكتفون بتلك النسبة ولا يطلبون أدبا فوق ذلك فإن هؤلاء مشائخهم متبرءون منهم و لو حضروا موالدهم وهاموا عند ذكرهم لأن نسب الفقراء والقرب إليهم إنما هو بسلوك آداب الشريعة. وكل من كان أكثر أدبا في الشريعة كان أقرب إلى حضرة شيخه الذي انتسب إليه لأن هؤلاء المشائخ أصحاب الخرق هم صدور مجالس الحضرة المحمدية، وتلك مائدة لا يقعد عليها طفيلي ولا يقدر شيخه أن يقربه إليه في تلك الحضرة ويرفعه إلى مرتبة غيره من أهل الأدب. وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه يقول: إياكم والقول بالمشاهدات والدعاوي التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة فإنها سبب طردكم عن حضرة ربكم. وكان يقول: طريقنا هذه مضبوطة بالكتاب والسنة فمن أحدث فيها ما ليس في الكتاب ولا في السنة فليس هو منّا ولا من إخواننا و نحن بريئون منه في الدنيا والآخرة ولو انتسب هو إلينا بدعواه. والسر فيما ذكرناه من النهي عن مخالطة أهل البدع أن معاشرتهم تميت قلب الفقير حتى يصير كالثوب الخلِق وما جعل الله تعالى حياة القلوب إلاّ بالأعمال التي جاءت بها الشريعة فلا يزال الفقير يخالط أهل البدع حتى يطرَدَ إلى حضرتهم ويقع فيما وقعوا فيه. كما أن من مال إلى أهل السنة وخالطهم من المبتدعة لا بد أن ينفحوه بنفحاتهم حتى يصير منهم. قال الأشياخ: ومن أكبر القواطع للمريد معاشرة الذين يطلبون العلم بغير العمل ويشتغلون بالفروع العاطلة التي لا يحتاج إليها أحد من الناس طلبا للرياء على أقرانهم فإنهم ربما زينوا للمريد أن الاشتغال بما اشتغلوا أفضل من الاشتغال بذكر الله عز وجل فيتبدد عزمه وينحل عما كان عقده مع شيخه فيُمقت، فلا يصير يفلح بعد ذلك أبدا. وقد وقع للجنيد رضي الله عنه أن جماعة من طلبة العلم ببغداد تركوا مجلس شيخهم وجلسوا في حلقة الجنيد فتكدّر شيخهم من ذلك وبسط لسانه في الصوفية، فأرسل إليه وقال له: يا أخي العبد إذا كان قصده لقاء محبوبه وهناك طريقان أحدهما لا يصل إليه منها إلاّ في نحو ثلاثين سنة والأخرى يصل إلى محبوبه منها في دون سنة أيهما ينبغي أن يسلك؟ فقال الفقيه: يسلك أقربهما وأقصرهما زمنا. فقال الشيخ: صدقت. فقال الفقيه: طريقتنا هي الأقرب إلى حضرة الحق تعالى من طريقكم. فقال الجنيد له: بل طريق ذكر الله تعالى أقرب من طريق معرفة أحكامه لأنها متعلقة بالخلق وطريق الذكر متعلقة بالحق تعالى. فقال له الفقيه: أظهر لي علامة على ذلك؟ فقال الجنيد لشخص: خذ هذا الحجر وارمه وسط حلقة هؤلاء الفقرا فرمى به فصعقوا كلهم يقولون الله الله. ثم أمره أن يفعل مثل ذلك بحلقة جماعة من الفقهاء، فلما رماه نظروا كلهم إليه شزرا وقالوا: ما يجوز لك أن تضربنا وهذا حرام عليك. فقال الفقيه للجنيد: أنا استغفر الله ثم صحبه وصار من أخصّ أصحابه.وقد حكى اليافعي شيخ اليمن رضي الله عنه قال: مكثت خمس عشرة سنة وأنا متردد بين طريق الفقهاء وطريق الصوفية أيهما أقرب إلى الله تعالى فاجتمعت بشخص من أولياء الله تعالى فقال: طريق الصوفية هي طريق الشريعة بعينها ولكن الصوفية راعوا الآداب الباطنة فأفلحوا و قربوا من حضرة القرب والفقهاء لم يراعوا غير الظواهر، فعدموا الترقي وحجبوا عن أسرار الشريعة. فكل صوفي فقيه ولا عكس. ثم قال لي: أريد أن أريك شيئا تعرف به ثمرة الطريقين و ما ثمرة كل واحدة. فقلت له: افعل ما بدا لك. فقال رضي الله عنه: يا فلان قم فادع لنا فلانا العالم و كان مفتيا في زبيد ثم قال للفقراء: إذا جاء لا أحدٌ يتحرك ولا يردّ عليه السلام. فلما جاء قال: السلام عليكم فلم يرد عليه أحد فقال حرام عليكم، رد السلام واجب. فقال الشيخ: الفقراء في نفوسهم منك شيء. فقال على الفور: وأنا في نفسي منك أشياء وأشار بكفه كلها. فقال لي: الشيخ عظمت نفسه. قلت: نعم. فقال: أين تهذيبه الذي حصل له من علمه؟ فقلت: ما تهذب شيئا. ثم قال الشيخ: يا فلان قم فادع لي فلانا الفقير، و أمر الفقراء إذا جاء لا

يقوموا له ولا يردّوا عليه السلام كما فعلوا بالعالم. فلما جاء قال: السلام عليكم فلم يرد عليه أحد فضحك وقال: السلام عليكم فلم يرد عليه أحد فضحك وقال: السلام عليكم ثالثا. فقال الشيخ: الفقراء في أنفسهم منك أشياء فقال: أنا أستغفر الله ثم أخذ النّعال فوضعهم على رأسه مكشوفة وأطرق، فقال: أنظر ثمرة طريق الفقراء . قال اليافعي رضي الله عنه، فمن ذلك اليوم أقبلت بكليتي على طريق الصوفية وصحبت الشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبا الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، وصار يقول: قعدت الصوفية على الأساس وقعد غيرهم على الرسوم. وكان يقول: من أعظم الدليل على صحة طريق الصوفية ما يقع على يد أحدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع على يد فقيه قط كرامة إلاّ إن سلك طريقهم. و لما جاء سيدي مدين إلى سيدي أحمد الزاهد يطلب الطريق وجد الجامع مقفولا وكان ذلك بعد العشاء فقال للبواب: افتح لي. فقال سيدي أحمد: قل له لا نفتح لأحد بعد العشاء. فقال له ذلك فقال: حرام عليكم إن المساجد للّه. فقال سيدي أحمد نَفسُ فقيه يا فلان افتحْ له وإلاّ استفتى علينا غدا ففتح له. فاقبِلْ يا أخي على طريق الفقراء واهجم ولا تشاور أحدا في ذلك، وقد نصحت والسلام. ومنها أن يبادر إلى مصافحة شيخه إذا غضب عليه لعدم سماعه لِما يأمره به من الخير، فإن لم يبادر وجب عليه في طريق القوم هجره لأن عدم اجتماعه بغضب شيخه عليه يدل على استحكام الخبث في باطنه، وأدل من ذلك كونه يغضب هو على الشيخ. ومنها ألاّ يكتم عن شيخه شيئا مما خطر له من محمود و مذموم لكن لا يذكر من الخواطر إلاّ ما دام و تكرّر فإنّ إعلامه شيخه بجميع الخواطر يستغرق الزمان كله لكثرتها إذ هي سبعون ألف خاطر في الليل و النهار. ثم إذا ذكر المذموم لشيخه فليكن ذلك سؤالا على رؤوس الأشهاد، كما يفعله بعض فقراء الشام والمغرب، فإن ذلك أمر خاص بالصادقين في إرادتهم. وغالب المجلس يشتمل على كثير من أخلاط الناس ممن ليس له داعية إلى الطريق، فلا يليق ذكر الخواطر المذمومة إلاّ بين قوم قطعوا النظر عن مراعاة الخلق ورضوا بعلم الله فيهم، فافهم.وأما ما وقع لبعض الصحابة من الإقرار بالزنى بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك في حدود الله عز وجل، فأخبروا عن أنفسهم بها إيثارا لحق الله على أنفسهم ولعلمهم بأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكان ذلك أيام تنزّل الأحكام وإظهارها في الوجود. وأما طريق هؤلاء فإنما هي ذكر الخواطر التي عفا الشارع صلى الله عليه وسلم عنها وتجاوز عن عوام أمّته فيها بخلاف الحدود الشرعية فإن الشارع صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بسترها عن العوام وقال: من ابتليَ بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز و جل، وذلك لأن عموم الناس لم يدخلوا طريق التربية وليس لهم داعية إلى الترقي. وذِكر الكلام من أهله عورة بخلاف ذكر ذلك للشيخ والله أعلم.ومنها أن يسلم لشيخه في كل ما يقوله له لا يجوز له أن يعترض على شيخه فيما يكون منه قطعا ولو بالقلب فإن الشيخ ربما أرى المريدَ شيئا لا حقيقة له مكرا به لسوء أدبه. وقد وقع لسيدي يوسف العجمي رضي الله عنه، أنه امتحن مريدا تفرّس فيه الخير فلم ينفر عنه وكان الفقراء عندهم منه غيرة شديدة لِما يرون من تقريب الشيخ له فأراد الشيخ أن يُعْلِمهم بمرتبته وأنه يستحقّ ذلك دونهم فأمره بأن يذهب إلى المكان الفلاني فيأتي بالمرأة التي فيه وتأتي صحبتها بالجرة. فذهب ذلك المريد إلى المكان فوجد المرأة والجرة فأتى بهما، فدخل الشيخ بالمرأة للبيت وأغلق بابه ساعة، فتغيّر الفقراء كلهم لذلك إلاّ ذلك الشاب، وكانت المرأة ابنة الشيخ والجرة خلا فقال له: ألا نفرت مني بما وقع؟ فقال: يا سيدي أنا ما صحبتك على أنك معصوم من الوقوع في أقدار الله، فقال: بارك الله فيك واعلم أن بعض الفقراء يعطيه الله تعالى قلب الأوصاف، فيأخذ الكأس من الخمر فلا يصل فمه إلاّ عسلا أو ماء أو سكّرا، فيظن من لا علم له بذلك أن الشيخ شرب خمرا استصحابا لحالة الخمر وما فيه في إنائه قبل أن يأخذه الشيخ وهو معذور فيما يظن ولكن التسليم لمثل هؤلاء أسلم. ومن علامة ذلك عدم السكر وغيبة العقل، خلاف ما يقع للشاربين الفسقة. فإذا ادّعى الفقير أنه ممّن يقلّب الأعيان ثم حصل له غيبة العقل فهو

كاذب يقام عليه الحدّ. فاعلم ذلك ولا تجتمع إن أردت السلامة إلاّ على أهل العلم المتقيدين بظاهر الكتاب والسنة فإنه هو الشرع المعصوم وهي طريقة أبي المعالي الجنيد رضي الله عنه. والله يتولّى هُداك.ومنها أنه لا ينبغي له أن يتناول كلام شيخه في أمره ونهيه وحكاية مواجده، بل يحمله على ظاهره ويسعى فيما يندبه إليه، وإن كان ظاهرا مخالفا لظاهر النقل، فإن الشيخ أعلم بأمور السنة منه ومأخوذ عليه العهد بالنصح لكل مسلم. وتقدير أنه غلط فإنه يبارك للمريد في امتثال أمره أكثر مما يفعله المريد بهوى نفسه. وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر، فإنّ آخر أمرهما أن قال له الخضر عليه السلام:(هذا فراقُ بيْني وبينِك). فكان موسى في مقام التعليم، فإن الخضر كان في علوم الباطن أعلم منه، بشهادة الله تعالى وتزكيته. وكان شيخنا رضي الله عنه يقول: ما أتى على أكثر المريدين الخمولُ وعدمُ الفلاح إلاّ من التأويل وعدم امتثال ما يأمرهم به الشيخ وفعل ما تهواه نفوسهم من العبادات، وحُكم من فعل ذلك كمن لا شيخ له، ومن لا شيخ له فلا ترقّيَ له. واعلم أن غالب المريدين في هذا الزمان لم يقرأ لأن ما عندهم همّة، إنما شأنهم التزويق في أحوالهم، والتلفيف مع ضعف الداعية إلى الطريق. فحكمهم حكم من ربط في عنقه ألف صخرة مثقوبة بحبال وثيقة كحبل العنكبوت وشيخه يسحبه به إلى قدّام. ومرادنا بالصخر الأمور التي يهواها المريد، فكل هوى صخرة تثقله عن النهوض إلى قدام. فعدد الصخر على عدد الأهوية والسلام.وكان سيدي أبو السعود بن أبي العشائر يقول: المريد الصادق هو الذي لا يتعب شيخه فيه. وكان يقول: المريد من يتشرّف به شيخه وذلك لشدة نهضته وعظم حدّته. فاعلم ذلك .ومنها ألاّ يهب لشيخه شيئا قط ابتداء، ولا يلبس له ثوبا ولا يجلس له على سجّادة ولا يسبّح له على سبحته، لا في غيبته ولا حضوره. وإذا وهب له شيخه عرقية أو نعلا أو قميصا أو رداء، فليُظهر توقير ذلك الشيء، وليجهد في نفسه على أن يكون على أخلاق الشيخ من الكرم والحياء والدين والنظافة الظاهرة والباطنة، لئلاّ يسيء الأدب مع ذلك الشيء الذي كان من ملبوس شيخه. وينبغي إذا أراد معصية أن ينزعه، وكذا لا يمشي قط بنعل أعطاه له شيخه إلى مواطن الفُرج وأهوية النفوس، فضلا عن المعاصي. هكذا درج عليه الأشياخ رضي الله تعالى عنهم.وقد وهب بعض الأشياخ لمريده رداء فرأى ذلك المريد قد بسط ذلك الرداء على رجليه فقال له: يا ولدي احفظ الأدب مع إثر الفقراء.
قلت: و قد رءاني شيخنا رضي الله عنه يوما وضعت رداءي على رجلي فقال لي: يا أخي إلزم الأدب مع من خالطته من ناطق وصامت، فإن الله تعالى ما جعل الرداء للرجلين، وإنما جعله للكتفين، فاعلم ذلك. ومنها ألاّ يجلس قط بين يدي شيخه إلاّ وهو مستوفز كجلوس العبد بين يدي سيده. و ليحذر كل الحذر من الإكثار عن مجالسته، فإن المريد ربما ذهبت حرمة شيخه من قلبه بكثرة مجالسته فيهون عليه بذلك قدره فيحرم بركته كما هو شأن نقباء الأشياخ.فإذا قام المريد بين يدي شيخه فلا يولّـه ظهره، يقوم مواجها إليه حتى يتوارى عنه بجدار أو غيره فإنّ الترقي لا يكون قط لمريد إلاّ إنْ لزم حرمة الشيخ. وإن تأدب معه يترقى إلى الأدب مع أكابر الحضرة الإلهية، فإذا تأدب مع أهل الحضرة الإلهية ترقى إلى الأدب مع الحق جل وعلا. ومن لم يتأدب مع شيخه فهو في حضرة الدواب والسلام. ومنها ألاّ يطلب من شيخه الجواب على رؤيا رءاها أو حادثة حدثت له، بل يذكر حاجته ويسكت، فإن أجابه شيخه كان وإلاّ أعرض بقلبه من طلب الجواب، لئلاّ يصير شيخه محكوما عليه بإلزامه الجواب له. وهذه طريق تخالف طريق الفقهاء والفرق أن طريق الفقراء مواجيد يجدونها فإذا قال مريد: أنا ما فهمت هذا الكلام يقولون له: اجلِ مرءاة قلبك تفهمه. وطريق الفقهاء نقول ينقلونها ويحكونها فقط. فمن قال من المريدين لشيخه: لمَ، لمْ يفلح قط في طريق القوم. ومن قال من الفقهاء لشيخه لمَ كان الأمر كذا؟ أفلح، فلكل طريق طالب يناسبها والسلام.ومنها ألاّ يطيع في شيخه قول قائل، ولا يصاحب له عدوّا ولا يباعد له صديقا ولا يباغضه، وكذلك لا يجالس من يخرج على شيخه في التصدر ويقول: أنا ما عندي شيخ إلاّ فلانا الذي لم يتصدّر لمشيخة. فلينفرد ذلك المريد عن طريق

شيخه و ليعلم أن مخلص باب المشيخة هو نصح المسلمين ومحبة الخير والترقي لهم لا غير. فالتارك لهذه الأمور عاص للّه، فكيف يُمدَح وإنما يستحق الدّمّ، هذا إذا كان عارفا بالطريق. وأما إذا كان جاهلا بها فلا يفاضل بينه وبين الأشياخ بجهله ولكن للأشياخ أسوة بالرسل عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى:(وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوّا من المجرمين) .
فهي للأشياخ بحُكم الإرث فعلم منه أنه يجب على المريد أن يحب كل من قرّبه شيخُه، و يبعِد من أبعده جملة واحدة.ومن أدلّ دليل على عدم صدق المريد في محبته أن يكره أحدا من أصحابه أو ينقصه ويكشف له عورة لأن تنقيص العبد تنقيص لسيده وتعظيمه تعظيم له. ومن هنا يترقى المريد إلى محبة المسلمين الذين لم يأمره الشارع صلى الله عليه وسلم بهجرهم ومحبة نسبتهم إلى الكمال لأجل من هم عبيد له سبحانه و تعالى، ولكن إنْ أمره شيخه أن يجانب أحدا من أصدقائه وغيرهم وجب اجتنابه. ولا يغتر بإظهار شيخه محبة ذلك الصديق، لأن من شأن الشيخ الإقبال على الناس حتى لا يصير له عدو قط، إلاّ من المجرمين لوُسع ما هو عليه من الأخلاق المحمدية فاعلم ذلك.ومنها أن يحذر من العجلة في المبادرة إلى فعل ما أمره به شيخه من غير معرفة شروط ذلك الأمر نظير قوله:(يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة). فليس له أن يصليَ إلاّ بعد حضور النية وكمال الشروط. فعلم أنه يجب على المريد أن يتأنى ويصبر ويتعلم طريق الأدب والسياسة في فعله ليقدم على بصيرة. وإذا كانت لشيخه الحاجة في مكان بعيد، وهو يقدر على المشي اليه لو كانت الحاجة له هو، فلا ينبغي له التوقف لأجل حمارة يركبها بل أقلّ أحواله أن يجعل حاجة شيخه كحاجة هوى نفسه، فإنهم قالوا: علامة المريد الكاذب أن يمشي لهوى نفسه نحو المرحلتين والثلاثة، ويثقل عليه مشي ميل في مخالفة هواه فاعلم ذلك.ومنها ألاّ يطأ لشيخه سجادة بل يطويها أو يمشي على ركبتيه ولا يدخل له خلوة و لا بيتا إلاّ إن دعاه، ولا يبيت قط مع شيخه حيث يبيت سفرا ولا حضرا إلاّ لعذر من مطر أو غيره. وليكن مجلسه قريبا من شيخه بحيث لا يراه لأجل حاجة الشيخ، فمهما طلبه شيخه وجده. وليجعل شيخه شغله لا يفتر عن ملاحظته طرفة عين ولا عن ملاحظة المكان الذي هو فيه فإن حاجته كلها عند شيخه دنيا وأخرى، ومتى غاب عن شيخه ساعة واحدة ولم يشتق لرؤية شخصه فهو كاذب في إرادته لا يصلح للطريق، فإن المريد الحاذق يكاد أن يملك قلب الشيخ بالميل إليه قهرا لما هو عليه من المروءة و الخدمة.و قد كان سيدي يوسف العجمي يقدّم شابا ورد عليه وهو قريب العهد على من كان في صحبته سنين، فغار منه بعض الفقراء فقال لهم الشيخ: اسلكوا مسلكه نقدّمكم كما قدّمناه، قالوا: وما طريقه؟ قال: كل ساعة ووقت يجيء فيقول: يا سيدي هل ثمّ حاجة؟ وأحدكم يغيب عني اليوم واليومين لا يسأل عن حالي. وقد كان سيدي أحمد الزاهد يقدّم سيدي مدين على سيدي محمد الغمري وغيره، مع كثرة عبادة سيدي محمد على سيدي مدين، فسألوا الشيخ فقال مدين: ستتفرع الطريق منه، فغاروا منه أكثر وأكثر. فجمع سيدي أحمد الفقراء فقال: هذه مواهب من الله لعباده ليس فيها تقديم ولا تأخير، ولو كان بيدي ذلك لكان ولدي أحمد هذا هو وارثي. ثم قال لسيدي مدين: أنت خيرك لأصحابك ليس لذريتك منه نصيب. وقال لسيدي محمد الغمري: يا محمد أنت خيرك لأولادك ليس لأصحابك منه شيء لأنك عقيم في الرجال. وقال لسيدي عبد الرحمن بكتمر: يا عبد الرحمن خيرك لنفسك، ليس لأصحابك ولا لأولادك منه شيء. وقد صدق فيما قال، فلم يحصل لأولاد سيدي مدين خلافة ولا أخذ عنهم أحد إنما جاء الأخذ من ابن أخته سيدي محمد فأخذ عنه الشيخ سيدي علي المرصفي وسيدي الشيخ محمد ابن أبي الحمائل السروري وأخذ عنه نور الدين الحسني بن عبد الغزال وأخذ عنهم الشيخ شهاب الدين المرجومي شيخ أبي السعود الجارحي وغيرهم.وتفرعت من هذه الرجال الذين ذكرناهم غالب إخواننا اليوم. وأما سيدي محمد الغمري فلم يصح من أصحابه خلافة ولا تفريع ولا ظهر منهم ذلك تبعا لشيخهم ولم يزل في ذريته الخير والبركة إلى وقتنا هذا رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما سيدي عبد الرحمن فلم يظهر على أولاده ولا أصحابه شيء من

علامات أهل الطريق. فعلم أن من آداب المريد مع شيخه أن يؤخّر من أخّره شيخه و يقدم من قدمه إن كان يعتقد أن شيخه أعلم بمراتب الرجال. فإن كان لم يعلم ذلك فليس هو بمريد ولا ذلك الشيخ بشيخ. ومنها أن يتجرد بالكلية لخدمة شيخه إذا سافر معه إلى بلاد الريف وغيرها ولا يفارقه طرفة عين إلاّ لضرورة ويتعفف عن أطعمة الناس الذين يعزمون على شيخه في البلاد ولا يأكل في السفر إلاّ سدّ الرّمق وذلك نافع له من وجوه منها: قلة حاجته للبول والغائط والريح لا سيما في الركب وفي الطريق القليلة الماء. وإذا نام الفقراء فليكن نقيبهم سهران لا ينام و إن تناوبوا النوم بالنوبة فلا بأس. وإذا ردّ الشيخ بعض المريدين عن المضي معه إلى بيت من عزم على الفقراء فلا ينبغي للمريد أن يتكدر من ذلك وكذلك إذا حضر معه وأشار عليه بعدم أكل ذلك الطعام اللذيذ فلا ينبغي له أن يتكدر بل يفرح لكون الشيخ اعتنى به دون إخوانه و ميّزه عنهم وذلك دليل على أن الشيخ غير غافل عن تربيته وكذلك إذا مشّاه طول الطريق وركب إخوانه لا يتكدر بل يفرح بكونه في ركابه وتحت خدمته. وكل هذه الأمور إذا فرح بها العبد رَقّته إلى مراقي الكمال. والله غني حميد.ومنها ألاّ يسأل شيخه عن أمور الدنيا كقوله لِم فعلت يا سيدي كذا؟ ولم تركت كذا؟ و لا يشاور شيخه ابتداء عن فعل شيء إلاّ أن يتقدم من شيخه الإذن له في ذلك فإن المريد واجب عليه السكوت كما قالوا: من شأن المريد الصادق أن يكون كالميت بين يدي الغاسل لا يتحرك ولا يتكلم إلاّ إنْ حرّكه شيخه. وإن كان في ذلك الأمر الذي شيخه عليه مضرّة على شيخه فيضر الشيخ نفسه لأجل المريد كأن يقول: خذني معك إلى الحج أو المكان الفلاني أو دعني أنام معك أو دعني أجلس معك كلما أردت ونحو ذلك بل يصبر في كل أموره حتى يكون شيخه هو الذي يحركه إليها، والله أعلم.ومنها ألاّ يتقدّم على شيخه في المشي وغيره، بل يكون سيره في الظاهر والباطن تبعا لشيخه، فإن تقدّم عليه لتزول ضرورة أو في ليل مظلم فلا بأس. ولا ينبغي له قط أن يستدبره بظهره في الصلاة إلاّ إن صيّره شيخه إماما يصلي بالناس. فإن لم يكن إماما فالأدب منه الصلاة خلف صف شيخه إلاّ أن يأذن له في التقدم ليسدّ فرج الصفوف صريحا أو بالقلب. ولا ينبغي له الوقوف في صف شيخه إلاّ لضيق مكان أو نحوه ويكون ذلك مع استشعار الخجل منه والحياء حتى كأنه على الجمر لأن الصلاة حضرة الله والناس فيها مراتب و درجات. ولا ينبغي لخادم فرس الأمير أو سائسها أن يقف بين يدي السلطان في صف أستاذه أبدا، فافهم.ومنها ألاّ يفشي لشيخه سرا و لو نُشر بالمناشر بل الواجب عليه كتمان السر مع ءاحاد الناس، فكيف بأستاذه، فربما امتحن الشيخ بأمور لينظر انقياده له وقوة اعتقاده فيه، فإنّ غالب طريق القوم أسرار من صدرٍ إلى صدرٍ لا تطيقها عبارة. ولا يجوز له التسلق على معرفة مقدار نوم الشيخ أو أكله أو كم يتوضّأ في اليوم والليلة مرة، وهل يأتي النساء قليلا أو كثيرا. فكل ذلك معدود من عقوق الوالدين وكشف سوءاتهم. و العاقّ لا يُرفع له إلى السماء عمل وربما كان اطلاع المريد على تلك الأحوال منقِصا لمقام شيخه ومحلاً لعقده الذي عقده معه. وليعلم المريد أن كل ذرة من أعمال شيخه لا يقاومه عبادته هو طول السنة كلها لسلامتها من الهوى والدسائس. و قد أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد البسطامي يقول: إلى متى الدعة والراحة و قد سارت القافلة. فأرسل أبو يزيد إليه يقول له: ليس الرجل من يسير مع القافلة وإنما الرجل من ينام إلى الصباح و يصبح أمامها. فقال ذو النون: هذه درجة لم تبلغه أحوالنا، فاعلم ذلك.ومنها ألاّ يتزوج قط امرأة رأى شيخَه مائلا إلى التزوج بها ولا يتزوج قط امرأة طلقها شيخه أو مات عنها. وقد طلبوا من سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يؤمّ بالمهاجرين الأولين فأبى وقال: كيف نؤمّ بقوم هدانا الله على أيديهم وعرّفونا الإسلام؟ وحكى شيخنا رضي الله عنه عن امرأة سيدي محمد الشوني أنه أخبر أصحابه في مرض موته وقال: كل من تزوج امرأتي بعدي قتلته فلما مات طلب شخص أن يتزوجها فأخبروه بما وقع من الشيخ فلم يرجع واستفتى علماء مصر في ذلك فقالوا: هذه الخصيصة إنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم. تزوّجْ ولا عليك. فعقد عليها فأتى شيء في جنبه ليلة الدخول فصار

يصيح إلى أن طلعت روحه وبقيت زوجة الشيخ عازبة إلى أن ماتت.ورأيت أنا بعيني رجلا من بلاد الشرقية طلب أن يتزوج امرأة الشيخ محمد بن عنان، فنهاه الناس فلم ينته وتواعد هو وأهلها أن يعقدا عليها بعد العصر. فنام قبالة ضريحه بجامع المقسم بخط باب البحر بمصر فأتاه الشيخ محمد بحربة وقال له: ضاقت عليك الدنيا ما وجدت إلاّ عيالي وطعنه في جنبه. فاستيقظ مرعوبا وهي في جنبه بارزة كالكبد المشوي فقال: احملوني إلى بلادي فمات في الطريق. هذا رأيته أنا بعيني، فإياك يا أخي ثم إياك فإنّ من خصائص جروح الفقراء أنها لا تختم قطّ إلاّ بروح صاحبها ولا يغني فيها دواء، ولا ينبئك مثلُ خَبير. ومنها ألاّ يشير قطّ على شيخه برأي إذا استشاره في فعل شيء أو تركه بل يردّ الأمر إلى شيخه لأنه أعلم منه بالأمور فهو غني عن استشارته. فما استشار شيخ مريدا إلاّ امتحانا له وسياسة منه لضعف اعتقاده فيه أو غير ذلك فيداويه بذلك. فليكن المريد على حذر.و منها أن يحفظ العهد مع شيخه إذا سافر ويلازم على الإقامة في المكان الذي أمره بملازمته. و ينبغي له أن يسلم على مكان شيخه الذي كان يجلس فيه كلما مر عليه كأنه حاضر لم يسافر فإن لم يراع حرمة شيخه في غيبته كما يراعيها في حضوره فهو ناقص العزيمة لا يجيء منه شيء. فإن مراقبة الشيخ سُلّم لمراقبة الله عز وجلّ. فمن لم يحكم مراقبة شيخه لا يشم من مراقبة الله رائحة. ويجب عليه أن يتفقد عيال شيخه إذا غاب بالإحسان إليهم بالخدمة وغيرها فإن ذلك مما يُميل قلب شيخه إليه إذا رجع من غيبته. فإذا اشتهى أحد من أولاد شيخه شهوة فليشترها له و لو بعمامته فإن حقّ شيخه عليه أعظم من الدنيا بحذافيرها. ولو قدّر أنه ملك الدنيا بحذافيرها ثم صرفها على عيال شيخه وجماعته كان كمن قابل من أهدى إليه البحر المحيط بكوز ماء مالح فإن شيخَه مقصودُه للمريد سعادةُ الدارين وأن يكون من جلساء الحق على الدوام وهذا لا يُنال بعوض في الدارين.ومنها ألاّ يُدمن النظر إلى وجه شيخه ولا يقيم قط بصره في بصره. و قد كان صلى الله عليه وسلم لا يثبت بصره في وجه أحد مطلقا بل كان إن رأى الهلال صرف عنه وجهه بسرعة لكون التجلي يوم القيامة قد شُبّهت الرؤية لها برؤية الشمس والقمر. فمن أدمن النظر في وجه شيخه فقد خلع ربقة الحياء من عنقه وربما سقطت هيبة شيخه من كثرة مشاهدته فيُحرَم بركته فلا يسامَح إلاّ بنظرة الفجأة، بل ينبغي له أن يستغفر الله تعالى كما يستغفر من فضول النظر. وقد كان الشبلي إذا دخل على الجنيد بتقنّع بردائه ويصير ينظر إلى الأرض حتى يخرج من عنده. وسأله مرة جماعة من الفقراء كم كان في لحية الجنيد شعرة بيضاء؟ فقال: لم أر له قط لحية إنما كنت أرى شخصه كالظل. ومنها إذا وجد المريد في نفسه عجبا بأعماله واستحسانا لحاله أن يذكره لشيخه ليدله على دوائه. فإن كتمه ثبت الرياء والنفاق في قلبه، فيصير عنده ثلاثة أمراض وكل منهل يرده المريد له حلاوة يأخذ بالنفوس ولولا شيخه َلأقام فيه إلى أن مات لم ينتقل عنه. فكلما استحلى المريد حالا يقول له شيخه: ألاَ إنّ الحق أمامك. قال الشبلي رضي الله عنه دخلت على الجنيد وأنا فرحان من توالي الأعمال الصالحات عليّ ليلا و نهارا،فلمّا رءاني الجنيد قال لي: يا أبا بكر إن كان يخطر في بالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فاعلم أنه لا يجيء منك شيء من أحوال أهل الطريق انتهى.وهذا الأمر عزيز أن يوجد في مريد في صلاة واحدة فضلا عن جمعة. قال الشبلي: ودخلت عليه مرة أخرى وأنا سكران فوجدني أرقص وأصفّق فلما أفقت قال لي: يا أبا بكر لا تخلو حالتك هذه من أمرين إما أن تكون في حضرة الله أو خارجا عنها. فإن كنت خارجا عنها فماذا حصّلت وإن كنت داخلا فالتصفيق لا يليق بمن هو في الحضرة. فقلت له: التوبة، فقال: تب.وحكي عن الشبلي أنه كان إذا رأى مريدا معجبا بنفسه يقول له يا ولدي إني لم أشم فيك رائحة الخير، فكان المريدون الصادقون يأتونه لينبههم على مثل ذلك.ومنها ألاّ يخرج قط من زاوية شيخه لحاجة أحد غير حاجة شيخه إلاّ بالإذن من الشيخ أو من نقيب الشيخ حتى في حاجة أبيه وأمه فإن كان له أبوان لا يفلح في الطريق. و رخّص شيخنا رضي الله عنه في خروجه في حاجة أمه فقط،لِما لها عليه من شدة الحق وتألمها حيث لم يقض لها حاجة

وغيبته عما يريده الشيخ لولدها من الدرجات العالية فإنها عمياء عما يدعوه الشيخ إليه. وليس عند الأم مرتبة لولدها أعظم من أن الله يعافيه في بدنه ويطيل عمره و يوسع رزقه لا غير، وذلك عند الشيخ هو المبين لولدها. وقد قال لي شخص، دخلت على الشيخ أبي السعود الجارحي رحمه الله أريد الصحبة، فقال: هل لك أب؟ فقلت: نعم . فقال: أين هو. فقلت في البيت. فقال نحن لا نصحب أحدا له أب غيرنا انتهى. والسر في ذلك ضعف المريد عن القيام بحقوق الخلق مع حقوق الخالق. وإذا تعارض عند العبد حقان قدّم أحقهما. وما ثَمّ أحد بالمراعاة من الله عز وجل فحل وجوب مراعاة حق الأمّ ما لم يكن الابن طالبا لطريق الله عز وجل، فإن كان طالبا لها فقد ضعف حق أمه. ثم إذا كمل حال المريد في الترقي ورجع إلى الخلق متوجها فهناك يؤمَر بإعطاء الخلق حقوقهم كما يؤمر بها الكمّل، فإن حقوق الخلق للمريد كالجبال الذي تسحبه إلى وراء. فعد الجبال على عدد ما يجعله على نفسه من حقوق الخلق، كان كالمقعد الذي يزحف مع ضعف العزيمة وعدم الداعية طالبا للبلاد البعيدة، فاعلم ذلك.ومنها أن يعظّم ما أعطاه له شيخه ولا يعطيه ِلأحد ولو أعطاه ما أعطاه، فربما يكون شيخه طوى له فيه سرا من أسرار الفقراء مما يغنيه في الدارين ويقرّبه إلى حضرة الله عز وجل. وربما جمع له فيها جملة من أخلاق الرجال كما طوى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه حاشية ثوبه وضمّه إليه، فما نسي بعد ذلك شيئا قط. والأشياخ ليس فِعلهم سدى لأن مقامهم يجل عن ذلك والله أعلم.

ومنها ألاّ يتغير على شيخه إذا نقصه بين إخوانه أو نهَره أو ثبّت عليه الخطْرة والنظرة والنقير والقطمير وليعلم أن شيخه لولا رجاؤه فيه الخير لما ضبط عليه ذلك، ولكان أهمله كما أهمل غيره، فلا يطاوع المريد إبليس في سوء الظن بالشيخ. وقد قالوا إن الشيخ إذا رأى مريده على سوء ولم ينهره فقد مكر به وسعى في طرده عن صحبته فاعلم ذلك.ومنها ألاّ يسافر مطلقا إلاّ بإذن شيخه ولو سفر الحج لأن شيخه أمين عليه فلا ينهاه عن السفر وهو يجب عليه أبدا، لكن لا يخفى أن السفر للحاج هو المحتاج إلى إذن الشيخ لا نفس الحج وذلك لما في الطريق من المشقة، والسفر إنما يكون للرجال إذا كملوا. وأما المريد الصادق فحاجته كلها عند شيخه، وقد كان المريد في الزمان الماضي إذا جاء أحدهم إلى شيخ يريد أن يصحبه، يعزم على ألاّ يفارقه أبدا بل كان بعضهم يحفر قبره تجاه عتبة باب الشيخ قطعا للخواطر التي ربما خطرت له أن يفارقه والله اعلم. ومنها ألاّ يشتغل بالرخص والكسب إذا كان شيخه كافيه اللقمة وستر العورة ولو بلا إدام، ولو قطعة خيش يضعها على سوءته فقط لأن الاشتغال بالحرفة للمريد رجوع إلى الدنيا وانقطاع عما كان عقده مع شيخه من الإقبال على الله وحده والرضى من الدنيا بأقل القليل حتى ينسلخ من جميع عوائده الدنيوية. وقد افتقد سيدي أحمد الزاهد تلميذه سيدي محمد الغمري فقال لي: أيام ما رأيت محمد الغمري. فنظروه، فإذا هو يخيط طواقي في خلوته ويبيعها. فقال له: ِلم فعلت هذا. فقال: يا سيدي رأيت حال الفقراء في الزاوية ضيقا فرفعت نفسي عنهم. فقال له: ما ذاك الضيق الذي رأيته؟ قال: كلهم يقولون ما شبعنا شيء. فقال: يا سيدي أحمد وهذا طعام السنة المحمدية وطريق السلف الصالحين. فمن حين يجد الفقير من ساعده بسدّ الرمق في طريقه فلا يجوز له الاحتراف. ثم قال لي: انظر يا محمد وعزة ربي الفقراء إنما يتركون الدنيا اختيارا لاتّباع محمد صلى الله عليه وسلم لا اضطرارا. ولو كان كل منكم في عيالي لكفيناهم مؤونتهم بعون الله عز وجل، ولم أحمل لهم همّا ِلما أعلم من كرم الله على عباده ولا يضيعهم، فقال سيدي محمد: يا سيدي أتوب إلى الله فتاب، وذلك لأن الشيخ إنما هو معدّ لإرضاع المريدين من أدب الآخرة وأعمالها وفطامها عن الدنيا وشهواتها. فلا يزال يرقيه بالرضاع إلى حب الله وحده حتى لا يبقى في قلبه بقية ِلأحد إلاّ عن أمر الله. ومتى فتح عين المريد من الدنيا فوق ما يعيش بدونه فقد غشّه وتعب هو في فطامه. وكل مريد اتخذ الإقامة عند شيخه مصيدة للدنيا يصطاد منه أو من وظائف في زاويته كأذان وإقامة ووقادة أو أقام عنده ليصطاد الدنيا من أصحابه أو من جماعته أو على اسمه فهو منافق ناقض العهد لا

يزداد بصحبة الشيخ إلاّ طردا من الله وبُعدا لاستهزائه بطريق الله عز و جل. وهذا واقع كثيرا في هذا الزمان يقعد أحدهم في زاوية شيخه ويقول: يا سيدي إنما نحن عندك محبة في الله تعالى وفيك ِلتربينا وهو يكذب. ولو أخرج عنه التي في يده في الزاوية لتكدّر وكره الشيخ أشدّ الكراهة. ولذلك شرط سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه على جميع فقرائه أن يخدمواه في الجامع الذي عمره بخط المقسم،احتسابا لله عز و جل. وقال: الرهبان والشمامشة من النصارى يخدمون كنيستهم احتسابا وأنتم تطلبون أجرة فكان سيدي أحمد العمري خادم الميضاة ووقادا في الجامع وكان سيدي مدين نقيبا وكان سيدي عبد الرحمن بوّابا. فعلم أن من أقبح الكسب أن يحترف المريد الدين للتقرب إلى الله عز وجل كتلاوة القرآن في الزاوية أو في القبور أو غيرهما أو كالآذان والإمامة والخطابة والوقادة والفراشة وسائر ما فيه بيع للدين بالدنيا. فإن كل شيخ أقام جماعته في شيء من ذلك فقد غشّهم هذا إذا كان بغير سؤال. وأما إذا سألوا في ذلك فهم الذين غشوا أنفسهم لا هو فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يعطي بعض الصحابة العطاء، ثم يقول: إن أحدكم يذهب بالعطاء يتابعه تحت إبطه نارا. فقال له عمر: يا رسول الله ِلم تعطيهم النار؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فماذا أصنع، يأبون إلاّ أن تسألوني الخ...فطريق المهديين الفطام بالكلية عن الدنيا حتى تقع نفرة النفس منها،.وتأمّلِ الرضيعَ كيف يصفو له الصبر على بر أمه حتى يصير يتكدر إذا رآه، ولكن إذا كمُل حال المريد في الفطام عن الدنيا وسكن حب الآخرة في قلبه واستقر استقرارا لا يخاف زواله بشهادة شيخه. فلشيخه أن يبقيه في وظائف الدين التي فيها معلوم ولا عليه في ذلك بأس لأنه يصير يتقرب إلى الله بتلك الأمور ويأخذ معلومه ابتداء عطاء من الله تعالى لا بيعا لتلاوة القرآن بالدنيا مثلا. ومحل وصولك لهذه الدرجة ألاّ يطالب بلسانه ولا بقلبه ناظرا ولا جابيا ولا أحدا من متولي ذلك الوقت، لأنه ليس له عليه حظ، و متى رأى له ولو بباطنه عليه حقا أو خطر ذلك بباله فليس هو من أهل هذا المقام. فمثل هذا إعطاء الوظيفة غش من شيخه.وقد عمّر القاضي أبو البقاء ابن الجيعان الزاوية الحمراء خارج مصر المحروسة وكتب وظائفها كلها لسيدي محمد بن أبي الحمائل السروي رضي الله عنه وقال: يا سيدي قد جعلت معلوم هذه الوظائف تكفيكم و تكفي جماعتكم. فقال له سيدي محمد: لا يا قاضي نحن نباشر وظائف الزاوية لله، وأنت تقف هذه الجهات لله، فكل من رزقه الله شيئا أكله حلالا طيبا ولا تبيعنا ذلك بذا، كل من غاب عن وظيفته يوما يقول الناس هذا أكل حراما فوافقه القاضي على ذلك.واعلم يا أخي أن مثال شيخك مثال رسول أرسله الملك إليك، بل هو رسوله ليعلّمك طريق الأدب مع الملك قبل أن يأتي بك إليه، فصار يعلّمك في الطريق وأنت سائر معه، فلما قربت من رؤية دار الملك وجدت رمة وعليها كلاب، فسقطت عليها تنهش مع الكلاب فنصحك شيخك وقال: قم معي ولك عند الملك ما هو أجلّ من هذا وأطهر وأطيب وحكى لك حال أهل حضرته، فلم تقم فكان آخر ما قال لك هذا فراق بيني وبينك. أنا بريء منك. فقاسى عضّ الكلاب ومجاذبتهم ونجاستهم وخُبث مطعمهم. فهذا مثال غالب مريدي هذا الزمان نسأل الله اللطف بنا وبهم. ومنها، وهو من أهمّ الأحوال، أن يجعل رأس ماله الصدق في طلب الشيخ، فإن الشيوخ كلهم أجمعوا على أن المريد لو صحّ منه كمال الانقياد لشيخه وصل إلى حضرة الله في مجلس واحد من أول اجتماعه عليه. فإن من دخل حضرة الله تعالى انتفع بأخلاق أهلها بأول قدم يضعه فيها، فلا يعود يرجع إلى محبة الدنيا أبدا. وهذا من خصائص هذه الحضرة الشريفة. فما طالت الطريق إلاّ من عدم الصدق في الانقياد لأن حكم المنقاد كالمقطور بحبل رقيق على الشيخ. فكل حضرة دخل فيها دخل معه، وغير المنقاد، كل وقت يأتيه و يحجز بينه و بين شيخه موانع. فلا يجده إلاّ كل يوم مرة أو كل ثلاثة أيام مرة، والباقي يتوه فيه(...) عن الشيخ وعن موضعه. وإذا تاه فهل هو من نقلة المريد يحجز بينه وبين حضرة شيخه، حتى غسل عمامته، حتى إصلاحها، حتى المضيّ في خياطة جبته، وبشقه حتى تحسين سير قبقابه، حتى تحسين صفة خلوته وسائر ما يهواه. فلا يطأ بساط

الحضرة الإلهية كاذب ولا دخيل أبدا.واعلم أن من علامة كثرة أهوية المريد أن يقوم شيخه له العبادة ويكثر من انتقاله من ورد إلى ورد ليطرق له شيخه بتلك الأوراد أبواب الحق رجاء أن يفتح على المريد باب منها.و لو كان المريد صادقا لدلّه شيخه على الباب الذي يفتح عليه منه بأول ورد اشتغل به لأنها كلها أبواب يمكن أن يدخل العبد على يد شيخه بها إلى حضرة الحق تعالى. فليعلم ذلك. ومنها ألاّ يكون له شغل قط غير الذكر الذي لقنه له شيخه هذا إذا كان التلقين على سبيل السلوك وعلو الهمة. فإن كان على وجه التبرك كما عليه غالب الفقراء اليوم فلا بأس بالاشتغال بغير الذكر من تلاوة القرآن والصلاة ونحو ذلك لقصور همة صاحبه وعدم قدرته على حبس نفسه في حضرة الله تعالى الخاصة. فإن الذاكر جليس الله عز وجل كما ورد ولا يقدر على مجالسة الحق غير الصادقين. فإن الصادق يكون جلوسه مع الحق ألف عام كلحظة، ومقصوده طيّ الطريق من غير التفات إلى وراءُ. و من قصد في حصول حاجته فمن شأنه ألاّ يغفل عن حصولها، وفي المثل السائر، طالب الحاجة لا يروم إلاّ قضاءها.ثم اعلم يا أخي أن مثال جلاء ذكر الله تعالى لصداء القلوب، {مثل الحصى للناس المصري، ومثال جلاء الذكر من سائر القربات، مثل جلاء النحاس المصري بالصابون.} فأين الجلاء من الجلاء. فهذا سبب اجتماع المشائخ المتقدمين والمتأخرين على أمر المريدين بالاشتغال بالذكر دون غيره، وكان ذلك منهم نصحا وتقريبا للطريق على المريدين.وكان سيدي أحمد الزاهد وبعده سيدي مدين وسيدي محمد الغمري إذا جاءهم أحد يجاور يقولون له جئت لماذا؟ فإن قال جئت أتعلم العلم والفقه يقولون له اذهب إلى الجامع الأزهر ولا يمكّنوه قط من الإقامة عندهم. فقال شخص لسيدي أحمد الزاهد أنتم من أهل العلم فلمَ لا تعلموه من يطلبه؟ فقال سيدي أحمد وجدنا همّته فاترة عن همّة الفقراء فخفنا أن يفسد على الضعفاء حالهم. فقال له ذلك الشخص كيف يفسد عليهم حالهم والعلم طريق إلى سلوك طريقهم؟ فقال إنما يكون طريقا إليها لما لا بدّ منه من معرفة الواجبات والمستحبات فقط ، أمّا الاشتغال بفهم تراكيب كلام الفقهاء والشارحين على مصطلحهم فذلك من أكبر القواطع على المريد لتعلق الأحكام بالخلق. وامتلاء قلب المريد منها يمنع دخول غيرها إلى قلبه، ولذلك ما رئي فقيه قط معدودا من أهل الطريق إلاّ نادرا. فإذا كمل حال المريد وعرف الله تعالى فله الاشتغال بعد ذلك بكل علم شاء لأن من عرف الله لا يصير يحصل له تشتيت عنه بأمر من الأمور، بخلافه قبل أن يعرفه. فكل شيء اشتغل(به عن) غير الله تعالى تشتّت عليه أمره، فلذلك كان الاشتغال بالعلم، على مصطلح الفقهاء اليوم من أعظم القواطع. وتأمّلْ طالبَ العلم كيف يبحث مع شيخه ويردّ عليه كلامه ويقول، لا نسلّم لك ما قلت، وهذا حرام على المريد، فإنه إذا لم يكن منقادا لكلام شيخه وهو ينازعه في كل شيء طلب يرقيه به كيف يفلح؟.وفي الحديث: عند نبي لا ينبغي التنازع بالظاهر. وحضرة الأشياخ من حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. واعلم أنه لا فرق بين التنازع بالظاهر والباطن فإنه حرام وصاحبه لم يومن بصحة كلام شيخه. وإذا لم يومن به فليس هو مريدا ولا ذلك الشيخ شيخه. ومن النزاع للشيخ قول المريد للشيخ إذا قرر كلاما سمعنا منك يا سيدي أمس خلاف هذا لأن الشيخ إنما يتكلم في كل مجلس بحال أهله وهم في كل مجلس على أخلاق، خلاف ما كانوا عليه في المجلس الماضي. فالواجب على المريد الوقوف عند كلام الشيخ ولو رأى الحق بيده من حيث النقل فإن الأشياخ لا يتقيدون بالقول الذي استنبطه المجتهدون ولا يدخلون في سياج التقليد بجلالة منصبهم عن ذلك. و لذلك اختاروا من المذاهب مذهب المحدثين وقالوا كل حديث صحّ فهو مذهبنا. رضي الله عنهم أجمعين.ومنها أن يمتثل أمرالشيخ إذا منعه مباحا من المباحات لأن الشيخ إنما قصده للمريد دائما الترقي، وفعل المباح لا ترقيَ فيه لأنه برزخ لا ثواب فيه ولا عقاب. والمباح ليس للمريدين فيه سبيل جملة واحدة بخلاف الأشياخ لأنهم في مرتبة الشارع صلى الله عليه وسلم. وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتي المباح توسعة على أمّته وكذلك الأشياخ يأتونه توسعة على مريديهم لو وقعوا فيه وذلك لأنه فعل مباحا تنفيسا

للمريدين من مشقة التكليف. والمريد الصادق لا يملّ من العبادات إلاّ في النادر، ونحو كل شهر مرة. وأما المريد الذي غالب أوقاته في المباح فهو كاذب منافق خائن. واعلم أن المريد متى احتجّ على الشيخ بأقاويل العلماء في جواز فعل المباح لم يفلح أبدا. وكذلك إن تركه الشيخ يحتجّ عليه ولم يزجره عن ذلك، فقد مكر به وأخرجه من صحبته وعن قليل يخرج من زاويته. واعلم أن طريق الفقهاء لو كانت عين طريق الفقراء، كان الفقيه إذا بلغ درجة الإفتاء والتدريس هو المسلك في عصره، ولكنها طريق تدق على فهم الفقهاء لمحبتهم للدنيا وأدناسها، حتى صار أحدهم كأنه مربوط من وسطه بعدّة حبال، على عدد ميله للشهوات وذلك مانع عن الطيران إلى الترقي. فافهم.وقد كان عز الدين بن عبد السلام يقول، حين صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه وجدنا بداية طريق الفقراء نهاية طريق الفقهاء. وغالب الفقهاء لم يصل في العلم إلى نهاية فلم يصل إلى مرتبة المريد. فإن أقلّ مراتب المريد تساوي الذهب عنده والزبل على حد سواء وينشرح صدره ويفرح كل ما فاته شيء من الدنيا ويغتمّ إذا دخلت عليه لعلمه بأن الذهب يجلب له سائر شهواته التي.... بقلبه عنها إلى الله تعالى. ومن أقلّ صفات المريد ألاّ يظهر عليه قط رياء ولا كبر ولا عجب ومحبة صيت ولا رياسة ولا شيء من نحو ذلك بصدق توجهه و شهوده، إذ الأفعال خلْق الله تعالى والوجود مِلك الله وما أحد يرى ولا يصحب ولا يتكبر قط بفعل غيره أبدا. و لذلك لا أحد يزاحم ويقاتل وينادي على شيء لا يشهد له ملكا لذة، وهذا شرط كل مريد في أول دخوله في الطريق. ولو وجدت هذه الصفات في عالِم، لبَنوا عليه قبة وضريحا ويتبرك الناس كلهم به. فتأمّل ذلك فإنه نفيس.ومنها أن يبادر لفعل ما أمره به من قضاء الحوائج المتعلقة بهمّات معاشر الفقراء، من شفاعة وغيرها، ولو وجد الصلاة تقام في مسجد في طريقه لا يدخله إلاّ أن تكون الجمعة. ولهم في ذلك مسند يستندون إليه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين خرجوا لبَني قريْضة، وكان ذلك الوقت بكرة النهار: لا يصلّين أحد العصر إلاّ في بني قريْضة. فما وصلوا إليها إلا بعد غيبوبة الشفق حين دخل وقت العشاء. فكان منهم جماعة صلوا في الطريق وقالوا لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا بذلك القول إلاّ الاستعجال. وقال قوم لا نصلي إلاّ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قِدموا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لم يعنّف أحدا من الفريقين لاستناد الأولى إلى الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحال الفرقة الثانية يشهد للقوم في أنه يقدم أمر الشيخ الخاص على أوامر الشريعة العامة لأن الشيخ في مرتبة النيابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في التشريع. وتوحيد الأمر واجب عند القوم. وقد أجمعوا على أنّ من لم يكن مقصوده واحدا متعلق بواحد، لا يشم من توحيد الحق رائحة، ومتى خرج المريد بحركة واحدة إلى الصلاة ونوى حاجة فقد أشرك في القصد لا يُرجى له ترقّ أبدا لأن الشرك ظلم عظيم ومن لازمه الظلمة. وإذا دخل المريد الظلمة ضلّ وحار و إذا حار فلا ترجيح وإذا عدم ترجيح القصد فلا ترقيَ له. فافهم.وليعلم المريد أن الأشياخ لا تغشّ أحدا أبدا. يقول الشيخ للمريد إياك وفِعل الأمر الفلاني إنما نهاه عنه لعلمه بأنه بتركه يترقى إلى ما هو أشرف وأعلى لِما يعلم الشيخ في ذلك الأمر من الهدى والنفس دون المفعول. فاعلم ذلك.ومنها ألاّ يبادر إلى النفرة من شيخه إذا أخبره أوائل اجتماعه عليه وبعد ِردّة حصلت من ذلك الفقير بل يصبر، فإن الطريق عزيزة على أهلها وما كلّ يستحقها. فلا بد من الاختبار قياما بواجبها. وقد حكى شيخنا الشيخ محمد الشناوي رحمه الله تعالى، أنه لمّا سافر من بلاده إلى نحو فارسكور، ليأخذ عن الشيخ محمد السروي الطريق أعرض عنه الشيخ نحوا من شهر لا يخاطبه. قال فأخذت على نفسي ورجعت إلى بلادي ثم تحرك عندي السفر إليه فلما دخلت عليه أعرض عني تسعين يوما لا يلتفت إليّ، فلما رأى إقبالي دعاني وقال: يا ولدي إنما قصدت بذلك إعلامك بعزة الطريق لتكون عزيزة عندك لا تعطها إلاّ لمن يستحقها ، فلو استحقها كل مريد لم يحتج أحد إلى الاختبار. وقد حكى الشيخ محمد الحريفشي الدنوشي، أحد أصحاب سيدي

مدين رحمه الله تعالى أنه قال، لما جاء سيدي مدين وسيدي محمد الغمري إلى سيدي أحمد الزاهد، أمر بوّاب الجامع بإخراجهما بعد العشاء، فباتا إلى الصباح على الباب، ثم أدخلهما بكرة النهار وصار يتنكّر عليهما كل حين حتى بلغا رتبة الرجال، وكان يقول بعد ذلك، لم يعرفني أحد منهما إلى الآن. وبلغني عن شخص من المشهورين بالصلاة بمكة، إذا جاءه المريد يريد الطريق يقول له، لا آخذ عليك العهد إلاّ إنْ تبت علي الاستنجاء والوضوء والصلاة مدّة صُحبتي، وكان بعضهم يدخل معه على ذلك ويفتح عليه بعد ذلك، وهي طريقة تنفر منها النفوس أول سماعها، فإذا دخلها المريد استلذّ بها أكثر من لذّة الطاعة، لأنها من سرّ القدر. فسأله شخص عن ذلك فقال، كل من لم يسكن تحت مجار أقدار الله تعالى لم يشم من طريق الله رائحة. فنحن نعلمهم طريق الادب في وقوع المعاصي مع الله عز وجل. فإذا استحكم فيهم مقام الرضى بإقامة الله لهم في المعاصي كشف لهم الحجاب وقال لهم: أنتم عبيدي حقا. فقد حصل بفعل تلك المعاصي الثمرة التي كانت تحصل لهم بالطاعة، وتساوَيا في النتيجة. انتهى.فقلت لشيخنا رضي الله عنه: ما تقول في هذه الطريق؟ فقال: هي طريق إبليس، وما كل الرجال يقدر على الدخول فيها ولا كل المريدين يقدر يدخلها، وما للإنسان والخروج عن سياج ظاهر الشريعة الذي هو كالسيف الماضي على ممر الأيام والليالي، فإن كل باطن لا يشهد له ظاهر، فهو باطل والله أعلم. ومنها ألاّ يستدلّ على شيخه قط، بظاهر كتاب ولا سنة ولا معقول ولا عُرف، فإن ذلك خيانة من المريد. وعلم الاستدلال من أكبر القواطع عليه. وما قصد الشيخ من المريد إلاّ سلوك طريق أدب الطريق فقط حتى يصير يتكلم من مواجيده في قلبه. وهنا دسيسة تدخل على المريد وهو أنه إذا طلب من الشيخ دليلا على قوله فقد نقض عهده الذي بايعه عليه وهو العمل بكل ما قاله ببادئ الرأي. فإذا بيّن له الدليل فما عمل المريد حقيقة إلاّ بالدليل لا بقول الشيخ، وذلك لا ترقيَ فيه. فالواجب على الشيخ إذا رأى نفس المريد قوية عليه في الاستدلال والجدال أن يطرده عن بابه، فإنه يفسد بقية أصحابه، وإن كان فيه خير فيرجع ويستغفر، وإن لم يكن فيه خير فقد استراح الفقراء منه.وقد حكى لي شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري رحمه الله تعالى قال: قرأت على سيدي محمد الغمري كتاب قواعد الصوفية الذي ألّفه وكان الغالب عليّ إذ ذاك طريق الفقهاء فكنت أراجع الشيخ وأستدلّ عليه، فكان ضعفاء المريدين يفرحون بيومي لأجل ذلك، فإن أحدا منهم كان لا يتجرّأ أن يراجعه، وكان أكابر المريدين يتشوّشون من يومي، إيثارا للأدب مع شيخهم فاعلم ذلك. ومنها ألاّ يقعد بقميص واحد بين يدي شيخه، إلاّ أن يكون متجردا ليس له غيره، لأن حضرة الشيخ من حضرة الصلاة، فمِن تعظيم الشيخ أن يلبس المريد إذا أراد مجالسته أفخر ثيابه ويتوب قبل أن يجالسه من كل ذنب جناه قديما أو حديثا ليدخل حضرته على طهارة كاملة. وإذا كان مكان الشيخ بعيدا وخرج إليه لا يخرج إلاّ بنية زيارته فقط، دون حاجة أخرى.وقد كان شيخي سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يتلقاني على حسب ما أخرجُ له، فإذا خرجتُ له وحده تلقاني بكليته وإن سوّيتُ بينه وبين شيء آخر يتلقاني على النصف.وإن خرجت لغيره ولكن مررت عليه من جملة الطريق، لم يتلقني بشعرة واحدة وكان يقول: العدل مطلوب في كل شيء فمن تلقى الناس بأكثر مما جاءوا له أو بأنقص منه خرج عن العدل. وقد دخلت عليه مرة وقد أكلت شهوة كنت عاهدت الله تعالى ألاّ ءاكلها، فأول ما وقع بصرُه عليّ قال لي: مَن غلبتْه شهوتُه فهو حمار ومن غلب شهوتَه فهو مومن ومن غاب عن ذلك كله فهو عارف. ووقعت مرة في شيء لا ينبغي فعلُه لمثلي فنسيته فلما وقع بصري عليه رأيت ذلك الفعل مكتوبا في جبهة الشيخ... وجملة أمور أخر كنت فعلتُها قبل ذلك وصرت أقرؤها واقعة واقعة. فلما أفقت من ذلك قال: ووجدوا ما عملوا حاضرا.فقلت: أستغفر الله وأسألكم أن تستغفرَ الله لي فمحيتْ من جبهة الشيخ. فقال لي: أنا كتابُك وأنا لوحُك. فلما صحّت الصحبة بيني وبينه كنت أستحيي أن أمشي بنعلي في حارته التي يمشي فيها. فمشيت إليه مرة حافيا فأمرني باللبس وقال بخفض صوت ِلأخي أفضل الدين، وكان بجنبه: إذا كان هذا

أدبه مع مخلوق فكيف أدبه مع الله تعالى فسررت بذلك.ووقع لي في بعض الليالي التي مددت رجلي في الخلوة، فإذا هي اتجاه الكعبة فحوّلتها فإذا هي اتجاه المدينة الشريفة فحوّلتها فإذا هي اتجاه جماعة من أولياء بغداد والشام فحوّلتها نحو الصعيد فإذا هي تجاه أولياء الصعيد فحوّلتها فإذا هي تجاه أولياء المغرب فحولتها فإذا هي اتجاه سيدي إبراهيم الدسوقي وسيدي أحمد البدوي فحوّلتها فإذا هي تجاه سيدي محمد بن عنان بباب البحر. فضممت رجلي ونمت جالسا. وإذا بسيدي محمد بن عنان يسحب رجليّ وهو يقول: مد رجليك ناحيتي، فانتبهت ونعومة يده في رجلي. وقد وقع لي مرة أنني دخلت أزور السيدة نفيسة فدخل أصحابي ووقفت خارج باب القبة لكونها حريما، فجاءتني تلك الليلة وقالت: إذا زرتني فادخل إليّ فقد أذنت لك. فانظر يا أخي ما ثمرة مراعاة الأدب. والله يتولى هداك.ومنها إذا كان ذا زوجة وأولاد وأراد الذكر أن يغلق بابا بينه وبينهم، فإنه لا شيء أضرّ على المريد من صحبة الضد، وهو الذي لا يهوى ما تهواه أنت. وكلما كان مكان الذكر أضيق مظلما كان أجمع للخاطر من الموضع الواسع الذي فيه نور الشمس أوالسراج. ومثل الأولاد والزوجة فيما ذكر تاه المنكرون على طريق القوم، فإنهم ربما استهزءوا بالذاكر إذا كشف رأسه وصاح وتخبّط واتخذوه سخريا. فيكون ذلك سببا لمقتهم، وربما ضعف قلبه عن الذكر بسبب إنكارهم عليه فيتأذّى ويؤذي. ولو ذكر الله خاليا لاستراح من ذلك.ومنها ألاّ يسأل شيخه أن يكون داعيا له إلى الجلوس معه، بل يصبر. فإذا دعاه أجاب وإن لم يدعه كان مشتغلا بما أمره به قبل ذلك من ذكر أو خدمة أو نحو ذلك. فإن جاء المريد إلى مجلس الشيخ بغير إذن صريح فقد أساء الأدب لا سيما مجلس الشيخ مع أبناء الدنيا الذين هم معرضون بقلوبهم عن الشيخ وعن حب الآخرة لِما هم عليه من التكالب على الدنيا ليلا ونهارا حتى كان رزقهم هاربا منهم. فمثل المجلس الذي فيه هؤلاء يضرّ بالمريد لغلبة سرقة الطباع وميله إلى زخرف الدنيا. ولا يجوز للمريد أن يعرض بقلبه على شيخه في مجالسة أبناء الدنيا الذين هم معرضون بقلوبهم عن الشيخ وعن حب الآخرة لِما هم عليه من التكالب على الدنيا ليلا ونهارا، لأن الأشياخ الكاملين ليس لهم إعراض عن أحد من خلق الله عز وجل. فهم مقبلون على كل مخلوق إقبال رحمة وشفقة ويتبعون في سياستهم أبناء الدنيا أشدّ مما يتبعون في سياسة الدواب لأنهم يحبون لجميع عبيد سيدهم ألاّ يبرحون عن بابه طرفة عين فيقولون لعله بالمجالسة ينتبه أحد منهم. وقد أوحى الله إلى داوود عليه السلام حين أنف الناسَ ومجالستَهم: يا داوود، المستقيم لا يحتاج إليك والأعوج لم تقِم عِوجه. لماذا أرسلت؟ انتهى.فلهذا كان الأشياخ لا يعرضون عن أحد من المعْوجّين بخلاف المتصوّفة العبّاد الذين يرون نفوسهم ويزكونها على إخوانهم. ومن اعتزل الناس لو شهد فيهم الصلاح والخير وأنهم أحسن حالا منه ما فرّ منهم ولكان يستغنم مجالستهم وخدمتهم كما هو مشاهد فيمن ظهر بالصلاح من الأولياء والمجاذيب. وقول بعضهم إنما اعتزلنا عن الناس لكوننا من أهل الشر فخفنا عليهم أن تسرق طباعهم منا دسيسة من النفس. وأكثر من يقع في العزلة مشائخ أرباب الدولة لمجانسته الناموس الدنيوي. وقد كان الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه يقول: شيخ السلطان أخو الشيطان وشيخ الأمير طبل كبير وشيخ الفقير عبد حقير. وليعلم المريد أن للشيخ وقتا لا يسعه فيه غير ربه عز وجل، فلا يصير عنده شعور ولا التفات لغيره من زوجة وولد ولا صاحب ولا تلميذ ولا أحد من خلق الله. وقد رأيت سيدي محمد بن عنان يدخل عليه ولده أبو الصفاء فيقول له: من أنت؟ فيقول: ولدك، فيقول ما هو ما هو ولدك، إيشْ هو إيشْ هو ولدك؟ وهو غائب عنه كأن لم يعرفه قط. ومن علامة ذلك أن يرد باب خلوته عليه أو يضع رأسه في طوقه أو يصمت مطرقا عينيه إلى الأرض فإذا كان الشيخ كذلك، فلا ينبغي لأحد خطابه مطلقا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا:" لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي". ومنها ألاّ يتأثر من شيخه إذا عبس في وجهه ولم يباسطه كما يفعل مع غيره من المريدين لأن المريد من حين يدخل في التربية صار أمره كله جدا لا يسع وقته مباسطة ولا مزحا ولا لغوا. ومتى

فصح الشيخ معه ذلك تلف. وهذا دليل على فتور همته لأنه ما يحتاج إلى مداواة الشيخ له بالمباسطة والإقبال إلاّ ضعفاء العزم. فلا يغتر المريد بمباسطة شيخه مع أبناء الدنيا المترددين إليه، فإنهم لم يدخلوا في حكم المريدين إنما هم معارف ومقصود الشيخ يألفهم على محبة الفقراء، ومتى قطب في وجوههم نفروا و قالوا لا حاجة لنا بمجلسك لزهدهم في طريق الله عز وجل. وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول: معرفة أهل الدنيا المقام للكامل أشدّ عليهم من معرفة الله تعالى. ومتى يعرف الإنسان مقام من يأكل كما يأكل وينام كما ينام، فإنّ الكمّل قد صاروا ليس لهم أعمال تميّزهم إنما أعمالهم قلبية وغالب أبناء الدنيا يصحبون الفقراء إلى أن يموت لا يستفيدون منه خلقا.وكذلك من يقرأ على الشيخ من المريدين والنقباء والمترددين إليه.و بالجملة، فأقلّ ما يلزم من الأدب معهم ما يلزم مع ملوك الدنيا. فمن لم يعرف أدب ملوك الدنيا ويفعله مع الفقراء لا يشم من طريقهم رائحة، فإنه مأخوذ عليهم العهود ألاّ يطّلِعوا على سر الله أحدا، إلاّ إن بلغ في الأدب معهم الغاية واتحد بهم اتحادا كليا بحيث لو فصد الشيخ ذراعه لفار الدم من ذراع التلميذ. وقد طلب جماعة من سيدي أبو السعود الجارحي بعد طول صحبتهم له، أن يطلعهم على سر من أسرار القوم فأبى وقال: والله لا آمنكم على ريح صدر مني فكيف أطلِعكم على أسرار الله عز وجل، فاعلم ذلك. ومنها أن يمتثل أمر شيخه إذا نهاه عن صحبة أحد من إخوانه الذين في الزاوية فإنّ الشيخ لو رأى حصول الفساد بذلك ما نهى عنه، لا سيما وغالب صحبة المريدين مع بعضهم أن يقول له من باب الاعتذار: لولا نهاني شيخي عن كلامك، يعني بذلك أن الذي في القلب من المحبة لك لم يزل وإنما أنا منافق مع شيخي. فإن ذلك مما يورث المقت لأنه زكّى نفسه وأثبت لنفسه دواء ولشيخه عدوا. و كان الأوْلى له العكس كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام:(فإنه عدوٌ لي إلاّ ربّ العالمين). و شيخك هو بابك إلى حضرة الله عز وجل، وجميع حوائجك لا تخرج إلاّ على يديه. انتهى.و اعلم أنه متى ترك الشيخ المريدين يجتمعون مع بعضهم حلقة يتحدثون في أحوال أهل الدنيا فقد مكر بهم ثم لا يفلحون أبدا فإنهم حينئذ كالعامة الذين ليس لهم شيخ. فعلى الشيخ النصح وعلى المريدين السماع. و منها وهو أهمّ الأمور ألا يزور أحدا من الأشياخ الأحياء والأموات إلاّ بإذن شيخه ولو كان ذلك الشيخ صديقا لشيخه. و كذلك لا يزور أحدا من جماعة غير شيخه أبدا ولا يزيد على قوله السلام عليكم وذلك أن المريد ضيف لا يسع طريقا أخرى غير طريقه. و من شأن كل مريد أن يمدح شيخه وطريقته فقط ولا ينقص طريق غير شيخه أبدا أو يسكت عنها وربما يتكلمون مع بعضهم في الطريق فيتجادلون فيتربى بينهم الضغائن. ومنعهم الزيارة واجب على الشيخ ما داموا لم يبلغوا مرتبة الرجال، فإذا علم من المريد أنه بلغ الغاية في الترقي وأشرف على الام التي يتفرع منها كل طريق ورأى الطريق كلها تدور وتجتمع في بحر واحد فهناك يباح له زيارة الناس. قال الشيخ محي الدين ابن عربي: وكم قد فسد من الزيارة ناس. وقال: إنّ كل شيخ إنما يأتي مريده الباب الذي يخالف هواه وربما زار بعض المريدين غير شيخه فوجده قد أمر تلميذه بما كان نهاه عنه شيخه، فقَبِل به ذلك الشيخ فيسقط الشيخ الأول الذي هو شيخه من قلبه. وإذا سقط من قلبه وصحبه بعد ذلك ولو نفَسا واحدا فقد نافق ونقض عهده مع الله عز وجل، إنه لا يميل لأحد غير شيخه. قال الشيخ محي الدين: وقد عاينّا هذا كثيرا ولكن إذا كان الشيخ الثاني محققا دلّ ذلك المريد الذي زاره على مخالفة هواه الذي أمره به شيخه الأول فيبدو للمريد ما لم يكن يحتسب، وهناك تميل نفسه ضرورة إلى شيخه الأول وأخرجه من صحبته، فلا بدّ أن يسخط على شيخه وجماعته عند أبناء الدنيا، ويقول لو رأيت عندهم خيرا ما فارقتهم وما كل ما يصلح يقال فيزكّي نفسه وينقص شيخه وإخوانه، وذلك من علامة استحكام المقت فيه. ثم إنه لا يفلح بعد ذلك على يد شيخه أبدا لا سيما إن اجتمع بعد طرده بمن يكره الشيخ ويحطّ عليه فإنه يصير من أشقياء الدارين. نسأل الله العافية.وإياك أيها المريد أن تظنّ أن شيخك إنما نهاك عن زيارة غيره حبا للرياسة والصيت وحسدا لأقرانه بكثرة المريدين كما يتخيل ذلك

ضعفاء المريدين ومَن لا علم له بطريق القوم فإن ذلك من ظن السوء وهو نقض للعهد الذي بينك وبين شيخك. فإياك ثم إياك أن تحمل حال شيخك على حالك أنت فتحكم عليه بما رأيته لك فتخرج إلى بحر الخيانة والقطيعة. واعلم أنه لو كان حال شيخك مثل حالك، ما كان شيخا لك. فافهم. واعكف على شيخك وحده وعلى جماعته، ولا تتعداهم إلى غيرهم، وإن طردك من زاويته فاقعد على الباب، وإن طردك من الباب فاقعد قبالة الباب قريبا منه فإن طردك فابعد يسيرا ولا تفارقه فإنك لا تفلح على يد أحد غيره أبدا كما جُرّب. وإذا أراد الله بك خيرا جمعك بعد طردِ شيخك لك على ما يحبّ شيخك ويعظّمه فإنه يسوقك إليه ويقوّي عزمك على الرجوع له وليكن هذا آخر ما فتح الله من آداب المريد مع شيخه. ومن لم ينتفع بلحظ شيخه لا ينتفع برسالة في أوراق. وما احتاج إلى تعليم الأدب مع الشيخ إلاّ أعمى البصيرة. و الجامع ِلآداب المريد مع شيخه أنه لا يتحرك ولا يسكن إلاّ بأمر شيخه. هذا هو جماع أمره حتى قال الجنيد رضي الله عنه ِلأصحابه: كل مريد غسل ثوبه بغير نجاسة أو سرّح لحيته أو اكتحل أو حسّن شيئا من ظاهره بغير إذن شيخه فهو خائن لا يجيء منه شيء. انتهى كلام القطب الشعراني في مدارجه وهو أوعب كلام وقفت عليه في هذا الباب نقلته مع ما فيه من بعض التصحيف رغبة ونفعا للإخوان. وفي بغية السالك في أشرف المسالك بيانا ِلأصل ما تقدم من وجوب الاقتداء بالأولياء ما نصه: واعلم إنّ الله عزّ وجلّ برأ عالم الإنسان ليعبدوه، قال عزّ وجلّ:(وما خلقتُ الجنّ والانس إلاّ ليعبدون). وأرسل رسله هداة يهدون الخلق لعبادته ويدلّونهم عليه. قال الله عز وجل:(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وأنّ هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون). وجعل العلماء ورثة الأنبياء لتتّصل دعوة الخلق إلى الله تعالى. قال الله عز وجل:(ثمّ أورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء . ثم بيّن تعالى ما خصّ به العلماءَ من رفيع الدرجات وشريف المقام. قال الله تعالى:(يرفع الله الذين ءآمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). وأوضحَ تعالى عمّا ظفر به العلماء من حقائق التوحيد.قال تعالى:(شِهد اللهُ أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله إلاّ هو العزيز الحكيم). فجعل عز وجل لوارث الرسل هداة الخلق إليه مزية رفيعة على سائر الخلق، ثم أوجب على عباده رعي تلك المزية والقيام بحقها.وقد جاء في الخبر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده لِئن شئتم َلأقسمنّ لكم أنّ أحَبّ عبادَ الله إلى الله الذين يحبّبون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون في الارض بالنصيحة. وإذا نظرت وتأمّلت هذه المرتبة العلية والمزية الرفيعة فإنك لا تجدها بكمالها على ما ينبغي من شروطها إلاّ في مشائخ التربية الظافرين بالمعرفة بالله الفائزين بولاية الله المنقطعين إلى الله الآخذين عن الله القائمين بالأدب مع الله الداعين إلى الله، الدّالين عليه المقرّبين منه. فهم يسلكون بالعباد على طريق تزكية النفس حتى يوصلوهم إلى حضرة معرفته. ولا شكّ أنّ النفس إذا تزكّت انجلت مرآتها فتجلّت فيها أنوار العظمة الإلهية فلاحت لها أسرار حقائق التوحيد التي هي سبب إلى المعرفة بالله فينال العبد بذلك خالص المحبة ويظفر بغاية القرب. قال الله عز وجل:(قد أفلح من تزكى). قال: فلاحُها ظفرُها بمعرفة الله تعالى. ولا شكّ أن خلاص الجمال والكمال داخل تحت نطاق المعرفة ومثل القدوة العارف الرباني كصاحب علم الكيمياء. كما أنّ الكموي يأخذ القزدير أوالنحاس ونحوهما فيعالج ذلك بعلاجات حتى يذهب عنه الانحراف الذي أصابه فأخرجه عن الاعتدال الذي يكون عنه الذهب الخالص. ثم لا يزال يدبر ذلك بسياسة الحكمة حتى تذهب علله ويتخلص ذهبا طيبا عتيقا. كذلك الوارث الرباني يعمد إلى من أحاطت به علله حتى أخرجه عن الاعتدال الذي تكون به المعرفة التامة فيعالجه بعلاجات حتى يذهب عنه ذلك الانحراف. ولا يزال يسوسه بسياسة الحكمة ووظائف الشرع حتى تذهب علله ويتخلص عارفا محققا. فكما أن الكموي يخلص الذهب من العلل الطارئة على النفس. فمن كان بهذه المثابة جدير أن يعرف له حظه وأن يدرى رفيع شأنه. فليحفظ له حقوقه ويجتهد

في ضبط الأدب. فإذا تقرر هذا يشترط في الشيخ الوارث شروط ويترتب له حقوق. أما شروطه التي نشترط فيه فأربعة. الأول : أن يكون مخلصا من هواه قد ملك زمام نفسه بالطهارة حتى صارت نورا يُهدَى بها وتنجلي الحقائق فيها حين خرجت عن أطوار الأهواء الجسمانية حتى أنه إذا تكلم تكلم بالله وإذا صمت صمت بالله وإذا نظر نظر بالله وإذا تحرك تحرك بالله وإذا سكن سكن بالله كما ورد في بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يحكيه عن ربه عز وجل أنه قال: إذا كان الغالب على عبد الاشتغال بي جعلتُ همّه ولذّته في ذكري وإذا جعلت همّه ولذّته في ذكري أحبني وأحببته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه. فلا يسهو إذا سهى الناس. أولئك كلامهم كلام الأنبياء. أولئك الابطال حقا. أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم. فإذا لم يكن القدوة بهذه المثابة من المعرفة بالله تعالى حتى صار على بينة من ربه فهو ناقص وربما ضلّ فأضلّ. واشتغاله بنفسه أولى له. نعم قد يكون أخا في الله متخذا للمناصحة من غير أن يسلّم له زمان الأحكام. الثاني : أن يكون خلاصه من نفسه على يد غيره لا بنفسه ومعنى ذلك أن يقطع المقامات ويرقى في المنازل على يد وارث كامل حتى يتزكى من علله. والإنسان عاجز عن سياسة نفسه بنفسه ِلما جبل عليه من حبها وحسن الظن بها والميل مع هواها. فربما غاب عنه من علله ما لا يغيب عن غيره، ولذلك الإشارة بقوله صلوات الله وسلامه عليه: المؤمن مرآة المؤمن. وقال بعضهم رحم الله من أهدى إليّ عيوبي. فإذا سلك على يدي وارث حتى تخلّص من تبعات علل نفسه وأجادت تصفيتها حتى اطمأنّ بالله فملك زمامها وكانت فيه أهلية لهداية غيره، فحينئذ يكون وارثا كاملا صالحا لهداية غيره، وإلاّ كان نفعه مقصورا على نفسه. الثالث: أن يكون عنده من الكتاب والسنة ما يقيم ما لا بدّ منه من الرسوم الشرعية وليبني عليه وظائف السلوك. وإذا انضاف ذلك إلى ما فتح الله به عليه من الحكمة في باطنه فإنه يكون له من ذلك نور يمشي به في الناس ويهديه إلى فهم أسرار خطابات الكتاب والسنة فتكون له عند ذلك قوة إلهية تهديه إلى فهم أسرار الشريعة وحقائق العبادات. وإذا كان بهذه المثابة فليس من شرطه صحيح اللسان باصطلاحات أهل الرسوم، إذ قد يقذف اللهُ في باطنه من أنوار اختصاصه وآثار حكمته ما تنجلي به له المعاني حتى يعبر عنها بألفاظ تقتضي المعنى المراد، فيفهم عنه في ذلك ما يفيد ثلج اليقين حتى يهتدي إلى العمل بمقتضاه بسهولة ويسر.حدثني أبي قال: كان الشيخ أبو القاسم المريد رضي الله عنه، أميّا لا يحفظ من القرآن إلاّ بعض سور المفصل وكان من أصحابه العلماء والفقهاء. فربما تقع بينهم المسألة العلمية فيتكلم فيها بما يعجزون عن الإتيان بمثله حتى يرتفع عنهم الإشكال ويتّضح عندهم بكلامه حقيقة تلك المسألة. ثم قال لي أبي: ولقد كنت أحضر مع أصحابنا فتقع بينهم المسألة فيتكلمون فيها بأشياء فأجد في باطني من حقائق تلك المسألة وأسرارها ما يقضي بغاية البيان ويفيد ثلج اليقين ثم تترادف على باطني فيها أوجه عدة كلها تكشف عن أسرارها ولا يوجد مثلها في الكتب ولا يمنعني أن أفوه بها إلاّ جهادُ النفس على علة الظهور إذ ذاك وذلك أن الباطن بقدر ما بداخله من أنوار المعرفة تنجلي فيه أنوار الحقائق وحقائق الأسرار. فلا ينفث إلاّ عن الحقائق والأسرار. الرابع: أن يكون مديد الباع في مطالعة أسرار السنة شديد التصميم على المحافظة على أحكام الظاهر والباطن حتى لا يظهر عليه إلاّ ما يوافق السنة. ولا يخالف الشريعة بنسبة حسنة جامعة بينهما حتى يكسو الحقائق ملابس الشرع فيعبر بذلك عنه فلا يهتك ستر الأدب ولا يخرق حجاب حفظ الأسرار. وليخاطب كل إنسان بقدر عقله وفهمه وإدراكه وتمكينه. فهذا هو الشيخ العارف الرباني. قال النبي صلى الله عليه وسلم: خاطبوا الناس على قدر عقولهم. ولم يزل هذا مألوفا من الشرع. وقد بوّب البخاري لذلك بابا من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهْم بعض فيقع في أشد منه. ثم أورد حديث عائشة رضي الله عنها في نقض الكعبة وبوّب إثر ذلك باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية ألاّ يفهموا ثم أورد حديث معاذ بن جبل في تحريم النار على من اعترف بالشهادتين صدقا من قلبه.

وبهذا يظهر لك أن العلم على قسمين، علم العامة وهو العلم العام، وعلم الخاصة وهو العلم الخاص.وأما الحقوق المرتّبة للقدوة فأربعة الأول: المحافظة على توقيره وتعظيمه بالتزام الأدب معه في جميع الحركات والسكنات. فلا يقطع عليه الكلام ولا يتكلم بحضرته إلاّ عن إذنه ولا يتصرف في شيء إلاّ بأمره ومشورته ولا يرفع في محله صوته ولا يكثر الضحك ولا يسترسل في الكلام وأن يتلمّح إشاراته. وقد قيل من الأدب مع القدوة ألاّ يخاطبه إلاّ باستفهام كما فعل موسى مع الخضر عليهما السلام حين استعطفه مستفهما في قوله:(هلَ اَتبِعُك على أنْ تعَلّمَنِ مِمّا عُلِمْتَ رُشْدا) ولم يقل له: أريد أن أتبعك ولا قصدت اتباعك ونحو ذلك. ومن الأدب ألاّ يقدم بين يديه إلاّ في مواضع مخصوصة منها المواضع التي تتقى والخروج من المسجد والهبوط في الدرج ونحو ذلك. وقد روي عن أبي الدرداء قال: كنت أمشي يوما أمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة؟ ومن علم فضل القدوة هداه علمه إلى المحافظة معه في حسن الأدب فيما قلّ أو جلّ وبالله التوفيق.الثاني: حسن الظن بالقدوة في القليل والكثير والخطير والحقير والحركات والسكنات في ما عِلم أو جهل أو أشكل لأن التلميذ من نقص نظر نفسه على يقين ومن كمال نظر قدوته على علم. فما تحقق التلميذ الحق فيه جرى عليه، وما أعمي عليه أو أشكل صرفه إلى حسن نظر القدوة وأسنده إلى حكمته. فليس كل الحكم يظهر لجميع الناس ولا أسرار الأحوال تبدو للكافة. فلينظر جميع ما يصدر عن القدوة بعين الكمال ولا يراجعه في شيء ولا يتّهمه فيه. وقد قيل من قال لشيخه ِلمَ؟ فإنه لا يحصل على طائل من صحبته. ولمّا وقف موسى عليه السلام مع مجرد الظاهر فيما صدر عن الخضر انقطع حبل مواصلته حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أخي موسى، وددتُ أن لو صبر حتى يقصّ علينا من خبرهما.ومن حسْن الظن بالقدوة ألاّ يؤثر على غيره فينظره بعين النقص عن مرتبة سواه. كما حدثني أبي قال: حدثني شيخي أبو القاسم قال: جاء الشيخ أبو العباس الفنجائري ِلمالقة أيام كون شيخي أبي عمران بها . قال: فكان شيخي أبو عمران ذا خمول وتجريد وفقر وتستّر وكان الشيخ أبو العباس الفنجائري ذا جاه ومال وشهرة. قال: فخطر ببالي أن القبول الذي وضعه الله لأبي العباس في الأرض لعله لفضيلة زائدة على شيخي أبي عمران. قال: فما انفصل عني هذا الخاطر إلاّ وقد نبت في أحد شقّي نبْتٌ أفرط الله عليّ وأصهرني وعيل بوجعه صبري. قال: فلما كان مع السّحَر غلبتني عيناي فرأيت طريقا أبيض كأنه الفضة في غاية الاعتدال والسهولة، فنظرت فيه فإذا الشيخ أبو العباس الفنجائري يجيء على ذلك الطريق من إحدى ناحيتيْه وشيخي أبو عمران يجيء من الناحية الأخرى، كل واحد منهما يقابل الآخر. قال: فقلت في نفسي الآن أعرف المفضول من الفاضل منهما عند تلاقيهما. فالمتواضع منهما لصاحبه هو المفضول. قال: فلما التقيا صار أبو العباس بين يدي شيخي أبي عمران كالصبي المتعلم والتلميذ المتبرك ثم جعل يقبّل يده. قال الشيخ أبو القاسم فقلت في نفسي وأنا نائم لمّا رأيت ما رأيت من الشيخين: والله إنّ شيخي َلأكبر شأنا وأعظم (خطرا) وإني َلأستغفر الله من تفضيل غيره عليه. قال فاستيقظت وقد تفجّر نبْتي وامتلأ فمي قيحا منه وزال ألمه فمججت ذلك القيح. فلما صليت الصبح غدوت على الشيخ أبي عمران أزوره على عادتي. قال: فما هو إلاّ أن رآني تبسّم وقال لي: يا أبا القاسم تفجّرَ نبْتك فقلت له نعم يا سيدي وأنا أستغفر الله، فقال لي: ما يشك أحد أن الشيخ أبا العباس الفنجائري رجل فاضل صالح، وإنما أطْلعك الله على ما للفقير على الغني من الفضل ومع هذا يا أبا القاسم فلا تعدْ لمثل هذا من تفضيل بعض الناس على بعض فإن العواقب مستورة عنها وما هي إلاّ ظنون تخطئ وتصيب.الثالث: التزام طاعته في كل مكروه ومحبوب بقوة حزم وطيب نفس ومسارعة. وليعلم التلميذ أن الذي يشق على نفسه من طاعة قدوته في عاقبة أمره الخير والبركة مع ما في ذلك من رياضة النفس على مخالفة الهوى. وما يدريه لعلّ الشيخ قصد ذلك. قال بعضهم من استعصى شيخه في شيء لم ينتفع به. فليمش على مرضاة قدوته في

جميع ما يأمره به أو ينهاه عنه بالنظر أو بالمفهوم. ومن حسن الامتثال في ذلك أن يكون التلميذ أبدا متلمّحا أغراض قدوته وإرادته. فيعمل في ذلك بحسب مفهومه بملاحظة إشارته وملاحظة أغراضه. فمن حسْن الطاعة القيام بها قبل الأمر بها.الرابع: ألاّ يوثر نفسه على قدوته بشيء من الحظوظ الدنيوية والأخروية بل يوثره على نفسه بجميع ذلك. أما الاخروية فمن عنده جاءه أصلها، وأما الدنيوية فهي في جنب ما ناله على يديه من أمر الآخرة شيء تافه لا قيمة له. ومن آثر نفسه على قدوته بشيء من الأشياء ولو بحياة ساعة بعده فقد بخسه حقه ولم يوف له واجبه. ومن توابع ذلك ألاّ يكتم عنه شيئا من أحواله الظاهرة والباطنة الأخروية والدنيوية وإن كتمه شيئا فقد خانه. وعماد هذه الشروط كلها وذروة سنامها أن يكون القصد في ذلك كله رضى الله عز وجلّ قصدا مجردا من جميع الشوائب والأوهام. و ليعلم أن رضى الله تعالى في رضى قدوته. فليلتمسه ما استطاع. وأما التلميذ فيشترط فيه شروط وتترتب له حقوق. أما شروطه فأربعة.الأول: التزام عهد القدوة في ربط النفس للوفاء بوظائف السلوك جهده ووسع طاقته. فهو وإن زلّت به القدم يوما تذكر فرجع إلى مقتضى عهده كأنه عقال يعقُل به نفسه عن القدح في الشهوات، والاسترسال في الغفلات والايطال في المخالفات. و من لا عهد له لا تلمذة له. فان قلت فما العهد الذي يدخل به التلميذ مع القدوة؟ فالجواب أنه يدخل معه على بيع نفسه من الله تعالى في طلب رضاه بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وأن يكون مع قدوته في خلاصه من نفسه كالميت بين يدي غاسله حتى يتخلص من هواه ويتطهر من علق دنياه.الثاني: أن يجعل دنياه تبعا ِلآخرته. ومن عرف ما يطلب فإنّ عليه أن يعرف ما يترك بصدق عزم وقوة وجد وصحة قصد وإخلاص يقين لابتغاء مرضاة الله تعالى في طلب خلاصه من نفسه وطمعا في الوصول إلى معرفة ربه. وقبيح بمن أراد الله وقصد المعرفة به أن يثني عنانه لغيره. فإن قلت هذا مما يصعب على أهل البداية قبل أن تدخل بشاشة اليقين قلوبهم. فالجواب أن المشار إليه إنما هو قوة العزم الصادرة عن اليقظة المنبعثة عن التوفيق الاختصاصي حذرا من التلاعب والتهاون بحسب الداخل في طريق السلوك والعزم الباعث على الدخول في المكروهات والخروج عن المحبوبات ثم بعد ذلك يقوم ويقعد حتى يستقيم عمود سلوكه ويتمكن رسوخه بطهارة نفسه. وذلك يدخل عليه شيئا فشيئا. الثالث: أن يحصل عنده العلم اليقيني يفرق بين قدره وقدر قدوته وذلك أن التلميذ مورّط في ظلَم الهوى وغريق في بحار الشهوات محتاج إلى منقذ ينقذه ودليل يدله ويخلصه. وأما القدوة فقد تخلّص من نفسه وتمكّن في تصفيتها حتى طالع من أسرار الغيب ما يشعره أنه على بينة من ربه وفرّق بين من هو منتظم بالأحباب وبين من هو طريح من وراء الحجاب. فليضف كل كمال لقدرته وكل نقص لنفسه وليعلم أنه مهما بقي عليه من نفسه مقدار خردلة فإن وظائف التلمذة لازمة له وأحكام الحجر غالبة عليه. ولقد رأيت كثيرا ممن لعب الشيطان به فهو آخذ بناصيته حين استفزّه بتعظيم الناس وخدعه بإقبالهم عليه فهو ناظر نفسه لذلك بعين الكمال مع نقصانه، وربما حسب أنه نافذ مع انتكاصه وتخيل إليه أنه على كل شيء أوجب له التعظيم، وما هو إلاّ يهوى بهواه في دركات المقت قد حرم طعم التلمذة فضلا عن ذوق المشيخة.الرابع: الاقتصار على قدوة واحد، وهل الانقياد للقدوة كالانقياد للطبيب. ولا شك في الإشارات إذا اختلفت والمعانات إذا تباينت أن الخلاص من العلل متعذر. ومن أسند إلى قدوة فهو القيّم بالسياسة في تأديبه وتهذيبه وهو أدرى بذلك من غيره مع أن القدوة الكامل ربما تعذر وجوده اليوم فضلا عن أن يكون منهم عدد. فإذا ظفر التلميذ بواحد فليعلم أنه قد ظفر بمراده ومهما مال عن قدوته بظاهره أو باطنه فإن ذلك وبال عليه ونقصان له وأن صحبته لا تصفو له ولا يستعد باطنه لسراية حال القدوة فإن التلميذ كلما أيقن بتفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته. وعلى قدر محبته تكون سراية حال الشيخ عنده. فالمحبة علامة التعارف الحسّي الداعي إلى التآلف المعنوي والحسي. وبالله التوفيق. وأما الحقوق المرتبة له فأربعة.الأول: ألاّ يتعرض له القدوة باستجلاب واستيلاف وحسن كلام

حتى يرى أن الله عز وجل بعث إليه التلميذ مسترشدا بحسن الظن وصدق إرادة ضم عليه جناح التعليم والإشفاق والنصيحة بكل شيء ينفعه في رضى ربه. وكل تلميذ مسترشد يسوقه الله إلى قدوة وليكثر اللجا إلى الله أن يتولاه ويقبل عليه بحسن هداية وجميل سياسة. ثم لا يتكلم مع التلميذ إلاّ وقلبه ناظر إلى الله عز وجل مستعين به على الهداية للصواب في القول والعمل.الثاني: حسن الخلق والصبر على وظائف التعليم وجفاء التلميذ وحمل أخلاقه. قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم:(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغذوة والعشيّ يريدون وجهه). والقدوة وارث النبوة في وظائف الهداية. وما يبدو على التلميذ من الجفاء فحمله في ذلك أولى مع تعليمه وهدايته وتأديبه بحسن تلطّف وجميل مودة لا سيما أهل البداية الذين لم يتمكنوا. وما يندر منهم من النوادر التي توذن بسوء الحظ وتعلن بخبث القصد. فلا يقطع بذلك حبل وصْله إلاّ بعد الاعتذار له والنصيحة في ذلك ثلاثا. فإن عاد بعد الثلاث إلى بادريته التي نهي عنه فليتجاف عنه ظاهرا وليدع له عهده باطنا بالدعاء له والشفقة عليه. ثم على القدوة أن يتفقد أحوال التلميذ فيوفي له حقه من الرفق به و بسطه بما يدفع عنه ظلم الوحشة ويحله بساحة الأنس على حسب حاله ومشربه. قال بعضهم: ينبغي للقدوة أن يلقى المريد بالرفق لا بالعلم، فإنّ الرفق يؤنسه والعلم يوحشه. ولعل الرفق يقربه إلى الانتفاع بالعلم، فحينئذ يعامَل بصريح العلم وبالله التوفيق. الثالث: معاملة كل تلميذ بما يناسب حاله ويقتضيه مقامه حتى يكون تأديبهم موازيا لأحوالهم. فليس أهل البداية مطالبين بوظائف أهل التمكينات ولا يطالبون بوظائف أهل النهايات.(قد علِم كلُ ّأ ُناسٍ مشْرَبَهم). فإذا علم من بعض التلاميذ ضعفا يقصر به عن مراغمة النفس وقهرها في العلل الخاصة بمنزله فليرفق به في المناقشة وليلطف به في المحاسبة ويأخذ زمام ما لا يجره إلى ممنوع حتى إذا استحكم عزمه ورسخ قدمه طالبه بمقتضى حاله وزم له في قمع لجام المحاسبة بقدر ما يطيقه. و رُبّ سيئات قوم تكون حسنات ءاخرين.الرابع: الإعراض عما بأيديهم رئسا والتنزه عن دنياهم جملة بل يحسن إليهم بما يجلب به مودتهم ولا يكلفهم من الخدمة فوق طاقتهم وليعاملهم بالمواساة والتلطف. وقد رأيت ناسا من أصحاب والدي جاءوا يوما بعقود أملاكهم وجميع أموالهم فقالوا له: يا سيدنا هذه أموالنا وخرجنا عنها لك لتتصرف فيها بما يظهر لك تعويلا على ما قصدناه من ابتغاء رضوان الله وخروجا عما يشغلنا عنه. فقال لهم والدي: بارك الله فيكم قد قبلتها منكم ثم صرفتها عليكم لتعملوا فيها بما أقوله لكم. فلتؤدّوا حق الله فيها من غير كلفة بنشاط وطيب نفس ولتتناصفوا مع الناس في معاملاتهم ولتتناصفوا الأجراء قبل جفوف عرقهم ولتنفقوا من ذلك على عيالكم بحسب وجْدكم، ولتصلوا منه أرحامكم، ولتتفقدوا فقراءكم واحفظوا وصيتي، وقوموا بها في أموالكم قيام الوكيل الناصح. ومن ذلك التاريخ إلى هلمّ جرّا لم يعرج عليهم في شيء من ذلك ولا عول عليهم ثقة بما عند الله وتسليما لأصحابه في دنياهم. ومهما بقي على التلميذ بقية من نفسه لا يومن عليه التغلب. فإذا غلبت عليه حال لا يقتضيها مقامه أبقي عليه فيها وأمهل فيها خيفة فضيحة التقلب. وليكن التلميذ أبدا عاملا بما يجب عليه في حق القدوة مجهدا نفسه في ذلك كما أن القدوة لا يزال قائما بما يجب من حقوق التلميذ. ومهما لم يغلب حال اليقين الحقيقي على باطن التلميذ، فإن باطنه متعلق بدنياه. فالإبقاء بما عليه أولى له وأنفع و بالله التوفيق. انتهى من بغية السالك ببعض تصرف قليل جدا. وفي شرح الشيخ عبد المجيد الشرنوبي على تائية السلوك ما نصه: فلا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي بآثاره ويهتدى بهديه وأنواره فإنه واسطة الخير والوسيلة إلى المنع من الضير.ر وناهيك في اكتساب هذه الفضيلة قول الله تعالى:(يا أيها الذين ءآمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة). ولله درّ القائل

وغنـــمُ مريدٍ في انقيادٍ لكامــــل ... له خبرة بالعلم و الوقت الحـال
هو الكنز و الإكسير و الكيميّـا لمن ... أراد وصولا أو بغى نيل آمـال

واعلم أنه لا يصلح للإرشاد إلاّ على علم يهتدي به العباد. فإذا مرض مريده بسبب شبهة في علم التوحيد داواه أو تحير في مسألة من مسائل الفقه أفتاه مع قناعة تورثه الغنى عن الناس وخوف يحجزه عن المعاصي والأناس وملازمة بالعمل بالكتاب والسنة. فمن اجتمعت فيه هذه المزايا كملت به على المريد المنة. وقوله: عارفا بالطريقة أي أن يكون كاملا في العلم والعمل. و قد ذكر بعضهم الأوصاف التي ينبغي أن تكون في الشيخ فقال:

إذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد و يبحث في علم الحقيقة عن أصـل
يبادر للوراد بالبشـر و القـرى و يخضع للمسكين في القول والفعل
فهذا هـــو الشيخ المعظم قـدره جدير بتمييز الحــــرام من الحِـلّ

وقد قال سيدي علي الخواص: لا يكون الرجل معدودا عندنا من أهل الطريق حتى يكون عالما بالشريعة المطهرة مجملها ومفصلها ناسخها ومنسوخها خاصّها وعامّها. ومن جهل حكما واحدا منها سقط عن درجة الرجال. قال الإمام الشعراني: فقلت له يا سيدي إن غالب مسلكي هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال فقال: نعم، إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم وأما المسلك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في سائر ما يطلبونه. انتهى. قلت: وهذا جوهر نفيس لا يزال عزيز الوجود يكاد لعزته أن يكون في حكم المفقود كما قال أبو مدين الغوث:

واعلم بأن طريق القوم دراسة وحال من يدّعيها اليوم كيف ترى

ثم تمنى رؤية القوم الذين ليسوا على ما عليه أهل اليوم فقال:

متى أراهم وأنّى لي برؤيتهم أو تسمع الأذنُ عنهم خبرا

وكان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه يقول: لا يستحق الرجل أن يكون شيخا حتى يأخذ حظا من كل علم شرعي وأن يتورع عن جميع المحارم وأن يزهد في الدنيا وألاّ يشرع في مداواة غيره إلاّ بعد فراغه من مداواة نفسه. ثم قال: وإياك ومتابعة من لم يكن بهذه الأوصاف فإنه من جنود الشيطان. واعتبر أقواله وأفعاله وأحواله وزنْها بميزان الشريعة والطريقة فإن رأيت شيئا مخالفا لها فردّه. فإن كان صاحب حال صحيح ورددته فما عليك من رده بحكم الشرع و لا تتخذه شيخا ومرشدا. وقال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أعطيَ من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة وذلك لأن الكرامة ما كانت عونا لصاحبها على ما يقربه لمولاه ويقوّي يقينه ويمكّنه من محبته ورضاه. فإذا جرى الخارق للعادة على يد العبد ولم تشهد له الشريعة بالاستقامة فهو ممكور به مخدوع... إلى أن قال: تنبيه: يجب على المريد قبل الاشتغال بالذكر والرياضة أن يحصل من علم التوحيد ما يصحح به اعتقاده على مذهب أهل السنة والجماعة وما يحترز به عن شبه المبتدعة، فإن القلب ما دام مكدرا بظلمة البدعة والاعتقادية لا يستنير بأنواع الطاعة.ومن شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذ المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذا يجب على المريد أن يجعل من علم الفقه ما تصحّ به أعماله على وفق الشريعة المطهرة، وإلاّ كانت جميع أعماله باطلة فيصير تعبه هباء منثورا. واعلم أن الذكر ثقيل على الذات الخبيثة لأنها سقيت بالظلام وفي الذكر نور وهي لا تقبل ما لا يوافق طبعها إلاّ بالمجاهدة. فتدبّر. انتهى كلام الشرنوبي. ويكفي في هذا الباب إلاّ أنّي لمّا رأيت كلام صاحب الرماح أوسع عبارة وأتمّ إشارة أردت وضعه وجعله في هذا المحل وإن كان بعضه مكررا تتيما للفائدة وإزالة لما عسى أن يقع في الحيرة للمريد الصادق والتشوق، و نصه: اعلم أنه لا شيء أضر على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشاراتهم فيما يشيرون به عليه. قال في تحفة الإخوان: فالآداب التي تطلب من المريد في حق الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا وعدم الاعتراض عليه في شيء فَعَله ولو كان ظاهر أنه حرام و يؤول ما أنبهم عليه وتقديمه على غيره وعدم الالتجاء لغيره من

الصالحين.ومنها لاّ يقعد وشيخه واقف ولا ينام بحضرته إلاّ بإذنه في محل الضرورات ككونه معه في مكان واحد وألاّ يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ولا يجلس على سجادته ولا يسبح بسبحته ولا يجلس في المكان المعدّ له ولا يلح عليه في أمر، ولا يسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلا من الأمور المهمة إلاّ بإذنه ولا يمسك يده للسلام و يده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب بل يسلم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره به ولا يمشي أمامه ولا يساويه إلاّ بليل مظلم ليكون مشيه صونا له عن مصادمة ضرر وألاّ يذكره بخير عند أعدائه خوفا من أن يكون وسيلة لقدحهم فيها.ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره من أن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفرا و حضرا لتعمه بركاته.ومنها ألاّ يعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرده الشيخ عنه. وبالجملة يجب أن يحب من أحبه الشيخ و يكره من يكرهه .ومنها أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته.ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ولا يقول لمَ فعل بفلان كذا ولم يفعل بي؟ وألاّ لم يكن مسلّما له قياده، إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهرا وباطنا أو خاطب بذلك أهل الله الصادقين. ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيشتمله إلاّ لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر. فإذا قال له: اقرأ كذا وجب عليه المبادرة وكذا إذا قال له، وهو صائم، افطر وجب الفطر أو قال له لا تصلّ كذا إلى غير ذلك.واعلم أن الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفف عليهم العبادة. فإذا شمّ منهم رائحة الصدق والاجتهاد ربما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفنى في حب الله تعالى، وربما اختبرهم هل يصدقون معه أولا.ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه فإن مدد الشيخ في ورده الذي يرتّبه فمن تخلف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصحّ في الطريق.ومنها ألاّ يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة فإن في ذلك هلاكه والله تعالى أعلم.وألاّ يدخل عليه خلوة إلاّ بإذن ولا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلاّ بإذن وإلاّ هلك كما وقع لكثير وألاّ يزوره إلاّ وهو على طهارة لأن حضرة الشيخ حضرة الله تعالى وأن يحسن به الظن في كل حال وأن يقدّم محبّته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله فإنهما المقصود بالذات ومحبة الشيخ تابعة لها وألاّ يكلفه شيئا حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلّم على الشيخ ولا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه للسلام عليه. انتهى . وفي الخلاصة المرضية، ومن شرط المريد ألاّ يصحب من الشيوخ الا من تقع له حرمة في قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكره وألاّ يكتم عن شيخه شيئا مما يخطر له وألاّ يتعرض فيما يكون منه والصدق في طلب الشيخ، وألاّ ينظر في أفعال الشيخ وألاّ يتعدى أمر شيخه ولا يتأول عليه كلامه بل يقف عند ظاهر كلامه وألاّ يطلب علة الأمر الذي يأمره به، بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سواء عقل معناه أو لم يعقل. وليفعل ما أمره به. ومتى تأول على الشيخ ما أمره به أو يقول تخيلت إنك أردت كذا فليعلم أنه في إدبار، فليبك على نفسه فإنه ما أوتيَ على أكثر المريدين إلاّ من التأويل. ولا يطأ سجادة شيخه برجل ولا يلبس ثوبا لبسه شيخه إلاّ إذا كان كساه الشيخ إياه ولا يسأل عن شيء سؤالا من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقص ما وقع له فإن أجابه كان وإلاّ فلا. وإن وصف ذلك على أن يجيب عنه الشيخ فقد جعله سؤالا وإذا جعله سؤالا فقد أساء الأدب. ولا يخون شيخه في أمر مأمور به. و يجب على المريدين ألاّ يدخلوا على الشيوخ ولا يقعدوا بين أيديهم إلاّ على طهارة ظاهرا وباطنا مسلمين مستسلمين. هكذا شأنهم.ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل إن غسل عضوا من أعضائه قبل عضو ءآخر أو حركه أو تصرف فيه كيف يشاء ما يرى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة فإن الإنسان ليس بمعصوم. وألاّ يجلس بين يديه إلاّ مستوفزا كجلوس العبد بين يدي سيده. وإذا أمره بفعل شيء فيثبت فيه حتى يعرف مراده. ولا يبادر وهو غير عارف بما أمره به ولا يتحمل فيه قول قائل. وإذا عرف له عدوا فليهجره في الله تعالى ولا يجالسه ولا يعاشره. وإذا رأى من يثني عليه و يحبه فيحبه و يقضي حوائجه. وإن طلق امرأة فمن الأدب ألاّ يتزوجها من

غير أن تحرم عليه ويتلمذ و يخدم كل من قدمه عليه شيخه وإن كان أقل علما منه. ولا يقعد مقعدا حيث كان ويتيقن أن الشيخ يراه فليلزم ذلك. ولا يمشي أمامه إلاّ بليل ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلة الأدب والحياء ويخرج الاحترام من القلب ولا يكثر مجالسته ولا يقض لأحد حاجة حتى يشاوره. ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلاّ قبّل يديه وأطرق ويتحبّب إليه بامتثال أمره ونهيه. وليكن حافظا شحيحا على عرضه. وإذا قدّم إليه طعاما فليلقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وليقف خلف الباب. فإذا دعاه أجابه وألاّ يتركه حتى يفرغ. فإذا فرغ أزال المائدة فإن بقي من طعامه شيء وأمره بالأكل فليأكل ولا يؤثر بنصيبيه أحدا. وليجتهد ألاّ يراه إلاّ فيما يسرّه. ولا تمتنّ عليه، وليحذر مكر الشيخ، فإنهم يمكرون بالطالب فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه. فإن وقعت منه زلة في حق أدب مع الشيخ وعرف أنه قد عرف بها وسامحه فيها ولم يعاقبه فليعلم أنه قد مكر به وعلم أنه لا يجيء منه شيء ولهذا سكت عنه. وإذا عاقبه على الحضرة واللحظة و ضايق عليه أنفاسه فليستبشر بالقبول والفتح والرضى. ولا يبْدِ الله عليه إلاّ بسطة له كلما انبسط معه، فليزدد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام. شعر:

كلما ازداد بسطة وخشوعا زاد فيه مهابة وجلالا

ومن شرط المريد ألاّ يردّ على الشيخ كلامه، ولو كان الحق بيد المريد، فإنّ الشيخ انما يقول ما فيه مصلحة. فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماريه. ومتى وقع في شيء من ذلك وخطر له نزاعه في خاطره فالنزاع وإن كان في نفسه هو عين الاعتراض والاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه. فهذا مريد مسخرة للشيطان ساعٍ في هوى نفسه سوأته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى. ومن شرط المريد إذا وجّهه شيخه في أمر أن يمضيَ لأمره من غير تأمل ولا توقف، ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض المشائخ لبعض المريدين: أرأيت لو وجّهك شيخك في أمر فمررت في مسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع؟ فقال: أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه، فقال له: أحسنت.ولهم في ذلك خبر يستندون إليه وهذا بشرط ألاّ يخرج الوقت، فإن خشي خروج الوقت ذهب إليه.ومن شرط المريد الوفاء بكل ما يشترط عليه الشيخ سواء كان ذلك صعبا أو سهلا فإن طريق الله تعالى مجاهدة ومكابدة ليس هي طريق الراحة. وليس للمريد أن يشترط على الشيخ. وإياك أن تعترض عليه في شيء من الأشياء ولكن تنظر إليه بالإرادة وحسن الظن، ونزاع الأدب ظاهرا وباطنا فإنهم قالوا: الاعتراض على الشيوخ سم قاتل. وإن رأيت من الشيخ ما يترآى عندك أنه غير مشروع ،فاتّهمْ نفسك واحملْه على قصور علمك ونظرك فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك من إدراكه. واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك وأشدّ اهتماما بها من غيره وكلما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض. والحق أنك لو طلبت لصحته وجها وتفكرت لظفرت به غالبا ولكن النفس لا تساعدك على هذا بل تغطي عليك وجه الصحة، وإن كان واضحا بيّنا و تلقنك وجه الفساد وتزينه وإن كان ضعيفا لتستوفيَ حظها. فلو صدر منك ذلك الفعل بعينه أقمت على صحته دلائل مثل الجبال الرواسي وتساعد النفس فيه.و فوق ما ذكرنا من الاعتراض أن يكون مسلما بالظاهر معترضا بالقلب فتنقطع الرابطة ويقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنوية فلا ينفعه التسليم باللسان مع وجود الإنكار في الباطن إذِ الرابطة أمر معنوي لا يتعلق باللسان وإنما يتعلق بالقلب. فإذا تمكن الإنكار فيه زال اتّصال الباطن والمحكومية وهو المعنى من الرابطة فلا يبقى بين قلب المريد وبين قلب الشيخ علامة فينسدّ طريق الذي كان يصل إلى قلبه من قلب الشيخ فلا يسدي إلى باطنه من أحوال الشيخ شي، فينقطع عنه مدد الشيخ فيكون بعيدا عن الشيخ في الحقيقة وإن كان قريبا. فكم بينه وبين من يكون بعيدا في الصورة قريبا في الحقيقة هيهات مثل هذه المحبة لا تزيد إلاّ شقاوة على شقاوة وردّا على ردّ فيعود الأمر على موضعه بالنقص ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس

والشيطان، فيعدّ من جملة الخداعين والمنافقين في الطريقة. والمريد إنما يتعلق بإرادة الشيخ ليتخلص من الكفر الباطني ويشفى من المرض الخفي القلبي وإلاّ فهو مسلم لا شك في إسلامه. وإذا حققت وجدته ترك الاعتراض على الله تعالى فالشيخ يخرجه عن هذه الورطة بحسن تربيته وإرشاده وإن كان في قلبه نوع إنكار واعتراض على الشيخ. فإن وقع في مضيق الاعتراض على الله تعالى كيف يخرج عنه ومن يأخذ بيده فيحصل غرض النفس إذ مقصودها من الاعتراض على الشيخ ليس إلاّ أن تنقطع الرابطة. فإذا دخل عليه خاطر الاعتراض على الله تعالى وأراد الشيخ أن يغيره عن هذه العقبة لا ينفذ فيه تصرفه ولا ينجع كلام، فتزلّ قدم المريد وينحرف عن جادّة الطريق إذ الثبات ليس إلاّ بقوة ولاية الشيخ ومحكومية المريد فيكون الأمر كما تحب النفس و تشتهي. انتهى.وفي الإبريز سمعته، يعني القطب سيدي عبد العزيز رضي الله عنه يقول: لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الولي ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى فإن في باطن الولي العجائب والغرائب وما مثاله إلاّ خنشة صوف في وسطها خنشة حرير لا تظهرالا في الآخرة. وغير الولي بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صوف والعياذ بالله تعالى. قال: ولنثبت أسبابا كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الولي سمعناها من الشيخ رضي الله عنه مفرقة فلنجمعها هنا فنقول. سمعته رضي الله عنه يقول: كان لبعض الأولياء الصادقين مريد صادق فكان يحبه كثيرا وأطلعه الله على أسرار ولايته حتى أفرط في محبته وكان يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوءة فأظهر الله على الشيخ صورة معصية الزنى رحمة بالمريد المذكور فلما رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ونزّل شيخَه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد. قال رضي الله عنه: ولو دام على اعتقاده الأول لكان من جملة الكافرين المارقين نسأل الله السلامة.قال رضي الله عنه: وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبي صلى الله عليه وسلم من نحو قوله في قضية تأبير النخل: لو لم تفعلوا لصلحت. ثم تركوا التأبير، فجاءت الثمرة شيصا أي غير صالحة. ومن نحو قوله صلى الله عليه و سلم: رأيت في منامي أنّا ندخل المسجد الحرام إن شاء الله ءآمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم فصدّهم المشركون ولم يدخلوا إلاّ في عام آخر... ونحو ذلك. ففعل الله سبحانه هذه الأمور مع نبيه الكريمِ لِيلاّ يعتقد الصحابة فيه الألوهية ولذا قال تعالى:(إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء). وقال تعالى:(ليس لك من الأمر شيء). ونحو ذلك. فإن المقصود من ذلك كله هو الجمع على الله سبحانه والله أعلم.قال: وسمعته رضي الله عنه يقول إن الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين ونياتهم. فمن صفت نيته رآه في عين الكمال وظهر منه الخوارق وما يسُرّه ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك. وفي الحقيقة ما ظهر لكل واحد إلاّ ما في باطنه من حسن وقبيح. والولي بمنزلة المرآة التي تتجلى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة فمن ظهر له من ولي كمال ودلالة على الله تعالى فليحمد الله تعالى ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه. قال رضي الله عنه: وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخّر الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى أنه يتصور في صور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنونه أنه شارب الخمر وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت. وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة فإنك إذا أخذت في الكلام تكلمت وإذا أخذت في الأكل أكلت وإذا أخذت في الشرب شربت وإذا أخذت في الضحك ضحكت وإذا أخذت في الحركة تحركت وتحاكيك كل ما يصدر منك. وفي الحقيقة لم يصدر منها أكل ولا غيره لأنها ظل ذاتك وليست بذاتك الحقيقة. فإذا أراد الله تعالى شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله تعالى الموفق.وقال: وسمعته رضي الله عنه يقول إنما يتغير من القاصدين إليه باطنهم وأما ظاهرهم فلا عبرة به عنده والقاصدون على أربعة أقسام: قسم يستوي

ظاهره وباطنه في الاعتقاد. وهذا أسعدهم. وقسم يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد وهذا أبعدهم. وقسم ظاهره معتقد وباطنه منتقد وهذا أضر الأقسام على الولي كالمنافق بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه إذا نظر إلى ظاهره يريد نفْعه منَعه الباطن وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمعه ظاهره. قال رضي الله عنه: والولي يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر فيكون هذا القسم عنده بمثابة من جلس إليه رجلان أحدهم في جوف الآخر فيقول الرجل الظاهر: أنت سيدي وأنا عند أمرك ونهيك وعلى طاعتك ويقول الذي في الجوف: أنت لست بولي والناس أخطئوا فيما يظنون فيك وأنا على شك في أمرك وفيما يقول الناس فيك ونحو هذا. فالحاصل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم والقسم الأول فإذا رأى القسم ربح وحصل له الخير الكثير من الولي. قال في نفسه: لِم لمْ يربح القسم الثالث مع أنه يتأدب ويخدم بنفسه ويقف عند الأمر والنهي كالأول، فيقول: لعل الخلل والنقصان من الولي فيكون هذا بابا واسعا للكلام في الأشياخ والوسوسة فيهم.وأما القسم الرابع وهو ما يكون باطنه معتقدا وظاهره منتقدا فلا يتصور إلاّ مع الحسد. نسأل الله السلامة والعافية. وقال رضي الله عنه: إن الولي الكامل غائب في مشاهدة الحق لا يحجب عنه طرفة عين وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة. فمن قسم له منه رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا يكيّف من الخيرات، ومن أراد به سوءا و لم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف. وقال رضي الله عنه: وما مثل الولي مع القاصدين إلاّ كحَجَر بني إسرائيل فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وإذا كان بين يدي أعدائه لا تخرج منه و لو قطرة واحدة. وقال رضي الله عنه: إنّ الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها. فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية لأنها إذا أكلت حراما مثلا، فإنها بمجرد جعلِها إياه في فمها فإنها ترميها إلى حيث شاءت. وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله. فإذا رأيت الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فأشهد على الحاضرين بأن الله تعالى أراد بهم الخير أو معصية فأشهدْ شقاوتهم. وكما أن أرواحهم هي التي تتولى كراماتهم كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة والله أعلم. وقال رضي الله عنه: إن الولي قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل أمورا تردّه إلى حسّه وإن كان فيها ما يغلب عليه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفّهما . فإذا رءاه شخص ارتكب ذلك الأمر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله ربما بادر إلى الإنكار عليه فيحرم بركته. وقد تقرر في الشرع أن في الشريعة المطهرة أن العضو إذا أصابته الأكَلَة وخيف على الذات منها فإنه يباح قطعُه لتسلم الذات مع أن العضو معصوم ولكنه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفّهما. وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يباح له أكل الميتة حتى يشبع ويتزود منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة. وهذه الأمور التي ترد ذات الولي إلى حسها هي المعتاد لها قبل الفتح. وكل ذات وما اعتادت. فافهم بالإشارة ففي التفصيل والتصريح وحشة والله تعالى أعلم. انتهى ملخصا .وإلى معنى جميع ما تقدم أشار شيخنا رضي الله عنه، كما في جواهر المعاني بقوله: وأما ما يقطعه يعني المريد عن أستاذه فأمور... إلى آخر ما تقدم أولَ الباب. وإذا فهمت جميع ما تقدم في الباب كله يظهر لك ان غرض المشائخ في خدمة المريد إنما هو تحقيق معنى الصحبة وهي كما في نتائج الأفكار القدسية مطلق الاجتماع ولو قلّ الزمن. غير أن العرف يخصه بطوله وهو على ثلاثة أقسام: صحبة الأدنى، المماثلة والأعلى. فصحبة الأدنى يشترط فيها الرفق والرحمة به والتنبيه على ما به الكمال والزجر على أسباب النقص, وصحبة القريب يعتبر فيها الإغضاء والتغافل مع الحمل على أحسن وجوه التأويل فيما ظاهره يخالف المتابع, وصحبة الأعلى وهي في الحقيقة خدمة يلزم لها التسليم والبعد عن أسباب الاعتراض وغير ذلك مما يعتبر, و صحبة الأصاغر للأكابر

وهي في الله مع الإخوان المومنين. واعلم أن الإخوان أربعة: أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلة. فالأول معدوم والثاني مفقود والثالث موجود والرابع مشهود. أما الأول فكمثل المشايخ الذين أهّلهم الله لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء العاملين وأنت ترى خلق الله هذا الزمان ممن هذه صفته. وأما الثاني فهو مثل الأخ في الله الشفيق الودود الرحيم الحنون الذي يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك فيكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به. وأنت يا أخي كما لا يخفاك ترى فَقْدَه في هذا الزمان, لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتّة والمفقود قد يوجد في موضع مّا. والثالث والرابع غني عن أن يذكر، وبعيد من أن يحصر.واعلم أرشدني الله وإياك أن من جملة ما يلزم مراعاته بالصحبة أن المريد إذا ابتلي بالاجتماع و الخلطة بالناس مع الأذية له منهم والجفاء وقول المكروه في حقه أن ينظر في أمرهم ويرجع إلى تفتيش خبايا نفسه، فما قيل فيه فقد يكون حقا. فإن وجده في نفسه علم أن هذا القائل نذير جاءه من قِبَل ربه ليتوب أو يوقع به النكال. فعليه أن يبادر إلى التوبة والرجوع ويرى الفضل والإحسان لهذا القائل. وإن لم يجده في نفسه يحتاج حينئذ إلى ثلاثة أشياء. الأول أن يمتثل السنة بالدعاء الوارد في ذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم: من رأى منكم مبتلىً فليقل الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا. إذ لا شك أن الابتلاء في الدين أعظم من الابتلاء في البدن ولا سيما مع تعلق حق الغير به. الثاني أنه يتعين عليه الشكر من وجهين أن يشكر الله على سلامته مما قيل فيه وعلى سلامته مما وقع أخوه فيه.وفي كتاب يُمْن بن رَزِين رحمه الله تعالى: من ساءه الذم وأعجبه المدح فهو ذَكَرُ الصورة خُنْثِويّ العزيمة. وقال: لو قال لي قائل إنّ من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لمَا خالفتُه ولو أخبرني مخبر أن تسعة أعشار العافية في الخمول والغنى عن الناس لصدّقتُه. وقال من وطّن نفسه على أن الدنيا دار نَصَب وتعب لم ينكر ما نزل به منها وأخذ من الراحة بحظ وافر. وقال: تقديم صِدق اللجوء إلى الله عز وجل في مبادئ الحاجات عنوان على نجح غايتها. وقال و فكّرْ في الموت تهن عليك المصائب. قال ما رأيت أفقه من النفس في شهواتها ولا أجرأ من الإنسان ولا أشدّ تقلبا من القلب ولا أعدم من الإخوان ولا أقلّ من الإخلاص ولا أكثر من الأمل. وقال الصمت وغض البصر مفتاحات لأبواب القلوب. وقال من أحبّ ألاّ تكون له منزلة عند الناس تربع في بحبوحة العافية. و قال ليس إلاّ دنيا وآخرة فإن أردت الجمع بينهما رُمْت محالا وذهبتا عنك معًا. فاختر لنفسك. وقال: اطمع في رحمة الله على أيّ حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أيّ حال كنت من الاجتهاد. و إياك واليأس من رحمة مولاك واحذر الأماني فإنها اغترار واعلم أنّ الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وأن المومن لو يعلم كنه عقاب الله لمات خوفا انتهى.وفي بغية المستفيد قال شيخنا أبو المواهب السائحي ما نصه: لا خفاء أنّ حقوق الصحبة والأخوّة وآدابها من أعظم الحقوق وآكد الآداب إذ هي العصمة في مدارج السير والسلوك إلى حضرة رب الأرباب وخصوصا في طريقتنا هذه الأحمدية التجانية لقول سيدنا رضي الله عنه: من ابتليَ بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية. وقد سمعت بعض أصحابه رضي الله عنه يقول إني لكثيرا ما أهُمّ بوضع مؤلف في ءاداب الطريق تنبيها منه رضي الله عنه على أنّ الأدب من أهم المهمات وآكدها في الطريق وأن من تمسك به فيها فقد تمسك بالسبب الأقوى والحبل الوثيق. ثم قال: اعلم أن درجة الصحبة والأخوة عند الله تعالى درجة شريفة ومرتبتها من الطريق مرتبة سامية منيفة. فقد اختارها ورغّب فيها وآثرَها جمعٌ من السلف وتابعهم على ذلك الجم الغفير من جماهير الخلَف. ومما استندوا له فيما ذهبوا إليه من اختيارها واستأنسوا به لما اعتمدوه من إيثارها ما رأوه من أن الله تعالى منّ على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال تعالى:(فأصبحتم بنعمته إخوانا). وقال سبحانه وتعالى(هو الذي أيّدك بنصره وبالمومنين وألف بين قلوبهم). الآية.فقد دلت هذه الإشارة الكريمة على أن الصحبة والأخوة مِنّة عظيمة ونعمة جسيمة امتنّ الله تعالى بها على من شاء من عباده المومنين

المتحابين في جلاله المتؤاخين في طلب مرضاته والوصول إلى حضرة كماله. وفي ذلك كما لا يخفى غاية الحث عليها والترغيب فيها والندب إليها. وقد دلت السّنّة المطهرة على ذلك أيضا. ففي الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام وقلّت الأسباب و ذهبت الأخوة إلاّ الأخوة في الله تعالى. وذلك قوله سبحانه وتعالى:(الأخِلاءُ يومئِذٍ)...الخ الآية. وفي وصية سيدنا عمر رضي الله عنه عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعُدّة في البلاء انتهى. وذكر في العوارف عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال: لو أنّ رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فما نفعه ذلك انتهى.ومن لوازم الحب في الله تعالى المواخاة فيه ولذلك يطلق أحدهما على الآخر. وروي في العوارف أيضا بسنده إلى الأستاذ أبي القاسم القشيري أنه قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الله بن المعلم يقول: سمعت أبا بكر الطمستاني يقول: اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب الله لتوصلكم بركة صحبته إلى صحبة الله. وروي فيها أيضا بسنده إلى الشيخ أبي جعفر الحداد رحمه الله تعالى أنه سمع الشيخ علي بن سهل يقول: الأنس بالله أن يستوحش من الخلق إلاّ من أهل ولاية الله فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله. وذكر فيها أيضا أن الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السلام فقال: يا داوود مالي أراك مُنتبِذا وحدانيا؟ قال: إلاهي خلّيت الخلق من أجلك. فأوحى الله إليه: يا داوود كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خَدَن لا يوافقك فلا تصحبه فإنه لك عدو ويقسِي قلبَك و يباعدك مني. ولهذا كانت الصحبة والصداقة عند الأحرار يراعَى لها من الحقوق ما يرعَى ِلأخُوَة النسب على ما قيل: الصداقة لُحمة كلُحمة النسب بل الحق أنها، أعني الصداقة والأخوة في الله تعالى، آكد حقا من أخوة النسب. قيل لبعضهم أيهما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ قال: إنما أحب أخي إذا كان صديقي. قال الشيخ زروق رضي الله عنه في شرحه للوغليسية ما نصه: قال العلماء القرابة قرابتان قرابة دينية وهي أولى من القرابة الطينية انتهى. وذكر الشيخ محي الدين رضي الله عنه في الفتوحات المكية أن شخصا دخل على شيخه ففاوضه في معنى قولهم:(الأقربون أولى بالمعروف) فقال الشيخ من غير توقف إلى الله يا فلان. انتهى. يعني الأقربون إلى الله أولى بالمعروف من الأقربين من جهة النسب. وقال الشيخ زروق رضي الله عنه: الصداقة من قواعد الدين و الدنيا انتهى.ومما يشير إلى شرف منزلتها وكمال فضيلتها زيادة على ما تضمنته إشارات هؤلاء الأعلام ما اشتملت عليه من الفوائد العظام والكرامات والبركات والخيرات الجسام. قال في الجيش الكفيل ما نصه: ثم الفوائد المطلوبة من الصحبة دينية ودنيوية. أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال والجاه وليس ذلك من غرضنا. و أما الدينية فتجتمع فيها أغراض مختلفة منها الاستفادة بالعلم والعمل ومنها الاستفادة في الجاه، تَحَصُّناً من إيذاء من يشوّش القلب ويصدّ عن العبادة. ومنها التبرك بالدعاء . ومنها انتظار الشفاعة... إلى غير ذلك. وفي العوارف أنه يقع بطريق الصحبة التعاضد والتعاون وتتقوّى جنود القلب وتستريح الأرواح بالتشامّ وتتفق في التوجه إلى الرفيق الأعلى ويصير مثالها في الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرقت الأجرام وإذا انفردت قصرت عن بلوغ المرام. وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: المومن كثير بأخيه.قلت: في الخبر عنه صلى الله عليه و سلم: المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا. وفي العوارف أيضا: أن من فوائد الصحبة والأخوة أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الأنس بها علم الحوادث والعوارض انتهى. قلت: ويريد بها والله أعلم أنه يتقوى نور الفراسة الايمانية باستمداد البعض من البعض وسريان سر البعض إلى البعض إذ من فوائدها، ما يسري من الفاضل إلى المفضول من سر الباطن الذي هو منتهى القصد من الصحبة وغاية السؤال. وقد قيل: من تحقق بحالة لم يَخْلُ حاضروه منها. وأحطّ الناس مرتبة في مقام الصحبة للأخيار المحب لهم فقط. وكفاه إن لم يكن منهم أنه معهم لحديث: المرء مع من أحبّ. وفي مختصر الأحياء

بعد كلام في الصحبة ما نصه: فاصحب الأخيار إن لم تكن منهم فأنت معهم. انتهى.يريد: إصحبهم بالمحبة والتسليم لتكون معهم وإن لم تكن منهم فإن المرء مع من أحبّ. وبالجملة ففي مخالطة الأخيار مع التسليم والمحبة خير كثير بل المخالطة أصل كبير في الانتفاع ولهذا قالوا أنها أعني المخالطة تغني عن غيرها ولا يغني غيرها عنها. وقد ذكر عن العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي رضي الله عنه قال لرجل من أصحاب بعض الأولياء من أهل عصره، وقد رآه لا يخالط الفقراء: ماذا يأمركم به شيخكم؟ قال: بالسْبِيحَة واللِوِيحَة. فقال رضي الله عنه: ليست هذه الطريق بالسبيحة ولا اللويحة، وإنما هي بالمخالطة، خالط الجذمى تجذم.وقد ذكروا أنّ لقاء الإخوان لقاح ولا شك أن البواطن تلتقح بالملاقاة وأن مجرد النظر لأهل الصلاح يورث صلاحا، بل كل نظر في الغالب يورث أخلاقا مناسبة لخلق المنظور إليه، كما أنّ النظر إلى المسرور يورث سرورا وإلى المحزون يُكسب حزنا. والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الذلول والماء والهواء يفسَدان لمقاربة الجيف والزروع تنقى عن العروق المجاورة لها لموضع الإفساد بالمقارنة. فالمقاربة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء. وإذا كانت كذلك فهي في النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا. ومن فوائد الصحبة أيضا تحمّل لبعض من المتصاحبين عن البعض في دار الدنيا ما لم ينزل بهم من المصائب والأحزان وتلقيهم للوارد عليهم منهم في البرزخ بحسن البِشر. و من يذكر الكرامة والبرور والإحسان وأخذ البعض منهم بيد بعض يوم القيامة وشفاعته له في نيل المغفرة والدرجات العلى في دار الرضوان. وقد ذكر في العوارف أن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له أدخل الجنة فيسأل عن منزلة أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزلته فيقال له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول: إني كنت أعمل لي وله فيعطى جميع ما يسأله لأخيه ويُرفع أخوه إلى درجته انتهى.فهذا بعض ما يشير إلى جلالة قدر صحبة الأخيار، وأنافة مكانة مؤاخاة الأبرار على طريق الإيجاز والاختصار وفيه كفاية لمريد التذكر والاستبصار.ولهذا الذي ذكرناه من سموّ درجاتها وشرف مكانتها خصت بالحقوق العظيمة الأكيدة وحقّت بمحاسن الأدب والأخلاق الحميدة.فمن آدابها الخاصة عند إرادة الدخول فيها أن يسلم المدخول معه على الصحبة والأخوة عن نفسه و صاحبه الداخل معه عليها إلى الله تعالى بالاجتهاد في المسألة والدعاء والتضرع لأنه يفتح على نفسه بصحبته إمّا بابا من أبواب الجنة وإمّا بابا من أبواب النار.فإن فُتح عليهما في مصاحبتهما وداما عليه إلى أن ماتا عليه فقد فتح عليهما بتلك الصحبة بابا من أبواب الجنة فدلّ مولانا سبحانه وتعالى:(الأخِلاءُ يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتقين). وإلاّ فإن نشأ عن صحبتهما شر والعياذ بالله تعالى قطعهما عن الله تعالى.فقد فتح عن نفسه بصحبته بابا من أبواب النار.قال تعالى:(ويوم يَعَضّ الظّالم على يديْه) إلى آخر السورة.وهي و إن كانت نزلت في سبب خاص وقصة مشهورة فإن الله تعالى, تنبيها في ذلك لعباده, على الحذر ممن تقطع صحبته عن الله تعالى.وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهل يفسد الناسَ إلاّ الناسُ. فالفساد في الصحبة متوقع كما أن الصلاح فيها متوقع وما هذا سبيله. كيف لا يحذر في أوله و يُحكِم الأمرَ فيه باللجا إلى الله تعالى وصِدق الافتقار وسؤال البركة فيه وتقديم صلاة الاستخارة إلى غير ذلك. انظر العوارف.قلت: وما رأيت وما سمعت أكثر قياما بهذا الأدب ولا أشدّ اعتناء به من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين صحبوه قيد حياته وحصل لهم التأهّل لتلقين ورده.فإنهم كانوا إذا أتاهم من يريد الدخول في الصحبة والأخوة يظهر عليهم مزيد الاهتمام بشأنه والاجتهاد في الدعاء له ولهم معه بالثبات مع إسناد الأمر بينهم في ذلك إلى همّة الشيخ رضي الله عنهم بإظهارهم أن يدهم فيه إنما هي يد نيابة لا غير وأنهم ليس لهم فضل عن من يلقنونه ولا حظ لهم فيما يعاملون له به من بذل النصيحة وكمال الإرشاد إلاّ ما يرجونه من فضل الله تعالى بسبب البليغ ظاهرا لا غير. ورأيت منهم من لا يلقن أحدا الا بعد صلاة الاستخارة النبوية وصدق اللجا إلى الله تعالى على أكمل ما يمكن. ومنهم من كان يزيد مع الاستخارة

مرات ما تيسر من صلاة الفاتح لما أغلق ويهدي ثوابها إلى الشيخ رضي الله عنه ويستأذنه في تلقين ورده لذلك الإنسان الذي طلب منه بقلبه أو بقلبه ولسانه بأن يقول: هذا فلان طلب مني أن ألقنه وها أنا ألقنه عن إذنك و بركة همّتك ونحو ذلك.وقد أخبرني الناظم قدس الله سره أنه لمّا عزم على الدخول في هذه الطريقة الشريفة أتى هو ورفيق له إلى العلامة الكبير المقدم البركة الشهير أبي عبد الله السيد محمد المدعو محمد بن سيدي عبد الله العلوي الخليفة لقيامه بعد الشيخ الجليل سيدي محمد الحافظ العلوي بأعباء تلقين الأوراد والهداية والإرشاد. فلما طلبا منه رضي الله عنه أن يلقنهما الورد ظهر عليه ما ظهر من أثر الاهتبال لذلك ولم يقر له قرار حتى سار بهما إلى ضريح سيدي محمد الحافظ رضي الله عنه، وكان على مسافة من محله. فلما أدىّ الواجب من التسليم عليه وزيارته أمرهما أن يدنوا من القبر المبارك ثم خاطبه وهما يسمعان بأنْ قال له بلسان يُعلَم منه الخضوع والانكسار والعجز والافتقار: هذا فلان بن فلان و فلان بن فلان جاءا يطلبان مني أن ألقنهما ورد مولانا الشيخ رضي الله عنه وها أنا ألقنهما عن إذنك وإذن الشيخ رضي الله عنه. ثم لقنهما وأكثرَ الدعاءَ بذلك المحل له ولهما. وقد اتفق للناظم أيضا رحمه الله تعالى مثل هذا بفاس فلقنه بعض مشاهير أصحاب سيدنا رضي الله عنه عند قبره الأنور رضي الله عنه على نحو ما تقدم. وهذا من عناية الله تبارك وتعالى به. وقد ظهر عليه أثر ذلك فصار أمره إلى ما صار إليه من التبريز في التحقيق وبلوغ درجة الكمال في الصدق والتصديق. ومنهم من كنتُ أراه إذا أراد أن يلقن أحدا يأمره أن يحضُر الوظيفة مع الفقراء بالزاوية في وقتها المعلوم فإذا خُتمت الوظيفة يظهر على وجهه من أثر الحضور ما يُعلم منه أنه يستأذن في ذلك الحضرة الشريفة. ثم بعد الفراغ من القراءة والدعاء يتوسم وجوهَ الحاضرين كالمستمد من بركاتهم ويقول لهم: هذا فلان قد أراد الدخول في عهد الشيخ رضي الله عنه ثم يلقنه ويجتهد هو والحاضرون في الدعاء له. وإنما أطلت النّفَس في هذا الأدب تنبيها ونصيحة للإخوان وإرشادا إلى العمل على هذا الأدب والقيام به بقدر الإمكان. فربما يرى بعض المتصدّين للتلقين إذا كان غِرّاً بمدارك الأمور ما في كتاب جواهر المعاني وغيره من أن هذا الورد الشريف يلقن لكل من طلبه من المسلمين على أي حالة كان كبيرا أو صغيرا ذكرا أو أنثى طائعا أو عاصيا فيظهر له أن المراد بهذا الكلام الأمرُ بالمسارعة إلى التلقين من غير تثبت ولا تأنّ ولا قيام بآداب المقام. وليس الأمر كذلك بل لا بدّ من التثبت والتأنّي. فلا يلقن الطالب لذلك إلاّ بعد عرضه الشروط المشروطة في ذلك عليه وإيناسه منه قبولها القبول التام. كيف وهو يرى بإزاء هذا الكلام من جواهر المعاني قول سيدنا رضي الله عنه: ومن أخذ هذا الورد وتركه تركا كليا أو متهاونا به حلّت به العقوبة ويأتيه الهلاك في الدنيا والآخرة، إلى آخر كلامه المؤكد بالوصية التي هي من لفظ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. فالعمل على هذا الأدب من آكد الأمور في هذه الطريقة وأهمها لِما يفضي إليه، ترى العمل عليه من السبب في العقوبة والهلاك والعياذ بالله. والله تعالى يلهمنا الرشد والصواب ويختار لنا من الحركات والسكنات في جميع التقلبات ما تحمد به العاقبة في الحياة وعند المئاب إنه الكريم الجواد الفتاح الوهاب.ومن آداب الصحبة والأخوة عند إرادة الدخول فيها أيضا، أن يسأل كل منهما صاحبه عن اسمه واسم أبيه وعن منزله كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم، رأى ابن عمر رضي الله عنهما يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال: يا رسول الله إني أحببت رجلا في الله تعالى فأنا أطلبه ولا أراه فقال له صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله إذا أحببت أحدا في الله فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله، فإن كان مريضا عدْته، وإن كان مشغولا أعنته. انتهى. وقد رأيت بعض الأصحاب يعمل على هذا الأدب حتى ربما قيّد أسماءهم إن لم يكونوا من أهل البلد الذي هو فيه. ولا شك أن ذلك من الاعتناء بحقوق الأخوّة في الله تعالى. وقد علم ما في ذلك من الخير والله الموفق. ومن آداب الأخوة التودد والتآلف بكل ما يقدر عليه ويستطاع فعله مع الأخ من الإخوان التي تستجلب بها مودته وتصفو بها أخوّته، وهذا الأدب هو الأصل الجامع لسائر

الآداب كلها وإليه مرجع الأخلاق الحسنة بأسرها، ولهذا كان رأس العقل، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى، التودد إلى الناس. ويكون التودد بأمور هي معظم آداب الأخوة في الله تعالى منها أن يحفظ الأخ قلبه بقدر استطاعته من أن يضمر فيه سوءا لأخيه إذا رأى منه ما يكره. وحفظ القلب من ذلك يكون بتنبيهه إياه على ما كرهه منه لكن بلطافة وحسن سياسة بحيث يفارق ما يكرهه منه وهو لا يشعر أنه مقصود من أخيه بذلك التنبيه. وهذا أولى متى أمكن لجريه على سنن الأخلاق المحمدية ولبعده عن مضانِّ الضغينة وغيرها مما يؤدي إلى فساد الطوية. فإن لم يكن هذا وأدّى الحال إلى التنبيه بالكلام فليكن في الخلا لا في الملا وبتقديم تمهيد يأنس به المنصوح بحيث في نفسه ذمّ ما أراد أن يأمره الناصح بالتخلية عنه قبل أن يأمره بذلك وبإخلاص القصد في ذلك ِلله تعالى والعزم على ألاّ يذكر ذلك لأحد كائنا من كان.ومن آداب المنصوح هنا أن يروض نفسه لتلقي نصيحة أخيه بالقبول ويعلم أنه إنما فعل معه ذلك لكمال مودته وصفاء إيخائه فيثني عليه ويجازيه بدعاء الخير على ما أسداه إليه. وقد روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: رحم الله امرئً أهدى إليّ عيوبي. ومعلوم أن الصادق يحب من يصْدُقه والكاذب بخلافه، فلا يحب الناصحَ كما قال تعالى:(و لكن لا تحبون الناصحين). وليحذر المنصوح من ثورة النفس عند سماعه النصيحة فيحتقر الناصح ويقول له: مثلك ينصحني؟ أو ما في معنى ذلك فإن ذلك من الجفاء ومن أعظم أسباب الانتكاس والسقوط من عين الله والعياذ بالله تعالى. قال الشيخ محي الدين: ومن قال لناصحه على سبيل شفوف نفسه عليه: مثلك ينصحني أو لمثلي يقال هذا فاعلم أنه سقط من عين الله تعالى، وقد حجبه الله عز و جل عن عبوديته وعن الإيمان، فإن الله تعالى يقول:(وذكّرْ فإنّ الذّكرى تنفع المومنين).وبالجملة، فالذي عليه المدار في هذا الأدب، هو حفظ القلب من إضمار السوء للأخ. فإن أمكن تنبيهه على الكيفية السابقة أو التسبب في إزالة الوصف المكروه بشيء فذلك وإن لم يكن ذلك, فليجتهد في الدعاء بظهر الغيب من غير تقصير. وهذا أدنى الدرجات فيما يطلب من حقوق الأخوة في هذا الباب. وليجاهد نفسه بعد هذا في التخلي عن إضمار السوء لأخيه ما أمكنه وذلك لأنهم نصوا على أنّ أحد الأخوين إذا أضمر لأخيه سوءا و أحرى إذا أضمر كل منهما للآخر ذلك والعياذ بالله تعالى فقد ارتفعت بينهما الأخوة من أصلها، إذ الأخوة مواجهة كما أفاده من طريق الإشارة قوله تعالى:(ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين). ومتى وقع إضمار السوء من أحدهما أو منهما ارتفعت المواجهة وحصلت المدابرة وبالمدابرة يرتفع وصف الأخوة من بينهما والعياذ بالله تعالى. ولهذا أمر سيدنا رضي الله عنه في وصيته الشهيرة لفقراء فاس أن تصحب المناصحة بالرفق واللين من غير ضغينة ولا حقد. قال في الجيش الكفيل على قول سيدنا رضي الله عنه: في هذه الوصية من غير ضغينة ولا حقد هو تأكيد الأمر بالرفق والملاطفة إذ عنهما ينشأ الحب. وعن العنف البغضة والحقد،.قال: ويحتمل أن يريد بذلك ألاّ تكون السياسة مصحوبة بضغينة وحقد من الناصح، لأن المومن ليس بحَقود كما في الحديث. ومعنى الحقد كما في الأحياء أن يلزم قلبه استشغاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى فيشد الحسد والشماتة والهجر والاستصغار والوقوع في ما لا يحل من الكلام ومنع الحق وغير ذلك. وكل ذلك حرام وأقلّ درجاته أن يحترز من هذا كله. ولكن يستشغله بالباطن، ولا ينتهي باطنه عن بعضه حتى يمنع من البشاشة ل، والرفق والعناية به والقيام بحاجته ومجالسته والمعاونة على المنفعة له ويترك الدعاء له والثناء عليه. وهذا كله ينقص من درجات الدين وإن كان لا يعرض للعقاب، انتهى من الجيش. واختلف إذا ظهر من أحد من المتؤاخين ما يوجب المقاطعة هل يهجر أم لا؟ وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول: إذا انقلب الأخ عما كان عليه أبْغَضْتُهُ من حيث أحببته وذهب غيره إلى أنّ الأخ لا يُبغض بعد الصحبة ولكن يبغض فعله كما قال تعالى:(فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون)، ولم يقل جلّ وعلا إني بريء منكم. وكان زين العابدين رضي الله

عنه يقول: لا تبغض ذات أخيك وابغض فعله، فإن تاب منه فهو أخوك. وذكر أن شابا كان يلازم مجلس أبي الدرداء رضي الله عنه وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلي الشاب بكثير من الكبائر وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه فقيل له: لو أبعدته و هجرته فقال: سبحان الله لا يُترَك الصاحب لشيء كان منه.والذي عليه المحققون ويمكن أن يكون كالجمع بين القولين السابقين التفصيل فيما يظهر من موجب البغض، فإن كان الموجب فسادَ عقيدةٍ وسوءَ ظنٍ وفَسخَ عهد عمداً بانغلاقٍ عن الحالة الأولى جهارا بإبداء العداوة والتجاهر بالمخالفة والعياذ بالله فإن صاحب هذا الحال يجب هجره وإبعاده موافقة للحق فيه لا احتقارا له. وعليه يحمل قول أبي الدرداء رضي الله عنه: أبغضته من حيث أحببته. فلا خير في موالاته إلاّ إذا تاب و رجع نادما مستغفرا مستقيلا معترفا منكسرا. وإن كان الموجب ارتكاب ذنب لا يرضاه ربه والتبس بشيء مما يشينه عند الناس ملابسته وقربه، أو عَثرة حدثت أو هفوة وقعت وكان بحيث تُرجَى توبته و تتوقع فيئته فهذا لا ينبغي أن يعامَل بالبغض لذاته و لكن يُبغَض فعلُه، وما تلبَّس به من عوارض هفواته ويُلحَظ مع ذلك بعين الوداد ويُنتظَر له الفرج والعوْد إلى مواطن الصلح من موطن الجفاء والبعاد وهذا هو الذي يجب على أخيه أن يعامله بجميع ما تقدم ذكره وأن يتحقّظ غاية التحفظ من أن يتغير عليه باطنه وسره وأحرى ألاّ يشتمه مشافهة أو يعيّره بفعله مواجهة. وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن شتما الرجل الذي أتى بفاحشة: مَهْ لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم. وقال إبراهيم النخعي: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب لذنبه، فإنه يرتكبه اليوم و يتركه غدا وخصوصا إذا كان هذا الأخ الذي صدرت منه هذه العثرة أو دهمته هذه الفترة ممن تقدم له ممارسة بالطريق وأشرف على مدارج الأذواق والتحقيق فإنه تجب معاملته بالإغضاء ومزيد البرور والإرضاء. وفي الخبر: اتّقوا زلّة العالم ولا تقطعوه ولتنظروا فَيْئته. ومن الأدب هنا أن يكثر الأخ من الاستغفار ِلأخيه المبتلى بما ذكر بظهر الغيب وأن يهتمّ له غاية الاهتمام ويتوجه إلى الله تعالى بقدر الإمكان في كشف ما نزل به وألاّ يقصّر في نصحه لكن على الحد الذي تقدم وجهه. ومما ذكروه من الحكايات في هذا الأدب أن أخوين ابتُلِيَ أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال: إني ابتليت بهوى، فإن شئت ألاّ تقعد على أخوّتي ومحبتي للّه تعالى فافعل، فقال له أخوه: ما كنت أحُلّ عقد إخائك لأجل خطيئت، وعقد بينه وبين الله تعالى عقدا ألاّ يأكل ولا يشرب حتى يعافَى أخوه من هواه، فطوى أربعين يوما كلها يسأله عن هواه فيقول: لا زال. فبعد الأربعين أخبره أن الهوى قد زال فحمد الله تعالى وأكل و شرب انتهى.وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه آخى رجلا في الله تعالى فخرج ذلك الرجل إلى الشام فسأل عنه سيدنا عمر رضي الله عنه بعضَ من قدِم من الشام فقال: ما فعل أخي؟ فقال: ذلك أخو الشيطان، قال: مَهْ؟ قال: إنه قارفَ الكبائر حتى وقع في الخمر، فقال رضي الله عنه لذلك الرجل: إذا أردت الخروج يعني إلى الشام فأذِنّي، فكتب إليه سيدنا عمر رضي الله عنه:(حم تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم غافِرِ الذنب وقابِل التّوْبِ شديد العقابِ ذي الطّوْل) ثم عاتبه تحت ذلك وعزله؛ فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله ونصح عمر. فتاب ورجع.ومن الأدب في هذا الباب أيضا إذا وقع ونزل وحصلت فُرقة ومباينة ألاّ يذكره إلاّ بخير ولِما رويَ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه كانت له زوجة لا ترضيه أخلاقها فكان إذا استخبر عن حالها يقول: لا ينبغي للرجل أن يقول في أهله إلاّ خيرا ثم فارقها وطلقها فاستُخبر عن حالها فقال: امرأة بعُدت مني وليست مني بشيء كيف أذكرها؟.قال السهروردي رحمه الله تعالى بعد حكايته لهذا: وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى الذي أظهر الجميل وستر القبيح ومنها أي الأمور التي ينشأ عنها التودد والتآلف كما أسلفناه، معظم الآداب الموافقة وتركُ المخالفة مع الإخوان والأصحاب ويكون ذلك بترك المِراء والجدال. ولا يُنتزَع المراء إلاّ من نفوس زاكية قد انتُزع منها الغل وغيره من الأخلاق الرّديّة، واتصفت بالأخلاق الحسنة المرضية، إذ وجود الغلّ في النفوس كما قيل،مِراء وإذا انتُزع المراء من الباطن ذهب من

الظاهر وأكثر ما ينشأ عنه الغل في الباطن المزاحمة على الحظوظ العاجلة بكثرة المناصرة فيها والمنافسة خصوصا ممن كان بينهما مشاكلة ومماثلة ومجانسة. ومن استقصى في تذويب حظوظ النفس بنيران الذكر على سبيل التزكية بالسلوك على أيدي الكمّل من أهل التربية تنحّى الغلّ من باطنه، بحيث لا تبقى فيه بقية، وتصير نفسه أخروية بعد أن كانت دنيوية، فلا ينافس بعد ذلك في شيء من الحظوظ العاجلة من جاه أو مال، لكمال تعلق قلبه بحضرة مولاه ذي الجلال، كيف يبقى كما قيل الغل فيالقلوب ايتلتقت بالله، واتفقت على محبته، واجتمعت على مودته، وأنِست بذكره واستغرقت في شكره، فإن تلك قلوب تصَفّت من هواجس النفوس وظلمات الطبائع، بل كحلت بنور التوفيق من فضل الملك الصانع.ولا محالة أن هذه القلوب هي قلوب أهل الله المجتمعين على الكلمة الواحدة مع التعلق بشروط الطريق والإكباب على طلب الحق، بكمال الصدق والتصديق. قال أئمة الطريق رضي الله عنهم: والناس في هذا رجلان رجل طالبٌ ما عند الله، ويدعو إلى ما عند الله نفسَه وغيَره فما للمحو مع هذا منافسة ولا مراء ولا غل، لأنه معه في طريقة واحدة ووجهة واحدة. فهذا أخوه ومعينه، والمومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ورجل مفتتن والعياذ بالله تعالى بشيء من محبة الجاه و المال والرياسة، ونظِر الخلق فما للمحق مـــــع هذا أيضا منافسة لأنه زهد فيما رغب فيه. فهو في واد وذلك في واد. ومن الأدب أن يُنظَر إلى مثل هذا نظرشفقة ورحمة، فلا ينطوي له على غل ولا يشتغل معه بمراء ولا مجادلة لعلمه بظهور نفسه الأمّارة في ذلك بما تقتضيه المجانسة الظاهرة والمشاكلة. وترك المراء خير كله على كل حال. وفي الحديث: من ترك المراء وهو مبطل بنيَ له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو مُحقّ بنيَ له بيت في وسطها، ومن حسُن خُلُقه بنيَ له بيت في أعلاها. وهذا الأدب داخل في عموم الأمر من الشيخ رضي الله عنه، بالتجنب لكل ما يوجب ضغينة في قلوب الإخوان، فليحافظ عليه بقدر الإمكان والله المستعان.ومن الأمور التي يكون بها التودد والتآلف أيضا، إيثار الأخ أخاه في أمر دنياه قيل: وكذا فيما يتعلق بأمر أخراه. و الأمر الذي استند إليه أهل الطريق في هذا الباب قول الله عز وجل في حق الأنصار رضي الله عنهم:(ويوثِرون على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصة). وقد سئِل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة فقال: الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله تعالى:(والّذين تبوّئوا الدّارَ والايمانَ من قبلهم إلى قوله تعالى: ويوثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة . قال ابن عطاء: ويوثرون على أنفسهم جودا و كرما، وإن كان بهم خصاصة، جوع وفقر. وأما الإيثار في أمر الدنيا فقد وردت في الترغيب فيه أخبار كثيرة ويكفي ما روي من ذلك في سبب نزول هذه الآية الكريمة: ويوثرون على أنفسهم الآية. فعن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأنصار وقد حضرت غنيمة: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم يقسَم لكم من الغنيمة، فقالت الأنصار رضي الله عنهم: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت الآية.وعن أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك حديث الرجل الذي استطعَمَ النبي صلى الله عليه وسلم، فبعثَ لِأزواجه فلم يلق عندهن شيء، فقال عليه الصلاة والسلام: من يضيّف هذا هذه الليلة؟ فقام رجل من الأنصار وذهب به إلى أهله وقال لزوجته: هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرميه، ولا تدّخري عنه شيئا، فقالت: ما عندنا إلاّ قوت الصّبْية، فأمرها أن تعلّلهم حتى يناموا، فقدّمت طعامهم للضيف ثم قامت إلى السراج كأنها تريد إصلاحها فأطفأته، فجعل الضيف يأكل وهي و زوجها يمضغان ألسنتهما والضيف يظن أنهما يأكلان، فأكل حتى شبع وباتا طاوييْن، فلما أصبحوا غدوْا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظر إليهما ابتسم وقال: لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة، و نزلت الآية. وعن أنس رضي الله عنه في ذلك أيضا أنه أُهْدِيَ إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم رأس غنم مشوي وكان مجهودا فوجَّه به إلى جار له فتداوله سبعة أنفس، ثم عاد

إلى الأول. فنزلت الآية إلى غير ذلك مما روي من الأحاديث في هذا الباب. وأما ما اتفق لكمل الأولياء من هذا المعنى شيء كثير وأعجب ما رأيناه في ذلك ما ذكروه عن النووي مع جماعة من المشايخ منهم الجنيد لمّا سعي بهم فتستّر الجنيد بالفقه وقبض على الباقين وأمر بضرب أعناقهم فتقدّم النووي فقيل له: إلى ماذا تبادر؟ فقال: أؤثر أصحابي بفضل حياة ساعة. انتهى.وأما الإيثار بأمور الآخرة فمن ذلك ما ذكر عن بعضهم أنه لقيَ أخا له فلم يُظهر البشرَ الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال: يا أخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة، تسعون ِلأكثرهما بشرا، وعشرة ِلأقلِهما بِشرا، فأردت أن تكون أكثر مني بشرا ليكون لك الأكثر. وانظر ما ذكروه من أنّ المريد لا ينبغي له أن يوثر بفضْلة الشيخ ونحوها مما يخصه به، كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه: ومتى أعطاكم مأكولا أو غيره فلا توثروا به الغير، ولا تشاركوا قريبا ولا بعيدا فيه، فقد يكون جُمِع لكم فيه سرا، فيفوت من المدد بحسب الشِّركة فيه انتهى. هل هو مستثنى مما تقدم أو لا؟ والظاهر والله تعالى أعلم أن المريدين المتؤاخين في الله تعالى الصادقين في طريق الإرادة موكّلون في ذلك إلى ما تنتج لهم أحوال محبتهم وصدقهم، فلا يعترض على من امتنع منهم من الإيثار كما لا يعترض على من جنح إليه، إذ كل منهما على صواب بحكم ما أنتج له حكم حال صدقه ومحبته فافهم والله تعالى أعلم.

ومن ذلك أيضا، وهو من آكادها مواساة الأخ أخاه من ماله وكذا من جاهه بالمقدور ومواصلته بطريق المجاملة والمكارمة في الورود والصدور والأدب في هذا الخلُق أن يكون على أحسن وجوه الكمال حتى لا يحصل به شيء مما يتأذى به المواسي كالمنّ وما في معناه مما جبلت عليه أنفس اللئام من الناس. ومما هو في معنى المنّ، جعْلها في مقابلة غرض من الأغراض أو عوض من الأعواض، ولو الجزاء والشكر عليها من المواسي والثناء من غيره لأن الحامل على الإيثار والمواساة طهارة النفس وشرف غريزتها. وهذا الوصف في النفس لا يتكامل إلاّ في طريق أهل الله تعالى وهو المعبّر عنه بالسخاء وفي مقابلته الشّحّ كما أن الجود في مقابلة البخل. والفرق أن الجود والبخل يتطرّق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف السخاء والشح إذا كانا من غرائز النفس البشرية فكل سخي جواد و لا عكس، والجود يتطرق إليه الرياء لِما فيه من التطلع إلى العوض بمقابلة مّا ولو بالثناء والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفوس الزكية والهمم المرتفعة عن الأعواض كيفما كانت. فكل من كانت غريزته أسخَى تكون مرتبته في الصفاء أعلى. قال تبارك وتعالى:(ومَن يوقَ شُحّ نفسِه فأولئك همُ المفلحون). فحكم سبحانه في هذه الآية بالفلاح للسخيّ والفلاح أجمعُ إسم لسعادة الدارين. وهذا الأدب والذي قبله مصرح به في الرسالة الأولى وفي السادسة أيضا من رسائل الشيخ رضي الله عنه. فراجع ذلك في جواهر المعاني، وعلى ذلك فيجب التنبيه له والعمل به بقدر الاستطاعة والله المستعان.ومنها أيضا أن من الأخلاق المنتجة للتودد والتآلف مداراة الإخوان واحتمال الأذى منهم. وقد بلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ كان لا يذمّ طعاما ولا ينهر خادما. وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال أفّ قطّ. الحديث. وقد قالوا: لا شيء يُستدَلّ به على قوة عقل المرء و وفور علمه وحِلمه كحسن المداراة. وقالوا: لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر. ولهذا قيل باحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وبيان ذلك أن النفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزّها الغيظُ والغضبُ. وبالمداراة والاحتمال قطعُ حميّتها وردّ طيشها وكظم غيظها. ويكفي في الحثّ على هذا الأدب والترغيب فيه قول الله عزّ وجلّ:(سارِعوا إلى مغفرة من ربّكم...). الآية. وفي الحديث: من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفّذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أيّ الحور شاء. وتشتبه المداراة بالمراهنة والفرق بينهما أن المداراة ما أردتَ به صلاح أخيك فداريته رجاء إصلاحه واحتملت منه ما تكرهه. والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى كطلب حظ

وإقامة جاه. فالأولى من أخلاق الأخيار والثانية من سمات الأشرار. وقيل في الفرق بين حقيقتهما أن المداراة بذْل شيء من الدنيا لإصلاح الدين والمداهنة بذْل الدين لإصلاح الدنيا وهذا الأدب أيضا قد أكّد عليه الشيخ رضي الله عنه في رسائله فهو داخل في عموم الأمر بتجنب كل ما يوجب ضغينة في قلوب الإخوان والأمر بالإكثار من العفو عن الزلل وغير ذلك مما يطول تتبّعه وجلبه. فليجتهد المريد في العمل عليه وليجاهد نفسه ما استطاع بترك ما يبعد عنه وارتكاب ما يوصل إليه والله وليّ التوفيق.ومنها، أي من الأخلاق التي تنتج التودد والتآلف ألاّ يحوّج الأخ أخاه إلى المداراة ولا يلجئه إلى الاعتذار ولا يكلفه ما يشق عليه لقول مولانا علي كرّم الله وجهه: شرّ الأصدقاء مَن أحوجك إلى المداراة وألجأك إلى الاعتذار وتكلفتَ له انتهى. والجمع بين هذا الخُلُق والذي قبله من أكمل أوصاف أهل الطريق وذلك بأن يعامل أخاه بحسن المداراة ولا يحوّجه هو إلى أن يعامله بمثل ذلك وهذا من أعظم أخلاق الفتوة لأن فيه بذْل الإنصاف وترْك المطالبة بالإنصاف منه وهو من أعظم أخلاقهم وأكمل آدابهم. قال الشيخ أبو عثمان الجبري رضي الله عنه: حق الصحبة أن توسّع على أخيك بمالِك ولا تطمع أنت في ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الإنصاف وتكون تبَعا له ولا تطمع أن يكون تبَعا لك وتستكثر ما يصل إليك منه وتستقلّ ما يصل إليه منك انتهى.وبالجملة فالمعاملة على الأعواض ليست من أخلاق الأخيار وإنما هي من أخلاق الفجّار ولا يخفى دخول هذا الأدب فيما تقدم عن الشيخ رضي الله عنه وفي غيره مما اشتملت عليه رسائله ووصاياه. فليحكم بقدر الاستطاعة وليعمل عليه والله وليّ التوفيق. ومن الأخلاق المنتجة للتودد والتآلف أيضا ترك تكلف الأخ لأخيه في جميع معاملته معه وذلك لأن التكلف تصنّع من أجل الناس. وما كان كذلك لا يلبث أن يضمحلّ وينقلب على الضد أمرُه ويقال: التكلف تخلف وتأخّر عن شأو الصديقين، وذلك لأنه مُآينٌ لأحوال أهل الصدق، مع ما في بعضه من منازعة الأقدار وعدم الرضى بقسمة الجبار. والتكلف يكون بالملبوس، كأنْ يلبس من أجل الناس من غير نية صالحة في ذلك وبالكلام وذلك بأن يخرج في الملاطفة إلى حدّ التملق. وقد يتملق الإنسان إلى حدّ يُخرجه إلى حد النفاق والعياذ بالله تعالى. وفي الحديث: الحياء و... شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق. قال العلماء والمراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق لهم وثناء عليهم وزيادة التفصح وذلك ليس من شأن أهل الصدق. ويكون التكلف أيضا بالطعام الذي يقدم للضيف ونحوه والفتوة ترك التكلف وإحضار ما حضر وبذلك يستوي مُقام الضيف وذهابه. وبالتكلف توثر مفارقته. وفي الحديث: من مكارم الأخلاق التزاور في الله وحق على المزور أن يقرّب إلى أخيه ما تيسّر عنده وإن لم يجد إلاّ جرعة ماء. و ان احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر له لم يزل في مقت الله يومه وليلته" انتهى.ويحكى أنه لما ورد أبو حفص النيسابوري العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة فأنكر ذلك أبو حفص وقال: صُيِّرَ أصحابنا مثل المخانيث يقدّم لهم الألوان انتهى. قال أبو حفص: ما قاله لكراهية التكلف الذي هو ليس من شأن الإخوان الصادقين مع إخوانهم وإنما هو من شأن المترفهين وإلاّ فمَن قدّم لإخوانه الألوان بنية صالحة لا يكون مذموما بل ذلك معدود عندهم مما يستجلب به رِضى الله تعالى كما حكيَ عن بعض رجال الطبقات الشعرانية أنه كان يبالغ في إكرام الفقراء حتى أنه كان يصنع شبابيك من الحلواء ويقدمها لهم ليكسّروها ويأكلوها. و على هذا يجري قول بعضهم: إذا قُصِدْتَ بالزيارة فقدّمْ ما حضر وإذا استزدت فلا تُبقي ولا تذر انتهى. وكذلك اللباس المنتخب إذا كان لقصد صحيح ونية صالحة كالتجمل للوفود والأعياد والجمعات ونحو ذلك مما هو سنّة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون من تكلّف اللباس المذموم وكذا ما يستعمله الصادقون من الفقراء في مدح أساتيذهم من القصائد الشعرية ونحوها مما يحمل عليه صدق المحبة وصفاء المودة لا يعدّ من تكلف الكلام المذموم. وبالجملة فالمدار على النية مما عمله الإنسان بنية صالحة قاصدا به ما عند الله لا يعدّ تكلفا وما عمله بنية فاسدة متّبعا فيه أغراضه وهواه عُدّ تكلفا وصار وَبالُه عليه والعياذ بالله. وقد

ورد في الخبر: من تطيّب لِله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر ومن تطيّب لغير الله، جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة انتهى.وانظر عوارف المعارف للسهروردي رحمه الله تعالى والعهود الكبرى والطبقات للشعراني رضي الله عنه. وهذا الأدب أشار إليه سيدنا الشيخ رضي الله عنه بقوله في بعض رسائله ما نصه: استدراك ما ذكرناه من مراعاة حقوق الإخوان. فليكن ذلك في غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بما تيسر وأمكن. ثم قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه: إلاّ أنْ يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة وفساد القلب فليسرع لإصلاح قلبه فإن ذلك يوجب الرضى من الله تعالى انتهى. فأفاد كلامه رضي الله عنه أنه لا بأس بإتيان الأخ ما فيه كلفة في بعض الأحيان إذا كان في ذلك تطييب لخاطر أخيه بحسب ما يعرض في ذلك الوقت وأنّ ذلك لا يعدّ من التكلف المذموم عند أهل الطريق بل هو من الأمور التي يستجلب بها رضى الله تعالى لأنه من جملة المدارات المحمودة التي هي بذل شيء من الدنيا لإصلاح الدين. فافهم والله تعالى أعلم. والأخلاق التي يدوم بها التودد والتآلف أيضا محافظة الأخ على مساعدة أخيه وترك مخالفته في كل شيء دق أو جلّ إلاّ فيما يخالف الشريعة المطهرة. وقد قيل أن من ءادابهم في هذا الباب، ألاّ يقول الأخ لأخيه عند الدعوة إلى أين أو لم أو بأيّ سبب؟ قال بعضهم: إذا قلت لصاحبك قمْ فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه بعدها وقال آخر: من قال لأخيه: أعطني من مالك، فقال: كم تريد؟ فما قام بحق.

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النّائبات على ما قال برهانا

ومن تلك الأخلاق أيضا، محافظة الأخ على سترة عورة أخيه بما أمكن. ويروى أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام قال لِأصحابه: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه عورته؟ قالوا: نستره ونغطّيه، فقال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟ قال أحدكم يسمع في أخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيّعها بأعظم منها. ومن الأخلاق التي تدوم بها التودد والتآلف أيضا تقديم من يعرف الإخوان فضله من إخوانهم والتوسعة له في المجلس وإيثاره بالموضع ومستندهم في هذا ما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفّة ضيّقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام صلى الله عليه وسلم مَن لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم. فاشتدّ ذلك عليهم فنزلت الآية:(إذا قيل لكم تفسّحوا...) الآية. ومعلوم قيام الصدّيق الأكبر رضي الله عنه لمولانا علي كرم الله وجهه وإيثاره بالمجلس بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم: إنما يعرف الفضل لِأهل الفضل ذووه. وحكيَ أن بعض من لقيَ الجنيد رضي الله عنه ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائرا فتماشيا فقال له أبو عبد الله: تقدّمْ فقال: بأيّ عذر فقال له: لِأنك لقيتَ الجنيد وما لقيته.

تـنـبـيـــــه: قد ثبت عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه أنه أمر ألاّ يقصد أحد من الأصحاب بجلوسه في نحو الوظيفة أعلى المجلس ولا أدناه بل يجلس حيث، أي حيث انتهى إليه المجلس كما هي السنة في ذلك. وقد دخل على بعض الفقراء اشتباه في الأمر من أجل أخذهِم به من غير تثبّت في مراد الشيخ رضي الله عنه بهذا الكلام فرأوا أن عدم التفسّح في المجلس مأمور به فأدّاهم ذلك إلى الإخلال بهذا الخُلُق والإعراض عن العمل به بالمرة، فصاروا لا يوسّعون لذي السّنّ والفضل منهم في مجالسهم ولا يوثرونهم بصدر المجلس إكراما لهم لسنهم وسبقيتهم في الفضل، معتقدين أن فعلهم ذلك، هو الذي أمر به الشيخ رضي الله عنه، ولم يتأمّلوا كلامه رضي الله عنه حتى يعرفوا أنه إنما نهى عن القصد إلى الجلوس فوق أو تحت أو أعلى المجلس الذي هو صدره و لا أدونه الذي هو مؤخره، وذلك لأن في القصد إلى الجلوس في أحد المحلّين اتّباع هوى النفس. أمّا في القصد إلى الأعلى، فظاهر فيه حبّ العلوّ، وأمّا في القصد إلى الأدون، فلأنّ فيه دسيسة من دسائس النفس حيث إلى ما صوّرته صورة التواضع وهي تريد أن تفوق غيرها بذلك ويشار إليها به وهو على هذه الحال عين حب العلو أيضا فهو كالذي قبله. فأمر الشيخ رضي الله عنه بمخالفتها

ومجاهدتها في ذلك بنهيه رضي الله عنه عن القصد لأحد الأمري، تنفيرا عن الوقوع في مكائد النفس الجلية منها والخفية. ولا محالة أن هذا هو الشأن في مثل هذا المقام عند جميع أهل التربية. ويؤيد هذا الذي ذكرناه أن الشيخ رضي الله عنه تلا بعد ذكره قوله تعالى:(تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يريدون علوّاً في الارض ولا فسَادا) الآية. قيل له: أهذا علوّ؟ قال: نعم وإرادة العلوّ في القصدين معاً ظاهرة، وإذا علم مراد الشيخ رضي الله عنه، فيما أمر به، علم أنه لم ينْه عن التفسح في المجلس ونحوه مما اقتضته السّنّة من الإيثار لأهل الفضل واستعمال الأدب معهم، الذي هو من أخلاق الأبرار، وسيما الأخيار فليُنتبَه لهذا بقدر الإمكان ولينبه عليه من أغفله من الإخوان والله المستعان وعليه التكلان. هذا ولا يخفى على الناظر الأريب بعد ما قدمناه، دخول هذه الآداب وغيرها فيما اشتمل عليه كلام الشيخ رضي الله عنه في رسائله ووصاياه، واندراجها فيما أشارت إليه سيرته السّنّيّة من فضائله ومزاياه، وإنما أوْمأنا بطرف خفيّ إلى فتح هذا الباب، تنبيها لما عسى أن يُظَنّ، أن طريق سيدنا رضي الله عنه خالية عن مثل هذه الآداب و تعريفا له بأنها اشتملت من أصول علوم الطريق وفروعها، على ما هو لب الألباب والله تعالى أعلم.

تكميل ما تقدم أن اختيار الصحبة والأخوة عمل، وأن كل عمل يحتاج إلى حسن الابتداء، وهو النية على الوجه الذي تقدم بيانه وقد قالوا: إن العمل كما يحتاج إلى حسن الابتداء، كذلك يحتاج إلى حسن الاختتام. فحصول النتيجة في الصحبة والأخوة مشروط بحسن الاختتام. وقد قال صلى الله عليه وسلم في خبر السبعة الذين يظلّهم الله بظله، على ما في بعض الروايات: ورجلان تحابّا في الله فعاشا على ذلك وماتا عليه. قال في عوارف المعارف: فيه إشارة إلى أنّ الأخوّة والصحبة، من شروطها حسن الخاتمة، حتى يُكتَبَ لها ثواب المؤاخاة. قال: ومتى فسدت المؤاخاة بتضييع الحقوق فيها يعني في ءآخر الأمر فسد العمل من الأول، ومن هنا كان الشيطان لعنه الله أشدّ حرصا على إفساد ما بين المتؤاخين في الله تعالى؛ وقد قالوا: ما حسد الشيطان متعاونيْن على بِرّ، حسدَه على متؤاخين في الله متحابّين فيه، فإنه يجهد نفسه ويحثّ قبيله على إفساد ما بينهما أي يوقع بينهما المخالفة في أمر مّا، فيستوحش بعضهما من بعض. قال إمام الطريقة الجنيد رضي الله عنه: ما تواخى إثنان في الله تعالى واستوحش أحدهما من صاحبه إلاّ لعلة في أحدهما. فالمؤاخاة في الله أصفى من الزّلال، وما كان لله، فالله مطالِب بالصفاء فيه، وكل ما صفى دام،ت والأصل في دوام صفائه عدم المخالفة.

دقيقـــــة: إنّ أقلّ ما يزيّنه الشيطان للأخ في معاملة أخيه، التساهل في القيام بحقه، اتكالا على ما بينهما من المودة، وهذا من مكره الخفي والعياذ بالله. ولذلك نبّه عليه مشايخ الطريق رضي الله عنهم. قال عبد الله بن الجلاء: لا تضيّع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة، فإن الله تعالى فرض لكل مومن حقوقا لا يضيّعها إلاّ من لم يراع حقوق الله تعالى. انتهى تذييل في الحديث، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حُسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابّين في الله عز وجل، فإذا أشرفوا عليهم أضاء لهم حسنهم كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سُندس خُضر، مكتوب على جباههم هؤلاء متحابون في الله؛ وعن سيدنا معاذ رضي الله عنه أنه قال لمن قال له: أنا أحبك في الله أبْشِرْ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تُنْصَبُ لطائفة، كراسيّ حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: المتحابون في الله عز وجل. وروى عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: حقت محبتي للمتحابّين فيّ والمتزاورين فيّ والمتبادلين فيّ والمتصادقين في انتهى. وفي هذا القدر مما قصدنا إيراده

في هذا المطلب كفاية، والله ولي التوفيق والهداية.انتهى كلام بغية المستفيد برمته، وهو جامع مانع. غير أنه لم يذكر فيها بالنص، وإن فهم من كلامه أن الولي لا يخدم ولا يصحب ولا يعاشر إلاّ لِله، ولذلك أردفنا كلام البغية، بما ذكروا في هذا المعنى .قلت: فاعلم أن الولي لا يعرف ولا يصحب ولا يحب ولا يخدم إلاّ لِله، ومن كان كذلك، انتفع به دنيا وأخرى ولو بعد حين، ومن لا فلا، ولو صحبه أعواما ودهورا، ولو كان قطبا، بل عطبُه أقرب إليه من شراك نعْلِه، قال في الرماح: قال شيخنا رضي الله عنه: وأما ما يقطعه، يعني المريد، عن أستاذه فأمور منها: الأغراض، سواء كانت دنيوية أو أخروية، وذلك أن الشيخ لا يصحب ولا يعرف إلاّ لِله عز وجل لا لشيء سواه، وهي يعني الصحبة في أمرين، إما أن يواليه لله تعالى بأن يقول: هذا ولي الله وإنما أواليه لله، وذك في قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله: من عادى لي وليا فقد ءآذنته بالحرب. وفي طيّه: من والى لي وليا لأجل أنه ولي اصطفيته و اتخذته وليا، وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى.

والأمر الثاني أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب، وما يفسد المرء فيها من الأوطار والإرب، فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله تعالى، وعلى ما يقربه إليه، والصحبة في هذين الأمرين لا غير. ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الرب سبحانه وتعالى يعبَد لا لغرض، بل لكونه إلها يستحق الألوهية والعبودية لذاته، لِما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية، وهذه هي العبادة العليا. وكذا الشيخ يصحَب لا لغرض، بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى، ويتعرف الآداب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى، وقال أيضا رضي الله عنه في قول بن عطاء الله: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه، إلاّ من حيث الدليل عليه، ولم يوصلهم إليهم إلاّ من أراد أن يوصله إليه".ومعنى الحكمة هو أنه إذا وّصل الله عبدا إلى ولي وأقرّ سبحانه في قلب ذلك العبد، أنّ هذا من الأولياء قطعا لا يتردد ولا يشك. ثم خدمه بالصدق والأدب، وأشرقت محبة ذلك الولي في قلبه و كانت فيه من حيث أنه من أهل حضرة الله وممن اصطفاه الله تعالى لنفسه فأحبّه لأجل هذا الغرض، لا لغرض ءآخر، فلا شك أن هذا يصل إلى الله ولو بعد حين. وأما إذا وصل الولي وأقبل على أغراضه وشهواته، ولم ينل من الولي إلاّ ما طابق أغراضه، فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى، ولا من أهل الوصول إلى الولي، غاية الولي في هذا أنه يديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق، الذي أمره الله تعالى به، ومعاشرتهم بالمعروف ويقبض عنه أسراره، فهذا لو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئا، لأن لسان حال الولي يقول ما وصلتنا لله ولا وصلتنا ِلأجلنا، وإنما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله، لا نسبة بيننا وبينك. قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز: وسمعته يعني القطب سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه يقول: إن المحب لا ينتفع بمحبة الكبير له، ولو كان الكبير نبيا، حتى يكون الصغير هو الذي يحب الكبير، فحينئذ ينتفع بمحبته، إلاّ الله تعالى فإنه تعالى إذا أحبّ عبدا نفعته محبته ولو كان العبد في غاية الإعراض؛ وقال رضي الله عنه: إن الصغير إذا أحبّ الكبير جذب ما في الكبير ولا عكس، وكانت بين يديه إجّاصة وقال: هذه إذا أمرها الله بمحبة تفاحة حامضة مثلا، وتمكنت فيها المحبة غاية، فإنها تسفّ ما فيها حتى إذا شققناها وجدنا حموضة التفاحة فيها، ولا نجد في التفاحة شيئا من طعم الإجّاصة، إلاّ الله تعالى فإنه إذا أحبّ العبد، لا يجذب شيئا من أسراره تعالى ما لم يحبه الله، و سر الفرق، هو أن الله تعالى لا يحب عبدا حتى يعرّفه به، وبالمعرفة يطّلع على أسراره فيقع له الجذب إلى الله تعالى، بخلاف محبة العبد من غير معرفة له بربه عز و جل، فإنها لا تقضي شيئا. قال: فقلت: فإنهم يقولون أن الشيخ يكون مع مريده في ذات المريد ويسكن معه فيها، فقال رضي الله عنه: ذلك صحيح وهو من المريد، لأنه إذا قويت محبته، جذب الشيخ حتى يكون على الحالة المذكورة، فتصير ذات المريد مسكنا للشيخ وكل واحد يزيّن مسكنه، يشير إلى تأثير الشيخ في المريد إذا سكنها؛ قال: وسمعته يقول، إن المريد إذا أحبّ الشيخَ المحبة الكاملة،

سكن الشيخُ معه في ذاته، ويكون بمنزلة الحبلى التي تحمل بولدها، فإن حمْلها تارة يتمّ صلاحه فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه، تارة يسقط ولا يجيى منه شيء، وتارة يحصل له رقاد ثم يفيق. والإفاقة تختلف، فقد يفيق بعد شهر وقد يفيق بعد عام وقد يفيق ِلأكثر من ذلك. فهكذا حالة المريد بشيخه؛ فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة، فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله تعالى عليه وتارة تكون محبته منقطعة بعد أن كانت صادقة وانقطاعها بسبب عَرَض مانع، نسأل الله السلامة منه. فتتبدّل نيته في الشيخ وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليها،وتارة تقف محبته في سيرتها،ثم تعود إلى سيرها ِلمدة قريبة، أو متوسطة أو طويلة، فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته. فإذا رجعت المحبة رجعت الأسرار. فليختبر المريد نفسه من أيّ قسم هو من هذه الأقسام الثلاثة،وليسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق والهداية إنه سميع قريب، قال: قلت: وهذه الأقسام موجودة في المريدين، فليحقّظ المريد على هذا الكلام فإنه نفيس في بابه والله أعلم.
قال: وسمعته رضي الله عنه يقول: لا ينتفع المريد بمحبة شيخه إذا أحبه لسره أو ولايته أو لعلمه أو لكرمه أو لنحو ذلك من العلل حتى تكون محبته متعلقة بذات الشيخ متوجهة إليها لا لعلة ولا لغرض مثل المحبة التي بين الصبيان، فإن بعضهم يحب بعضا من غير أغراض باعثة على المحبة بل بمجرد الألفة لا غير. فهذه المحبة ينبغي أن تكون بين المريد والشيخ، حتى لا تزهق محبة المريد إلى الأغراض والعلل، فإنها متى زهقت إلى ذلك دخلها الشيطان، وأكثر فيها الوسواس فربما تنقطع وربما تقف كما سبق في القسمين الأخيرين والله أعلم. قال: وسألته رضي الله عنه: لِمَ كانت المحبة للعلم والولاية والسر ونحو ذلك لا تنفع؟ فقال رضي الله عنه: لأن الأسرار والمعارف كلها من الله تعالى وكل واحد يحب الله تعالى فإلى الآن ما أحبّ شيخه وإنما تتحقق محبته للشيخ إذا أحبه بخصوص ذاته لا ِلما قام بها من الأسرار. فقلت: وكذا ذات الشيخ هي من الله تعالى فكل شيء منه فلمَ نفعت محبة البعض دون البعض؟ فقال: صدقتَ، وغرضنا لمحبة الذات الكناية عن كون المحبة خالصة لله تعالى، لأن الذات بمجردها لا يتصور منها نفع ولا غيره. فإذا توجهت المحبة نحوها كان ذلك علامة على الخلوص من الشوائب. قال: فقلت إنّ الناس لا بد لهم من أغراض وإيرادات. فمن حرث بقصد الفضل الحاصل منه فيجب الحرث للفضل لا لذاته، فقال رضي الله عنه: نعم ولكنه إذا نوى الفضل وقصده في أول الأمر ثم شغل فكره بغيره بحيث أنه لا يبقى على بال فهذا يحصل له الفضل الكبير وتجيئه الصّابَة العظيمة. وأما إنْ شغل فكره بهذا الفضل ليله ونهاره وجعل يفكر ويقدّر كيف يكون وما يفعل به إذا كان فهذا لا يحصل له فضل بل يركبه الوسواس قبل أن يحصل له الفضل. فلا زال يقول في نفسه: هل أدرك هذا الفضل؟ ولعل الآفة الفلانية تأتي عليه أو يُغِير عليه بنو فلان ونحو هذا من الوسواس بخلاف الأول فإنه مستريح الفكر في أمر الفضل وفي أمر الوسواس.
فهكذا حال من أحب الشيخ لذاته. ومن أحبه لعلة قال: وكنت أتكلم معه ذات يوم ونحن في جزاء ابن عامر بمحروسة فاس أمنها الله من كل بأس فقال لي: إنّ سيدي منصور في رأس الدرب أتحب أن نلتقي معه وتعرفه؟ فقلت: يا سيدي نعم، حبا وكرامة. وكيف لا أحب من التقي مع القطب؟ فقال لي رضي الله عنه: أمّا أنا فلو قدّرنا أنّ أباك وأمك ولدا من يماثلك في شكلك وصفتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة ما نظرت إلى واحد منهم. أنت حظي وقسمتي وهم عندي كسائر الناس. فاستيقظت من غفلتي وانتبهت من نومتي وعلمت أنّي ما جئت بشيء فإن المحبة لا تقبل الشركة والله تعالى أعلم.قال: وسمعته رضي الله عنه يقول: إن طالب السر من المريد هو ذاته الترابية ومعطي السر من الشيخ هو ذاته الترابية. فإذا كانت الذات الترابية من المريد تحت الذات الترابية من الشيخ، فمحبة مقصورة عليها أمَدّتها بأسرارها ومعارفها. وإذا كانت ذات المريد تحت أسرار ذات الشيخ وزهقت المحبة إليها وإلى معارفها منعتها الذات الترابية من مطلوبها ثم لا تقدّر لها الروح ولا غيرها على شيء. فليجهد المريد جهده في محبة ذات شيخه معرضا عن النفع مطلقا.

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، والله تعالى أعلم.قال: وسمعته رضي الله عنه يقول عن المحبة هل لها من أمارة وعلامة؟ فقال رضي الله عنه: لها أمارتان الأولى أن تكون راحة المريد في ذات شيخه فلا يتفكر إلاّ فيها ولا يجري إلاّ لها ولا يهتمّ إلاّ لها ولا يفرح إلاّ بها ولا يحزن إلاّ عليها حتى تكون حركاته وسكناته سرا وعلانية حضورا وغيبة في مصالح ذات الشيخ وما يليق بها. ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها. الأمارة الثانية الأدب والتعظيم لجانب شيخه حتى لو قدر أن شيخه هو الذي في الصومعة لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على عقله. قال: وقال رضي الله عنه: إن الناس يظنون أن الجميل للشيخ والجميل في الحقيقة للمريد على الشيخ لأنه سبق أن محبة الكبير لا تنفع ومحبة المريد هي الجاذبة. فلولا طهارة ذات المريد وصفاء عقله وقبول نفسه للخير ومحبته الجاذبة ما قدر الشيخ على شيء. ولو كانت محبة الشيخ هي النافعة لما كان كل من تتلمذ له يصل ويبلغ ما بلغت الرجال. قال وسمعته رضي الله عنه يقول: علامة كون المريد يحب الشيخ المحبة الصادقة أن تقدر زوال الأسرار والخيرات التي في ذات الشيخ حتى تكون ذات الشيخ مجردة من ذلك كله وتكون كذوات سائر العوام. فإن بقيت المحبة على حالها فهي محبة صادقة وإن تزحزحت المحبة وزالت بزوال الأسرار فهي محبة كاذبة. قال: وسمعته يقول: علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موفّقة مسدّدة في نظر المريد. فما فهم له وجها فذاك وما لم يفهم له سرا وكلّه إلى الله تعالى مع جزمه بأن الشيخ على صواب. ومتى جوّز أنّ الشيخ على صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أمّ رأسه ودخل في زمرة الكاذبين. قال: وقال رضي الله عنه: والشيخ لا يطلب من مريده خدمة ظاهرية ولا دنيا ينفقها عليه ولا شيئا من الأعمال البد نية وإنما يطلب منه هذا الحرف لا غير وهو أن يعتقد في الشيخ الكمال والتوفيق والمعرفة والبصيرة والقرب من الله عز وجل ويدوم على هذا الاعتقاد اليوم على أخيه والشهر على أخيه والسنة على أختها. فإن وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثم بكل ما يخدم الشيخ بعد ذلك. وإن لم يوجد هذا الاعتقاد أو وجد ولم يدم فإن عرض فيه الوسواس فالمريد على غير شيء. قال: وكنت ذات يوم معه بقرب باب الجديد أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى، ومعنا بعض الناس وكان يخدم الشيخ كثيرا ويستخر له في كل ما يعن ويعرض حتى أنه لا يبلغه في ذلك أحد من أصحابه رضي الله عنه فقال له الشيخ: أتحبني يا فلان لله عز و جل؟ فقال: نعم يا سيدي محبة خالصة لوجه الله تعالى الكريم لا رياء فيها ولا سمعة. فغيّرني ذلك حين سمعته فقال له الشيخ: أفرأيت إن سمعت أنّي سُلِبتُ وزالت الأسرار التي في ذاتي أتبقى على محبتك؟ قال: نعم يا سيدي، فقال الشيخ: فإن قالوا لك أنّي رجعت طرّاحا زبّالا ونحو ذلك أتبقى على محبتك؟ قال: نعم يا سيدي، قال الشيخ: فإن قالوا لك أنّي رجعت عاصيا أرتكب المخالفات ولا أبالي أتبقى على محبتك؟ قال: نعم يا سيدي. فقال: وإن مرّت عليّ وأنا على ذلك سنة ثم سنة إلى أن عدّ عشرين سنة قال: نعم ولا يدخلني شك ولا ارتياب. فقلت للرجل: ويحك إن هذا الأمر لا تطيقه فقال الشيخ له: إنّي سأختبرك. فقلت للرجل: ويحك هذا أول الخوف عليك وكيف يطيق الأعمى أن يختبره البصير؟ فاطلب من الشيخ العفو والعافية واعترف بالعجز والتقصير وأنا معك في ذلك. ثم تضرّعنا إليه جميعا في الإقالة والعف، فسبق ما سبق إلى أن اختُبر بأمر فيه صلاحُه فلم يظهر له وجهه فلم يطقه فتبدّلت نيته في الشيخ رضي الله عنه. قال: قلت: سر الله لا يطيقه إلاّ مَن كان فخّاره صحيحا بأن يكون صحيح الجزم نافذ العزم ماضيَ الاعتقاد لا يصغي لأحد من العباد قد صلى على من عدا شيخه صلاته على الجنازة انتهى. وفيما ذكرناه في هذا الباب مما يلزم الشيخ والمريد كفاية، وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

الباب السابع في مناقب الشيخ رضي الله عنه، وسيرته وأحواله وعلومه وزهده وورعه وفي ذكر اتصافه بالقطبية والختمية وذكر مقام الكتمية وما

يتصل بذلك:فأقول مستعينا بالله إنه خير معين، قال في جواهر المعاني: قد منح الله سيدنا أبا العباس التجاني رضي الله عنه من الإحسان والعرفان والرسوخ والإيقان ومتابعة السنة المحمدية والسيرة النبوية وكمال الاستقامة التي هي أصل هذا الباب وخلاصة كل كرامة ولباب، وحباه من ذلك كله حالا وعلما وعملا ما عدم فيه النظير، وضرب في الناس مثلا مما يخبرك عن جميعه ما قدمناه ويرشدك إلى تفصيله ما أسلفناه. وأكرمه سبحانه وتعالى بكرامات ذوات عدد ومدد من ذلك بأعظم مدد وأظهر عليه من آثار التصريف والكشف والتعريف ما ينبئ عن الخصوصية العظمى والمحبوبية الكبرى المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم، مخبرا عن الله عز وجل: فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها الخ... وناهيك بها مع المتابعة آية وكرامة وعناية.(أفَمَنْ كانَ على بَيِّنةٍ مِن رَبّهِ و يَتْلوهُ شاهِدٌ مِنه). ذلك هو الفوز العظيم والمدد الجسيم وما اتفق ذلك إلاّ لعبد محبوب ومرغوب فيه ومطلوب. وقد أجرى الله تعالى من الكرامات على يد سيدنا وشيخنا أبي العباس مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه ما لا يكاد يعدّ ولا يحصى كثرة ولا يحدّ. فلا تلقى أحدا من قرابته وذويه أو ممن يصاحبه ويليه إلاّ وجدته لهجا بما اتفق له من ذلك ويحدّث بما رأى لديه وشهد من العجب هنالك فصارت عندهم لكثرة ما يشاهدون منها ويرون من الأمور المنبئة عنها أمرا ضروريا وعلما يقينيا لا يستغربون صدورها ولا يستكثرون أمورها. فحدّثْ عن البحر ولا حرج وارْوِ عن المشاهدة لا ما في سِلك النقول اندرجْ. وقد شاهدنا من سيدنا ما لا يحصى ولا يستقصى من الخوارق العظام والكرامات الجسام في الغيبة والحضور وفي السفر والإقامة وفي جل الأمور وهي على أصناف مختلفة الأوصاف ما بين تصريفات من دفع خطوب ونصر مظلوم وتكثير طعام وإبراء عاهة وبين مكاشفات وإجابة دعوات وغيرها من خوارق العادات من الأمور الصادرة منه وعلى يديه. فأما ما كان من قبيل التصريفات إمّا ظاهرا بحيث يُفهَم ذلك عنه رضي الله عنه تصريحا أو إشارة أو تلويحا وإمّا محتمَلا بحيث يحتمَل لأن يكون من قبيل التصريف أو المكاشفة. فقد رأينا منه وشاهدناه وتحققنا ذلك عيانا وأبصرناه ما يعجز عنه الخط والقلم. ولا يأتي عليه حد ولا علم إذ هذا الباب لا يستوفى ءاياته ولا تلحق غاياته ولا تنحصر أنواعه وأصنافه ولا تستكمل نعوته وأوصافه ولا يحصى عدده ولا ينقطع مدده بل هو أكثر من أن يستقصى أو يُنال مرامه الأقصى يغنينا ذلك عن كل ما سمعناه وتلقيناه من أصحابنا الثقات الأعلام ووعينا ما شهدناه عيانا وتحققناه بأفكارنا علما وإيقانا. ولو تتبّعنا ما وقع منه واستقرأناه وحفظناه كله وجمعناه لملأتْ منه أسفارا و لكنّا ثنيْنا عن ذلك العنان واقتصرنا على النزر القليل اقتصارا ومن أين لنا ذلك وأنّى لنا الوصول إلى ذلك؟ انتهى.

قال في منية المريد

و كم لهذا الشيخ مـن كرامة	غدت على رفعه علامـــة
فما علي أن ذكرت منهـــا	ما ينبئ الغافل يوما عنهـا
و ما به أبهج المُريـــــد	و أردع المنكِر والمَريـــد
فلا يطيق حصرها إنســـان	يوما وعنه يعجز اللســـان
و هل يعدّد حصى البطحـــاء	و هل تكَتّ أنجم السمـــاء

قال شيخنا أبو المواهب السائحي في بغيته ما نصه: يقول: وكم لسيدنا رضي الله عنه من كرامة ظاهرة جلية حسية ومعنوية ذالة على خصه الله به من المقامات العلية والرتب السنية، وما عليّ أن ذكرت منها البعض مما ثبت لديّ وانتهى علمه إليّ ليكون تبصرة للجاهل وتذكرة للغافل وتقوية للمعتقد وقمعا للمنتقد وإلاّ فهي مما لا يمكن أن يستقصى ولا يأتي عليه العد والإحصاء إذ هي مما لا ينحصر أنواعه وأصنافه ولا تدخل تحت حيطة التعبير نعوته وأوصافه وإنما آثر الناظم رحمه الله تعالى التعرض لذكر بعض كرامات سيدنا رضي الله عنه المعنوية والحسية وإن كان الثابت عن سيدنا رضي الله عنه أنه كان يخفيها جدا ونهى عن تدوين ما حفظ مما اتفق له منها في أول أمره حسبما صرح به في

الجواهر نظرا إلى النهي عن ذلك إنما كان في ذلك الوقت منه رضي الله عنه لأنه لا زال حينئذ في قيد الحياة وشأن الكمّل أمثاله رضي الله عنهم أجمعين إخفاؤها وعدم الاغتباط بها كما هو مشهور مقرر في كتب الطريق. وأمّا بعد وفاته فلا بأس بالتعرض لذكر شيء منها بنوعيها المعنوي والحسي لأن الذي عليه الجمهور من أهل السنة رضي الله عنهم وجوب اعتقاد جواز وقوعها. وقد نصوا على أن إنكارها بدعة ومنكرها مبتدع يُخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى لمكابدته ومصادمته لنصوص الكتاب والسنة وخرقِه لإجماع الأمة. قال ابن حجر رحمه الله تعالى: الذي عليه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين خلافا للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم أن ظهور الكرامة على يد الأولياء وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده لجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائز عقلا ونقلا إذ لو لم تكن الكرامة جائزة الوقوع لم تقع. وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والسنة والآثار الخارجة عن حد الحصر والتعداد وآحادها وإن لم تتواتر فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال كيف ووقوع التواتر قرنا فقرنا وجيلا فجيلا وكتب العلماء شرقا وغربا عجما وعربا ناطقة بذلك. ولا ينكر ذلك إلاّ غبي معاند انتهى. وقول العلامة ابن حجر: وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والسنة يشير به إلى نحو ما في الكتاب الكريم من قصة أهل الكهف ولُبثهم فيه ثلاثمائةٍ سنين وازدادوا تسعا كما ذكر الله تعالى رُقودا لم تَبْتَل ثيابهم ولم تتغير أجسادهم يُقلّبهم الحق تبارك وتعالى ذات اليمين وذات الشمال إلى آخر القصة بتمامها. و إلى مثل قصة الخضر مع موسى عليهما السلام وما قص الله تعالى في ذلك. وإلى نحو ما قصّ الله تعالى في شأن مريم عليها السلام من قوله سبحانه وتعالى:(كلّما دخل عليها زكرياءُ المحرابَ وجد عندها رزقا) من الفواكه والرُّطَب في غير إبّان حسبما ذكروه في الآية الكريمة. وإلى نحو ما أمرها الله تعالى به من هَزّ الجذع في قوله:(وهُزّي إليك بجِذْع النّخلِة) الآية. قالوا: وقد كان جِذعا يابسا تتحكك به المواشي. فلما هزّته استحال غصنا يانعا وأثمرَ لحينه وإلى نحو ما قصه الله تبارك وتعالى في شأن آصِف ابن برخيا مع سليمان عليه السلام في إحضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ومن ذلك قوله تعالى:(يا أيها الذين ءآمنوا اتّقوا الله يجعل لكم فرقانا) الآية والفرقان ذكروا أنه نور يضعه الله في صدور المومنين المتقين يفرقون به بين الحق والباطل والحَسن والقبيح. ولا يزال يتزايد بتزايد التقوى حتى يبلغ الكشف والإطّلاع على أسرار الغيوب. ومن ذلك ما ذكروه في تفسير قوله تعالى:(لهمُ البشرى في الحيواة الدنيا وفي الآخرة) من أنّ البشرى هي الكرامات والفتوح التي يكرِم بها الحق عزّ وجلّ أهلَ الإخلاص والتمكين من عباده المومنين. وأما السنة فمن ذلك ما في حديث جريج وكلام الطفل ببراءته في مهده والحديث في الصحيحيْن وفيهما أيضا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة فتوسّل كل واحد منهم بأرجى ما عمله ففرّج الله عنهم. ومن ذلك حديث: كان في الأمم قبلكم محدّثون، فإن يكن في أمّتي واحد منهم فعمر الخطاب. ومن ذلك أيضا قضية سارية إذ قال له سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب بالمدينة على المنبر: يا سارية الجبل. مِن ترك الحزم ذلّ. وسمع ساريةُ ذلك وهو بنهَاونْد. ومن ذلك إخبار سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما في بطن زوجه وقوله: أراها جارية فكان الأمر كما قال. ومن ذلك استحياء الملائكة من سيدنا عثمان رضي الله عنه. وكذلك ما روي عن سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه دخل على سيدنا عثمان رضي الله عنه في اليوم الذي قتل فيه فقال له سيدنا عثمان: أترى هذه الطاقة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تراءى لي منها فقال: أحصروك يا عثمان ؟ قلت نعم بأبي أنت وأمي فقال صلى الله عليه وسلم: إن شئتَ نُصِرتَ عليهم وإن شئت أفطرت عندنا، فقلت: بل أفطر عندكم. فقتل قبل غروب الشمس من ذلك اليوم. ومن ذلك لمولانا علي رضي الله عنه في العلوم وغير ذلك وإن كان الأمر على ما وقفت عليه من أن الجمهور من أهل السنة رضي الله عنهم على وجوب اعتقاد جواز وقوع الكرامة خلافا للمعتزلة كما رأيته فيتأكد التعرض

لذكرها في نحو هذا المقام حتى لا تبقى للناظر في ذلك شبهة تخدش في وجه اعتقاده. فالتنفير عن ذكرها مطلقا قصور ممن يراه بلا شك نعم جعلها غاية الأمر بحيث لا يتوجه بالتعظيم ولاعتقاد الجميل إلاّ لمن ظهرت عليه ليس بشيء لأنه من وصفِ الجهلة الأغْمار من الناس، وذلك لأن العارف لا يطلبها أدبا مع الله تعالى. وهي عند الأكابر من نعوت النفوس إلاّ لنصرة الدين أو جلب مصلحة لا غير ولأنه يجب على العارفين سترها كما يجب على النبي إظهار المعجزة. وقد أدركها غير واحد من العارفين فلم يظهر عليه شيء منها إمّا لأن الله تعالى لم يمكّنه منها جملة واحدة مع كونه من الخواص عنده لأمر تقتضيه حكمته سبحانه ومشيئته وإمّا لتركه ذلك لله تعالى بعد أن مكّنه منه كما وقع للشيخ أبي السعود بن الشبل الملقب عند المحققين بعاقل زمانه وهو تلميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما. فإنه أعطِيَ التصريف منذ كذا وكذا سنة فتركه وقال: تركنا الحق يتصرف لنا. يريد بذلك امتثال أمر الله تعالى في قوله: (فاتّخِذْهُ وَكِيلا) فقال له قائل: ما ثمّ؟ فقال له: الصلوات الخمس وانتظار الموت مثل سعي الطير، فمٌ مشغول وقدم يسعى انتهى. والحق والصواب هو أمر بين أمرين فيعظّم من ظهرت عليه لأنها تدل على استقامته. ولا يستدل بمثل ما اتّفق للشيخ أبي السعود من التخلي عنها على نقص درجة من ظهرت عليه لأن العارفين في ذلك بحكم ما يتجلى به عليهم من حضرات العرفان. ولا تجعل غايةُ الأمر أيضا بحيث لا يُتوجه بالتعظيم لمن لم تظهر عليه فإنّ عَدَم اعتبارِها فيمن ظهرت عليه ابتداع أو يجرّ إلى الابتداع. وجعلُها غاية الأمر جهل وغرور بلا نزاع. ولمّا كانت الكرامة من حيث هي على قسمين حسية ومعنوية حسبما تقدم ذكره وكانت المعنوية أشرف وأعلى قدّمَ الناظم رحمه الله تعالى ذكر المعنوية مع التنصيص على أنها أرفع وأعلى فقال:

من ذلك اتباعه للسّنّــة وهي لدى الرجال خير مِنّة
وكان في ذلك لا يجارى ولا يضاهى لا ولا يبارى
وكان من صغره مذكورا عنه وما زال به مشهورا

الاتباع للسنة اقتفاء ِلآثارها والانقياد لأمرها. وقيل إنّ الاتباع غير الانقياد والطاعة. ووجه الفرق بينهما أن المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع. وفي الصّحاح فلان طوع يدك، أي منقاد لك والمتّبع غير مسلوب الاختيار، وعلى الأول يكون في تعبير الناظم به الإيماء إلى أن سيدنا رضي الله عنه مِن كمّل العبيد الذين يصير النّفْل في حقهم واجبا. فيكون اتباعهم واجبا عليهم في مرتبتهم الخاصة بهم. والانسان في آدائه الواجبات عبدُ اضطرار وفي آدائه النفل عبدَ اختيار. وعبادة الاضطرار أشرف لِما يتطرق في الثانية من وصمة رؤية النفس المشار إلى ذمّها في قوله تعالى:(يَمُنونَ عليْكَ أنَ أسْلَموا)الآية، فافهم والله أعلم.والسنة المراد بها هنا طريقته صلى الله عليه وسلم وهي شريعته التي دلّت عليها الدلالة الصحيحة شرعا كتابا وسنة وإجماعا وقياسا. وليس المراد بالسنة هنا ما يقابل الكتب والمراد بالرجال هنا الكمّل من أهل الله تعالى إذْ هم الرجال حقيقة عند العارفين. ومن لم يكن متّصفا بوصفهم فهو امرأة عندهم وإن كان رجلا. والمنة الموهبة من الله تعالى لعبده تفضّلا وجودا. والمراد هنا الكرامة والمجاراة والمضاهاة والمباراة متقاربة. والمراد المساواة فتنتفي المجاوزة بالأولى وباقي ألفاظ الأبيات ظاهر يقول من جملة ذلك: الذي أردت إيراده والتعرض لذكره في هذا المقام مما لسيدنا رضي الله عنه من الكرامات العظام والمناقب الجسام التي يفتخر بها المعتقد وينزجر المنتقد شدةُ اتّباعه رضي الله عنه للشرع الطاهر والتقييد بأوامره ونواهيه في الباطن والظاهر ومتابعته صلى الله عليه وسلم بقدر المستطاع في جميع أقواله وأفعاله حتى في العادات والمباحات من حركاته وسكناته وسائر أحواله. وهذه عند الرجال الواصلين والكمّل الأكابر أجَلّ كرامة وموهبة للعبد من الملِك القادر. وقد كان سيدنا رضي الله عنه منها بالمكانة التي لا يجاريه فيها أحد ولا يباريه، والمنزلة التي لا يقاربه فيها غيره ولا يدانيه. نشأ على ذلك ورُبّيَ فيه منذ كان، فلم يزل معروفا به بين

الخاص والعام في سائر الأقطار والبلدان. وانظر في جواهر المعاني فصْل سيرته السَّنية تظفر بما تقرّ به عينك في هذا الباب من كمال متابعته لخير البرية صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم. والكرامة بهذا المعنى هي الاستقامة لا يعرفها العامة ولا يعرفها إلاّ الخواصّ. وحاصله هي أن تحفظ على العبد ءآداب الشريعة وأن يوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل للناس من صدره والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله تعالى في حق نهيه وفي الأشياء ومراعاة أنفاسها في دخولها وخروجها. فيتلقاها بالأدب يخرجها وعليه خلعة الحضور انتهى.واعلم بأن الكرامة بهذا المعنى لم ينبه سيدنا رضي الله عنه عن التعرض لذكرها ولم يشر إلى عدم إفشائها ونشرها وذلك والله تعالى أعلم أن العبد مطالَب بها من مولاه تبارك وتعالى بخلاف الأخرى فإنه مأمور بالبعد منها والتنزه عنها لِما فيها من حظ نفسه واتّباع هواها فيما تدعوه إليها من الترفع والتميز عن أبناء جنسه كما قيل: كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فإن نفسك تتحرك في طلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة. وَلأنْ تكونَ بحق مولاك أولَى بك من أن تكون بحظ نفسك وهواك؛ وأيضا الكرامة الحسية وإن كانت نتيجة استقامة قد يداخلها المكر والاستدراج والعياذ بالله تعالى وقد لا يبعد أن يجعلها الله تعالى حظ من ظهرت عليه على عمله وجزاء على فعله بخلاف هذه المعنوية لا يدخلها شيء من ذلك لأن العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصُب حبالة للمكر الإلهي فإنها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة فأسنى ما أكرم الله به أولياءه العلم خاصة. و أما غيره من خوارق العادات فلا يصحّ كونه كرامة إلاّ بتعريف من الله تعالى انتهى. أنظر بسط الكلام على هذه المسألة في الفتوحات المكية، وانظر أيضا قوله ثمّة.ولا أعني بهذا العلم، إلاّ العلم بالله والدار الآخرة وما تستحقه الدنيا وما خلقت له، ولأيّ شيء وُضعت، وذلك حتى يكون الإنسان من أمره على بصيرة من حيث كان. فلا يجهل من نفسه ولا من حركاته شيئا، انتهى. وليس هذا العلم الموصوف إلاّ علم العارفين بالله الذين جمع الله لهم بين علم الدراسة وعلم الوراثة لا غير والله أعلم. ثم إن أصل الكرامة المعنوية كما قاله التّاج ابن عطاء الله في لطائف المنن رحمه الله تعالى هو: الإيمان بالله والمعرفة بربوبيته لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فرع الإيمان بالله من أحوالٍ ومقامات وأوراد وواردات وكل نوع وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وأثمار أو كان به أهلها فيها من رضى الله تعالى ورؤيةِ لِلّه. فكل ذلك إنما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره وأمداد أنواره. جعلَنا الله وإياكم من المومنين بربوبيته الإيمان الذي رضيَه لعباده وبسطَنا وإياكم للتسليم له في مراده انتهى. ولا شك أنّ من جملة ما أنتجه الإيمان بالله و تفرّع عنه ما أشار إليه الناظم رحمه الله في الأبيات الآتية هنا وهي قوله:

و منه رؤية النبي الهاد	و هي لديهم غاية المراد
و عنه لا يغيب لمح بصر	يقظة فيا لها من منظــر
في يوم الاثنين أو الجمعة	رائيه يدخل غدا في الجنـة
بلا حساب لا ولا عقاب	بل هو ءآمِن من العـذاب

الرؤية بالهاء هي البصرية وهي المرادة هنا والهادي صلى الله عليه وسلم، والضمير في لديهم للرجال بالمعنى السابق. ولمح البصر طرفة العين يبالغ بها في استغراق جميع أجزاء الزمان. والمنظر الوجه، وباقي الألفاظ واضح المعنى. يقول: ومن ذلك الذي قصدت ذكره هنا مما لسيدنا رضي الله عنه من الكرامات المأثورة والمناقب المشهورة رؤيته واجتماعه بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام في حال اليقظة والمشافهة لا في حال المنام، وهي لدى الرجال الكاملين أجلّ مقصد وأسنى مرام. ومن ذلك أيضا بلا شك ولا مَيْن دوام شهوده له صلى الله عليه وسلم، بحيث لا تغيب عنه صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم طرفة عين.

ومن ذلك أيضا كرامته الباهرة الشائعة المتواترة وهي ما بشّره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وضمنه له من فضل الملك الوهاب من أنّ من رآه يوم الإثنين يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب. فهذه ثلاث كرامات أشار إليها الناظم رحمه الله تعالى في الأبيات الأربعة. فأما الأولى: فالغرض بها ما اختصّ به سيدنا رضي الله عنه من الاجتماع بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة وسؤاله عن كل ما يريد السؤال عنه ومشاورته في جميع الأمور والتربية على يده والتلقي منه والرجوع إليه في كل شيء دق أو جلّ حسبما تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك.وأما الثانية فهو دوام مشاهدته لذاته صلى الله عليه وسلم الحقيقية بحيث لا يغيب عنه طرفة عين كما ثبت مثل ذلك عن القطب الكبير المرسي وشيخه القطب الشاذلي رضي الله عنهما. وهي التي تقدمت عن سيدنا رضي الله عنه أنها من خصائص قطب الأقطاب في كل زمان وهي غير التي قبلها. المقصود من ذكرها هنا, السؤال عما في رؤية الذات الحقيقية حقيقة فإن التي قبلها المقصود من ذكرها هنا السؤال عما يعرض والتلقي للعلوم والأسرار والتربية وغير ذلك على الحالة المذكورة، إذ من الجائز أن يحصل دوام المشاهدة العيانية ولا يحصل ما ذكره من الاستقامة الموصوفة فافهم.وأما الثالثة فهي ما أخبر به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم, سيدَنا رضي الله عنه وضمنه له مما تقدم في من رآه في اليومين المذكورين، والكل مصرح في كلام العلماء المحققين بأنه من الكرامات الجائزة. فلا ينكره أحد من أهل السنة أصلا. وما ذكره بعضهم في حق الحافظ بن حجر العسقلاني والحافظ الذهبي وغيرهما من أعلام المحدثين فقد أنكر المحققون من المتأخرين كالشيخ أبي سالم العياشي رضي الله عنه، نسبة ذلك إلى أمثالهم وذكر أن الذي ثبت عن ابن حجر هو طعْنه عن بعض العارفين كالأستاذ أبي الحسن بن وفا ووالده. ومثل ذلك وقع للحافظ الذهبي مع بعض معاصريه، وليس الطعن بلسان العلم والإنكار لفعلٍ لو اطّلع على الوجه فيه عند فاعله لسلّم له بإنكار الكرامات كما توهّمه من نسب ذلك لأمثال هؤلاء. فلينتبَه لذلك.وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة بعين الرأس لذاته الحقيقية فقد نصّ على جوازها جماعة من الأئمة المعتبرين وحكى وقوعها لكثير من العارفين الكاملين. قال الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في مؤلفه الذي ترجمه بالإعلام بحكم سيدنا عيسى عليه السلام إذا نزل يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم. فلا مانع من أن يأخذ عنه ما احتاج إليه من شريعته ما نصه: الثالث أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامات الولي أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع به في اليقظة ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب. وممن نص على ذلك من الشافعية الغزالي والبازّي والتاج ابن السبكي والعفيف اليافعي. ومن أئمة المالكية القرطبي وابن أبي جمرة وابن الحاج في المدخل. انتهى المراد منه بلفظه.وحكى أيضا أعني الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الذي ترجمه بتنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك القول بإمكان رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة كذلك عن الشيخ أبي بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى في كتابه قانون التأويل. وذكر في الجيش الكفيل أن اللقاني رحمه الله تعالى حكى اتفاق الحفّاظ على جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام وأنهم لم يختلفوا في ذلك، وإنما اختلفوا هل يرى الرائي ذاتَه الشريفة أو مثالا يحكيها؟ فذهب إلى الأول جماعات وذهب إلى الثاني القرافي والغزالي انتهى. وذكر هذا الخلاف السيوطي في تنوير الحلك وقال بعده ما نصه: وفصّل القاضي أبو بكر بن العربي فقال: رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدّراك على الحقيق، ورؤيته على غير صفته المعلومة إدّراك للمثال وهذا الذي قاله في غاية الحسن. قال, يعني السيوطي رحمه الله تعالى: ولا يُمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا. وأُذِن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي. وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء وقد ألّفنا فيها جزءا لطيفا، انتهى المراد بلفظه. ثم قال بعد كلام هنا ما نصه: فحصل من مجموع هذه

النقول والأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حيّ بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيّب عن الأبصار كما غُيِّبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم. فإذا أراد الله رفْع الحجاب عمّن أراد كرامته رءآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعيَ إلى التخصيص برؤية المثال؛ انتهى منه بلفظه أيضا.وهذا التحصيل صريح في أنّ الذي اعتمده السيوطي رحمه الله تعالى من الخلاف إمكان رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بذاته الشريفة الحقيقية وهو أيضا كافٍ في ردّ جميع ما يخدش في وجه صحته كما ترى وذكر في الجيش الكفيل أن شيخ مشائخ المالكية أبا الحسن سيدي علي الأجهوري رحمه الله تعالى نقل هذا التحصيل بلفظه في نوازله، فهو قائل به. وقال الإمام الساحلي في بغية السالك، بعد ما ذكر طبقات الناس في انطباع صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم في نفوسهم ووراء هذا ما هو أعلى درجة منه وهو أن يراه بعين رأسه عيانا في عالم الحسّ، ولا تُنكَر هذا، فقد يكْرِم الله من يشاء من عباده بإقامة صورته الكريمة له حتى يشاهدها. وهذا من جائز الكرامات التي يتحف الله بها أوليائه. انتهى نقله في الجيش. ونقل إثره كلام صاحب روضة النِّسرين في طبقات من انطبعت صورته الكريمة صلى الله عليه وسلم في نفوسهم ونص ما نقله:

ومكثر الصلاة فيه يشـرق ُ   في قلبه نورٌ له محقــقُ
والناس في ذاك لهم مراتبْ   بقدر ما اتَّصَفُوا لهم مشارب
لها بذِهن بعضِهم تصـوّرُ   بعد تأمّل وفكرٍ يكثــــرُ
يراه في النوم بلا كمــال   وذو تصور بلا اعتــزال
أحيان ذكره يفوق مَن سلف   وكامل الرؤيا بها قد اتصف
ومَن إذا يسدّ عينًا أبصـرا   نوما وهذه سِما مَن غَبَــرا
فمن بعينيْ رأسه يـــراه   في عالم الحسّ لِما عــرَاه

وقال يعني صاحب روضة النسرين في شرحه لهذا البيت: والذي يظهر لي أنّ بعض الأولياء يرى في اليقظة روحه متشكلة بصورته الشريفة، وأهل المقام الأعلى يرون حقيقة ذاته الشريفة كأنه معه في حياته صلى الله عليه وسلم انتهى. وقال، يعني صاحب الروضة المذكورة في محل ءاخر من شرحه: هذا ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أنه تقربُ العبد منه صلى الله عليه وسلم حتى يلتقيَ معه يقظة وبذلك يأمن من السلب. و قبل التقاء الولي معه يقظة يكون على خوف من السلب نعوذ بالله منه انتهى.فتحصل من هذا الذي ذكرناه عن هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم أن رؤيته صلى الله عليه وسلم بعين الرأس في عالم الحس وما يتبعها من الأخذ عنه وسؤاله عما يعرض له ومشاورته في الأمور ونحو ذلك، كل ذلك ممكن عقلا ثابت نقلا لا مانع منه لمن أكرمه الله من الأولياء، وهو من جملة كراماتهم المتفق على جواز وقوعها عند أهل السنة رضوان الله عليهم لثبوت حياته صلى الله عليه وسلم كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولثبوت الإذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في العوالم العلوية والسفلية بالدلائل القطعية تصريحا أو ضمنا من النصوص الشرعية. قال الجلال السيوطي أولَ كتابه أنباء الأذكياء لحياة الأنبياء: حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة على ذلك وتواترت به لأخبار. وذكر من الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبر موسى فإذا هو في قبره قائما يصلي، ومن ذلك حديث الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلون. وعن ثابت البناني أنه قال لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدا يصلي في قبره غير الأنبياء، قال نعم وفي رواية قال: اللهم ارزقني هذه الكرامة. فروي أنه يمر على قبره فوجده قائما يصلي. وذكر القبر في مثل هذه الأخبار دليل لحياة الجسد إذ لو كان المراد الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر. قاله في تنوير

الحلك.وذكر في أنباء الأذكياء أيضا عن البيهقي أن من شواهد هذا الباب لقيُه صلى الله عليه وسلم لجماعة من الأنبياء في ليلة الإسراء وأنه كلمهم وكلموه وأنه رأى سيدنا موسى قائما يصلي، وكذلك سيدنا عيسى وكذلك سيدنا إبراهيم على جميعهم الصلاة والسلام.وذكر في الأنباء أيضا عن دلائل النبوة، أن سعيد بن المسيِّب قال: لقد رأيتُني ليالي الحَرّة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري، وما يأتي وقت صلاة إلاّ سمعت الأذان من القبر الشريف. وفي رواية عنه: لم أزل أسمع الآذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرّة. وفي رواية: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من قِبَلِ القبر الشريف. وفي رواية الدّارمي: ولم يبرح سعيد بن المسيِّب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلاّ بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم. ونقل في الأنباء أيضا عن القرطبي رحمه الله تعالى أن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن يغيّبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء و ذلك كالحال في الملائكة فانهم موجودون أحياء لا يراهم أحد من نوعنا، إلاّ من خصّه الله بكرامته من أوليائه. انتهى.وذكر هنا كلام الشيخ عفيف الدين اليافعي ونصه على نقله الأحياء: تردّ عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى موسى عليه الصلاة والسلام في قبره. وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدث. ولا ينكر ذلك إلاّ جاهل انتهى. قال السيوطي بعد حكاية لكلام الشيخ عفيف الدين رحمهما الله تعالى: ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة. فلنكتف بهذا القدر انتهى. وفي هذا الذي ذكرناه أيضا نحن من ذلك كفاية فيما يتعلق بكلام الناظم هنا والله ولي التوفيق. وما تعسّفَ به بعضٌ هنا من استحالة رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة بما يلزم على ذلك من خروجه من قبره ومشيه في الأسواق وخلو قبره من جسده المقدّس رَدّه العلامة ابن حجر المكي بقوله: وهذه الإلزامات كلها ليس شيء منها بلازم. ودعوى استلزامه لذلك عين الجهل والعناد، ثم بيّن ذلك بما نقله عنه في الجيش. فراجعْه فيه إن شئت وهو مستفاد من السابقة لمن تأملها. وما ألزمه الحافظ العسقلاني أيضا على القول بإمكان رؤية ذاته الشريفة في عالم الحس من أن الرائي يكون صحابيا، رده العلامة الهيتمي أيضا وكذا السيوطي في تنوير الحلك بأن شَرْطَ الصحبة أن يراه وهو في عالم الملك،وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت. وهذه الرؤية لا تفيد صحبة. قال السيوطي رحمه الله تعالى ويؤيد ذلك أن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عُرضوا عليه فرآهم و رأوه ولم يفدهم ذلك صحبة لأن الرؤية في عالم الملكوت. انتهى بمعناهوغالب لفظه.قلت: وعالم الملك هو عالم الحس والشهادات ومن شرطه دخول المحدودات والمرسومات والمعرفات تحت حيطة الحدود والرسوم والتعريفات لتقييد الحس كل محدود ومرسوم بحده ورسمه، وعالم الملكوت هو عالم اللطافة والغيب ومن شأنه خرق العوائد وحقيقة خرق العادة الخروج عن محيطات ما هو معلوم ومعتاد من الحدود والرسوم والتعريفات وسائر الضوابط المنحصرة في عالم الحس. ومعلوم أن هذه الرؤية لمن أكرمه الله بها من باب خرق العادة ولذلك دخلت في حيز باب الكرامة كما لا يخفى. فلا يورد عليها الإلزام الذي أورده الحافظ رحمه الله تعالى إلاّ لمن يمعن النظر حتى يفرق بين الكلام في بساط باب خرق العادة والكلام في بساط الحس والشهادة والله تعالى أعلم. ولا يذهب بك الوهم إلى أن تنتفي الخصوصية الكبرى والمرتبة العظمى عمن أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة التي هي الرؤية له صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة حيث انتفت عنه درجة الصحبة. فإن درجة الصحبة درجة سامية لا مطمع في درْكِها لأحد ممن عدا صحابته صلى الله عليه وسلم لمكان صحبتهم لجسده الطاهر صلى الله عليه وسلم في مدة وجودها الحقيقي الخارجي ولقوله صلى الله عليه وسلم: لو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهبا ...الحديث.وهؤلاء الكمّل المُكرمون برؤية ذاته صلى الله عليه وسلم لهم مزية عظيمة على غيرهم ممن لم يكرَم بذلك من ذلك ما صرح به الشيخ محي الدين رضي الله عنه في الباب الثالث عشر وثلاثمائة من

الفتوحات المكية من أنهم يحشَرون معه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كما يحشر الصحابة الكرام رضي الله عنهم. قال: وأما من يراه في النوم فليس هو من أصحاب هذا المقام وإن رآه ألف مرة حتى يراه وهو متيقظ كشفا ويخاطبه ويأخذ عنه ويصحح له من أحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقتها انتهى. وهذه مزية عظيمة لهؤلاء الكمّل على من عداهم إلاّ أنهم لا يرتقون بها إلى درجة الصحابة رضي الله عنهم فهي مثل المزية الحاصلة للذين يروون الأحاديث المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر، فإنهم يحشرون مع الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم ورثة الأنبياء في التبليغ. والفقيه إذا لم يكن له نصيب في رواية الحديث، فليس له هذه المزية. انظر الفتوحات المكية في الباب السابق فقد بسط الكلام فيه في تحقيق هذه المسألة رحمه الله تعالى ورضي عنه.وأما من نُقلتْ عنه هذه الكرامة التي هي رؤية ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم في عالم الحس، فهم جماعة الأكابر رضي الله عنهم مثل الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه. فقد نقل في تنوير الحلك عن الشيخ سراج الدين ابن الملقن أنه ذكر عنه في كتاب طبقات الأولياء أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لي: يا بني ألاّ تتكلم؟ فقلت: يا أبتاه أنا رجل أعجمي فكيف أتكلم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك ففتحتُه فتفل فيه سبعا وقال تكلمْ على الناس وادْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ. فصليت الظهر وجلستُ وحضر خلْق كثير فارتجّ عليّ فرأيتُ عليّاً يعني ابن أبي طالب رضي الله عنه قائما بإزائي في المجلس فقال لي: يا بنيّ لمَ لمْ تتكلم؟ فقلت: يا أبتاه قد ارتجّ عليّ فقال: افتحْ فاك ففتحتُه فتفل فيه ستّاً، فقلت: لمَ لمْ تكملها سبعاً؟ فقال: تأدّبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عني. فقلت: غوّاص الفكر يغوص في بحر القلب على درّ المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادي عليه ترجمان اللسان فيشتري بنفائس أثمان حُسن الطاعة في بيوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ. قال: وقال يعني السراج ابن الملقن في ترجمة الشيخ خليفة: كان كثير الرؤيا له صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما. يقال إن أكثر أفعاله متلقّاة منه صلى الله عليه وسلم ورآه ليلة سبع عشرة مرة قال له في إحداها: يا خليفة لا تضجر مني، فإن كثيرا من الأولياء مات بحسرة رؤيتي. ونقل عن الشيخ عبد الغفار بن نوح المقدسي أنه ذكر في كتاب الوحيد بعض المشائخ وسماه وقال فيه: وكان يخبر أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ساعة حتى تكاد تمر ساعة إلاّ وهو يخبر. وممن ثبتت له هذه الكرامة أيضا الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وتلميذه وخليفته الشيخ أبو العباس المرسي وذكروا أنه كان إذا سلّم على النبي صلى الله عليه وسلم ردّ عليه ويجيبه إذا تحدّث. وممن ثبتت له هذه الكرامة الأستاذ سيدي علي بن وفا رضي الله عنه، وكان يحدث عن نفسه أنه رآه صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين يقظة لا مناما وعليه قميص أبيض من قطن، ثم رمى القميص عليه وأنه قال له: اقرأ فقرأ عليه سورة والضحى وسورة ألم نشرح ثم غاب عنه صلى الله عليه وسلم وأنه لمّا بلغ إحدى وعشرين سنة أحرَمَ للصلاة، فرآه صلى الله عليه وسلم قبالة وجهه فعانقه فقال: وأمّا بنعمة ربّك فحدّثْ. قال رضي الله عنه: فأوتيتُ لسانَه من ذلك الوقت.وذكر السيوطي رحمه الله تعالى عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثا فقال له الولي: هذا الحديث باطل قال: ومن أين لك؟ قال: هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول: لم أقل هذا الحديث وكُشِف للفقيه، فرآه صلى الله عليه وسلم فقال له: ما قلت ذلك فسلّم الفقيه للولي. ونقل في الجيش الكفيل عن الشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه أنه قال في كتابه لطائف المنن والأخلاق: أدركت بحمد الله جماعة ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعدّ منهم سيدي علي الخواص والحافظ السيوطي وغيرهما. قال، يعني الشعراني رضي الله عنه: وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول: نحن خمسة في الدنيا لا شيخ لنا إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجعيدي يعني نفسه والشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القُناوي والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر

والشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم. وقال الشعراني يحدث عن نفسه: لا أعلم أحدا في مصر الآن أقرب سند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مني، فإن بيني وبينه رجلين، سيدي علي الخواص وسيدي إبراهيم المتبولي فقط.ونقل صاحب الجيش وعنه أيضا أنه قال في كتابه الميزاب بعد أن جزم بأن المجتهدين جميعهم كمالك والشافعي رحمهم الله تعالى يقولون برؤية ذاته الشريفة في اليقظة ويسألونه عما يحتاجون. والسؤال عنه ما نصه: وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين في المقام أنهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويصدّقهم أهل عصرهم على ذلك كالشيخ الدسوقي والسيد الشيخ جلال الدين السيوطي والزواوي والمرسي وأبي مدين وأبي السعود والشاذلي وعبد الرحيم، وجماعات ذكرناهم في طبقات الأولياء. قال: ورأيت بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند بعض أصحابه وهو الشيخ عبد القادر الشاذلي مراسلة لشخص سأله شفاعة عند السلطان قايتباي ونصها: اعلم يا أخي أني اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتي هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفي من احتجابه صلى الله عليه وسلم, وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدثون في طريقهم, لفعلت ولا شك أنّ نفْع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخي انتهى.قال يعني الشعراني رضي الله عنه: ويؤيد الشيخ جلال الدين في ذلك ما اشتهر عن سيدي محمد بن زين المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يراه يقظة ومشافهة ولمّا حجّ كلّمه من القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شيخ أن يشفع له عند حاكم البلد، فلما دخل عنده أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية، فلم يزل يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تراءى له من بعيد، فقال: تطلب مني رؤيتي مع جلوسك على بساط الظلمة لا سبيل لك إلى ذلك. فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات انتهى.ونقل في الجيش أيضا عن الشيخ أبي الحسن الأجهوري رحمه الله تعالى أنه ذكر في نوازله أنه رأى جماعة ممن وقعت لهم رؤيته صلى الله عليه وسلم وسمع ذلك منهم قال: منهم شيخنا العارف بالله تعالى شيخ المالكية في زمانه الشيخ محمد البندري. قال: وقد ذكر ذلك لجميع الناس ومنهم أيضا شيخنا العارف بالله الشيخ الحمالي المشهور بحشيش وكان يقع له ذلك كثيرا. والقرائن الدالة على صدقهما في ذلك بينة مفيدة للقطع. ومنهم شيخنا نور الدين القلوصي وشيخه العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الاحمر. وقد اجتمعت به مرارا عديدة ودعا لي بالدعوات الصالحات انتهى. وذكر السيوطي في تنوير الحلك وغيره أن الشيخ أبا العباس القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أخذ الله بيدك يا أحمد وذكر عن الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر أنه قال: كنت أزور شيخي أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما فتح الله عليّ لم يكن لي شيخ إلاّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يصافحه عقب كل صلاة. وتقدم قول الشيخ مولانا عبد القادر: لم أتزوج الخ... وفي هذه النبذة التي اقتصرنا عليها هنا من ذكر من اتفقت له هذه الكرامة العظيمة كفاية لمن شرح الله صدره للتصديق والتسليم لهذه العصابة الكريمة.وأما الكرامة الثانية المشار إليها في هذه الأبيات الأربعة وهي دوام شهود صورته صلى الله عليه وسلم بحيث لا يغيب عنه لمحة فقد تقدم أنها من خصائص قطب الأقطاب. فلا مرية أنها كانت من كرامات سيدنا رضي الله عنه. وأما الكرامة الثالثة وهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الإثنين والجمعة فهي من كرامته رضي الله عنه التي طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان، بإخبار من النبي صلى الله عليه وسلم، ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضي الله عنه: بعزة ربي يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك وكل من رآك في اليومين يكتبون ـ يعني الأملاك السبعةـ اسمه في رقعة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك. ولتكثر من الصلاة علي في اليومين فكل صلاة تصليها عليّ نسمعك ونردّ عليك وكذلك جميع أعمالك تعرض عليّ والسلام انتهى. وقول الناظم رحمه الله هنا بلا حساب ولا عقاب أخذه بالأولوية من قوله: إخباره رضي الله

عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من رآك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب يريد سواء في اليومين أو غيرهما. ولهذا تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له رضي الله عنه دخول الجنة لمن رآه، وقع له مطلقا ومقيدا باليومين المذكورين ولا شك أن المقيّد باليومين مزيد مزية على المطلق لتأكيد الوعد فيه بالقسم لأنه وإن كان وعده صلى الله عليه وسلم صدقا بلا ريب مطلقا ففي المؤكد بالقسم إظهار مزيد الاعتناء منه صلى الله عليه وسلم، بمن حصلت له الرؤيا في اليومين، وذلك يفيد التقييد بعدم الحساب والعقاب في من رآه في اليومين بالأولية كما لا يخفى على أن صاحب الجامع صرح بعدم الحساب والعقاب. وللمقيد باليومين مزيد مزية أيضا بكتابة الأملاك باسم الرائي في رقعة من ذهب، ولم يذكر ذلك في المطلق، وتلك عناية ظاهرة أيضا. وبالجملة، فرؤيته رضي الله عنه في كل يوم سبب لدخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، كرامة من الله تعالى له ورؤيته في أحد اليومين المذكورين سبب لما ذُكر من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وزيادة ما ذكر من كتابة الملائكة أسمه الخ. كرامة من الله تعالى له أيضا رضي الله عنه فافهم ذلك.ورأيت في كلام بعض من يشار إليه بالفتح من الأصحاب ما يشير بأن المختص برائيه في اليومين هو السعادة التي لا شقاوة بعدها يعني أنه لا يراه في اليومين إلاّ من سبق في علم الله تعالى انه يكون سعيدا فيدخل الكفار في هذا الخطاب. وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهاب فيقال: لا يراه في هذين اليومين إلاّ من سبق في علم الله تعالى أنه يُختَم له بالسعادة كائنا من كان. فإذا رآه الكافر في أحد اليومين خُتم له بالإيمان. وعليه فتختص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلما سواء كان من الأصحاب أم لا حسبما صرّح به في الجواهر. وهذه المقيدة بيومين بما يشمل كل من رآه و لو كافرا ويؤيد هذا ما أخبرنا به غير واحد من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه وهو أن يهوديا كان يخيط للشيخ رضي الله عنه ثيابا فجلس بإزائه بعض الأصحاب و تحدثوا بهذه الكرامة بينهم فسمعهم اليهودي من غير أن يلقوا إليه بالا فاحتال بأن أكمل ما كان يخيطه في أحد اليومين الاثنين أو الجمعة ثم طلب ممن كان ينوب عن الشيخ رضي الله عنه في قضاء المآرب أن يدفع ما خاطه للشيخ بيده وذكر أنه أراد أن يطلب منه الدعاء. فشاور النائب سيدنا رضي الله عنه على ذلك وذكر له ما طلبه فأذن له الشيخ رضي الله عنه فدخل وجلس بين يديه وأمعن النظر في وجهه ثم قال له: يا سيدي ها أنا رأيت وجهك وهذا يوم كذا. فدعا له الشيخ وانصرف. فآل أمره إلى أن مات مسلما بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه، تصديقا لضمانه صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه المؤكد بالقَسَم. ومثل هذا لا ينكره إلاّ جاهل بسَعة فضل الله تعالى أو منكر لكرامات الأولياء فلا عبرة بمن أنكر مثله على أكابر العارفين كإنكار بعض المتمرّدين من أهل سجلماسة على الشيخ الكبير القدوة الشهير سيدي محمد بن ناصر الدّرعي رضي الله عنه فيما كان يذكره للفقراء من كلام الثعالبي رضي الله عنه فإنه، أعني الإمام كان يحكي بسنده إلى الإمام الثعالبي رضي الله عنه أنه قال: من رأى من رآني إلى سبعة ضمنتُ له الجنة بشرط أن يقول لمن رأى: اشهدْ أنّي رأيتك فيشهد له. فكان الشيخ ابن ناصر يذكر ذلك على طريق الترجية و ليلاّ يفوت المسلمين ذلك الخير الكثير حققه الله تعالى فقالوا: هذا يوقع الناسَ في الأمن ووقعوا فيه. وكتبوا في ذلك كرامة فقيّض الله لها من نقض باطلها عروة عروة. ذكر الإمام المحقق أبو علي اليوسي رحمه الله تعالى وذكر أن الإمام ابن ناصر كان بينه وبين الإمام الثعالبي في هذه السلسلة أربعة وسائط، فكان في الطبقة الخامسة من طبقات أهل هذه الكرامة، ثم قال الشيخ أبو علي اليوسي رضي الله عنه: ولقد رأيت والحمد لله بن ناصر وأشهدته على ذلك، حققه الله لنا وللإخوان. قال: واعلم أن مثل هذا يذكَر على طريق كما أشرنا إليه، وهو أمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع وذلك أنّ فضل الله عظيم لا يحدّ بقياس وأولياء الله تعالى أبواب يخرج منها هذا الفضل ولهم مكانة عند ربهم الكريم المتفضل. فأي شيء يُستبعَد في أن يمنح بعضُهم الشفاعة في قرنه أو أكثر، هذا كله قريب. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن

أويس القرني رضي الله عنه أنه يشفع في مثل أو عدد ربيعة و مضر. انتهى المراد هنا من كلام الشيخ أبي علي اليوسي بلفظه في محاضرته عقب ما تقدم عنه بمعناه وفيه الغنية لمن ألهمه الله رشده وهواه. ومما يتعلق بهذه الكرامة ما أخبرني به بعض العلماء الأفاضل من أصحاب سيدنا رضي الله عنه أن بعض مشاهير علماء العصر، وكان من الشرفاء العلويين الكرام، قصد إلى سيدنا رضي الله عنه في أحد اليومين المذكورين زائرا فدخل عليه فلما جلس بين يديه أمعن النظر فيه وقال: يا سيدنا ما اسم هذا اليوم؟ فتهلل وجه سيدنا رضي الله عنه وعلاه الوقار من شدة تعظيمه ِلآل البيت الأطهار وأجابه بديهة بأنْ قال له: الكلام في غير آل بيته صلى الله عليه وسلم. فانظر ما يجلبه الإنصاف والتصديق والمحبة لأهل الله تعالى، فإنّ هذا الشريف لمّا أتى مع ما هو فيه من نخوة العلم والنسب منِصفا ملتمِسا محِبّا للبركة، حضيَ بشهادة القطب له بصحة اتصال نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نصوا على أن من شهد له عارف كبير بصحة هذا النسب فهو مقطوع له في صحة الاتصال بنسبه الشريف صلى الله عليه وسلم، ما لا يقدّر قدْره من الفضل والفخار والجاه الشامخ المنيف.

تبشيـــــــــــــر: رأيت فيما وقفت عليه من كلام صاحب الرماح رضي الله عنه أن للمتعلقين بالشيخ رضي الله عنه من الفضائل الثابتة باخبار منه رضي الله عنه أو ممن يعتمد في ذلك من أصحابه وورثة أسراره دون ما هو مكتوم من ذلك 34 فضيلة 14 منها تشمل جميع ما تعلق به بوجه من التعلقات كالنظر إليه والمحبة له ولأهل طريقه وقضاء حوائجه ونحو ذلك، يعني من غير أخذ ورد و 20 تختص بمن أخذ ورده وتمسك بطريقته ثم سَرَدَهَا. وذكر من هذه العشرين المختصة بأهل الورد أنّ من ءآحاد أهل هذه الطريقة من إذا رآه شخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وراثة من الشيخ رضي الله عنه انتهى. فينبغي للمصدق الراغب في الاستكثار من الخير أن ينظر في وجه كل من لقيه من اليومين من أهل هذه الطريق بهذه النية قصدا لأن يعثر على أحد من أصحاب هذه الوراثة ونية المومن خير من عمله والله الموفق، ثم قال الناظم رحمه الله:

وكل ما يملي فعن خير الورى مترجمٌ بلفظه بلا مِرا

يقول: وكل ما يمليه سيدنا رضي الله عنه وأرضاه وأدامنا بمنّه وكرمه في حوزة حماه من أخباره بهذه الكرامات وغيرها من المواهب و الأسرار فهو مترجم فيه عن أخبار نبينا المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون مراد الناظم بهذا البيت الإخبار بهذه الكرامة التي هي الإخبار عنه صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر به وجميع ما يأمره به في طريق الدلالة على الله. ولا شك أنها كرامة ظاهرة ومنقبة سامية فاخرة وهي ثابتة لسيدنا رضي الله عنه و قدس أسراره. ويحتمل أن يكون مراده به التنصيص على أنّ ما تقدم ذكره من ضمان النبي صلى الله عليه وسلم، دخول الجنة لمن رآه في اليومين إنما هو إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه ومترجم فيه في ما كان من خبره من الكرامات على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الناظم أشار به إلى ما تقدم من خطابه الشريف صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه بقوله: بعزة ربي... الخ.وعلى هذا الاحتمال الثاني هو المراد عنده وإن كان الأول متجها أيضا والله تبارك وتعالى أعلم، ثم قال رحمه الله:

ومنه أن ربه قـد شفّعــه في كل من قد كان في العصر معه

وزيدَ عشرون من السّنينا لشيخنا مصححـــــــــــــا يقينـــــا

يقول: ومن هذا أردنا في هذا المقام ذكره وقصدت في هذا المحل نشره من كرامات سيدنا قدس الله سره ما تلقاه عنه الثقاة من أصحابه الأخيار واشتهر بين أتباعه في كل قطر كلّ الاشتهار من قوله رضي الله عنه مقاله ذلك واستحسنه. فظهر أنه مما سارَّه به قبل ذلك الزمان ثم استفاض بعد ذلك قيد حياة الشيخ رضي الله عنه وبعد مماته إلى الآن. وهذه

الكرامة أيضا من جنس الكرامة قبلها؛ وتقدم قول الشيخ أبي علي اليوسي رحمه الله: وأيّ شيء يستبعد في أن يُمنح بعضهم الشفاعة في قرنه أو أكثر... الخ. وقد نقل الثقاة اتّفاق هذه الكرامة التي هي الشفاعة في العصر عن غير واحد من المشايخ الكاملين والعارفين الواصلين وتلقاها المعاصرون لهم من الأئمة الأعلام بالقبول التام. وممن نقلت عنه الأستاذ الشهير العارف الكبير سيدي محمد بن مبارك التستاوتي رضي الله عنه فذكر أن جماعة من أصحابه دخلوا على الشيخ الكبير سيدي مَحمد الشرقي فقال لهم: أيها الفقراء ما الذي قال ابن مبارك؟ فأخبروه بنحو مقالة الشيخ السابقة فقال سيدي مَحمد الشرقي: اشهدوا أنا من زمان ابن مبارك انتهى؛ فكذا يجب التلقي بالقبول لمثل هذا إذا سُمِع من أرباب المقامات من الكمّل الفحول.وممن نقلت عنه هذه الكرامة أيضا القطب سيدي محمد بن القطب مولانا عبد الله الشريف المتقدم الذكر. وقد ذكر سيدنا رضي الله عنه أن الشيخ أبا عبد الله الخرُّوبي الطرابلسي رضي الله عنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ضمانة أهل عصره فقال له صلى الله عليه وسلم للقطب المذكور: سبقك بها ولدي محمد، يعني، صلى الله عليه وسلم القطب المذكور رحمه الله تعالى ورضي عنه؛ ثم قال الناظم رحمه الله:

منه أن خاتم الرسالـــه	قال له ما لبـلال قالـــه
و قيل للشيخ رفيع الذكـر	ما لابن داوود أتى في الذكر
من قوله هذا عطاؤنا إلـى	آخرها و مثلُ ذا لن يحظـلا

خاتم الرسالة: نبينا صلى الله عليه وسلم وبلال هو ابن حمامة الحبشي الصحابي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذكر الأول: الثناء والصيت والذكر الثاني: القرءان العظيم. ففي الكلام تجنيس تامّ والضمير في من قوله للحق تبارك وتعالى. ففي الكلام شجاعة الفصاحة على حد ما قيل في قوله تعالى:(حتى تَوَارَتْ بِالحِجَاب) والعطاء فسّره بالتفضّل أي التفضل المحض الوارد من المتفضِّل على المتفضَّل عليه لا على سبيل الاستحقاق والوجوب. قاله في مفاتح الغيب والضمير في قوله: إلى آخرها للآية الكريمة والإشارة بذا من قوله: ومثل ذا... إلى قوله أكابر العارفين الشاذلي وابن سبعين والجزولي وأضرابهم رضي الله عنهم. فقيل: كذا ويحظلا من حظله إذا منعه. يقول: ومن هذا الذي أردت الإشارة إليه وقصدت التصريح في هذا المحل عليه من كرامات سيدنا رضي الله عنه وأرضاه ومناقبه وخصائصه ومزاياه ما تلقاه عنه الثقاة من أصحابه السراة الأماثل من قوله رضي الله عنه: قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: أنْفِقْ بلال ولا تَخْشَ مِن ذي العرش إقلالاً. و ما تلقوه عنه أيضا وما وتواثر الحديث به واشتهر كل الاشتهار بين الإخوان والأصحاب من قوله رضي الله عنه: قيل لي:(هذا عطاؤُنا فامنُنْ أوَ أمسِكْ بغير حساب)، ومثل هذا إذا ثبت وروده عن أهل الاختصاص لا قادح فيه ولا مانع منه بإجماع من فحول الأئمة وكمّل الخواص. وهاتان الكرامتان العظيمتان فما آلَ إليه أمرهما من نوع واحد. وقد ظهر مصداقهما للغائب والشاهد حتى أقرّ به المحبّ والقالي، وتساوى في الاعتراف به المقرّ والجاحد. وانظر فصل كرمه من كتاب جواهر المعاني تعرف ما خصه الله تعالى به في هذا الباب وأنه لا مساويَ له فيه من أبناء جنسه ولا مداني. ومن كلامه فيه قوله: بدأبه رضي الله عنه: الإنفاق في سبيل الله والإطعام لوجه الله يعرف ما له في ذلك شذر مذر في كل وقت من رخاء وشدة في حالة الحضر والسفر من كل ما يتناوله من المكتسبات من عين وعرض وفواكه وخضر ما بين مواساة ونفقة وصِلة رحم وصدقة ويقول: المال مال الله وإنما أنا خازن الله ومسخر فيه لقوله تعالى:(وأنفِقوا مِمّا جعلكم مستخلَفين فيه) ولقوله صلى الله عليه وسلم: يد الله ملئًا لا يغيضها سخاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده. وكان عرشُه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع انتهى. وهذا الحديث أخرجه غير واحد عن أبي بكر رضي الله عنه. وراجع إن شئت هذا الفصل بتمامه

لطائف: الأولى أنّ هذا الخُلُقُ الذي هو الإنفاق بمال الله على عباده والذؤوب على ذلك من غير تطرق خوف عدم ولا مداخلة ريبة ولا تهمة ثقة بالله تعالى وبحكم الاستخلاف المشار إليه في الآية هو من أخلاق الكمّل الراسخين في مقامات اليقين. فهو في بساط الولاية نتيجة من نتائج السلوك وثمرة من ثمرات الوصول إلى معرفة ملك الملوك. ومع ذلك خوطب فيه سيدنا رضي الله عنه عن حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. ففيه إشارة دقيقة إلى أنّ تربيته صلى الله عليه وسلم لا تنفصل عن سيدنا رضي الله عنه في حضرة من الحضرات ولا في منزل من المنازل ولا في مقام من المقامات. وتلك في ظهور أثر العناية الربانية غاية الغايات. وفي أمره صلى الله عليه وسلم في اللفظ الذي خاطب به بلالا رضي الله عنه الإشارة إلى بيان أصل هذا الخلق وسنده من الشريعة المطهرة وأنه لا يتحقق به إلاّ مَن كان على قدَم هذا الصحابي الجليل من المستغرقين في بحر شهود الأحَدية كما يشير إليه أثَرُ أَحَد أحَد. فجَمع له صلى الله عليه وسلم في التربية بين الشريعة والطريقة وتلك في بساط التربية نهاية النهاية إذِ الشريعة ما جاء به صلى الله عليه وسلم كتابا كان أو سنة أو تقريرا أو إجماعا وجميع ما يؤول الى ذلك من استنباطات المجتهدين رضي الله عنهم وهي هنا في الإشارة إلى بيان الأصل المستند والطريقة هي الأمر اللازم لأرباب الحقائق والأحوال المختص بهم في مقامات الكمال. ومن شأن من قام به هذا الأمر الانسلاخ الكلي عن مقتضيات حظه وهواه والتبرّي التام من مشاهدة حوله وقواه والاستغراق الكامل في شهود وحدانية مولاه بتحقق الغيبة فيه عما سواه وأشعِرَ به أعني الطريقة هنا: الخطاب بما خوطب به هذا الصحابي الجليل الكامل الاستغراق في شهود الواحد الأحد. فافهم والله تعالى أعلم.

وإن كنت مزكوما فليس بلائـق مقالك هـذا المسك ليس بفائح

وهذه اللطيفة تتعلق بالكرامة الأولى المشار إليها بقول الناظم، ومنه أنّ خاتم الرسالة... إلى ءآخر البيت. اللطيفة الثانية في ذكر الكرامة الثانية إشارة إلى أنّ سيدنا رضي الله عنه من المتحققين بالقدم السليماني وهم رجال مخصوصون من هذه الأمة المحمدية. قال الشيخ محي الدين رضي الله عنه في حديث: إنكم تُسئَلون عن نعيم هذا اليوم، ولم يكن سوى ثمر وماء، إنما لم يُدخِل نفسَه صلى الله عليه وسلم في الجماعة، ليُعْلِمَك، أن لِلّه عبادا سليمانيين يقول الله لأحدهم:(هذا عطاؤُنا فامْنُنْ أوَ أمسِكْ بغيرِ حساب) . قال: وهم 70.000 من هذه الأمة وقال في عكاشة رضي الله عنه: أنت منهم انتهى. وفي وصف الناظم هنا للشيخ رضي الله عنه بقوله: رفيع الذكر رمز لهذه اللطيفة. فإن كان قصده فذاك وإلاّ فهو من غريب الاتفاق.اللطيفة الثالثة: قد تقدم لنا أنهم فسّروا العطاء بالتفضل وأن المراد محض التفضل الوارد على سبيل الاستحقاق والوجوب وفيه بشارة من وجهين: أحدهما أن الكريم إذا شرع في التربية على وجه التفضل فالظاهر أنه لا يبطلها بل كان كل يوم يزيد فيها. الثاني إمّا أن يكون بسبب الاستحقاق فإنه يتقدر بقدر ذلك, وفعل العبد مُتَنَاهٍ فيكون الاستحقاق متناهيا والتفضل نتيجة كرم الله وكرم الله غير متناه. فلما دلّ لفظ العطاء على أنه تفضّلٌ لا استحقاق أَشْعِرَ بالدوام و التزايد أبدا.اللطيفة الرابعة في لفظ العطاء أيضا إشعار بالاختصاص لأن الاعطاء يوجب التملك وهو سبب الاختصاص و يدل له أن نبي الله سليمان قال:(هبْ لي مُلكا لا ينبغي لأحدٍ منْ بعديَ) فقيل له:(هذا عطاؤُنا فامنُنْ أوَ أمسكْ بغير حِساب). وقد تقدم عن الشيخ محي الدين أن عكاشة من أهل هذا الاختصاص، وعليه ففي قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة رضي الله عنه: سبقك بها عكاشة إشارة إليه. وقد حام بعض شرّاح الحديث حول هذا فقال: قال صلى الله عليه وسلم ذلك لأنه أوحِيَ إليه أنه مجاب في عكاشة، ولم يوحَ إليه في غيره وقيل غير ذلك. وعلى كل حال ففيه مع الإشارة إلى الاختصاص تربيةٌ وتأديبٌ حسن كما رزقنا الله الأدب مع أهل الرتب بمنّه.وبيان ما أخذ من التربية وحسن الأدب من هذا الحديث هو ألاّ يتمنّى المريد ما فضّل الله به بعض إخوانه عليه بألاّ يحمله على ذلك إلاّ حصوله لأخيه بل يسأل الله تعالى أن يهبه

من فضله خيرات الدنيا والآخرة على وجه ما يختاره له سبحانه ويرضاه ويرتقب الإجابة في ذلك على يد شيخه متوسلا في ذلك به ومستمدا منه بقلبه ويستمر على ذلك مفوِّضا مستسلما حتى يفيض الله عليه مثل ما أفاضه على أخيه الذي نال ذلك الأمر أو وقع عليه الاختصاص الإلهي الذي وقع على ذلك الأخ أم لا لما في ذلك من سوء الأدب واستعجال الشيء من دون إبّانٍ ولا استعداد بل بمجرد الهوى والمنافسة النفسانية لا غير. فوقع التنبيه على هذا الأدب في الحديث أعني في قوله صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عكاشة إذْ لو أجاب صلى الله عليه وسلم الثاني َلأوْشك أن يقوم ثالث ولو أجاب ثالثا لأوْشك أن يقوم رابع وخامس وهلمّ جرّا. وليس كل واحد صالحا لذلك. وقد قيل في قوله تعالى:(ولا تتمّنوْا ما فضل الله به بعضَكم على بعض) من جهة الدنيا والدين لأن ذلك يؤدّي إلى التحاسد والتباغض انتهى.أنظر شرح شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري على صحيح الإمام البخاري في باب ما يكره من التمني وبيّنّا هذا الأدب هنا ووجه أخذِه من الحديث تتميما للفائدة المشار إليها في هذه اللطيفة تكميل المراد بقول الأولياء: قيل لي: الإلهام الصحيح المختص بالأكابر وهو أن يقع ذلك في نفسه وقوعا لا يمكن تكذيبه ولا يصحّ ردّه ولا يصحبه هوى يثلج به الصدر وينشرح به القلب. قاله الشيخ زروق وقال بعض المحققين: هو معنى يجده الولي في نفسه من غير تعلق بحس ولا خيال فيخرج إتيان الملَك بالأمر الإلهي كما تخرج الرؤيا الواقعة أيضا. وذكر الشيخ زروق قول ابن عرفة الفقيه المالكي الشهير رحمه الله تعالى في حق الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: ما يثْقُل عليّ شيء مثل ما يثقل عليّ قوله قيل لي: قال ولا أقبله منه ولا من المرجاني المقطوع بولايته انتهى. قال يعني الشيخ زروق رضي الله عنه على قول الإمام ابن عرفة هذا رحمه الله تعالى: أمّا ثقله فمن جهة عدم اعتياده وكثرة ما يجري من المدّعين بسببه ولأنه لفظٌ موهِم بصورته. ثم هذا الثقل ليس بحجة في نفسه لعدم إبداء الوجه والدليل فيه. وأمّا كونه لا يقبله فلا يضره ذلك وهو على علمه ولا يقوم ذلك في حق غيره لأن حق الله تعالى في كل أحد لا يتجاوز علمه إلى غيره(ولا تَقْفُ ما ليسَ لَكَ بِهِ عِلْم). انتهى المراد منه. وراجع كلامه بتمامه في شرحه لحزب البحر إن شئت. وبالجملة فما يُلْهَمه الأولياء ويُخاطَب به عوالمهم اللطيفة أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم ودليله من السنة قوله صلى الله عليه و سلم: أنه كان فيمن قبلكم محدثون وإن كانوا في أمّتي فعمر منهم أو كما قال صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى: ومثل ذا لن يحظلا حسبما تقدم الإشارة إليه. ثم قال رحمه الله تعالى:

و كل ما ينال كل عارف ... من الخلال و من المعارف
فشيخنـا أمده من النبـي ... وحزبه بنيله للرتـــب
فخضعت رقاب الأوليـاء ... لقدمي شيخي بلا امـتراء

الخِلال جمْع خُلّة بمعنى خصلة والمراد بها هنا الخصال الحميدة والنعوت الكمالية المجيدة والمراد بحزبه صلى الله عليه وسلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والرتب الدرجات. والمراد رتبة القطبانية العظمى وجمعه للتعظيم أو باعتبار ما احتوى عليه مقام القطبانية من الدرجات أو المراد ما اختص به في مقام القطبانية من درجة الاختصاص التي لا مطمع فيها لأحد من كل الخواص. وهذا أنسب. فالمقام كما يدل عليه سياق الكلام والخضوع معروف والمراد به الانحناء والتطأطأ ورقاب جمْع رقبة والمراد الرؤوس وقدميْ تثنية قدم الرِّجْل والامتراء تقدَّمَ وباقي الألفاظ واضح. يقول ومن كرامات سيدنا رضي الله عنه وأرضاه وخصائصه التي اختصه بها بسابق العناية مولاه أن كل صفة كمالية جلالية أوجمالية نالها أحد من العارفين المقربين الكرام إلا وقد أمدها بسابق التخصيص الأزلي هذا الإمام من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. وحضرات إخوانه من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.ومن حضرته رضي الله عنه أفيضت على جميع العارفين المقربين من أولياء الله. فبسبب ذلك خضعت له من جميع الأولياء

الأعناق وأذعنوا لقدْره في عوالم الغييب بالاطباق . و من هنا كانت نسبة جميع الأقطاب الى مقامه الخاص كنسبة عامة الأولياء إلى القطب الأكبر صاحب الاختصاص. وأشار الناظم رحمه الله تعالى بما ضَمَّنَهُ هذه الأبيات إلى ما رويناه عن غير واحد ممن حضره من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الثقاة الأثبات، وهو أنه رضي الله عنه كان يتحدث على عادته مع خاصة أصحابه فجرى ذكر المقالة الشهيرة عن شيخ الشيوخ وإمام أهل التمكين والرسوخ مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي ِلله. فنهض رضي الله عنه وكان متكئا فاستوى جالسا ومدّ رجليْه الشريفتين وقبض عليهما بيديْه وقال: الشيخ عبد القادر قال ذلك في أولياء زمانه وأنا أقول قدماي هاتين على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن ءادم عليه السلام إلى النفخ في الصور انتهى.وجعل الناظم رحمه الله تعالى سبب استحقاقه على الأولياء لهذه المقالة السنية نيله رضي الله عنه لما اختص به عنهم من السمو في المرتبتين الخاصتين به الختمية والكتمية وهو نظر سديد مؤيد بالإلهام صادر عن نفوذ بصيرة وذوق تام. وبيانه أنه رضي الله عنه, حسبما أشار إليه الناظم قال في بساط التعريف بمقامه الخاص به أن القطب المكتوم هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء. فكل ولي لله تعالى من لدن آدم عليه السلام إلى النفخ في السور لا يتلقى فيضا من حضرة نبي إلا بواسطته من حيث لا يشعرون ومدده الخاص يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطّلاع لأحد على فيضه الخاص به انتهى. ومرة قال رضي الله عنه: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومنها يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وخُصِصتُ بعلوم بيني وبينه منه بلا واسطة لا يعلمها إلا الله عز وجل انتهى. وقال لا يشرب وليّ ولا يُسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وإلى هذا الإشارة بقوله: وكل ما ينال كل عارف إلى آخر البيتين وهذا أقوى في السببية مما جعله الشيخ زروق رضي الله عنه سببَ استحقاق الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني لمقالته على الأولياء وهو كثرة عبادته وعلمه مع نسبه الشريف لوجود المشارك في هذا. وإن لم يوجد المسامي في زمانه بخلاف ما جعله الناظم سببا لاستحقاق سيدنا رضي الله عنه المقالة على الأولياء فإنه لم يشاركه فيه غيره ممن تقدم من الأولياء أو تأخر على أننا وإن نظرنا إلى ما بنى عليه الشيخ زروق وقطعنا النظر عن غيره فإن سيدنا رضي الله عنه قد اجتمع له ما ذكر من العبادة والعلم والنسب بلا شك. وزاد خصلة رابعة وهي كونه في آخر الأخير من الأزمان. قاله في الجواب المسكِت فراجعه فيه إن شئت. وعضد الناظم ما ذكره من السبب بما عضده من قول سيدنا رضي الله عنه في كلامه الثابت عنه في التعريف بالقطب المكتوم أيضا وهو قوله رضي الله عنه: نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب لأن مقامه غيب الغيب لا علم لهم به... إلى آخر كلامه. انظر الجامع. وبهذا تعرف ما عقده الناظم رحمه الله في هذه الأبيات من كلام سيدنا رضي الله عنه الثابت عنه من طريق القطع بتواتر أخبار الثقات ثم إن قول سيدنا رضي الله عنه في مقالة الشيخ مولانا عبد القادر رضي الله عنه إنما قالها باعتبار أهل زمانه هو الذي صرح به شيخ الطريقين وإمام الفريقين أبو الفيض سيدي احمد زروق في قواعده رضي الله عنه ولم نقف فيما وقفنا عليه من كلام غيره على ما يخالفه. وعليه فهي له رضي الله عنه على أهل زمانه حقيقة لأنه أدرك أعلى الدرجات التي لم يدركها غيره في مقام القطبانية والإمامة الكبرى والخلافة العظمى. وما أثبتوه لتلميذه الشيخ أبي السعود بن الشبلي رضي الله عنه من شفوف الرتبة وسمو الدرجات لا ينافي المقالة لأنه يكون من النادر الذي لا تشمله المقالة أو تكون المقالة باعتبار ما آل إليه الشيخ عبد القادر رضي الله عنه عند الموت فإنهم نصّوا على أنه أدرك ما اختص به تلميذه المذكور عند موته أو يكون ما اختص به أبو السعود من باب المزية وهو أضعف هذه الوجوه، لأن المتصف به أبو السعود كان مقاما له لا حالاً، كما يعلم ذلك بالوقوف عليه في كلام من تكلم عليه من المحققين والله اعلم. وعلى كل حال، فالمقالة

تقتضي شفوف رتبة الشيخ عبد القادر وعلو درجته على غيره، لأنها نص مقبول في ذلك لما تقرر عند المحققين من أن مثل هذا مما يقتضي الأفضلية على جنس أو نوع لا يثبت إلاّ بدليل يستدَلّ به عليه من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو إجماع أمته. وألحقوا بذلك أخبار الولي الثابت العدالة كالشيخ عبد القادر رضي الله عنه وكسيدنا رضي الله عنه لأن الولي الموصوف بما ذُكِر لا يذكر ذلك إلاّ بتعريف إلهي. ومن جملة ما يقع به التعريف الإلهي للأولياء الإلهام الذي يثلج الصدر وينشرح له القلب. وقد علمتَ أنه معمول به عندهم دون توقف ولا تردد، وعلى هذا فلا سبيل إلى تكذيب الشيخين أو أحدهما رضي الله عنهما في المقالة المذكورة. ولا بد في هذا الباب لمن ألهمه الله رشده من أحد الأمرين، إمّا تصديق وإمّا تسليم. ومتى خرج عنهما معاً خيف عليه الهلاكُ والبوار بارتكابه في مِهوات الإنكار على أولياء الله المقربين الأبرار فيما هو ممكن في قدرة الفاعل المختار.وقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: من كان يخبر عمّا يشاهِد يجب على السامع التصديق به إنْ كان مريدا، أو التسليم إنْ كان حبيبا انتهى. وهذا الكلام قسطاس مستقيم لمن أراد السلامة لنفسه ولدينه من الوقوع في ذلك المرتع الوخيم. أعاذنا الله بمنه وكرمه ءآمين. وإذا عرفت هذا، فيجب ألاّ يُلتفَت إلى استثقال من يستثقل مثل هذه المقالة من سيدنا رضي الله عنه كائنا من كان لأنه لم يبق بعد ما ذكرناه وجهٌ لاستثقاله إلاّ التقييد بالعناد والمألوف وذلك من أعظم الحجب المانعة من قبول الحق وأقوى أسباب الحرمان.

تنبيهان: الأول ربما قال المنكر المولع بالإرجاف المتجنب لطريق الإنصاف أن قول سيدنا رضي الله عنه من لدن آدم إلى النفخ في الصور، يتناول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وجدّد عليهم سحائب الإفضال والإنعام فيقال له: هذا الذي قرّرته باعتسافك وجُهدك وصوّرته في خزانة وهْمك من ضعف عقلك بادي البطلان حتى عند من معه أدنى رمز من العامّة والصبيان وذلك لأن الوليّ في الاصطلاح اليوم المتبادر إلى الأذهان غير الصحابة رضوان الله عليهم. فصار حقيقة عرفية في غيرهم من صالح الأمم المخصوصين بالمعارف والأسرار مجازا في الصحابة ولا يعدل إلى المجاز متى أمكنت الحقيقة. وإن كانت الصحابة هم الأولياء الكبراء والسادات العظماء ألا ترى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أولياء الأولياء لكن لا يقال لهم ذلك في الاصطلاح بدليل مقابلتهم به في مثل قولهم: الأنبياء معصومون والأولياء محفوظون ويشهد لكون الولي في العرف حقيقة في غير الصحابة أن من قال مثلا: رأيت كلاما لبعض الأولياء إنما يتبادر منه الأولياء غير الصحابة. والمتبادر عند التجرد عن القرينة دليل على الحقيقة. قال في نشر البنود على مراقي السعود: المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من اللفظ مع عدم القرينة هو المعنى الحقيقي لهم وغيره مما لا يتبادر إليه إلاّ بالقرينة هو المجازي. قال في جمع الجوامع: اللفظُ إمّا حقيقة أو مجازا... إلى أن قال: ثم هو محمول على عرْف المخاطب أبدا انتهى. فبان واتّضح أن قول سيدنا رضي الله عنه: كل وليّ... الخ خصصه العرف بغير الصحابة رضي الله عنهم، وأحرى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقد عدّ الأصوليون العرف من المخصصات انتهى. انظر إلى الجيش الكفيل.ويبيّن مراد الشيخ رضي الله عنه بالولي في هذه المقالة جوابه رضي الله عنه لمن سأله عن الولي المفتوح عليه والصحابي غير المفتوح عليه أيهما أفضل بقوله الحق؟: إن الصحابي أفضل لحديث: إن الله فضّل أصحابي على سائر العالمين ما عدا النبيين والمرسلين ولحديث: لو أنفق أحدكم مثل ُأحد ...(الحديث). وما فاز به الصحابة من مشاهدة طلْعته صلى الله عليه وسلم التي لم تحصل لغيرهم ولأن غيرهم في موازينهم وكان رضي الله عنه يقول: أعمالُ غير الصحابة بالنسبة إلى أعمالهم رضي الله عنهم كسيْر النملة بالنسبة على طيران القطاة انتهى. ومعلوم أن كلام من كان مثل الشيخ رضي الله عنه يخصص بعضه بعضا و يقيّده والله الموفق.التنبيه الثاني: قد يقول المعارض لهذه المقالة

هي شطح ممن صدرت منه لأنها كلمة تدل على الرتبة عند الله على طريق الفخر بذلك والأولياء الصادقون لا يفتخرون على أحد فلا يكون الشطح إلاّ عن رعونة نفس وذلك نقص ظاهر في صاحبه. فيقال له: لا يذهب برَسَنِك الجهلُ كل مذهب فتقع في الخوض فيما قصُر عنه إدراكك من الخوض فيما تعلق بمقامات أهل الرتب. وإن أردت الوقوف على عين التحقيق والتماس نور الإيمان والتصديق فارجعْ وراءً وأعدْ في كلام المحققين في هذا البيان نظرًا. وقد أفصح أهل التحقيق والفحول من أئمة الطريق بأنّ الشطح الصادر من الأكابر بحكم الوراثة إنما يصدر منهم عن أمر إلاهي وحينئذ فلا تبقى فيه شائبة للفخر حسبما صرح بنفيه في حديث: أنا سيد ولد آدم ولا فخر. قالوا في معناه: أي ما قصدتُ الافتخار عليكم بهذا التعريف وإنما أخبرتكم لمصلحة تعود عليكم وتضمّن قول سيدنا عيسى عليه السلام:(إنّي عبْدُ اللّهِ ءآتينِيَ الِكتابَ وجَعلَنِي نَبيئًا)، الآية. نفَى الفخر أيضا لتصدّره فيه بوصف العبودية. ومعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام معصومون. فما جاء النفي للفخر في تعريفهم لأنفسهم الا لتعلم ان من التعريف ما ليس بفخر وهو ما يكون عن أمر إلهي للرسل عليهم الصلاة والسلام ولورثتهم بحكم الإرث منهم وهم الكمّل من الأولياء رضوان الله عليهم. وما كان عن غير إذن إلهي فهو زلّة في حق المحققين وبقية من بقايا رعونات النفس و إن كان صادقا؛ وفي ذلك قيل:

الشطح دعوى في النفوس بطبعها ... لبقيـة فيها ِلآثـار الهـوى
هذا إذا شطحت بقول صـــادق ... من غير أمر عند أرباب النهى

وقوله: من غير أمر إلهي حسبما تقدم وعلامة من يشطح من غير أمر إلهي و إن كان صادقا قال: أن يبتليَه الله تعالى بالفقر والذلة والرجوع إلى أصله لا محالة. وفي مثله قيل: من بسطه الإذلال قبضه الإذلال وفي مثل من يشطح بصدق من غير أمر إلهي قيل: الدعوى قبيحة وإن كانت صحيحة. فتحصّلَ أن الشطح الصادر من كمَّل المقربين ورثة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لا يكون إلاّ عن أمر إلهي لذلك الكامل لتعريفه نفسَه ِلأتباعه لمصلحة تعود عليهم في ذلك. وما كان كذلك فلا فخر فيه البتّة بل فيه تبشير الأتباع و تثبيتهم وتقويةٌ ِلأيمانهم لأن كمال الانتفاع للتابع من المتبوع يكون بقدر معرفته له. والمعرفة قد تحصل بتعريف غير ذلك الكامل وقد تحصّل بتعريفه لنفسه بنفسه. قالوا: ومن أثنى على نفسه أمكن وأتمّ ممن أثنى عليه غيره. فالتعريف بالنفس عن أمر إلهي صفة المتمكنين في مقامات الكمال. (واللهُ يقولُ الحقَّ وهُو يَهدِي السّبيل). وقد كان من حق الناظم رحمه الله تعالى أن يعقد هنا المقالة بتمامها بأن يأتيَ بما ينصّ به على أنّ المراد بالأولياء من لدن عصر آدم عليه السلام إلى النفخ في الصور، حسبما صرّح الشيخ بذلك ولا يكتفي بإطلاق لفظ الولي. وقد زدت عقب قوله: فخضعتْ رقابُ الأولياء البيت بيتا لمن أراد أن يلحقه هنا وهو:

من سابِق عليه في الوجود ... ولاحِقٍ ومَن آخَى شهود

والله المستعان وعليه التّكلان. ثم ذكر كرامة تعضد ما قبلها أيضا فقال:

يصعد مـن النور منبر غـدا ... يسمو بـه سنى وســـؤددا
ثـم ينادي عند ذا منـــادي ... يا أهـل ذا الحشر و هذا النادي
هـذا إمامكم وذا ممــدّكم ... فـي دار دنياكم بغيـر علمكم

الصعود الرقيّ والمنبر المنصّة المعروفة والنور الضياء والسنى بالقصر الضياء والسؤدد الشرف والحشر الجمع ويوم الحشر يوم القيامة والنادي المجلس. والمراد المجمع العظيم الذي هو المحشر. وباقي الألفاظ واضح. يقول: ومن كرامات سيدنا رضي الله عنه التي أردت ذكرها في هذا المقام ما تواتر عنه رضي الله عنه بين سائر أتْباعه الخاص منهم و العامّ من قوله رضي الله عنه: إذا جمع الله خلْقه في موقف القيامة وُضِع لي مَنبر من نور فأرقاه بحمد الله تعالى رُقيّ المَبَرّة والكرامة ثم ينادي منادٍ يسمعه كل من حضر: هذا إمامكم الذي كان منه مَدَدُكم فيما مضى لكم من أيام دنياكم وغَبَرَ انتهى بمعناه.وغالب لفظه وهو

مشهور فيما بأيدي الأصحاب المعتنين بتحصيل الفوائد والفضائل والتقييدات والوجادات بخطوط أصحابه الأفاضل. وهذه الكرامة الفائقة مما يتضح بها وجه السبب في استحقاق سيدنا رضي الله عنه للمقالة السابقة وهي أيضا مما لا يستغربه إلاّ معاند. وقد أوديَ به والعياذ بالله داء الضرائر أو جاهل بسَعة فضل الملك القادر. وقد نقل الشيخ زروق رضي الله عنه عن الإمام العقباني أن كل كرامة لولي فهي تصديق لنبيه الذي اتّبعه. فالتكذيب بكرامات الأولياء كالتكذيب بمعجزات الأنبياء انتهى. فلم يبق لمن سلك الله به أقومَ سبيل إلاّ الرجوع إلى ما تقدم آنفا عن الشعراني في قوله: من كان يخبر عمّا يشاهِد فيجب على من سمعه التصديق إن كان مريدا والتسليم إن كان حبيبا. والله يعصمنا من الزلل بمنه وكرمه ءامين ثم قال الناظم رحمه الله:

طائفة من صحبه لو اجتمع	أقطاب أمـة النبي المتّبـع
ما وزنوا شعرة من فــرد	منها فكيف بالإمام الفــرد
جعلنا مَن خَلَقَ البريّــة	من هذه الطائفة العليــة
وعنه في عدد هذه الفئــة	من صحبه أكثر من ستمائة

الصحب جمعُ صاحب ويُجمع على أصحاب وصحابة والأصل في هذا الإطلاق أن يراد به مَن حصل له رؤية ومجالسة ووراء ذلك شروط للأصوليين. ويطلق مجازا على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال: أصحاب الشافعي وأصحاب مالك وأبي حنيفة وابن حنبل. والمراد هنا الإطلاق المجازي فيشمل الأتباع وإن لم تحصل لهم معاصرةٌ فضلاً عن الرؤية والمجاورة. والبرية الخليقة والفئة الجماعة أيضا كالطائفة. يقول: وما الإشارة إليه أيضا في هذا المقام من كرامات هذا الإمام ما اشتهر أيضا بين الأتباع مما تلقاه منه الخاصة من أصحابه الكرام من أنّ طائفة من أهل طريقته هذه الأحمدية المنخرطين في سلك سلسلته المحمدية لو اجتمع أقطاب هذه الأمة الشريفة ما وزنوا شعرة مما اختُصّ به الواحد منهم من المقامات الرفيعة والأحوال السامية المنيفة فكيف بقدوتهم وإمام سلسلتهم الآخِذ بأزمامِهم وأزِمّتهم. نسأل الله تعالى الذي أوجدنا بسابق عنايته من العدم أن يجعلنا من هذه الطائفة السنية بمحض الجود والكرم.وثبت عن سيدنا رضي الله عنه في عدد هذه الطائفة وهذه الفئة أنها تزيد على الستمائة. وهذا أيضا مما عُرف أصله بين الأصحاب وهو موجود بأيديهم في غير ما تقييد وكتاب. وقد أتينا به أيضا بمعناه أخْذاً بالحظ الذي قصدناه من خدمة هذا الجناب المعظم ورُمناه ثم أننا جعلنا المراد عند الناظم رحمه الله تعالى بالإمام الفرد هنا سيدنا رضي الله عنه جريا على المتبادَر في الذهن أنّها للعهد الذكري لتقدم ذكره رضي الله عنه بالوصف المذكور قريبا.و يحتمل أن تكون للعهد الذهني وبيانه ما تقرر في أذهان الإخوان والأتباع من أن سيدنا رضي الله عنه ذكر هذه الطائفة بما تقدم ثم بعد ذلك قال مرة: رجل واحد برز من الطائفة يعني الطائفة المذكورة. وقال فيه أنه لا يعرف لا في الدنيا ولا في الآخرة ولم يزد من وصف علاماته بعد تشوف أصحابه إليه في ذلك التشوف الكثير على أن قال: هو فاسيّ أمّا وأبا. فعلى هذا يكون هذا الواحد المبرز من هذه الطائفة الخاصة الذي هو إمامها الفرد هو المراد عند الناظم.والحمل على هذا وإنْ كان الأول هو المتبادر أولى ليلاّ يفوت الناظم عقده الكلام المتعلق بهذه الطائفة بتمامه. وهذا مبني على ما استفدناه من مذاكرة أصحابه رضي الله عنهم. وقد رأيت كثيرا من الأصحاب اليوم يحملون الطائفة من قول الشيخ رضي الله عنه: رجل واحد ظهر من الطائفة على أهل طريقهم بأسرهم لا خصوص هذه الطائفة المذكورة. وعليه فيكون هذا الواحد ليس معدودا فيها وحينئذ فيراد بالإمام الفرد في كلام الناظم سيدنا رضي الله عنه خاصة. ثم إن ما ذكره الناظم من العدد بهذه الطائفة وهو أنها أزيد من الستمائة رأيته فيما وقفت عليه من كلام بعض الخاصة ممن ألّف في الطريق مفصلا وذلك أنه ذكر من الأوجه التي سمّيت بها هذه الطريقة إبراهيمية أن الله تعالى جعل في ذرية إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والرسل أصحاب الشريعة وغيرهم ما يطول عدّه. قال: وقد ذكر رضي الله عنه وأرضاه أن الكمل

للتربية والإرشاد من أهل طريقه يبلغ عددهم ستمائة من الإنس وثلاثمائة من الجن. ثم قال: أو قريبا من هذا. والذهن خَوّان انتهى.والظاهر أنّ قوله أو قريبا من هذا راجع لعدد الكمل من الجنّ. وقال السيد المذكور عقب هذا ما نصه: ثم قال رضي الله عنه يعني سيدنا جعلنا الله في حماه كلها مني وإليّ يعني: الطريق التي يربِّي بها الكمل المذكورون انتهى. وهذا من هذا السيد فيما نقله من كلام سيدنا رضي الله عنه صريحٌ في أن هذه الطائفة المذكورة هو من كان من أهل التربية الخاصة منها كالأستاذ سيدي الحاج علي التماسيني وأمثاله رضي الله عنهم أجمعين. وبه تعرف أن التربية ليست ممنوعة في طريقنا كما يتوهمه بعض الأصحاب وإنما الممنوع التظاهر بدعواها على رسم المتشيّخين في هذه الأزمنة وقبلها حسبما أشار إلى ذم التظاهر بذلك وفتح باب التسليك به الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه وقال: إنّ ترْك العارفين فتح هذا الباب في هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه إلاّ مَن أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدّعين للمراتب المتنازعين عليها.وكيف يتوهم وجود منع التربية في الطريق مع ما نقل صريحا عن الشيخ رضي الله عنه في وصف هذه الطائفة المخصوصة ومع ما ذكره في الجامع رضي الله عنه. ونص المراد منه: سمعته يوما يقول: إذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك. فقال له بعض أصحابه: منك أو من الله؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: من الله تعالى من غير اختيار مني. ذكر هذا في يوم الأحد الثاني من شهر الله شعبان عام خمسة ومائتين وألف. ثم قال في يوم الإثنين: الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابي في التصرف والتربية للخلق وأما غيره فلا خوف عليه من جانبي. انتهى المراد منه بلفظه هنا وهو صريح فيما ذكرناه. قلت: وكنا نرى أن خروج الخليفة المعظم سيدي علي حرازم رضي الله عنه من فاس وتوجّهه إلى الحجاز إلى أن توفي هناك من أجل هذا الذي ذكر هنا والقرائن الشاهدة لذلك كثيرة منها ما بلغنا عنه من أن الشيخ رضي الله عنه أمره إذا وصل إلى مصر بتربية بعض من كان بها إذ ذاك من أصحابه إلى غير ذلك مما يطول جلبه. وقريب من هذا أيضا خروج مؤلف الجامع القدوة البركة سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه من فاس إلى الصحراء، إلى أن توفي بها كذلك أيضا وهو أنسب بحاله وبمقام الشيخ رضي الله عنه مما يجعله بعض الأصحاب سببا لخروجه وسفره عن الشيخ رضي الله عنه. وإنْ ثبت شيء من ذلك الذي يشاع بين الإخوان اليوم فهو من الأسباب الظاهرة التي هي من جملة ما يستر الله به على أوليائه مقاماتهم وأحوالهم معه سبحانه. والكف من متابعة ما يشيع ذلك من آكاد ما ينبِّه عليه الإخوان بعضهم بعضا، لتخلُص لهم المحبة في الخواص من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين لا يبعد أن يكونوا من هذه الطائفة المخصوصة، بما ذكره الشيخ رضي الله عنه من الفضيلة الباهرة والمكانة الفاخرة إذ لا أقلّ مِن أن يُحرَم بركة الاعتقاد الجميل فيهم. من ينصت الى شيء مما يشير إلى تنقيصهم. ومَن حُرم بركة الاعتقاد الجميل في مثل هؤلاء حُرم الخير الكثير إنْ سلِم له ما معه.أعاذنا الله تعالى من بلائه بمنه.وسافر عن الشيخ أيضا رضي الله عنه ممن كان حريصا على مجاورته، والمقام لديه رجال آخرون يغلب عن الظن أنهم انما سافروا عنه رضي الله عنه من اجل ما ذُكر ولعلنا ننبّه على هذا عند التعرض لذكر من ذكره منهم فيما سيأتي للناظم منهم إن شاء الله تعالى. و انما أشرنا الى ذكر ما هو الحق انشاء الله تعالى في مسألة التربية هنا لما أفضى به منع المانعين لها في الطريق بناء على ما توهموه فقط من قيام بعض الناس على أصحابنا في هذا وقولهم لهم أن طريقكم ليس فيها تربية ولا إمام يقتدَى به فيها حتى دخل التشويش على بعض الأصحاب من أجل ذلك. وزاده تشويشا وحيرة كون سيدنا رضي الله عنه ذكر حسبما في الجواهر وغيره أن الفتح والوصول لا يجري الاّ على يد الأولياء الأحياء الخ... فلو اهتدى إلى أنّ التربية موجودة في طريقنا إمّا بوصفها الأكمل الذي هو حصول الإذن من الله ورسوله أو بالإذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه ولو بالوسائط في الدلالة والإرشاد لما دخل عليه ما ذُكِر من التشويش

والحيرة. وقد قيدنا في هذه المسئلة ما تيسر مما يكفي إن شاء الله ويشفي لمن سألنا عن ذلك ومحصّل هذه المسألة أن هذه الطريقة المحمدية يوجد في أفرادها من يُفتَح له في التربية بها أي بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة بحيث لا يخرج عمّا حدّه الشيخ رضي الله عنه في ذلك مما تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنها طريق محمدية أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ منه إليه وضمن ِلأهلها ما ضمنه من الأسرار والخيرات والبركات. ولا سبيل إلى الخروج عما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم وترتّب ضمانه عليه. فافهم ذلك وفي هذا القدر الذي نبّهْنا عليه من ذلك هنا كفاية. والله ولي التوفيق والهداية. ثم قال الناظم رحمه الله تعالى وقدس سره.

ومـا بزاويته يصلّـي قطعـا　　　　يكـون للقبـول أهــلا

المراد بها هنا زاويته التي بها مدفنه وهي المعروفة بفاس والمراد بالصلاة هنا الفرض والنّفل. يقول: ومن هذا الذي قصدتُ ذكره هنا من كرامة سيدنا رضي الله عنه التي شاعت عند المعتقد على رغم أنف المنتقد ما تواتر الخبر به عنه رضي الله عنه وأرضاه من أن الصلاة بزاويته المباركة مقبولة قطعا بفضل الله. وهذه الكرامة أيضا من جملة ما يذكره المشائخ الكبار لمن تعلق بهم من الصادقين الأبرار على طريق الرجاء في فضل الله تعالى الذي لا يحدّ بقياس ولا يتعدد بمقدار ليلاّ يفوت الراغبين في كرم الله هذا الفضل العظيم إنْ حققه الله. وليس في هذا ومثله ما يصدر من كمل أهل الله ما يوجب استغناء عن العلم والعمل ولا أمنا من مكر الله. فالتكليف باق بحاله والخوف والرجاء بحالهما كذلك وإن شَذّ جاهل فاغترّ أو أمِنَ فلا التفات له ولا ِلأَشكالِه. وإذا كان من المشايخ من يبلغ من كرامة الله إياه إلى أن يأخذ عهدا من الله تعالى ألاّ يسوق إليه إلاّ المقبول في سابق علم الله كما ذكره الشيخ أبو علي اليوسي رضي الله عنه عن شيخ سلسلتهم الشيخ أبى القاسم الغازي رضي الله عنه فكيف يبعد أن يكرم شيخنا رضي الله عنه بألاّ يهتديَ للصلاة في زاويته إلاّ من كانت صلاته مقبولة في سابق علم الله. وهل عَدمُ التسليم لذلك إلاّ محض مكابرة وجحود لفضل الله. وأيضا إنّ من المعلوم المقرر بين الخواص والعوام أن بقاع الأرض تكتسب الشرف بسبب من يحلّها من أهل الخير والصلاح. ومنها ما يختص بخصائص عظيمة ومزايا جسيمة بسبب من يتعبد اللهَ تعالى فيها من أهل القرب والرشد والفلاح. ومن هنا كان مذهب المحققين من أهل الطريق ألاّ تدخلَ مَحَال تعبّدات العارفين الكمل إلاّ على طهارة كاملة وذكروا أن رجلا دخل خلوة الشيخ أبي يزيد البسطامي وهو جُنب فاحترق. وقد ورد أن بقاع الأرض يفتخر بعضها على بعض بمرور الرجل الصالح عليها وصلاته بها ونحو ذلك. وفي هذا كله تحقيق ما أشرنا إليه من أن الخصائص والمزايا تسري إلى البقاع ممن يحل بها ويتعبد لله فيها. وإذا تقرر أنّ شرف الأمكنة ليس لذاتها وإنما هو لِما يودِعه الله فيها بسبب من يحل بها من الأنبياء والأولياء فأي شيء يستبعد في أن يكرم الله تعالى هذا الشيخ الجليل القدر عنده بأن يجعل زاويته التي هي مصلاّه ومحلّ توجهه إلى الله تعالى ومظنة لحضور روحانية سيد الوجود بها الذي هو أشرف خلْق الله كما تقدم لا يغيب عنه طرفةعين صلى الله عليه وسلم أهلا ِلأنْ تتلقى أعمال العاملين بها بالقبول من جل ما أودع فيها من السر الأعظم بسبب ما حصل لها من التخصيص والتكريم من أجل هذا القطب الأكرم. رُبّ حسنة تفوت ألف حسنة مثلا لِما حقّت به من الأوصاف الجميلة والخيرات الجزيلة كهذه الصلاة التي يصليها المصدّق مما أخبر به هذا السيد الجليل بفضل الله تعالى بحضور قلب وسكون وتؤدّة مع جماعة من فضلاء أصحاب الشيخ فتسري بركتهم إليه وتشرق أنوارهم عليه لأن من تحقق بحالة لم يخْلُ حاضروه منها. وقد ورد: من صلى مع مغفورله غفر له. وإذا حقّت الصلاة بهذه الأوصاف الجميلة والنعوت الجليلة مع ما سرى اليه من فضيلة البقعة وبركة منشئها وسرّ الإذن في الصلاة فيها وغير ذلك مما فاقت به غيرها بأضعاف مضاعفة فلا يبعد أن ترتقي في الفضل إلى درجة القبول بفضل الله تعالى. وقد أجيب بمثل هذا عن بعض العارفين كان يصلي بمسجد شيخه من المدينة

المنورة ولا يأتي الحرم الشريف مع ما في الصلاة فيه من الفضل العظيم والسر المنيف وذلك لأن شيخه، وكان قطب زمانه إذ ذاك، أمره بالصلاة في مسجده وقال له: إنّا لنرجو من الله أن يحصل لك من الثواب مثل ما يحصل لمن صلى في الحرم الشريف. ومعلوم أن الصلاة فيه بألف صلاة في غيره. فإِخبار هذا الشيخ بأن الصلاة في مسجده يرجى فيها ما يرجى في الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم من قبيل ما أخبربه سيدنا رضي الله عنه من الفضيلة في الصلاة بزاويته. وقد أجيب عن الشيخ المذكور بمثل ما أجبنا به بل منه اقتطفنا جل ما قيدناه في الجواب هنا بأن مثل هذا لا يقتضي مشاركة. وللمساواة للمسجد النبوي الشريف يريد أنه مزية فقط. وكذلك نقول نحن أيضا في هذه الكرامة، لأنها لا تقتضي تفضيل الزاوية المباركة على غيرها من المساجد التي ورد النص بتفضيلها وثبت الدليل به لأنها مزية فقط. ومعلوم أن المزية لا تقتضي التفضيل والله اعلم. وما ذكرناه من الخصوصيات للصلاة في الزاوية المباركة وقلنا أنه يمكن أن يكون هو السبب في اختصاصها بهذه الفضيلة هو بحسب التقريب للإفهام والذريعة إلى التوصل لإفحام الخصم المجادل في هذا المقام وإلاّ فنحن نعتقد أن هنالك خصوصية مخزونة وفضيلة سنية مكنونة لم يفش كنه حقيقتها لنا وهي التي قال من أجلها سيدنا رضي الله عنه: لو علم الأقطاب ما في الزاوية من الفضل لضربوا عليها خيامهم انتهى. ولم يبد رضي الله عنه كنه ذلك الفضل لِأحد فيما بلغنا فلم يبق إلاّ الرجوع إلى قول الشعراني رضي الله عنه المتقدم: من كان يخبر عما يشاهد الخ... وفي هذا القدر كفاية والله المسئول بجاه أحبّ الخلق إليه وأكرمهم وأحظاهم لديه سيدنا ومولانا محمد حبيبه من بريئته ومصطفاه من خليقته أن يقسم لنا التمتع بالمثول بهذه الزاوية المباركة والصلاة بها أوفر حظ ونصيب في عافية شاملة ونعم كاملة إنه وليّ ذلك والقادر عليه .آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين. قال الناظم رحمه الله تعالى:

وكم خصائص للإسم الأعظم لغير شيخنا الرّضى لم تُعلَم

الخصائص والخصوصيات والمراد هنا الفضائل والأسرار التي اختص بها هذا الإسم العظيم المقدار. والإسم الأعظم عند العارفين المحققين هو الإسم المخزون المكنون الذي إذا دُعيَ به أجاب وإذا سُئِل به أعطى كما ورد. وقالوا وهو اسم الذات المقدسة جلّ وعلا الذي ليس للذات غيره. وقوله لم تعلم معناه لم ينقل مثلها عن أحد غيرالشيخ رضي الله عنه للإسم الأعظم من الفضائل والخصائص والأسرار مما لم ينقل مثله عن واحد من الكبار. وقد نص الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في تأليفه الذي سماه الذر المنظم في الإسم الأعظم وكذا الشعراني رضي الله عنه في لطائف المنن والأخلاق وغيرهما من الشيوخ رضي الله عنهم أجمعين أنه اختلف في هذا الإسم اختلافا كثيرا فقيل: إنه لا وجود له بمعنى أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض.قال الشيخ جمال الدين سيد بن محمد بن محمد البكري الصديقي في كتابه لوامع الأسرار في الكلام عليه ما نصه: وذهبت شرذمة إلى أنه لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض لأن الموصوف واحد. قال ومن جملة من اختار ذلك أبو جعفر الطبري وأبو الحسن الأشعري وابن حبان والقاضي أبو بكر الباقلاني. قال ونحوه قول مالك رضي الله عنه وطائفة لا يجوز تفضيل بعض القرءان على بعض وحمل هؤلاء ما ورد من ذكر الاسم الأعظم على أن المراد به العظيم انتهى.ومثله حكاه السيوطي رضي الله عنه في كتابه المذكور ثم قال وعبارة الطبري, اختلفت الآثار في تبيين الاسم الأعظم والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة ولم يَرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم فكأنه يقول : كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفُه بكونه أعظم فيرجع إلى معنى عظيم. ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى: وقال ابن حبان الأعظمية الواردة في الأخبار المراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما أضاف ذلك في القرءان والمراد به مزيد ثواب القارئ. انتهى ما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى. وقال الشيخ البكري عقب حكايته ما تقدم: وحمل هؤلاء... إلى آخره ما نصه: وهذا لا يتم لهم

فإنه لا مانع أن تختلف الذوات على الله تعالى بحسب وضعها. وهذا بديهي أو في حكمه. ثم قال: ولما تعددت الصفات الإلهية وتفاوتت نظر إلى صفات الذات وصفات الأفعال وما لهما من نِسب الكمال ولم يوهم ذلك تعدد الموصوف فضلا عن اقتضائه وثبت تفضيل بعض القرءان على بعض وثبت إطلاق الأعظم في الأسماء الإلهية ولم نجد أدنى مخرج إلى صرف الكلام عن ظاهرة تعيّن الجزم بقول الجمهور وهو اثبات الاسم الأعظم في حقيقته والمتبادر من إطلاقه. انتهى الغرض منه هنا.وقيل, وهو قول الجمهور حسبما سبق التصريح به في قول الشيخ البكري رضي الله عنه أنه موجود ثابت وجوده بالأخبار المروية وأن إطلاق الأعظم في جميعها إنما هو على حقيقته والمتبادر منه وأن أسماء الله تعالى بعضها أعظم من بعض. حكى الشيخ البكري إجماع أكثر العلماء عليه ثم اختلف بعدُ في تعيينه على أقوال عديدة. قال بعضهم نحو الأربعين قولا ذكر جلها السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه المذكور وكذا الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في مننه منها أنه مما استأثر الله بعلمه ولم يُطلع عليه أحدا من خلقه كما قيل بذلك في ليلة القدر وساعة الجمعة والصلاة الوسطى ومنها أنه الله لأنه لا يطلق على غيره سبحانه ولأنه أصل في الأسماء الحسنى. ومن ثمّ أضيفت إليه انتهى.وسنذكر ما للشيخ رضي الله عنه فيه ومنها أنه هو. قال السيوطي نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتجّ له بأن من أراد مخاطبته لعظم حضرته لا يخاطبه إلاّ بضمير الغيبة تأدبا معه. ومنها: إنه بسم الله الرحمن الرحيم لما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين الاسم إلاّ كما بين سواد العين وبياضها من القرب. ومنها أنه الحي القيوم. ونقل السيوطي رحمه الله تعالى تقويته عن الفخر الرازي قائلا، يعني الفخر ِلأنهما يدلان على صفتين من صفة عظمة الربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما. ومنها أنه الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، لحديث أنس رضي الله عنه، أنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا: اللهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. ومنها أنه يا ذا الجلال والإكرام، لما ورد، أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: قد استجيب لك.

فصل:ونقل السيوطي رحمه الله تعالى عن الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى أنه احتجّ له بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الألوهية لأن في الجلال إشارة لجميع السلوب وفي الإكرام لجميع الإضافات. ومنها أنه اللهم إني أسئلك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم، سمع رجلا يقول ذلك فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب. وفي لفظ: لقد سأل الله تعالى باسمه الأعظم. قال الحافظ بن حجر، وهو أرجح من حيث السند، من جميع ما ورد في ذلك انتهى. نقله السيوطي رحمه الله.ومنها أنه رب رب، لما أخرجه الحاكم عن أبي الدرداء وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا: اسم الله الأكبر رب رب. وعن مولاتنا عائشة رضي الله عنها: إذا قال العبد يا رب يا رب قال الله تعالى: لبيك عبدي سل تُعْطَ. ومنها أنه في هذه الآية من ءال عمران: (قل اللهم مالك الملك) إلى قوله(وترزق من تشاء بغير حساب). ومنها أنه دعوة ذي النون:(لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)؛ و منها أنه اللهم نقله السيوطي رحمه الله تعالى عن الزركشي رضي الله عنه ومعناه عند بعضهم أن الميم من علامات الجمع فزيدت هنا لتشعر بأن هذا الإسم اجتمعت فيه أسماء الله الحسنى كلها. قال ابن السيد: ولهذا ذهب من ذهب إلى أنه اسم الله الأعظم. انتهى إلى غير ذلك مما ذكروه في تعيينه. وقد صرح الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه بأن جملة الأقوال فيه لا تفيد

الجزم بمعرفته. وقال جعفر الصادق و الجنيد رضي الله عنهما: كل اسم من أسماء الله تعالى دعا به العبد ربه مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتين غير الله تعالى فإن مَن تأتّى له ذلك استجيب له انتهى. نقله السيوطي رحمه الله. وحُكي نحوه عن الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه جوابا لمن سأله عنه. والظاهر أن مثل هذا مما يجيب به أمثال الشيخ أبي يزيد رضي الله عنه إنما هو بحسب أحوال السائلين، وإلاّ فبعيد خفاء الإسم الأكبر الذي هو متعارف بين العارفين بالله تعالى عن أمثالهم. فافهم والله تعالى أعلم وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب رضي الله عنه ما يفيد بالتصريح أعني أنه الإسم الأعظم غير ما دلّت عليه جملة الأقوال المتقدمة وأنه خاص بالخواص ولا يُدرَك إلاّ من طريق الكشف .ونص كلامه رضي الله تعالى عنه فيه: ممّا منّ الله تعالى به عليّ معرفتي باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ولكن لا أعلّمه لكلّ الناس إلاّ ان وثقت بدينه وبخوفه من الله تعالى وشفقته على خلْقه. فإني أخاف أن يدعوَ به على من لم يستحق الدعاء فيهلك. قال: ولولا أن غيري من الفقراء سبقني إلى كتمانه لذكرته لك مُعَيَّناَ في هذا الكتاب. ثم قال: ولا بأس بذكر جملة من الأقوال في تعيينه، وإن كانت لا تفيد الجزم بمعرفته. وذكر بعض الأقوال المتقدمة. ثم قال رضي الله عنه في آخر كلامه ما نصه: وبالجملة فلا يطلع عليه أحد إلاّ من طريق الكشف والحمد لله وحده انتهى. وقوله: ولولا أنّ غيري من الفقراء سبقني إلى كتمانه الخ.... يشير إلى أنهم متفقون على كتمانه وقد نص الشيخ سيدي محمد البكري على ذلك وذكر أنهم من شدة غيرتهم عليه يقطعون حروفه إذا كتبوه ويدخلون معها غيرها أو يوقعون حروفه على غير صورتها بأن يجعلوا مكان كل حرف منها غيره من الحروف على طريق لا يفهمها مَن عداهم ممن يقف عليه. يفعلون ذلك كله إيثارا لكتم سره الأعظم مكتفين بنياتهم في كلماتهم وكتابتهم. ونص رضي الله عنه على أنهم يتعارفون فيما بينهم رموزا تدل عليه وإشارات قدسية تومئ إليه. وبهذا تعرف أنه غير ما أشارت إليه الأقوال السابقة. نعم يصحّ أن يكون فيما استدلّوا له بها من الآثار الثابتة بعض الإشارة إليه أو الدلالة ببعض الاعتبارات عليه والله أعلم. وقد ذكر فيه صاحب الذهب الإبريز عن شيخه القطب سيدي عبد العزيز رضي الله عنه ما يؤيد ما ذكرناه فيه. فليراجع كلامه فيه من أراد ذلك. وأما سيدنا رضي الله عنه فله من الكلام الدال على كمال معرفته به وبجميع تراكيبه وكيفياتها وما اختص به كل تركيب منها من الفضيلة وغير ذلك مما يتعلق به ما يبهر العقول ويعجز عن تفصيله المنقول. وقد صرح رضي الله عنه بأنه تلقى جميع ذلك من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما. وكلامه رضي الله عنه صريح في أنه غير ما أشارت إليه الأقوال السابقة وأنه غير الأسماء الحسنى أيضا. قال في جواهر المعاني أثناء ما ذكره عن سيدنا رضي الله عنه من الكلام في هذا الإسم الأعظم ما نصه:
وقال رضي الله عنه:ان الاسم الأعظم هو الخاص بالذات لا غيره و هو اسم الاحاطة و لا يتحقق بجميع ما فيه الا واحد في الدهر و هو الفرد الجامع. ثم قال رضي الله عنه هذا هو الإسم الباطن وأما الإسم الأعظم الظاهر فهو اسم المرتبة الجامع لمرتبة الألوهية من أوصاف الإله ومألوهاته وتحته مرتبة أسماء التشتيت. ومن هذه الأسماء فيوض الأولياء. فمن تحقق بوصف كان فيضه بحسب ذلك الإسم ومن أجل هذا كانت مقاماتهم مختلفة وأحوالهم كذلك وجميع فيوض المرتبة بعض من فيوض اسم الذات الأكبر. انتهى بلفظه رضي الله عنه.فأفاد رضي الله عنه أنهما اسمان أعظمان: الإسم الأعظم الظاهر وهو الله جل وعلا إذ هو عين المرتبة التي هي الألوهية كما صرح بذلك المحققون والإسم الأعظم الباطن وهو الإسم المخزون المكنون الذي لعزته كما قال العارف بالله البكري: أخفاه الله تعالى في أسمائه الحسنى وضمنه كتبه المنزّلة على الوجه الأجلّ الأسنى ولم يطلع عليه إلاّ الأفذاذ أفراد في الأزمنة المتطاولة. انتهى ملخصا. وهذا هو الإسم الأعظم المتكلم فيه هنا وهو غير الأسماء الحسنى. وقول البكري رضي الله عنه: أخفاه الله تعالى في أسمائه الحسنى مراده أن الأسماء الحسنى متضمنة لحروفه التي يتركب منها ومشتملة عليها،

فافهم والله تعالى أعلم. وقد أفاد في جواهر المعاني فيما ذكره سيدنا رضي الله عنه مما تلقّاه من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لهذا الإسم الأعظم صيغا متعددة بتعدد تراكيب حروفه واختلافها في الترتيب وأن هذه الصيغ تتفاوت في الفضل بمعنى أنه يثاب على ذكر بعضها أكثر مما يثاب على غيره من الصيغ بأضعاف كثيرة وأنّ أعظم الصيغ فضلا هي الصيغة الخاصة بمقامه صلى الله عليه وسلم. وأخبر رضي الله عنه أنه تلقى من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم صيغا عديدة في هذا الإسم وأنه تلقى منها أيضا كيفية يستخرج بها ما أحبّ من تراكيبه. ثم أخبر رضي الله عنه أنه تلقّى من الحضرة المصطفوية أيضا عليه أزكى الصلاة والسلام الصيغة الخاصة بمقامه صلى الله عليه وسلم وكذا الصيغة الخاصة بمقام مولانا علي كرم الله وجهه. وهذه الصيغة الخاصة بمقام مولانا علي رضي الله عنه لا يعثر عليها إلاّ من سبق عند الله تعالى في الأزل أنه يصير قطبا. وأخبر رضي الله عنه أنه تلقى من الحضرة الشريفة أيضا صلوات الله وسلامه عليه خواص هذا الإسم وكيفية الدعاء به وكيفية سلوكه كما تلقى منه أيضا صلى الله عليه وسلم ما أعدّ الله تعالى لذاكره من الفضل العظيم الذي لا حدّ له ولا حصر.وذكر في جواهر المعاني من تفاصيل ذلك الفضل العظيم الذي أعطيَه سيدنا رضي الله عنه خصوصا والذي أعطيَه غيره من الذاكرين له عموما على اختلاف مراتبهم وتبايُن استعداداتهم، ما يحيّر الأذهان ويعجز عن تقريره التبيان. فليطالعه من أراده في جواهر المعاني بمحله لتعرف ما خصّ الله تعالى به خواص أوليائه من كراماته وفضله. ثم قال في جواهر المعاني بعد ذكره الفضل العظيم الخاص ما نصه: وقال رضي الله عنه إن الفضل المذكور خاص بالصيغة الخاصة به صلى الله عليه وسلم ولا يلقنها ولا يأذن فيها إلاّ القطب الجامع. قال رضي الله عنه: وأما غيرها من صيغ الإسم ففيها النصف من ثواب الكبير ثم قال رضي الله عنه: وهذا الفضل لمن أخذ صيغة من صيغ الإسم بسند متصل. وأما من عثر عليه في كتاب أو غيره وذكره من غير إذن فثوابه كل حرف بعشر حسنات لا غير ثم قال رضي الله عنه: ومن خواصه أن من عرف لفظه دون أسراره كان مأمونا من السلب الذي لا يقدر عليه أحد وإن كان لم يُفتح عليه بالولاية ولا يقدر على سلبه إلاّ القطب انتهى. وذكر في الجواهر أيضا عنه رضي الله عنه أن الفضل الخاص خاص بمن عرف أن هذا الإسم هو اسم الذات المقدسة وأنه ليس للذات إلاّ هذا الإسم وأما من لم يعرف ذلك فليس له ذلك الفضل الخاص وإنما له فضل ختمة من القرءان فقط، يعني إذا ذكره بغير إذن. فكل حرف بعشر حسنات كما تقدم. و قد أشار سيدنا رضي الله عنه إلى مثل ما تقدم عن الشعراني رضي الله عنه مما يفيد اتّفاق العارفين بالله تعالى على كتمه مع بيان الأصل في ذلك وتحقيق الوجه فيه وذلك فيما ذكره في الجواهر عنه رضي الله عنه أن من جملة ما تلقاه من الحضرة الشريفة صلوات الله وسلامه عليه أن هذا الإسم الأعظم مضروب عليه حجاب ولا يطلع الله عليه إلاّ من اختصه بالمحبة. ولو عرفه الناس لاشتغلوا به وتركوا غيره. ومن عرفه وترك القرءان والصلاة عليّ لما يرى فيه من كثرة الفضل فإنه يخاف على نفسه انتهى. وذكر أيضا أعني صاحب الجواهر عن الشيخ رضي الله عنه في محل ءآخر بعد ذكره لبعض الإسم ما نصه: وهذا لا يعرفه النساء بل هو خاص بالرجال لأنها مرتبة عظيمة فلا تعطى إلاّ لمن سبق أنه محبوب عند الله تعالى منهم بمحض فضله وكرمه آمين انتهى. وفي هذا والذي قبله إشارة إلى أن هذا الإسم إنما ينال بمحض المحبوبية من الله تعالى لا غير. فافهم والله تعالى أعلم. و بلغني عن سيدنا رضي الله عنه فيما تلقيته من بعض الأصحاب أنه رضي الله عنه قال مرة: لو يُقطع لساني ما ذكرتُه لأحد إلاّ إن أَذِن لي النبي صلى الله عليه و سلم. ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك هو مصداق المحبوبية. جعلنا الله من أهلها بمحض فضله وكرمه ءآمين. وبلغني أيضا أن بعض أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه الذين كانوا بالصحراء وهم جماعة اطّلعوا على الإسم الأعظم في بعض كنانيش الشيخ رضي الله عنه وذلك بعد سفره من بلده لفاس فلما قفل رضي الله عنه إلى الصحراء أخبر

بذلك فأمر بحضورهم لديه فخاطب كل واحد منهم بما لم يخاطب به الآخر فقال لبعضهم: إنْ ذكرته لأحد تموت كافرا والعياذ بالله تعالى واختلى بآخر منهم وأذن له فيه في خاصة نفسه بشرط ألاّ يذكره لأحد فضلا عن أن يأذن فيه وقال لآخر: اتركه عنك لا حاجة لك به وقال لآخر: إنْ أحببته سلّم في الأموال والأولاد. وقال لآخر: يكفيك من فضله أنّ من عرف لفظه فقط يكون مأمونا من السلب وإذا دخل مسجدا من المساجد تقول الملائكة: هذا فلان يعرف اسم الله الخاص بالذات العلية فيحصل له ثواب من ذكره بسبب ذكر الملائكة لذلك انتهى. وهذه القضية وحدها تنبئ عما اختص به سيدنا رضي الله عنه من سعة الدائرة في التربية رضي الله عنه وأرضاه وأدامنا وجميع الأحبة دنيا وأخرى في حماه ءآمين.

فائدة: رأيت في بعض الكنانيش بخط بعض أصحاب الشيخ رضي الله عنه: من داوم على قراءة قوله تعالى(وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) أربعين ليلة في كل ليلة أربعين مرة قيّض الله تعالى له من يعلّمه الإسم الأعظم يقظة أو مناما انتهى.

تتميم ما تقدم: أنه ورد في هذا الإسم الأعظم أنه إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى قيل معناه أن الداعي به يعطى نفس المسئول بخلاف الدعاء بغيره فإنه وإن كان لا يرَدّ فإنه بين إحدى ثلاث كما ورد إمّا أن يعجِّل له الإجابة فيعطي نفس المسئول، وإما أن يدفع عنه من الشر مثلها أي مثل مسألته وإما أن يذخر له من الأجر خيرا مما سأل. ثم قال رحمه الله:

وكم فدافد له قد طويت — وكم جمادات له تكلمت
وكم يكاشف بها مما يرى — مطابقا لِما به قد أخبرا
وكم تصرف لذا الولي — في العالم العلوي و السفلي
وكم عَلمنا له من إبراء — حليف أمراض بلا دواء
وكم له من دفْع خطْب هائل — ونصر مظلوم وردع صائل
وكم إغاثة لذي أسفار — في الضنك في البحار و البرار
وكم من الولاة عن مرتبته — لظلمه عزله بهمته
وكم له من نصر وان لم يكن — من قبل ذاك وليا حتى يمن
وكم إغاثة بغيث وابل — لغوثنا في عام جذب ماحل
وعُدّ تكثير طعم النزر — من الكرامات لهذا الحبر
دعاؤه كصارم بتّار — مدده كصيّب مدرار
فإن دعا عليك فالخسروإن — لك دعا فأنت بالخير ضمن

كم هنا للخبر وهي التي يخفض ما بعدها كربّ وقد يرفع. تقول: كم رجل كريم قد أتانا. والفدافد المراد به المسافات البعيدة ومعنى طويت قطعت في أسرع وقت على طريق خرق العادة والجمادات وهي ما لا روح فيه والتصرف في الأصل الحكم وكذا التصريف وفرق بينهما بأن التصرف يختص بالقهر والتصريف بالأمر بمقتضى الأول الاستسلامومقتضى الثاني الامتثال. والمراد هنا التمكن والاقتدار بمعنى أن يمكّن الله تعالى بعض خواص عباده بانقياد الكون إليه وانفعال الأشياء عن همته. وحليف الأمراض هو من صارت الأمراض لازمة له لا تفارقه كما لا يفارق الحليف أي المعاهد والمعاند حليفه. والخطب الأمر الشديد ينزل وهائل من هاله الأمر يهوله إذا أفزعه فهو هائل. ولا يقال مهول الا في المفعول والردع الزجر وصائل من صال عليه إذا استطال فهو صائل. وإغاثه من أغاثه يغيثه إذا نصره وأغاثه وأغاثهم الله برحمته كشف شدتهم. والولاة، جمع وال من وليت البلد وعليه فأنا وال. ويمن من مَنّ عليه يمنّ إذا أنعم. والغيث المطر ووابل مِن وبلت السماء وبلاً من باب وعد و وبولا اشتد مطرها. والأصل وبل مطر السماء فحذفت للعلم به ولهذا وصف المطر به فقيل: مطر وابل. والجذب بالمهملة المحل وزناً ومعنى وما حلّ من محل البلد يمحل من باب تعب فهو ماحِل إذا أجذب. ويقال: إذا أمحل بالألف واسم الفاعل منه ماحِل أيضا على تداخل اللغتين. وربما قيل الشعر ممحل على القياس والنزر القليل والحبر

بالكسر، العالم ويجمع على أحبار، مثل حمل وأحمال، والحَبر بالفتح لغة فيه وجمعه حبور كفلس وفلوس. واقتصر ثعلب على الفتح و بعضهم أنكر الكسر انتهى.والصارم القاطع من صرم السيف احتدّ وبتّار فعّال من بتره إذا قطعه ودعى في الشر يتعدى بعلى وفي الخير باللام. يقول: ومن كرامات هذا الشيخ التي أجراها له وعلى يده رب العباد أنه كثيرا ما طويت له المسافات البعاد وكثيرا ما كلمته بالنطق الفصيح أصناف الجماد وكثيرا ما كوشف بالمغيبات وأنبأ بظهور ما سيظهر فكان ظهور ذلك المخبر به على وفق ما به أخبر. وكثيرا ما انقادت لتصرفه العوالم الكونية وكثيرا ما حصل لأصحاب الأمراض المعضلة الشفاء ببركة همته السنية وكثيرا ما صرف الله تعالى على يده الخطوب الهائلة وكثيرا ما نصر الله تعالى به المظلوم فردت عنه إذايته الأيدي المستطيلة الصائلة وكثيرا ما أغاث الله به من أشفر على البوار في مضائق الأسفار التي تعرُضُ في البراري والبحار وكثيرا من الولاة الجائرين المعتدين عزله عن ولايته بهمته العالية في الحين وكثيرا ما ارتفع به سافل وعزّ به خامل و كثيرا ما أغيثت بدعوته البلاد فسقيت بعد المحل الشديد وابل الغيث وصوب العماد... إلى غير ذلك مما عد له من الكرامات الباهرة كتكثير الطعام القليل بدعوته أو بلمس يده الطاهرة وكاستجابة دعوته التي هي كالصارم البتّار وفيضان مدده الذي هو كالغيث الصيب المدرار. ويحتمل أن يكون الناظم رحمه الله تعالى عقد في هذه الأبيات ما هو مذكور في جواهر المعاني على طريق الإجمال جريا على طريقة مؤلفه رحمه الله تعالى من عدم الاحتفال بتفصيل ما تضمنته الأبيات من أنواع الخوارق وأصناف الكرامات كما تقدم نصه أول الباب. ويحتمل أن يكون قصد الإشارة إلى قضايا معلومة في ذلك مما تلقاه من ثقاة أصحاب سيدنا رضي الله عنه بناء على ما قدمناه من أن أنه يكون رأى النهي عن تدوين الكرامات الحسية إنما كان حيث كان رضي الله عنه لا زال في قيد الحياة. وعليه فأما ما أشار إليه في البيت الأول من هذه الأبيات من طي الأرض فلم يبلغنا فيه إلاّ ما تقدم من كون القطبانية نزلت عليه رضي الله عنه بجبل عرفات من مكة المشرفة وأنه كان في التاريخ المذكور لذلك بفاس لم يبرح منها. وهذا يحتمل ما وجهناه به فيما تقدم من أن القطبانية نزلت على الذات التي بمكة لا تبرح منها فيكون من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجانّ وهو أحد الوجوه التي وجد بها المشايخ تطور الولي. ويحتمل أن يكون من باب طي المسافة وزوي الأرض من غير تعدد صور بل بطي الأرض ورفع الحجب الحائلة بحيث يترائى في مكانين أو أمكنة متعددة وهو في مكان واحد. قالوا وهذا أحسن ما يحمل عليه حديث رُفِع بيتُ المقدس حتى رآه النبي صلى الله عليه وسلم حالَ وصفِهِ إيّاه لقريش صبيحة الإسراء. وهذا ثاني الوجوه التي وجه بها تطور الولي أيضا وهو صريح في معنى ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى.ومن هذا أيضا ما قدمناه من دخول سيدنا رضي الله عنه على الرجل المتقدم في خلوته التي أذن له في الدخول فيها وهي ببلد الرجل وبين بلده وفاس مراحل متعددة والشيخ رضي الله عنه إذ ذاك بفاس. ويحتمل الوجهين السابقين. وثانيهما صريح كلام الناظم أيضا. ومن ذلك دخوله على بعض خاصة أصحابه المشهود لهم ببلوغ مقام المعرفة بالله تعالى وهو في منزله يطالع كتابا لبعض الأكابر فصدر منه تعظيم زائد لذلك الكبير كاد أن يفضي به إلى الالتفات المضر بالمريد الصادق في طريق التربية فزجره رضي الله عنه وأخذ بيده وأقامه وقال له: يا فلان أنت تجاني أو كذا، وذكر له النسبة إلى ذلك الكبير. ويقع في وهمي أن الصاحب المذكور كان بفاس والشيخ رضي الله عنه بالصحراء. وعلى كل حال فهي من قبيل ما قبلها. ومما بلغنا مما اتفق لسيدنا رضي الله عنه من هذا النوع أيضا أن رجلين من خاصة أصحابه رضي الله عنه كلاهما مشهود له بالفتح كانا سافرا والشيخ رضي الله عنه في قيد الحياة إلى الحج إلى بيت الله الحرام فوقع بينهما ذات يوم شيء من المخالفة فأساء أحدهما لصاحبه بما تغير باطنه عليه فانتهيا في ذلك اليوم أو في الذي بعده إلى بير ماء وقد أضرّ بالناس و بالإبل العطش فنزل السيد الذي صدرت منه الإساءة لصاحبه إلى البير من طريق

ينزل إليها منها وإذا جملٌ قد توهم أثر الماء، فأسرع إلى البير وحمله على ظهره، وقد أضرّ به الظمأ، فرفع ذلك لصاحب رأسه فلم يشك في سقوطه عليه، فتداركه الله بلطفه بأن أخطر ذكر الشيخ والاستغاثة به بباله وإذا هو بالشيخ رضي الله عنه بينه وبين الجمل فرده عنه وأقبل رضي الله عنه بوجهه على الصاحب المذكور فقال له: الله أصحابي يريد رضي الله عنه الله أتؤذي أصحابي؟ ثم غاب عنه الشيخ رضي الله عنه فعرف أنه إنما أوتيَ إليه في تلك المصيبة التي خلّصه الله منها على يد الشيخ رضي الله عنه من جهة إساءته إلى صاحبه فأتاه من حينه وتحلل منه وترضاه حتى رضي. وهذا أيضا صريح في طيّ الأرض على ما تقدم توجيهه وهو أيضا من إغاثته رضي الله عنه لمن استغاث به في الشدة والضنك. فافهم والله أعلم. وهذا كاف في شرح ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى واقتصر عليه لثبوته عندنا الثبوت الصحيح بطريق التواتر لبعضه وبنقل الثقة الضابط عن مثله في بعضه. ونعوذ بالله تعالى أن نُجريَ على ألسنتنا أو أقلامنا في هذا المقام ما هو شبيه بالخرافات التي لا مستند لها إلاّ التخيّلات والأوهام. ولولا أنّ بعض من يتأكد علي الامتثال لإشارته من فضلاء الإخوان أكّد عليّ في التعرض لمثل هذا مما يرجى عود نفعه على عامة الفقراء ما ذكرتُ منه شيئا سَدّاً للذريعة في هذا الباب. والله الموفق للصواب. وأما كلام الجمادات فلم يبلغنا فيه شيء نسطره. ولعل الناظم رحمه الله تعالى حفظ في ذلك شيئا ولا غرابة فيه في الجملة والله أعلم. وأما مكاشفاته رضي الله عنه بمعنى إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع على وفق ما أخبر به فلا يكاد ينحصر ما حدّث به الثقاة عنه رضي الله عنه. وقد ذكر في الجامع أنه رضي الله عنه كان كثيرا ما يستره بقوله: قلبي يحدثني بكذا أو وقع في خاطري كذا فيخرج كما قال. وقد ذكر فيه أيضا ما يفيد أنه رضي الله عنه كان يخبر بقدوم الغائب قبل أن يقدم فيكون ذلك وفق ما أخبر به. وذكر من ذلك أنه أخبره مرة وهو معه ببلاد الصحراء بقدوم الأمير الظالم إذ ذاك فكان ذلك وأنه رضي الله عنه كان أخبره مرة أخرى بخراب قرية قبل وقوعه فوقع وأنه رضي الله عنه أخبره مرة أخرى أيضا بقدوم بعض أصحابه و كان كما قال انتهى. ومن معنى ما ذكره صاحب الجامع رحمه الله تعالى من أنه رضي الله عنه كان يستر هذا النوع من الكشف بقوله: قلبي يحدثني إلى آخر ما بلغنا عنه رضي الله عنه أنه كان كثيرا ما يتمثل بقول بعض الإخوان من مشاهير رجال الصحراء، ونصه وهو من الكلام الملحون:

تُوبِي شِينْ ورَمْتِي ما تَمْلأ العِينْ   قلبي زِينْ يْحَبْ الْخْبَرْ الْبْعِيدَا

قوله: ورَمْتي يريد جثتي ومن هذا الباب أخبار عن استيلاء أعداء الدين على بلاد الجزائر وعملها و قد كان رضي الله عنه على ما تلقيناه من فضلاء أصحابه رضي الله عنهم كثيرا ما يشير إليه ما يفيد تحقق وقوعه تارة تصريحا وتارة تلويحا. وذكر رضي الله عنه حكامها يوما وقال فيهم أنهم كفار لنبذهم الأحكام الشرعية وتقديمهم القوانين الفرنجية عليها واكتفاءً بذلك ثم دعا عليهم بأن يسدّ الله أبواب الرحمة في وجوههم كما سدّت في وجوه أهل البلاد الفلانية وذكر بلادا استولى عليها أعداء الدين والعياذ بالله تعالى. ودعاءه عليهم بهذا في بساط الشريعة وجْهُه الغيرة الإيمانية وفي بساط الحقيقة مجاراة ما كوشف به في سره من نفوذ الأقدار الربانية. ولا يقال على مثل هذا مما يصدر من أمثال هذا الشيخ الكبير رضي الله عنه لو دعا لهم بالهداية لكان أولى لأنهم رضي الله عنهم غرقى في بحار المشاهدة وجميع حركاتهم وسكناتهم في جميع أفعالهم. وأقوالهم جارية على حكم ما يتجلى الحق به على قلوبهم. وأيضا قد رويَ في بعض الأخبار: إذا أراد الله بقوم سوءا يوحي إلى قلوب أوليائه: لا تسألوني في أمر القوم فإني عليهم غضبان فيجوبونه بطلب النجاة لأنفسهم .اللهم سلّمْ سلّمْ.ومن تلويحات سيدنا الشيخ رضي الله عنه إلى الاستيلاء المذكور ما حدّثنا به فضلاء أصحابه أنهم كانوا معه ذات يوم فاجتاز بهم ولده سيدي محمد الكبير قدس الله سره فنظروا إلى الشيخ رضي الله عنه وقد أتبعه بصره كالمتفكر فيه حتى غاب عنه ثم قال: الهواري ما اجتاز ولده وأشار إلى قضية الهواري الولي الكبير مع أهل وهران وانتصار

الله تعالى له بما انتصر له به مما هو معلوم من قضيته. وفي ذلك إيماء إلى قضية ولده المذكور مع أهل تلك البلاد المذكورة. وفيه إشارة إلى أن الواقع بها هو من انتصار الله تعالى لأهل خصوصيته فكان الأمر كذلك. وقد قال بعض الكبار: إذا أراد الله صلاح زمان وأهله كان انتصاره لأولياء ذلك الزمان فيما يصدر لهم من العامة ظاهرا في الأموال والأبدان. وإذا أراد الله فساد زمان وأهله كان انتصاره باطنا في الأديان ليمتدّ ضلال أهل العصيان .انتهى من ابتهاج القلوب مختصِرا. ولسنا بصدد بسطِ القضايا التي هي من قبيل ما أشرنا إليه لاستدعاء ذلك التطويل والخروج عن الغرض فافهم.ومن إخباره بالغيب من طريق كشفه رضي الله عنه إخباره بأمور لم تقع إلاّ بعد وفاته إمّا بالتصريح أو بالتلويح. فأخبر بالفتن التي وقعت بالقرب من وفاته رضي الله عنه في الغرب فكان الأمر وفق ما أخبر به. وأخبر بالمسغبة العظيمة أعاذنا الله منها التي كانت بعد وفاته بنحو تسع سنين وذلك على ما أخبرني به بعض خاصة أصحابه رضي الله عنه بطريق التلويح. قال المُخْبِر كنت معه رضي الله عنه بباب داره ذات يوم فأمر بإخراج القمح للرحى على العادة والوقت وقت خصب ورخاء قال: فالتفت إليّ و قال لي: يا فلان ادعُ العبيد ليصحبوا هذا القمح إلى الرحى قال: فقلت له: يا سيدي الرحى قريبة ولا حاجة بنا إلى العبيد قال: ادع العبيد وامُرْهُم أن يصحبوه ليلاً يُنهَب في الطريق وحدّثني المخبر أيضا أنه فعل مثل ذلك في تلك الأيام مرة أخرى في الخبز وقد أخرجوه من داره ليُحمل إلى الفرن، فلم نفقه ذلك حتى وقع ذلك الغلاء الكبير عام 1240 فصار الناس يحتاجون إلى مثل ما أمر به الشيخ رضي الله عنه.ومن هذا المعنى أيضا ما حدثني به الخاص المذكور وهو أنّ الخليفة المعظم سيدي علي حرازم رضي الله عنه كان حين أراد التوجه لبيت الله الحرام يذكره لبعض الخاصة ممن يُسارُّه بالأمور أن النبي صلى الله عليه وسلم زوّجه ببنت بتونس وكان يصفها وربما ذكر اسمها واسم أبيها ثم لما سافر ووصل إلى تونس حرسها الله كان ما أخبر به قال المحدّث: فلم نلبث أن جاء الخبر بأنه طلّقها. قال: فكان يقع في باطني شيء من جهة تطليقه إياها وهو أخبر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم زوّجه بها. قال: وكان الشيطان لعنه الله كثيرا ما يكدّر عليه وقته بالوسوسة في ذلك وخصوصا حين يطِيب وقته. قال لي: فجلست يوما مع الشيخ رضي الله عنه ولم يحضر معنا ثالث فطاب لي الوقت بمحادثة الشيخ رضي الله عنه ولاَنَ القلبُ وخشعت الجوارح فلم أشعر حتى أُلقِيَ ذلك الخاطر ببالي واشتغل به فكري وكدّر عليّ صفوي فرفع رضي الله عنه بصره إليّ وأدنى رأسَه منّي وقال لي: كانت لا تصلي ولم يزد رضي الله عنه على ذلك شيئا. قال: فعلمت أن ذلك موجبٌ لطلاقه إياها وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقره معها على ذلك انتهى. قلت: ثم بعد ما حدثني هذا السيد رحمه الله تعالى بهذه الكرامة بمدة وقع بيدي ورقات بخط سيدي علي حرازم رضي الله عنه فإذا هي مشتملة على مطالب عديدة لنفسه ولخاصته وأقاربه وإذا من جملتها الدعاء لتلك الزوجة بأن تحبب إليها الصلاة. وهذا موافق لما أجاب به الشيخ رضي الله عنه من طريق الكشف. وهذا باب واسع جدا لا يمكن الاستيفاء نزر النزر منه. وانظر في جواهر المعاني ما ذكره مؤلفه رحمه الله تعالى فيه من نفوذ بصيرته وصدق فراسته في أصحابه وجلسائه ومعرفته جميع ما اشتملت عليه ضمائرهم على اختلاف طبقاتهم وأحوالهم وأنه رضي الله عنه كان كثيرا ما يجالسه الإنسان فيتكلم له على ما شغل باطنه من الهوى والأمور الدنيوية ويعيّن النوع الذي شغله منها بطريق الإشارة العامة والإجمال ونوع من ضربِ الأمثال من غير تعيين يعرف به صاحب ذلك وذلك مثل أن يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا ويقولون كذا؟ ويذكر ذلك الفعل من غير أن يعيب صاحبه. و يقول: حق على من يفعله كذا وكذا اتّباعا للسنة في جميع ذلك. ومن هذا المعنى ما كان عليه أمره في الإشارة على من استشاره فإنه لا يشير عليه إلاّ بما فيه نجاح حاله وفلاح مئاله. وكان من المعلوم عند أصحابه رضي الله عنه في الإشارة أن المعتبر عندهم الذي عليه المعوّل هو ما نطق به في الكلام الأول فإن التقطه المستشير عثر على حكمة الإشارة وانقلب بغنيمة

وتجارة وإن لم يقبل منه وراجعه في الكلام جاراه في كلامه حتى ينصرف من غير أن يعثر على المرام ولا أن يحصل على ثمرة الكلام إلى آخر ما ذكره في الجواهر في هذا المحل. فراجعْه إن شئت.وقد حدّث بعض أصحابه رضي الله عنه أنه أتى مرة بصوف من البادية إلى فاس يتّجر فيها فلما وصل إلى فاس وجد صوفها كاسدة فاهتمّ لذلك ثم أتى الشيخ رضي الله عنه قاصدا استشارته في ذلك فوجد أصحابه قد أحاطوا به رضي الله عنه فسلّم على الشيخ رضي الله عنه وجلس فلم يلبث أن سأل الشيخ بعض أصحابه عن سعر الزيت فقال كذا ثم سأل عن السمن ثم عن اللحم وغير ذلك حتى انتهى إلى الصوف فقيل له أن سوقها كاسدة فقال رضي الله عنه: الصوف من الأمور المهمة التي لا يستغني عنها الناس فلا بد أن يرتفع سوقها. فمَن كانت له صوفة ينبغي له ألاّ يضجر منها لسبب ما عرض من رخصها بل يجعلها في محل يحفظها فلا يمضي عليه نحو ذلك وذكر رضي الله عنه عدةً من الأيام إلاّ وقد ارتفع سوقها. فأخذ الرجل جوابه عن مسألة من ذلك من غير أن يشعر بذلك أحد من الحاضرين فقام من حينئذ واكترى لها محلا وجعلها فيه مطمئنا طيّب النفس. فلما كان في آخر المدة التي عيّنها الشيخ رضي الله عنه إذا هو بأناس يطلبونه فاشتروها منه وربح ربحا معتبرا ببركة إشارة الشيخ رضي الله عنه. وأما تصرفه رضي الله عنه فيما لا يحتاج إلى تفصيل وما هو إلاّ من حديث البحر. وكان الناظم أشار بالبيت إلى ما ذكره في جواهر المعاني من قوله: ومن كماله رضي الله عنه وعلوّ منصبه الشريف ما أوتيَه من مقام الخلافة وخطة التصريف ووليه من النيابة والتحكيم والأمر النافذ العميم إلى آخر كلامه. وقد تقدم الكلام في مبايعة جميع المخلوقات للقطب الأرواح وغيرها كما تقدم أيضا عن الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه من قوله: إن للقطب 16 عالَما أحاطيا الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم كما تقدم عن سيدنا رضي الله عنه أن القطبية هي الخلافة العظمى عن الحق تبارك وتعالى مطلق في جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الربّ إلها كان هو خليفة في تصريف الحُكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية لله تعالى... إلى ءآخر كلامه المبيّن معنى قول الناظم في العالم العلوي الخ...وذكر في الجامع صاحبه رحمه الله تعالى ما نصه: ومنها أي من مناقبه رضي الله عنه أننا كنا يوما نذكر بين يديه ما يشاهد الأولياء من الخوارق فقال لنا رضي الله عنه: عندما وقع لي هذا الأمَر كنت سكرت من أول النهار إلى بعد العصر فشاهدت عوالم الأمثال لها في هذا العالم ولا مما يصوّره الفكر وكأنّي ملِك عليها أتصرف. انتهى. ومثل هذا كان يصدر عنه في أول أمره كما ذكره صاحب الجامع في غير هذا المحل وكذا صاحب الجواهر وفيه على كل حال شاهِد لكلام الناظم رحمه الله تعالى. وأما حصول البرء والشفاء من الله تعالى لمن توجه إليه واستشفى من أدوائه المعضلة بتقديم همّته فهو مما لا ياتي الحصر على تفصيلاته في حياته وبعد مماته وذلك بمجرد التهمّم بذلك بين يديه قيد حياته أو نحو ذلك كالاستغاثة به والقصد إلى ضريحه الأنور بعد وفاته. وقد كان بعض علماء فاس يعتريه ألم نحو المسمى عند الأطباء بالماليخوليا فكان من عادته إذا أحسّ بمبدأ ذلك الألم أعاذنا الله منه أمر بحمل فراشه إلى زاوية الشيخ رضي الله عنه ويقصد مجاورته بنية الاستشفاء فكان يحصل له مراده ببركة الشيخ رضي الله عنه. ولذلك حضّ على ملازمة حمى الشيخ رضي الله عنه في قوله في أبيات أنشأها في مدح سيدنا رضي الله عنه يقول فيها:

إن التجاني تاج لا نظيـــــر لـــــه — الله صــرّفـــــه فينـــا وولاّه
لـه ضريح سَمَتْ بـــــــه بُلَيْدتُنـــا — فلم تزل دُورُها بعيـن مــــرءآه
من عين ماضي أتى فجاء كل فتًـى — من بحره يستقي إذْ طاب سقياه

ومنها:

فاسرُدْ مَناقبه فإنهـا دُرر — والْزمْ حماه تنلْ مَعِينَ سُقياه

وعلى قوله: سمتْ بُلَيْدتنا يعني البليدة الحومة المعلومة بفاس التي بها زاوية سيدنا رضي الله عنه يأتي ما بلغنا متواترا عن أصحاب سيدنا رضي الله عنه من أن بعض أرباب

الأحوال كان يشير إلى تشرّفِ هذه الحومة بمزيد مدفن الشيخ رضي الله عنه بها. فكان يقول تحصّنتُ بفاس وخصوصا الدّرداس يعني الحومة المذكورة لأنها يقال لها الدرداس. وعلى قوله فلم تزل دُورها إلى آخر ما بلغَنا من قول سيدنا رضي الله عنه في قضية معروفة جيراني ما نجوزهم في الدنيا ولا في الآخرة يعني يغيثهم ويشفع لهم ويأخذ بأيدي العار منهم في الدنيا والآخرة. وأما ما ذكره عن الشيخ رضي الله عنه من دفع الخطوب السائلة ونصر المظلوم ودفع الأيدي الجائرة الصائلة فمن الشائع المعلوم الذي يضيق القول عن حصر ما اتفق منه للخصوص والعموم. وقد حدثني بعض الشرفاء الأفاضل الأخيار ممن أخذ عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه أنه كان قاطنا ببلاد البربر بأهله فلما كانت السنة التي جمع فيها الفتّان الشهير بامهاوش قبائل البربر وتحزبوا على أن يتبعوه إلى أن يدخل فاسا ويفسد مُلكها ويعثي في أرضها و وافقوه على ذلك وسار بما لا يحصى كثرة من الخيل والرجالة قاصدين إلى فاس. قال المحدث: فسِرت معهم مختفيا وقصدي الاجتياز إلى فاس فلما نزلوا بأقرب الجبال إلى فاس تركتهم ومضيت إلى فاس وكان من أهمّ الأمور عندي بفاس الانخراط في سلك سلسلة أهل الله تعالى فاتفق أن ذكر لي الشيخ رضي الله عنه وطريقه وبعض فضلائها فسألت عنه ثم قصدت إليه في الحين فأذن لي في الدخول عليه بباب داره فألفيته مشتغلا بالذكر وهو قائم يذهب ويجيء فأشير عليّ بالجلوس حتى يفرغ فجلست حتى إذا فرغ قمت إليه وسلمت عليه فسألني: من أين أقبلت وعن كسبي وأحوالي ومقصودي فأخبرته ثم طلبت منه تلقين ورده فلقنني ثم استشرته في الانتقال من بلاد البربر إلى بعض المدن فقال لي: نساؤهم يصلون؟ مستفهما مني عن ذلك فقلت: يا سيدي بعضهن يصلي فأشار إليّ بعدم الانتقال في ذلك الوقت. وحين أردت توديعه سألني عن الفتّان المذكور ومن معه وماذا يريد فأخبرته بما هو عليه ومن معه من القوة والشدة وبما يريد فالتفتَ رضي الله عنه إلى ناحيتهم ومدّ كفّه وقال فيها: أفْ، ثم توادعت معه ودعا لي بخير فتوجهت من حيني وخرجت. وفي صبيحة الغد وصلت إلى المحل الذي تركت به أمهاوش ومن معه فسألت عنهم فقيل لي: انهزموا بالأمس وقت كذا وساروا لا يلوي أحد على أحد. ولم يدر أحد ما سبب ذلك؟ قال: فلم أشك في أنهم هُزموا في الساعة التي نفخ الشيخ رضي الله عنه نحو ناحيتهم وأن الله تعالى ألقى في قلوبهم الرعب ببركة هذا الشيخ رضي الله عنه. وأما إغاثته رضي الله عنه لمن استغاث به من المسافرين في البر والبحر،فهو شيء لا ياتي عليه الحصر. ومن ذلك ما تقدم قريبا في شأن الرجل الذي أغاثه وهو في البير وخلصه من سقوط الجمل عليه. ومنها غير ذلك. وقد حدثني من أثق به من أهل العلم وشرف النسب أن بعض فقهاء تلمسان أعادها الله دار الإسلام ممن استوطن حضرة فاس وكان من جملة المدرسين بالقرويين أنه حدثه فقال له: إني كنت في حال شبيبتي ارتحلت من بلدنا تلمسان إلى فاس لقراءة العلم فكان من جملة من قرأت عليه من العلماء بها فلان وذكر له صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي محمد بن المشري رحمه الله تعالى.قال: وحين أزمعت السفر من فاس والرجوع إلى بلدي أتيت مشايخي بقصد توديعهم وطلب صالح الأدعية منهم والوصية لي بما ينفعني الله به على العادة في ذلك ومن جملة من أتيته من المشاي بذلك القصد المذكور انفا. فكان من وصيته لي أن قال لي: إذا كنت في شدة وضيق فاستغث بهذا الرجل يعني الشيخ رضي الله عنه وأكّد عليّ في ذلك. قال: فسافرت إلى بلدي ثم سافرت من بلدي بعد ذلك قاصدا حج بيت الله الحرام فركبت البحر فكان من قدر الله تعالى أن انكسرت بنا السفينة التي كنا بها فبقيت أنا ونحو من السبعة يحملنا بعض ألواح السفينة حتى ارتفعت لنا جزيرة بوسط البحر فتحاملنا إليها وجلسنا ننتظر الموت لا يكلم أحد منا أحدا فبينما أنا أفكر إذْ ألقى الله تعالى ببالي مدينة فاس والفقهاء الذين كنت قرأت عليهم فوقعت الوصية ببالي فاستغثت بالشيخ رضي الله عنه وأنا في تلك الحال فأخذني شبه سِنة وإذا بالشيخ رضي الله عنه وقف أمامي وقال لي: قل يا عليما بالألطاف نجنا مما نخاف. قال: فانتبهت وأنا أقولها فلم نلبث إلاّ قليلا وإذا بسفينة ظهرت لنا فظهرت أشخاصنا

لرئيسها فقصد الجزيرة وحملنا وسافر بنا حتى أنزلنا حيث الأمن من البَر. قال: فأرّخْت ذلك. ولما رجعت إلى فاس سألت عن الشيخ رضي الله عنه فقيل لي: مات فسألت عن تاريخ وفاته رضي الله عنه فألفيت اليوم الذي وقع لنا فيه ما وقع وشاهدت فيه تلك الكرامة العظيمة وهو اليوم السابع من يوم وفاته رضي الله عنه وأرضاه.وأما عزلُه الولاة الجائرين بتوجه همته العالية في ذلك فقد تواتر منه قضايا متعددة منها: أن بعض ولاة فاس وكان من المتمردين العتاة كان حين سمع بما يوتر عن الشيخ رضي الله عنه من المناقب وما يتحدث به عنه من بلوغه أسنى المراتب كأنه استغرب أن يكون مثل ذلك في هذا الزمان فحمله ذلك على أن أتى الشيخ رضي الله عنه مظهرا له أنه أتاه متبركا زائرا وهو إنما أتى مختبرا. فلما رجع لمحله وجلس مع من يعظّمه ويشايعه تناول دار الشيخ رضي الله عنه بشيء من الذم من حيث أنه لم ير بها ما يوذِن بالرفاهية لتباعُد الشيخ رضي الله عنه عما يشير إلى ذلك إلى الغاية. فبلغ ذلك الشيخ رضي الله عنه فقال: أما دارنا فهي دار الخير وأما داره فها أنا أراها قفراء خالية. فعُزِل ذلك الوالي عن قريب وسُلب ونُكب. وخلت داره وانمحت آثاره ولم يبق له ذكر والعياذ بالله تعالى. ومن ذلك أيضا أن واليا آخر اتفق أن رُفعت إليه شكاية ببعض مماليك الشيخ رضي الله عنه فلما كُلّم فيه تجاهل وقال: إني لا أعرف سيدي فلانا يعني الشيخ رضي الله عنه. فلما سمعها رضي الله عنه قال: اليوم يعرفني فاتفق أن أتاه الخبر في ذلك اليوم أن بعض قبائل البربر أتوا ليغزوا قبيلته وقصْدُهم نهْب داره التي هي بالبادية بوسط قبيلته. فخرج من الغد فوجد الغزو على وجهه فلما التقى الجمعان أصيب برصاصة خرجت معه روحه فسقط عن فرسه ميتا وانهزم من معه ونهبت داره وبقيت جثته بلا دفن نحو الأربعة أيام حتى أمّن على أقاربه أعداؤهم فحملوه على شر حال. وكان بعض أقاربه فيمن حملها وله محبة في جانب الشيخ رضي الله عنه يخاطب تلك الجثة ويقول: هل عرفته؟ أوَ لَمْ تعرفه؟ يكررها. وقريبه هذا هو أحد من حدثني بهذه الكرامة وحديثه أوعب ما سمعته فيها لحضوره الأمر من أوله إلى آخره.وولّى مكان هذا الوالي رجل كان واليا للسلطان في أول أمره ببعض البلاد ثم عزل وصارت حالته من الكسوف إلى أحطّ المراتب فصار بعد الولاية بوّابا لبعض أقارب السلطان.فاتفق له قرب موت الوالي المذكور أن اجتاز به بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه فقام إليه وتعلق به وقال له: يا سيدي أما تنظر إلى ما صار إليه حالي؟ أما تستعطف لي هذا الشيخ لعل الله تعالى أن يجبر كسري فأمره ذلك الخاص أن يرافقه إلى دار سيدنا الشيخ رضي الله عنه فرافقه حتى وصلا إلى الشيخ رضي الله عنه فدخل معه واستعطف له قلبُه فأقبل عليه ودعا له. فبعد ذلك بأيام يسيرة ورد على السلطان خبر موت الوالي المتقدم فأوقعه الله ببابه فدعا به من حينه وولاّه مكانه وحسنت سيرته ولم تزل حالته مرضية إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه. والخاص المذكور هو الذي حدثني بهذه الكرامة مرارا وتولية هذا الثاني ببركة سيدنا رضي الله عنه شاهدة بما أشار إليه الناظم في قوله: وكم له من نصر وإن لم يكن إلى آخر البيت السابق. والله تعالى أعلم. وأما ما تضمّنته الأبيات الأربعة الباقية فكله من الشائع المعلوم الذي لا تحتاج قضاياه إلى تفصيل لشهرته بين الخصوص و العموم. وفي هذا القدر مما قصدنا ذكره في هذا المحل كفاية والله تعالى أعلم.
ثم قال رحمه الله تعالى مجملا لبعض ما فصله في الأبيات قبل هذه ومتمما للكلام في الكرامات:

لا شـــك أن شيخنا التجانـــي ... ممـــدّ كل عارف صمدانــــي
يعطـــي و يمنع و يسلب فمــن ... كمثله من الورى في ذا الزمــن
و مع ما ترى مــن الخــوارق ... على يديْ هـــذا الإمام الفائـــق
يخفِي الخـــوارق خفاء غايــة ... ويبغـــــض المدّعِي للولايـــة
وكان ينهى الناس عن دعواها ... مخافة السقـــوط فــي بلواهـــا

يقول: فلا شك عندنا أن سيدنا الشيخ رضي الله عنه ممد العارفين وغوث الأولياء والصالحين لِما اوليَه من خِطة الخلافة والتصريف وما أوتيَه من خصوصية الكمال في مقام الكتم الشامخ المنيف. فلا جرم أن الله تعالى ملّكه زمام المِنَح والأسرار العرفانية وجعل بيده الإعطاء والمنع بحكم المشيئة الربانية. وهذا ما أجراه الله تعالى على يد هذا الشيخ الكامل الهمام مما ذكر وما لم يذكر من الخوارق العظام فقد كان يخفي ما اتفق له منها غاية ولا يقبل من غيره التظاهر بقول أو فعل يشير إلى الولاية. وكان رضي الله عنه ينهى عن دعوى الفقر والاختصاص ولا يقرّ على ذلك أحدا لا من العوامّ ولا من الخواص وذلك مخافة التردي في مهواة بلواها التي لا يمكن الخلاص منها. نسأل الله تعالى العصمة الكاملة والعافية الدائمة والنعمة الشاملة بمحض كرمه و جوده آمين. وكان الناظم رحمه الله تعالى لاحظ فيما عقده في البيت الأول والذي بعده من هذه الأبيات قوله في الجواهر بعد وصفه لسيدنا رضي الله عنه بالخلافة الكبرى والنيابة العظمى ما نصه: فهو رضي الله عنه يجلب بربه ويدفع ويضع بهمته ويرفع ويُرَقي بإذن الله وينزّل بأمر الله سبحانه ويَعزل انتهى. وأما الأبيات الثلاثة فظاهر أنه عقد فيها ما وصفه به في الجواهر من تبرئته رضي الله عنه من الدعوى أتَمّ براءة وتنصله منها غاية التنصل، وأنه لم يكن يقبل من أحد ما يشير إليها. وإذا حكى شيئا مما اتفق له من الكرامات أو ما يشير إليها نسبه إلى مجهول فيقول: وقع لبعض الناس أو نحو ذلك. وربما اتفق الإجماع بمن حضر ذلك فيخبر بأنه شاهد ذلك مني وحضره وأنه كان يشدد النكير في دعوى الفقر ويقول: الآن ما حصلت لنا التوبة والإيمان الكامل وأنه رضي الله عنه كان كثيرا ما يستعيذ بالله من الدعوى ويقول: إنّ عقوبتهما الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى. انظر الجواهر. وقول الناظم: مخافة السقوط في بلواها، محتمل لأن يكون أشار به إلى هذا الوعيد الشديد بل ربما تعين حمله بقرينة تعبيره بالسقوط الذي هو التردي من أعلى إلى أسفل والعياذ بالله تعالى. وهنا انتهى ما أردنا ذكره من المناقب والكرامات، والكل مأخوذ من بغية شيخنا أبي المواهب مع ترك الكثير مما ساقه رضي الله عنه وأرضاه.وأما سيره رضي الله عنه، فهي كما قال في الجواهر: ما خص به في وقته من أن الله تعالى أكمل له رضي الله عنه الشريعة كما أكمل له الحقيقة وسلك به صراطهما المستقيم أحسن طريقة، فشرب منها لبنا خالصا سائغا وورث منها مقاما كاملا بالغا وتمكّن من الحاليْن ورَقى درجة كل من الكماليْن جاريا على مقتضى الأمرين وسائرا على منهجيْهما الأعدلين متكافئُ الطرفين ومعتدلُ الوصفين جبلاً بين سهليْن وبرزخا بين بحرين، لا يذهب بحرُه ببَرّه ولا يبعُد بَرّه عن بحره تقوية من الله له وتمكينا وتأييدا وتحصينا له. وقد مكّنه الله من الإتّباع غاية التمكين، وأنزله الله المُنْزَلَ المكين، فهو رضي الله عنه في موافقة الشريعة ومتابعة السنة آية قد وصل في التحافظ عليها الغاية وَقّافٌ على حدود الله حافظٌ لحدود الله واقفٌ على أوامره ونواهيه لا أحد في ذلك يقاربه أو يضاهيه. قد حكّمَ السنّة في نفسه وعياله وجعلها شِعاره في جميع أفعاله وأحواله وأتقن برعايته رعِيّته في داره على ما كانت عليه زمن أسلافه رضي الله عنه من حِفظ أمر الدين وشعاره، فازدادت كمالا على كمال وجمالا على جمال حتى طارت بها كلَّ مطارِ الأمثالُ وأعوز سيرها كثير الرجال وتخلّق بالأخلاق الشرعية وجمع آدابها المرعية، فكان خلُقه القرآن وكل ما يأمر به الرحمن يرضى برضاه ويسخط بسَخَطه في كل أموره ويأمر بأمره ويُحذر بتحذيره فحسنت لديه السِّيَر والشمائل و عذُبَت فيه الشّيَم والفضائل وطابَق ظاهرُ سيرته وفِعاله باطنَ خُلُقه وخِلاله فتحقق بالإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحق بالسابِقِين من أهل حزب الله فتجده رضي الله عنه شديد الحزم في الدين عاليَ الهمة فيه شديد الحرص على مهماته بعد القيام بواجباته واقفا على الحدود والأحكام غايةً حاثّاً للوقوف عليها. يقول كثيرا: أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيه حافظا لحقوق الله مراعيا لها شديد الورع والتحرز في الدين كثير التحفظ فيه والتحرز لِلْلأحوَط ما رأيت أشدّ حزما ولا أعظم ورعا منه. كله حزم وعزم، لا يحب التأويلات ولا يميل إلى

ارتكاب الرخص عارفا عالما مدرّسا للعلوم كلها والسيرة النبوية بأسرها بصيرا بما زاد عليها وما نقص يعانق الكمالات ويسابق الغايات ويسارع إلى الخيرات، يستمع القول فيتّبع أحسنه ويبادر العمل به يغري على فعل المأمورات ويحذّر من الوقوع في المنهيات ويعظّم أمر الشرع العزيز ويجلّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخالَفَ. وكثيرا ما يستشهد بقوله تعالى:(وليَحذَرِ الّذينَ يُخالِفونَ عَنَ أمرِه أنْ تُصيبَهُم فِتْنةٌ أو يُصيبَهمْ عذابٌ ألِيم).ويجب أن يفعل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فعله على سبيل الأمر لنا ويقول: ينبغي للإنسان إذا سمع شيئا من هذه الآداب النبوية والمباحات التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعلها بقصد الموافقة ولو مرة واحدة ويحافظ على السّنّة في محاولاته ومناولاته كلها ويجب موافقتها في كل شيء ولا يحب الخروج عنها في شيء من الأشياء ولو دعت الضرورة إليه وكان لا بأس به فيقول: الخير كله في اتّباع السنة والشر كله في مخالفتها؛ ويحض على العمل بالعلم كثيرا وخصوصا لمن يشتغل به. فعلى قدر رياح السفينة جريانُها وعلى قدر طبخ الحديد إحكامُ الصنعة فيه وإتقانُها؛ وقد رُزِق رضي الله عنه من القوة في اتّباعه صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله ما يكافي غزارة علمه وعِظَم حاله. فما أكثر حفظه للدين وما أشدّ حبه إياه وإتقانه له تبَعا لسيد المرسلين يحب عبادة ربه ويعظم أوامره ويعبده عبادة العارفين بكماله الخاضعين لجلاله ويطيعه طاعة المفرحين المتولّهين بحبه عاملا على ترك الحظوظ واللحوظ دالاً غَيرَهُ على ذلك بحاله ومقاله أبدا. يؤدي الفرائض والسنن ويجيء بها على أحسن سنن لا يغفل ولا يتوانى ويحافظ على إقامة الصلاة لوقتها وأدائها في الجماعة أبدا، يتقنها ركوعا وسجودا على أكمل وجه وأتمّ وصف في سكينة وطمأنينة وأدب مع الله عز وجل صلاة الخاشعين والعارفين أمثاله. لا تسأل عن كثرة خشوع وخضوع وحسن سمْت لا يستطيع من يعرف حاله أن يلاصقه في الصف مخافة التشويش عليه. و كثيرا ما يحض على إيقاع الصلوات في أوقاتها و في الجماعات وعلى قيام الليل سيما آخره، يحثّ عليه ويرغّب فيه أتمّ ترغيب وينشط له ويقول: فيه تتنزّل الرحمات وعواطف النفحات، وأنّ من أيقظه الله فيه فقد استدعاه إلى رحمته. ويداوم رضي الله عنه على غسل الجمعة و يؤكده لتوكيد سنيته، ويفعله على الوجه المسنون من كونه متّصلا بالرواح ويلبس نقيّ ثيابه إن كان، وإلاّ ذهب للمسجد الجامع بما عليه. ولا يزال يتطيّب بالمسك ونحوه يومها وإن كان الطّيب لها مستحبا ولا في سائر الأيام وهو يحبه كثيرا ويجلب إليه. ولعله من أجل ما كثر من استعماله لأجل الرفاهية؛ وكثير من السفهاء يقصد الترفه. ويمشي هونا في سعيه للصلوات كلها ويحب فاعل ذلك عملا بمقتضى الحديث: إذا أتيتم الصلوات فأتوها بسكينة ووقار. ومن شأنه رضي الله عنه يطلب التحقيق والتدقيق في كل شيء مما جلّ ودقّ ليقف على التحقيق ويخرج بذلك عن ربقة التقليد والتصديق في كل أمر أمر فرد فرد حتى لقد احتوى على جميع العلوم الرسمية تحقيقا وتدقيقا وتفهّما وتدبّرا وفي حل المشكلات المعضلات حتى صار إماما في جميع العلوم يرجع إليه ويقصد في تبيينها لربه عالما بتعاليلها وحُكمها وأصولها و فروعها واستنباطاتها ومفهومها ومنطوقها وناسخها ومنسوخها.واستبحر رضي الله عنه في جميع العلوم النقلية والرسمية حتى لا يضاهَى ولا يقاس بحره ولا يتناهى كما صار كذلك في علم الحقيقة على ما هنالك فاستجمع بذلك شروط المشيخة والاقتداء على وجهها وأتى على حقيقتها وكنهها، ويذكر الله عز وجل في جميع أحيانه لا تفارقه سبحته. يحب الإكثار من ذكر الله ويحضّ عليه ويقول: كل شيء حدَّه اللّهُ لنا إلاّ ذكره سبحانه، فإنه قال عز وجل:(يا أيها الذين ءآمنوا اذكروا اللّه ذكرا كثيرا) وقال تعالى:(الّذين يذكرون الله قياما وقعودا) الآية. ويواظب رضي الله عنه على أوراده بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى الأعلى في خلوته وبعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في خلوته أيضا وكذلك له مرتّب بعد صلاة العصر إلى الغروب. وقال رضي الله عنه: لا أذكر ذكرا إلاّ ما رتّبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكثيرا ما يلازم الصلاة على

رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله ويحضّ أصحابه عليها سيما الفاتح لما أغلق لِما فيه من الفضل العظيم كما تقدم. وإذا طلبه أحد في شيء من غير الورد المعلوم يقول له: أكِثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق فإن فيها خير الدنيا والآخرة وبها ينال جميع المطالب ويبلغ بها الطالب أنواع المآرب. هذا حاله رضي الله عنه الآن.ويحفظ جوارحه رضي الله عنه مما نهى الله فيعرِض عن اللغو وما لا يعني ويصدق عليه لسانه ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره. وإن نطق أحد بمنهي رده للصواب لا محالة كائنا من كان لا يتساهل في ذلك يحذّر من الغيبة غاية التحذير وينفر عنها كل التنفير ويذكر ما ورد في ذلك من آية أو حديث، ويطنب في ذلك مبالغة في النكير ويتحرى الصدق رضي الله عنه في حديثه ويحض عليه وعلى تحريه ويسرّه من صادقه في حديثه ويسوئه من يكذب عليه ويعجبه الصادق في فعله الذي يظهر كل ما من شأنه أن يفعله ولو كان قبيحا ويستحسنه ويحظى عنده صَدوق اللسان غاية الحظوة. ولا يحب الإكثار من الحلف بالله مخافة الوقوع في الحنث ويقول: ينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه عند إرادة الحلف قوله: إن شاء الله مخافة أن يعقد اليمين فلا يَبَرّ ويحنث فلا يكفّر. ويغضّ طرفه رضي الله عنه فلا تراه ذاهبا في الطريق إلاّ ناظرا محل ممره ولا يلتفت. ذلك دأبُه وعادته فإذا جلس مع الناس كان الغالب عليه التغافل عن أحوالهم يؤدب بذلك كل من حضر لديه ولا يحب الإكثار من ملاقاة الناس ولا الخوض معهم فيما هم فيه.
وإذا لقيه أحد من أصحابه لم يزده على، السلام عليكم، ولا يقدر واحد منهم أن يقبّل يده حملا لهم على عدم التكلف و ميلا بهم إلى الأدب الباطني، وهو الأدب الحقيقي، خِلاف ما اعتاده الناس من تأكيد تقبيل يد كل من يعظّمونه. هذا شأنه رضي الله عنه مع من يعرفه وخالطه إلاّ من غلب عليه أو كان ذا غفلة لا يعرف تصنّعا ولا استعمالا.وأما الأجنبيون فإنه يسامحهم ويعذرهم، مخافة أن يكسر قلوبهم، فلا يمر في طريق إلاّ أكبّ الناس عليه يسلمون عليه بتقبيل أطرافه، وربما يزدحمون عليه، وذلك لِما يغاشيهم من جلالته ومهابته، ويسري إلى قلوبهم مما ألقى الله عليه من محبته كما ورد في الحديث: إن الله تعالى إذا أحبّ عبدا نادى جبريل فقال: إني أحبّ فلانا فأحبْه فيحبّه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله أحبّ فلانا فأحِبّوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض. الحديث؛ وكان رضي الله عنه قبل هذه الأزمنة ينكر كثيرا تقبيل يديه ويزجر كل مَن فعله من قريب أو بعيد كما تقدم في باب بدايته، وأما الآن لم يبق على ذلك بل نقله الله إلى حالة الخلافة الدينية، فصار حاله في ذلك على ما وصفناه رضي الله عنه وأرضاه ومتّعنا برضاه آمين.
وأما صلة الرحم فإنه يصل رحمه الديني والطيني، فأما الطيني فإنه يواصل كل من له قرابة به من نسبه وذو رحِمه يقضي حوائجهم ويكرم مثواهم ويتعاهدهم ويسهمهم مما رزقه الله، ويحمل كَلّهم ويكسّب معدومهم ويعينهم على نوائب الخير وعلى مئونتهم ونوازلهم. فما من مسألة تهمهم إلاّ أنزلوها به فيجدون الراحة والمخرج ببركته، لا يغفل عنهم في أمر ديني أو دنيوي، و يحن على كبيرهم ويرحم صغيرهم و يؤدّبهم كما يؤدب صبيانه لا يرى أحدا منهم فعل قبيحا إلاّ وبّخه، يبالغ في نصيحتهم ويقوم بحقوقهم أحسن القيام، حازم في ذلك كله قوّام. ويحضّ على القيام بحقوق الأقارب ويوصي بالابتداء بهم عند إرادة المواساة عملا بما ورد في الحديث. وما أكثر ما يعظ في الوالدين ويؤكد على حقوقهما ويحذّر من عقوقهما ويقول: من لم يبر بهما لا يتيسر له سلوك هذه الطريقة. فمن صدر منه عقوق لهما بعد أن دخل فيها قطعه ذلك عنها ثم لا يقدر له أحد بشيء، وما أكثر ما يستعظم خطر المضيِّع لحقوقهما، و حُقَّ له ذلك أنه لَعظيم.وأما رحمه الديني فإنه من أعظم الناس مواصلة له وأكثر برورا وإحسانا لأهل جانبه، يواسي إخوانه وأصحابه وكل من له معرفة في الله بأنواع المواساة ويحسن إليهم فيطعم جائعهم ويشمل ضائعهم ويكسو عاريهم ويرفد فقرائهم ويعين ضعفائهم إذ هو رضي الله عنه أشدّ اهتماما بأهل الأخوّة الدينية، يتألم لمُصابهم أكثر مما يتألم لذوي نسبه ورحمِه. أعظم الناس عنده قربا أكثرهم في

الله حبا، فيقرّب الإنسان عنده لذلك ولو كان من أبعد الأجانب ويبعد عنده البعيد ولو كان من أقرب الأقارب تجده يستعظم حقوقهم، ويرى أن القيام بها غير مستطاع؛ سمعته غير ما مرة يقول: من ابتليَ بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية. نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة التي عمّت بها البلوى خلل المدّعي الأخوة في هذا الزمان الرذيل. وأما لباسه رضي الله عنه، فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد، كما يلبسه عامة الناس، ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح، ولا يرتكب في داره أمرا لم يَرد به السُّنة، بل قطع عنهم جميع العوائد والزوائد، وأمره في ذلك واضح وتفصيله يطول ويتبرّأ من الدعوى أتمّ براءة و يتنصل منها غاية التنصل، ولا يقبل من أحد فعل ذلك. وإذا حكى شيئا صدر عنه من محاسن الأعمال أو أشار إلى بعض ما له من سني الأحوال لغرض من الأغراض أسنده إلى مجهول فيقول: وقع لبعض الناس أو لرجل كذا وكذا، ولا يسمّي نفسه، وربما نلتقي بمن حضر معه في بعض تلك القضايا بعينها فيخبرنا بأنه هو فاعلها، فصرنا نعلم ذلك من حاله، ولا يحب من ينسب إليه شيئا، ولا يصرح له بسر من الأسرار ولا من يمدحه بمحضره. وإذا واجهه أحد يوما بثناء عليه لم يسامحه إلاّ إن كان غائبا أو غرّا بمدارك الأمور و يشدد النكير في دعوى الفقر وما يشار إليه ويقول: إلى الآن ما حصلت لنا التوبة ولا الإيمان الكامل أو كلاما هذا معناه، تنبيها للسامعين وإرشادا للتابعين. والتعليم بالفعل أبلغ نصحا وأتمّ نجحا . فجزاه الله عنا خيرا وزاده منّة وبرّا.وقد نجح والحمد لله على ذلك وسرى للأصحاب ما هنالك لا يحبون الدعوى ولا من يشتغل بها لِما يعلمون من حاله ويسمعون من مقاله ويرون من فراره منها وممن هي فيه لأن الدعوى أشدّ بلاء من البلوى. وكثيرا ما نراه يستعيذ منها يقول: إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، يزجر السامعين بهذا الكلام وإنه لحقيق بمن ادّعى بما ليس فيه أن يجازى بسوء الخاتمة. نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة؛ ويطلب الخمول ولا يطلب الظهور ولا من يتعاطاه.و يحب ءآل البيت النبوي المحبة العظيمة، ويودّهم المودّة الجسيمة ويهتم لأمورهم لا يزال حريصا على إيصال الخير إليهم، ويضرّع إلى الله فيما يصلحهم، ويكرمهم غاية الإكرام ويبرهم أشدّ البرور، ويتواضع لهم أشدّ التواضع، ويتأدب معهم أحسن الآداب وينصحهم ويذكّرهم، ويرشدهم إلى التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل بسنته ويقول: أولى الناس بالإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحضّ الناس على محبتهم وتوقيرهم والتواضع لهم والأدب معهم، ويبيّن عظيم مجدهم ورفيع قدرهم، ويروي: أن التواني في أمورهم ومحبتهم نقص في الإيمان. ولا يحب من يناويهم أو يباريهم ويخِلّ بالأدب معهم ويشدد النكير على مَن فعل ذلك معهم، وتواضعه لعليّ قدرهم، لا يترك من استشاره من أصحابه أن يصاهرهم مخافة تقصيرهم في شيء من الحقوق التي تجب عليه لهم أو وقوعه في بعض الحقوق.ورأيته يوما شدّد على بعض أصحابه حين أراد تزويج شريفة فمنعه من ذلك وقال له: إن فعلت فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة. نعوذ بالله من مخالفته في غيبته وحضرته، وذلك لأجل أن يقع منهم ما يغضبهم ويسوءهم، فيُغضِب بذلك فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ويغضِب أباها صلى الله عليه وسلم ما أغضبها، للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني والحاكم في المستدرك، والبيهقي عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، حيث خطب ابنته الحسن المثنى على ابنة عمه فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما، فاعتلّ له لحديث: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وبأن عنده ابنتها وذلك يغضبها ويغضب جدتها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوافق فعل سيدنا رضي الله عنه فيمن استشاره فعل هذا الصحابي الكريم وسلك مسلكه في الإجلال والتعظيم، وأن المصاهر لهم قد يرى في نفسه شيئا من المساواة، فيخلّ بالوقار. وكثيرا ما يوصي بتوقيرهم واحترامهم والاحتياط في تعظيم مقامهم، بعدم المصاهرة لهم، مخافة أن يرى الإنسان نفسه أهلا لذلك، فينكح منهم كما نكحوا منه، فلا يرى لهم مزية ويستخفّ

برتبتهم العلية. وهذه آفة قلبية وعلّة خفيّة لا يراعيها ولا يحترز منها إلاّ أرباب القلوب.ومن شدة تعظيمه لقدرهم وغيرته عليهم أنه لا يحب من يخالطهم على حظ أو يخادعهم في شيء أو يكتم نصيحة، ويقبّح ذلك غاية التقبيح ويكره فاعله.والحاصل أن محبته ِلآل البيت النبوي وتعظيمه إياهم أمر عظيم لم نر مثله ِلأحد من زماننا ولا سمعنا به بل هو شيء انفرد به وتحقق منه تحقيقا ويقينا، والمحبة وإن كانت وصفا قلبيا تعلم زيادتها بالأحوال الدّالة عليها والأمارات المرشدة، وأنا لا أعلم من يحب الشرفاء ويعظّمهم في هذا الزمان مثل محبته وتعظيمه، وليس ذلك بمستغرب في أمثاله. ومحبة ءال النبي رزقنا الله منها أوفر حظ ونصيب، من نتائج الإيمان الحقيقي وثمراتها وكذا سائر هذه السيَر المحمدية التي سار بها شيخنا رضي الله عنه، مما في بيان آثارها ونشر أخبارها عبرة للمعتبرين، وتذكرة للمتذكّرين و تسديد للمتقين و تأييد للموفَّقين. رزقنا الله بركته وضاعف لنا محبته. وأما أخلاقه رضي الله عنه، وهي ما تكيّف به من الأوصاف المجيدة والأخلاق الحميدة التي هي المسماة بمكارم الأخلاق وهي: الذكاء والفطنة والشجاعة والنجدة والحنانة والشفقة والرأفة والرحمة والصبر والاحتمال والآداب وعلو الهمة التي هي العفاف والصيانة والوفاء، والفتوة التي هي الكرم والسخاء والِحلم والأناة والعفو والإيثار والسعي في حوائج الأبرار، فقد اتُّصِف منها بما فاق به غيره رضي الله عنه، أكرمه الله بأوصاف جُبِلَ عليها في أصل فطرتِه. فلما فُتِح عليه، عادت قربَى إلى الله ووصلة بحضرته فأنزل كلاّ منهما بمحله ولما خلق لأجله، فصارت كلها ِلله وفي الله، فكان ذكاؤه وفهمه عن الله مراده وأناءته إتقانه للعبادة وصبره سكونه تحت مجاري الأقدار، واحتماله قضاؤه الحوائج والأوطار وشجاعته قوته في الدين، ونجدته نصرة طريق المهتدين، وسخاؤه بيع نفسه على الله وفي الله، وعلو همته انقطاعه إليه عما سواه، وفتوته وفاؤه بمعاملة مولاه. وكانت تلك الأوصاف تمهيدا لهذه والأخرى، ورقى بها في درجات الإحسان مقامات كبرى، كلٌّ ميسَّرٌ ِلما خُلِق له. ومن أخلاقه الكريمة أنه لا تجده إلاّ عطوفا رءوفا شفيقا على المسلمين، ويرقّ للمساكين ويتألم لمصابهم، ويشفق لما بهم، ويلاطف ذوي الحاجات ويواسي ذوي الفاقات، ويودّ ذوي الاغتراب أكثر من ذوي الاقتراب، ويميل إليهم ويتعطّف عليهم ويجالسهم ويؤانسهم ويعاملهم وخصوصا أهل الفطرة السليمة منهم، والذين لا يضمرون من سريرتهم مثقال ذرة، فكثيرا ما نراه يبر بهم ويرفق بهم ويكرمهم ويعجبه حالهم ويثني عليهم بظهر الغيب الثناء الجميل، وما شكى أحد له ألما ومرضا إلاّ اهتمّ له واعتنى بأمره، فلا زال يذكره داعيا له ويسأله عن حاله حتى يكشف الله ما به ويفرّج عنه. وما أبصر ذا مصيبة إلاّ رقّ له رقة عظيمة، ويدعو له ويقول: أعاذنا الله بفضله من بلائه آمين. فهذا ديْدنه رضي الله عنه وأرضاه. ومن أخلاقه العظيمة التي سبق فيها مَن قبله وأعجز مَن يأتي بعده التواضع والأدب وحسن الخلق والمعاشرة. رقيق القلب رحيم بكل مسلم متبسما في وجه كل من لقيه يظن أنه أقرب إليه من غيره لمّا يرى طلاقة وجهه وحسن كلامه وكثرة إقباله حتى في مشيه ويذكر قوله تعالى:(وعبادُ الرحمِن الّذين يَمشونَ عَلى الأرض هَوْنا) الآية. ما رأيت أحسن خلُقا ولا أوسع صدرا ولا أكرم نفسا ولا أعطف قلبا ولا أحفظ عهدا وودّا ولا أكثر علما وفهما منه. ومع جلالة قدره يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يقصد أحد معارضته بشيء من العلوم كلها إلاّ أفحمه فيبقى متحيرا متعجبا من غرائب العلوم والفهوم. فهو رضي الله عنه ممن جمع الله له العلم والعمل والولاية الكبرى. وارتقى في ذلك إلى النهاية مع الحرص والشفقة على الخلق بما يقربهم إلى الله تعالى والصبر على إذايتهم إلى الغاية أي ما وضع له في القلوب من الهيبة العظيمة والإجلال مما لم يعط لأحد ممن عاصره من العلماء والأولياء والزهاد وغيرهم. ولهذا صار الناس إليه من أقصى البلدان يتبركون به ويأخذون عنه ويستندون في الأمور الدينية والدنيوية والأخروية إليه. فلا تجد من يقاربه في الرحمة والإرشاد للخلق فضلا عن مثله. مع هذا كله، رضي الله عنه تجده يتواضع في

نفسه ِلله وفي ذات الله لعباد الله أهل النسبة إلى الله وآل البيت النبوي من كل ذي نسبة دينية ومحبة إيمانية؛ أما في نفسه فلا يرى لها قدرا ولا ينسِب لها أمرا ولا استحقاق شيء على أحد حتى أهله وعياله ويخدم نفسه وأهله ولا يستنكف على فعل شيء كائنا ما كان ولا يحب امتيازا ولا اختصاصا بشيء ويرى لغيره المزية عليه ويقول: لعل الله يرحمنا في جماعة المسلمين وينسب لنفسه الأشياء الوضيعة ولا يبرّئُ نفسه من خصلة دميمة أو فعلة قبيحة ويشهد حقوق الناس عليه ويقول: لم نوَفّ لمن عرفناه حقه ولا نستوفيه أبدا. ويقول: المومن هو الذي يرى حقوق الناس عليه ولا يرى لنفسه على أحد حقا. و يخدم بنفسه من والاه من الأصحاب و غيرهم في الحضر و السفر لا يبالي بعناء نفسه في ورد و لا صدر. و لا يترك أحدا يشتغل بتعظيمه أو يميزه بشيء كتقبيل اليد ونحوه. ولا يقدر أحد أن يسومه بشيء من ذلك، ولا يرى لنفسه أهلا لشيء من ذلك أبدا.وأما أدبه رضي الله عنه ظاهرا وباطنا في الشريعة المحمدية، ومع الله جل جلاله فشيء بلغ فيه إلى أقصى الغايات، وبرع فيه أهل البدايات والنهايات حسبما يعلم ذلك من حاله ومقاله رضي الله عنه؛ ويشهد له ما تقدم من خلاله وفعاله. فمن أدبه الظاهر مواظبته على ما ورد في السنة من الآداب الشرعية المتعلقة بأحوال الأنسان ومحافظته عليها بقدر الطاقة والإمكان في قيامه و قعوده واضطجاعه ومشيه وجلوسه وما رُؤِيَ رضي الله عنه مادّاً رجله إلى القبلة وما بصق قطّ وهو جالس في المسجد ولا رفع فيه صوته وما سَمِعَ أحدا يرفع فيه صوته إلاّ نهاه، وما رأى أحدا خلّ بشيء من آداب الشريعة إلاّ نبّهه و يقول له إذا كان ممن له معرفة بها على سبيل الإنكار والتوبيخ: أهكذا ورد في السنة ؟ ولا يحب ارتكاب شيء من آداب الناس العادية التي لم ينه عنها الشرع ولم تَرِد به السنة اقتصارا منه على ما ورد في الشريعة وتخلقا بأخلاق السنة الرفيعة. ومن آدابه الباطن الذي دلت عليه أقواله وأفعاله، أنه رضي الله عنه لا يختار مع الله ولا يدبر مع تدبيره شيئا، حتى أنه إذا دعا لنفسه أو لأحد بشيء مما كان مجهولا عاقبته وفيه حظ كان دعاؤه طلب الخَيرَة من الله ويقول لنا المرة بعد المرة: لا أدعوا إلاّ بلساني و قلبي مستسلم لله تعالى . و يقول: لا أريد شيئا و لا أطلب شيئا تفعل ما تشاء و تحكم ما تريد. و يقول انما أجاري الخلق بلساني لا غير لعدم كسر قلوبهم. وتارة إذا طلبه أحد بالدعاء يقول: لا أدعو أدبا مع الله جل جلاله، وعلما منه رضي الله عنه بأن ما يختاره الله هو أحسن مما يختاره العبد لنفسه أو غيره. أما الدعاء بما ورد عن الشارع مما فيه ترغيب أو ترهيب أو تقرّب أو وصلة إلى الله جل جلاله أو وصف عبودية من إظهار فاقة وتملق وتضرع وخضوع لله سبحانه وتعالى وكذا طلب التوبة والمغفرة والرحمة والقبول منه جل جلاله ونحو ذلك فلا يزال لهجا به رطبا به قلبه ولسانه. ويقول: إن ذلك كله ليس فيه اختيار مع الله لأنه مأمور به شرعا. وكثيرا ما يجري على لسانه بالدعاء: الله يقبل علينا بمحض فضله ورضاه. ومراد به رضي الله عنه أنه لا يريد الخوض في شيء من تصاريف أقدار الله سبحانه وتعالى، ولا التعرض للكلام فيما وقع ولا يتمنى زوال ما هو واقع منها ويعدّ الخوض في ذلك اعتراضا على الله تعالى وسوء أدب معه وينسب القصور للنفس و يرى النقص منها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد اعتراف أنه من الله تعالى تخلقا بأخلاق الشريعة وتحققا بأن الكمال لا يُنسب إلاّ لله ولا يُنسب لغيره, وإن كان أثرا من آثار قدرته لا لغيره مراعاة لمقام الأدب معه تعالى؛ وأما ما وراء ذلك من مراعاة جوارحه وأنفاسه وتقلباته وأدبه مع الله في ذلك كله ما لا نطّلع عليه، وقد يكون هناك ءآداب باطنية ظهرت عليه علامتها، فلم نعرف دلالتها على ذلك. والأدب على قدر المعرفة، ولن يخفى عليك بعد معرفة ما تقدم كمال معرفته رضي الله عنه الملزوم لكمال أدبه، بل و لكمال هذه الأخلاق المنطوية في الأدب التي بلغ فيها مبلغا كاملا. وبالجملة فأدبه مع الله ورسوله وتواضعه في نفسه وللخاص والعامّ من أبناء جنسه وصبره واحتماله وشفقته وحنانته وعظيم فتوته وعلو همته هذه خصوصا وسائر أخلاقه عموما أمر عزيز الوجود غريب الورود لا يتفق إلاّ لخواص الخواص من ذوي الصديقية والإخلاص

والمعرفة والتوحيد الخاص الذين استغرقتهم رحمة الرحمن وعمّهم الفضل منه والإحسان. انتهى ما أردنا ذكره من سيدنا رضي الله عنه وأحواله.وأما علوه وزهده و ورعه فقد فاز منها بأوفر نصيب. أما علومه الظاهرة فقد حاز من فروعها و أصولها السهم والتعصيب ورقى إلى كل فضيلة ومكرمة بسهم مصيب، ولا يتحدث في علم إلاّ تحدث فيه حتى يقال إنه لا يحسن غيره سيما علم التوحيد والتفسير والحديث وعلم السّيَر وعلم التصوف والأحوال وسائر العلوم النقلية من نحو وفِقه وعَروض وغير ذلك. وقد شارك الفقهاء في جميع علومهم الظاهرة ولم يشَارَك في العلوم الباطنة، بل زاد على الفقهاء زيادة لا يمكن وصفها من حل المشكلات وما يعرض من الشبه بالمعضلات كما ذكر ذلك في جواهر المعاني. وما تكلم رضي الله عنه في مسألة في علم الظاهر إلاّ خرج منها لعلم الآخرة لا سيما علم التفسير والحديث لِما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى ومراقبته وعدم التفاته إلى زخارف الدنيا كأنه يشاهد الآخرة بين يديه. فإقراؤه للعلوم الظاهرة رجعت كلها في الحقيقة علوما باطنة. وكثيرا ما يقول العالم على الحقيقة مَن يشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة علمه و كثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه. فهذا الذي يجب حضور مجلسه والاستماع من غرائبه وفوائده وأما علومه الباطنة الحقيقية المستمَدّة من الأنوار الإلهية فهو رضي الله عنه قطب رحاها وشمس ضُحاها. يقول من سمع كلامه فيها هذا كلام من ليس وطنه إلاّ غيب الله تعالى. وهذه العلوم محلها القلب وهي معادن الأسرار ومطالع الأنوار، ولهذا لا يمكن التعبير عنها ولا يعرف حلاوتها إلاّ من اتصف بها وذاقها فلهذا يوثر رضي الله عنه حب مولاه العظيم على غيره ويراقبه ولا يأنس بأحد بل تجده يفر إلى الخلوات كثيرا قد طال فكره في معرفته تعالى فانكشفت له عجائب الأسرار وتجلت له الأنوار كما قيل:

ومنفرد في الله هـــــامَ بحبّـــه ... فليس لـــه أنس بشيء سوى الــربّ
تفـــــرّد في الدنيا لطاعةِ ربـــه ... فأورثه علـــمَ الكتاب بلا ريـــبِ
وآثرَ حبَّ اللهِ فانكشفــــت لــــه ... عجائبُ أســـرارٍ ثواباً على الحـــبّ
فمن كان في دعوى المحبة صادقا ... تجلّت له الأنوارُ من غير ما حُجُـب
فترتاح في روض المعارف دائمـا ... و لذّتها أشهَى من الأكْــل و الشّــرب
تخاطبُه الأحـــوال من كل جانــب ... فيُفهَم عنه بالضميـــــر و بالقلـــب
يكاشَف بالأسرار في مَلَكــوتهـــا ... فيأتي عليه الفيض من عالَـم الغيــب

إلى غير ذلك مما قيل. ولا شكّ أن السادات المتصفين بسنيّ الصفات هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة واقتدوا بهم ظاهرا وباطنا فجمعوا بين الشريعة والحقيقة على أكمل وجه. فقد فاقَهُم سيدنا رضي الله عنه وحصل له ما حصل لهم. فهو رضي الله عنه القدوة للمقتدي والهداية للمهتدي لجمعه بين لطائف الأحوال وصحيح الأقوال والأفعال باطنه حقائق التوحيد وظاهره زهد و تجريد وكلامه هداية لكل مريد, انتهى. وأما زهده رضي الله عنه فلا أعظم منه ولا أكثر مباعدة من الدنيا وأهلها فيما رأيناه ولا فيما سمعناه. قد أحرز رضي الله عنه قصب السبق في مراتبه. ومآثر سيدنا رضي الله عنه الشاهدة على ذلك كثيرة ودلائل قضاياه وأفاعيله الصادرة فيه غزيرة لا يستقصى شيء من جزئياتها ولا بعض من آياتها. وأما زهده في الجاه والظهور فإنه رضي الله عنه لا يزال يلتمس الخفاء والإخمال في زوايا الإغفال والإهمال لا يبالي بإدبار الخلق ولا بإقبالٍ ويفر من ملاقاة ذوي الوجاهة والرياسة ويحذّر من ملاقاتهم ويقول: إنها فتنة في الدين ويكره أن يعرفه أحد منهم إلاّ أن يتخيّل صدقه ويعلم أن مجيئه لله فيرجو له الخير ويعظه ويذكّره وينصحه. وعادته رضي الله عنه ما ذكرناه قبلُ. فانظر رحمك الله إلى هذا السيد الجليل ومنفعته العامة للإسلام والله هو الكفيل. ومن زهده رضي الله عنه في الجاه ما وقع له مع بعض الأمراء ِمن ترْكه لملاقاتهم بعد طلبهم له في الملاقاة فامتنع منهم امتناعا كليا. فقد رقى سيدنا أبو العباس رضي الله عنه في ذلك مكانا ولاح في سمائه نورا مبينا يعرف كلَّ ذلك مَن صاحبَه وخالطه ومارس أحواله وأفعاله وهذا يدل على حريته. وسئل سيدنا رضي الله عنه عن

الحُرّ بما يأتي في محله وقد فسره بعض المحققين بأنه الفرد الذي لم يسترقه عاجل دنيا ولا آجل آخرة ولا يملك قلبَه شيء لا يرى المالكَ إلاّ الله ولا يستولي على قلبه سواه ولا ترى أحدا أكملَ في هذا الوصف مثل ما كمُل فيه سيدنا رضي الله عنه وهو الحُرّ على الحقيقة، والممتاز بوصف الحرية على الحقيقة كما قيل:

أتمنّى على الزمان مُحـالا — أن ترى مُقلتايَ طلعة حـُرّ

ولا تظنّنّ ببالك أو تتوهّم في خيالك أن أحدا من أهل عصرك ومصرك وبلادك وقطرك له مِن وصف الحرية ما لشيخنا رضي الله عنه أو يحاكي فيه تمامه وكماله. ذلك وصفُ أنواره عليه لائحة وآثاره فيه واضحة وأمره رضي الله عنه في هذا وغيره شهير لا يخفى على ذي ميز من كبير أو صغير. رزقنا الله رضاه في الدنيا والآخرة ءآمين. وأما ورعه رضي الله عنه فإنه لا يستعمل في عبادته وأمور ديانته إلاّ ما خلصت طهارته خلوصا تاما كاملا مبالغا في الاحتياط لدينه وإتقان عبادته التي هي وصلة بينه وبين ربه كما هو شأن الخواص من المُخلَصين فيتحرّى من البقعة و الماء أطيب محلاً وأصفى حِلاً. ومن ورعه رضي الله عنه أنه إذا أعطى شيئا لا يحب أن يرجع إليه لا بشراء ولا بهبة ولا بغيرهما. وبالجملة، فورعه رضي الله عنه في كل شيء قد بلغ الغاية ووصل النهاية لا تدور معاملته إلاّ عليه ولا تصير إلاّ إليه على بصيرة في سبيله ومعرفة لدليله. ويقول: إن الإنسان إذا رخّص لنفسه في أكل المتشابه فها هو ذاهب في أكل الحرام ويقول: إن أصل الورع اتّقاء الشبهات والمداومة على أصل الحلال مع الصدق مع الله في ذلك. من شدّة احتياطه في معاملاته ومناولاته فيما يتعلق به وبأهله، أنه لا يشتري حاجة ممن علم بمكسب الحرام أو أنه يخالط أحدا من أهل جانب المخزن أو يكون اختلط ماله بماله. وهذا دأبه وديدنه. وكثيرا ما ينهي أصحابه عن مخالطة هؤلاء ويحثّهم على ركوب متن الورع في أموالهم كلها ولا يرخص لهم في الحرام فيقول: ما لا أرضاه لنفسي لا أرضاه لغيري وما لا أفعله لا آمر به. ومن ورعه رضي الله عنه أنه لا يأخذ شيئا ولو كان تافها مما يحتاج إليه ممن لا يَتّقي الحرام ولا يتحرّى في مكسبه، كل ذلك لا يفعله ولا يحب من يفعله. انتهى. وبالجملة، فإن سيدنا رضي الله عنه، قد اتصف بجميع ما تقدم وشرب منه ما رواه ونهل من بحره العظيم ومدده الجسيم ما أخذ بجميع عوالمه وقُواه وأفناه عن كل معلوم ومرسوم وغيّبَه أبدا في الواحد القيوم فانصبغت بالتوحيد حقيقته وامتزجت به ذاته وهويته وتكيّفت به روحه ونفسه ومعناه وحسه وقالبه وقلبه وعقله ولبّه، فصارت أحواله وأقواله وخلاله وفعاله وحركاته وسكناته وتقلّباته وتصرفاته كلها دالّة على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وجامعة على الله وأبواب لوصوله لا تدعو إلاّ إليه ولا تحوم إلاّ عليه ولا توقفك إلاّ ببابه ولا تسندك إلاّ لعليّ جنابه. إذا رأيته ذكرت الله ونسيت ما سواه واستيقظت لأول وهلة وانقشعت عنك سحائب الغفلة ووجد بقلبك تعظيما وإجلالا وتكريما وإذا جالسته تداركتْك لَمَحاته وسَرَت فيك نفحاته وعلق بك طيبه الفائح ورأيت حسنه الواضح وعلِمت أنه الجليس الصالح ونور النبوءة فيه لائح لا يُخيب أبدا جليسه ولا يعدم شيئا من الخيرات أنيسه كما قال فيه مادحه: هو من أناس لا يخيب جليسهم البيت. يقدح النور في قلب من أبصره ويثبت محبة الله فيمن حضره ويزجّ في الذكر من غشيه ويقذف في الجد من لقيه. رؤيته طبّ للقلوب وكلامه شفاء من العيوب. مجلسه مجلس حِلم ووقار وإجلال وإكبار لا يبتديه أحد بالكلام غالبا ولو كان في ذلك صائبا بل يفتتحه هو إن أراد فيحصل به البغية والمراد. لا يكثر الحاضرون من الكلام لديه ولا يتسابقون فيما بينهم إليه بل دأبُهم الإنصات والأدب إلاّ من توجه إليه منه الخطاب والطلب عظيم الهيبة جليل الهيئة ذو مهابة ظاهرة وسطوة قاهرة لا يصاحبه أحد إلاّ صدمته هيبته ولا يداخله إلاّ ملكته محبته وراثةً محمديةً ومنحةً نبويةً. كلما ازدَدتَ إليه قربة ازددت منه مهابة. ولقد تَعرضُ لنا المهمّات فنريد أن نخبره فما نستطيع الإقدام عليه حتى يكون هو الذي ينبّئنا بما لديه و كثيرا ما ينبئنا عمّا نريده قبل

أن نشرع فيه، كما تقدم لنا ذلك، فيفتح لنا بذلك الباب في الكلام معه فنتبعه ونقتفيه، يتكلم مع الإنسان بما فيه وينبئنا عما يلاقيه ويوافيه ويبيّن له ما خفي عليه أتمّ تبيين مما كان قد ضر به في أمور الدين ويتحفه بالدواء والعلاج فيبدي الخطوب ويزيح الكروب وتنمحي بأنواره ظلمة النفوس وتنجلي عنها المضائق والبؤوس. يذكر الآيات القرءانية والأحاديث النبوية ويتفرع منها الإشارات اللطائف والحكم والمعارف فيذاق ذلك منه ذوقا، ويزيد الحاضرَ محبة وشوقا ويمتلئ القلب منه سرورا وفرحا وحبورا حتى يحلف الحالف عند سماع كلامه لكأنه يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى كلامه سطوة تخضع لها النفوس وتنحطّ لها الرؤوس. وإذا سمع كلامه أحد وخصوصا من فيه قابلية القبول تحوّل في الحين قلبه وطار به إلى الله لُبّه يأتيه الإنسان في كرب وأحزان، وجحود وكفران وضلال وطغيان ودنس وأدران فيعود حزنه سرورا وجحوده شكورا وبُعده حضورا ودنسه طهورا وظلامه نورا. فتنقلب به في القلوب حقائق الأعيان وتطيب به الأوقات والأحيان وتجده يتكلم مع الرجل كلاما عاديا وهو يفعل في قلبه الأفاعيل ويرحل به إلى الله المراحيل ويجيب الرجل بكلمة أو كلمتين فيظفر عند ذلك بمرامه ويعثر على غرضه وغرامه ويحضر الحاضرون ما بين متوجّه وغافل ودنيوي وغيره فيعمل في الجميع حاله ويوثر فيهم مقاله ويعمّهم الفرح ويزول عنهم الترح حتى يظن أحدهم أنه لا يبالي بالدنيا أبدا ولا يلتفت إليها بعدُ سرمدا لما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح بأنعُم الله؛ ويأتيه من أصيب في ماله وبدنه وعياله في غاية ما يكون من المشقة والضيقة فإذا سمع كلامه انزاحت عليه الأتراح واعتراه السرور والانشراح كأنما سقيَ عنده الراح بالراح؛ وقد أتاه رجل من الإخوان وقد امتُحِن بأخذ ماله من قِبل السلطان فساءت أخلاقه وأحواله وسرّه وعلانيته وأفعاله فجلس بين يدي سيدنا رضي الله عنه في ملأٍ من أصحابه فجعل ينصت لكلامه ويتكلم الشيخ رضي الله عنه على عادته في الدلالة على الله ويذكر الناسَ بأنعم الله الظاهرة والباطنة ويريهم أن ما ينزل بالعبد من المحن التي هي في الظاهر نعمة كلها رحمة من الله، وفضل منه ونعمة، وأنه لا يفعل ذلك سبحانه إلاّ لحكمة. وجعل يوضّح ذلك. فتحوّل حال الرجل لحينه وظهر عليه أثر السرور والفرح ويقول: الحمد لله ويكررها فرحا منه بنعمة الإسلام التي لم يقدّر قدرها قبل ذلك واستخفافا بالدنيا التي رُزِئَها ويقول: ما سمعت هذا قط ولا رأيته. ولقد زرت غير واحد من الصالحين الأعيان في هذا الزمان فما رأيت مثل هذا الكلام عند واحد.ووقع مثل ذلك المرة بعد المرة، يأتيه الرجل في كرب ووبال فينصرف عنه منشرح الصدر والبال وتعود كربته عند رؤيته طربا ويبصر الحاضرون من آياته عجبا من ذلك لِما تكيّف به من نور الحقيقة، واتصف به من الرحمة للخليقة، حضرتُ من ذلك ما لا أحصيه ولا أستوفيه. فهو يجود عليهم بحاله كما يجود عليهم بماله، ويرحمهم بما خُوّله من المعارف ورُزقه من العوارف فيّاض المدد كثير النفع للعباد رفيق بالحاضر والبادي كأنما الناس كلهم أبناؤه وإخوانه وأدواءه. ولا يزال حريصا على نفعهم ورجوعهم إلى الله ورفْعِهم يستشهد كثيرا بحديث: الخلق كلهم عيال الله وأحبُّهم إلى الله أنفَعُهم لعياله؛ ويلهج به في كلامه لكون حالته تذهب إليه في كل شيء ويسوق الخلق إلى الله بما أمكن ويكتفي بما يجده في الإنسان من قابلية الخير ولو لم يكن فيه إلاّ وصف واحد و يقول العارف اذا وجد فيك خصلة واحدة من الخير كالحياء أو السخاء أو شيء من المحبة مثلا أو سلامة الصدر أو صدق اللهجة أو نحو ذلك عاملك لأجله و أخذ بيدك و حن عليك و يقول ان الله يرحم العبد بسبب وصف واحد . و رحمة الله غالبة تلتمس السبب. فإذا وجدتْ أدنى شيء منه نزلتْ؛ وإذا شكى له واحد نفسه وذكر له سوء حاله وقبيح فِعاله جذبه من النظر إلى ذلك للنظر إلى رحمة الله وعرّفه أن الله يرحم بلا سبب، ثم يتذكر قول الشاذلي رضي الله عنه: إنْ لمْ نكنْ لرحمتك أهلاً أنْ ننالها فرحمتك أهلٌ أنْ تنالَنا. ويقول: فائدة تُذكّر العبدَ مساوِئَه أن يعلم منّة ربه عليه ويتحقق بفضله وإحسانه حيث يجد نفسه لا يعمل خيرا وهو مع ذلك معافىً منعَمٌ عليه سابحٌ في بحر الفضل والإحسان.

فتلك أثواب مُنِحَها من الحق من محض الكرم والامتنان. وإذا تكلم أحد بما يشير إلى الدعوى وثناءً منه على نفسه قابَلَه بالعكس وجعل يتكلم في عيوب النفس ودسائسها و يظهر له خسائسها ودقائقها وما اشتملت عليه من العيوب والنقائص والرذائل التي هي شأنها ووصْفها ولا تحب أن تتّصَف إلاّ بأوصاف الربوبية كالكِبْر والعظمة مع أنها لا تحصى معائبها ولها من النقص مثل ما لله من الكمالات، يعني لا نهاية لها، ولولا أن اللهَ يَحُول بين المرء وبينها لهلك، ولو أنه خلّى سبيلَها لكَفر بالله كما كفر بأنعُمه ويقول: إذا أراد الله هلاك عبدٍ وكّله إليها ولم يزده شيئا. وإذا أراد الله رحمته عرّفه بنعمته وألهَمَه شكرَها وجنّبه كفرَها وذلك من أصل خير. وما جاء أحد مظهرا للرّجا غافلا عن اللّجا إلاّ خوّفه من سطوة الله وقهره وسرعةِ نفوذ قضائه أو أمره حتى يذهب خائفا مذعورا. وما جاءه أحد خائفا إلاّ سلاه ورجّاه وعرّفه فضل مولاه حتى يذهب فرحا مسرورا. أيريد بذلك جمع العبد في الحالين على مولاه وألاّ يقف مع شيء سواه. وإذا ادّعى أحد بين يديه المحبة قال له: من علامة المحبة السعي في رضى المحبوب والوقوف عند أمره ونهيه واتّباع قوله وفعله و ينشد قول القائل:

تعصي الإلهَ و أنتَ تُظهر حبّه   هـذا مُحالٌ في القياس بَديـع
لو كان حبّك صادِقاَ لأطعتـه   إنّ المحـبَّ لمنْ يحبُّ مطيـع

وإذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا، عرّفه بما جهل من أمره فأخرج له دسائس ذلك العمل وعلّله حتى يتبين له أنه معلول مدخول لا يترك لأحد شيئا يعتمد عليه ولا عملا يستند إليه ولا حالة يأنس بها ولا الركون لشيء إلاّ لفضل الله ورحمته؛ وكثيرا ما يستشهد بقوله: ما عندنا إلاّ فضل الله ورحمته وشفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويدل على الله بصحبة أهل الله الدّالّين على الله الجامعين عليه والموصلين إليه ويذكر قوله تعالى: (واصبِرْ نفسَكَ مع الّذين يَدْعُونَ ربّهم بالغدَواة والعَشِيّ يُريدونَ وجْهَه) الآية؛ وحديث: المرء على دين خليله ويقول: أصل كلّ خير الخلطة كُن ما شئت فمثله تفعل وخالطْ من شئت فمثله تعمل. وشكوته يوما سوء حالي فقال: لا تكلمني الآن في شيء من ذلك وافعل ما آمرك به وأشار عليّ بمجالسته رضي الله عنه، فقلت له: يا سيدي ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أو مجالسة الأشياخ؟ فقال: بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعادلها شيء. فجلوسك بين يدي وليّ أفضل من الدنيا وما فيه لما ورد: جلوسك بين يديْ وليّ قدر حلْبِ شاة الخ... ولا شك أن مجالسته رضي الله عنه ترياق مجرّب للأمراض القلبية والعلل النفسية ولم تَعرُض لنا ولا لغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على القلب ظلمات رديّة فتنجلي بمجالسته رضي الله عنه. والحمد لله حقّ حمْدِه وكما ينبغي لجلاله لا أحصي ثناءً عليه. ويقال في المعنى: النظر في التقيّ استقامة وفي الخصوص كرامة ومن رحمة الله بعبده وعنايته أن يسخّر له قلب مخصوص من أهل ولايته. ويقال: كل أناس يحبون المخصوص والحكمة أن يحبّك المخصوص ومن لم يلق صاحب بصيرة لم تُفتَحْ له بصيرة. وليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهدا بلسانك وتعتقد مشيخته بجنانك إنما شيخك من جذبك من قلبك وأخذ بمجامع لُبّك ونفعتْك نظرتُه وحاطتك همّته. ويخاطب كل واحد على قدر فهمه وعلى حسب علمه وبما يليق من حاله وينبغي لأمثاله فيخاطب الجاهل بالتعلم والعالم بالعمل، وذا المعصية بالتوبة وذا الطاعة بعدم النظر إليها وبرجاء رحمة الله فيها. ويعجبه المشفق من عصيانه ويرفق له ويحنّ عليه ويدلّ على الله بكل حال وفي كل حال وفي كُلّ من الطاعة والمعصية دالة على الله. فالطاعة تدعو الى شكر الله و المعصية تلجأ للتوبة الى الله و النعمة و النقمة كذلك هذه تفرحك بمولاك والأخرى ترفع بها إليه شكواك. ويذكّرهم رضي الله عنه: من لم يقبل على الله بسوابغ الامتنان سيق إليه بسلاسل الامتحان.ويحكي الكلام في هذا الأسلوب ويتفنّن في الدلالة على الله تفننا ويتلوّن فيها تلوينا ويبيّن فيها كيفيات طرائق وخفيات حقائق. فتارة يأتيها من حيث الأرضيات وتارة من حيث السماويات ويوضّح في طريق الجذب لأهلهما مهامِهَ فَيْحا تارة تصريحا وتارة

تلويحا.ويجري في كلامه من ذلك ما لا تدركه العقول ولا تحيط به النقول. مجالسه في ذلك رياض مزهرة، كل مجلس وما يتفق فيه بحسب حكم الوقت وما يفتح الله له وعلى يديه من أرزاق الحاضرين، وربما يقرر في المجلس الواحد من ذلك أنواعا منوعة ومعارف وأسرارا وتذكرة واعتبارا و حَمْلٍ على شكر واصطبار وسكون تحت مجاري الأقدار وحمل على العمل وترْك الأمل وترغيب وترهيب وتقريب وتحبيب وتبشير وتحذير. كل ذلك مما يجري في محفل واحد، فيأخذ منه كل من الحاضرين نصيبه وينتفع به كل على قدر حاله. وقد يغلب عليه في المجلس الواحد نوع منها وتجده إذا تكلم في باب الدلالة أقنعَ فيه جدا وأوسعَ فيه المجال ويشفي منه صدور الرجال بعبارة واضحة وإشارة حسنة ويقضي منه بالعجب العجاب يتكلم بعبارات الناس الجارية بينهم ويبيّن لهم بلسانهم فيفهم منه العالم والأميّ والفطِن والغبي ويبيّن لهم مراتب الدين وكيفيتها وما يوصل إليها ومقامات اليقين ويريهم الطريق الموصلة إليها والمقدمة المنتجة لها يبيّنها مقالا ويشافي القلوب حالا فيبيّن التوبة وكيفيتها وما يوصل إليها والزهد وسببه والشكر والصبر وكيفيتهما والرضى والمحبة وكيفيتهما وترك التدبير والاختيار مع الله. وهذان الأخيران عمدة كلامه و مدار مرامه، ويبرهن على كل ذلك بما لا يجهله أحد ويبيّن موقع كل ذلك بما يعلمه كل أحد حتى يعلم ذلك علما ويحصل ذوقا وفهْما، ويباشر القلب يقينا وجرما ذلك ديدنه وشعاره ودأبه وتيساره ناصح للعباد، حريص على الهداية والإرشاد يصرف وجوه الغافلين بالوجهة إلى الله ويوقظهم للتوبة ويحيي قلوبا أماتها الهوى بمدد الإيمان ونور المحبة ويتلو عليهم ما ورد ءآية ءآية وحديثا حديثا. وكم واحد تاب على يديه ورجع عن سوء عمله بعد أن كان منهمكا في عصيانه مستغرقا في الغفلة في سائر أحيانه. وما أشدّ اعتناءه بطالب التوبة، فإذا جاء صرف كليته إليه وأشفق منه وعطف عليه ويذكر حديث: الله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها، ويقول: انظر كيف أكد أمرها اهتماما بشأنها فكرّرها في موضع واحد مرتين، فقال تعالى:(يريد الله ليبيّن لكم إلى قوله: والله يريد أن يتوب عليكم) . وانظر هذه الرحمة منه لعبده حيث لا يريد أن يعذبه بالمعصية وإنما يريد أن يتوب عليه بالرحمة. فما أوسع هذا الإفضال وأجزل هذا النوال من الكريم المتعال.وكثيرا ما يحذّر من أقران السوء وغيرهم يحذّر منها الغافلين مخافة أن يزدادوا بها غفلة والمتنبّهين مخافة أن يصدّوا عمّا هم بصدده وليلجأ في ذلك كله إلى الملك الدّيّان، ويستشهد كثيرا بقوله صلى الله عليه و سلم: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل. ويقول: اختر لصُحبتك مَن أطاع فإن الطباع تسرق الطباع ويحذر من حبّ الدنيا وينفُر عنها لكونها قاطعا عن الله تعالى وصادّا عن الوجهة إليه ولا تصحّ الوجهة إليه مع بقاء شيء من حبّ الدنيا لديه، قد انفرد بمولاه وتجرد عن سواه لم تبق له علاقة تجذبه ولا منية تصحبه. وما عطّل الخلقَ وحجبهم عن الله إلا الغلط والجهل المركّب في كمال الإيمان. فلو تحققوا أنهم ليسوا على شيء ولا حصل لهم كمال الإيمان الحقيقي واستغاثوا بالله عند كمال عجزهم وتحققهم بذلك لأجابهم لاضطرارهم بما هنالك لقوله تعالى:(أمّنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه). وكلما طلبوا زيادة معرفة أُعطُوها لاضطرارهم في طلبهم. و بمشاهدتهم التقصير يقوَى الاضطرار إلى العالم القدير. ومن بديع صنعه رضي الله عنه في الخطاب أنه إذا أرشد أحدا إلى مولاه ونبّهه على غلطه وهواه أرشده برفق ولين ولاطفه بخطاب مبين. والله يهدي من يشاء إلى سراط مستقيم. ويحذّر من المعاصي القلبية كالكبر والعُجب والرياء والسمعة ونحو ذلك أكثر مما يحذّر في المعاصي الظاهرة ويقول: إنها خفية والأخرى لا تخفى ويبالغ في تقبيح العجب والكبر ويقول: إن صاحبهما ممقوت وهما من أعظم المعاصي القاطعة عن الله عز وجل. وأعظم دليل على هذا قصة آدم عليه السلام ومخالفة إبليس أمِرَ بالسجود فأبى واستكبر. هذا تاب عليه ربه وهداه وهذا طرده من رحمته وأرداه. فإذا تحقق الإنسان بأوصافه الناقصة علم أن الأوصاف الكاملة إنما هي لله سبحانه. فإذا تحقق بعجز نفسه تحقق بوصف القدرة لربه يعلم أنه القوي بقهره ويبيّن

تعريفات الحق سبحانه للعبد في نفسه ويتلو قوله تعالى: (وفي أنفسِكم أفلاتُبْصِرون) ويقول: إن في كلّ حال من أحوال العبد دلالة على ربّه، وأنّ الله سبحانه خلق العبدَ وأحاط به العجزَ في حركاته وسكناته وسائر أحواله وتقلباته. فإذا جلس أعياه الجلوس وإذا قام أعياه القيام وإذا أطال النومَ ملّ وإذا أطال التيقظ اضطرّ إلى المنام وإذا توكّأ أعياه التوكؤ وإذا أكل أثقله الشّبع وإذا ترك الأكل جاع. وقِسْ على هذا ليكون مفتقرا في كل أحواله إلى مولاه ويعترف بقدرة سيده وغِناهُ وينفض يده من كل ما سواه تعرّفا منه سبحانه إليه وجمعا له لو شعر عليه. فسبحان الحكيم العليم الذي أحاط بكل شيء علمه ونفذ في كل شيء أمره وحكمه.ويبيّن الشيخ رضي الله عنه كيف تعرف سبحانه بهذه الأمور التي تتوارد عليهم من شدة ورخاء وعافية وفتنة وخوف وأمان ومرض وصحة وتحوّل حال القلب من قبض و بسط وعزم ونقض ويتلو قوله تعالى:(سَنُريهمْ ءآياتِنا في الآفاق وفي أنفسِهم حتّى يتبيّنَ لهُمْ أنّه الحقّ) ويقول: إنّ الناس إذا كانوا في شدة أحسن منهم إذا كانوا في عافية لو كانوا يعلمون، لأنهم إذا وسعتهم النعم كانوا غافلين لاهين ساهين. فإذا مسّتهم الضراء اضطرّهم ذلك إلى دعاء مولاهم جبرا ولا تمكنهم الغفلة حينئذ كما أمكنتهم مع النعمة. فحالهم حينئذ أحسن لوقوفهم بباب مولاهم وسؤالهم منه دفعُ بلواهم ويذكر قوله تعالى:(وإذا أنعمْنا على الانسان أعْرَضَ ونَئا بِجانِبِه وإذا مَسّه الشرّ فذُو دُعَاءٍ عَريض). ويعلّم الناس اليقين ويريهم كيف يعرفونه ويتوصلون إليه ويقول: أليس اللهُ بِكافٍ عبدَه أليس الله برحيمٍ للعباد؟ ألم يحسن إلينا سائر عمرنا؟ فما بالنا نتّهِمُه؟ ولو أقسمتَ على الله سبحانه باسمه العظيم الأعظم ألاّ يعطيك ما كان قُسِمَ لك لأعطاك إياه، ولو طلبت ما لم يقسمه لك لم تنله أبدا. جفّ القلم بما أنت لاقٍ. ويقول: إن الله يختبر العبد بالفاقة وبتيسير شيء من غير محض الحلال فإذا صبر قليلا فُتِح له فتحا لم تصبه خصاصة بعده. ويقول: إن الشيء إذا أُطلِق على الإنسان من عند الله وتسخير منه دام استمراره ولم ينقطع ويقرّب ذلك بالتمثيل بالأمور المشاهدة ويدل برحمة الله على الله ويعرّف الناسَ إيّاها ويقرّب ذلك للإفهام برحمة الوالد للولد ولا يخفى على أحد فتكون شفقته عليه أعظم من شفقة الله لعباده ورحمته إياهم، ويذكر حديث: لله أرحمُ بعباده من هذه بولدها. ويذكّر الناسَ بنعمة مولاهم وما خوّلهم وأولاهم يرشد بذلك إلى محبة الله سبحانه والحياء منه ألاّ يُعصَى بسبب ما أسداه لعبيده وما يجريه عليهم دائما وأبدا من إفضاله وإحسانه ويتلو:(وأسْبَغَ عليكُمْ نِعَمَهُ ظاهرة). ويُكثِر الكلام في ذلك جُلّ أوقاته وغالب أحيانه ويبيّن ما هو مستمر على العبد دائما وأبدا من نعمة النفع والدّفع المحسوسة والمعنوية والظاهرة والباطنة يفصّل كل ذلك تفصيلا ويأتي عليه بيانا وتحصيلا فيبيّن أنّ الإيمان بالله ورسوله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد وأنّ الله يمدّه به في كل لحظة ويمسكه عليه كل خطْرة ولم يسلك عليه فيه شيطانا مَريدا يفسده عليه ولا جبّارا عنيدا يسلب ما منه لديه عناية منه سبحانه به ورحمة وفضلا ونعمة. ولو سلّط الشيطان على إفساده كما سلطه على إفساد الأعمال لَكفر كثير من الناس بعد إيمانهم وانقلبوا بعد ربحهم إلى خسرانهم ولكنّ الله امتنّ على الإنسان بحفظه كما امتنّ بتخصيصه بسابق الفضل والإحسان وبأيّ سبب استحق هذا العبد هذه النعمة حيث أعطيَها يوم قدّرت المقادير وقسمت القِسَم حيث لا وجود لذاته هنالك ولا عمل يتقرب به إلى معطيها ولا شيء يدلي به ويستند إليه بل هو محض الجود والامتنان والفضل والإحسان. ولو شعر الناس بهذه النعمة العظمى وعرفها لاستغرقه الفرح بالله واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطي الكريم والمولى العظيم الذي خلق فهدى وتفضّل فأعطى وخصص أزلا واجتبى.ولا يزال رضي الله عنه في محافله يعدّ نعم الله على عبده المتصلة والمنفصلة وما ساق منهما في أرضه وسمائه ثم يتلوا:(وإن تَعُدّوا نِعمة اللهِ لا تُحْصُوها) والناس كلهم غرقى في بحر النعم إلاّ أنهم لا يشكرون(وقليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشّكُور). وإذا أراد الله بعبد خيرا وأن يجعله من خصوص عباده عرّفه ما عليه من النعم وألهمه شكرها ولم يزد شيئا على ذلك يكون به مخصوصا فكل الناس منعَمٌ عليه والمخصوص مَن شاهدَها ويقول:

الشكر باب الله الأعظم وصراطه الأقوَم. ولهذا قعد الشيطان بسبيله يصد عنه المومنين ثم يذكر شاهدا على ذلك قوله تعالى حكاية قول اللعين:(َلأقعُدَنَّ لهُمْ صِراطك المستقيمَ) الآية؛ ويقول: أقرب الأبواب إلى الله باب الشكر، ومن لم يدخل في هذا الزمان على الله في باب الشكر لم يدخل لأن النفوس قد غلُظت، يعني، لا تتأثر برياضة ولا بطاعة ولا تنزجر بمحاسبة ولا بمناقشة. فإذا استغرقها الفرح بالمنعِم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها. وكل وعد في كلام الله تجده مقرونا بالمشيئة إلاّ الشكر فقال تعالى:(لئِنْ شكرْتُمُ َلأزيدَنَّكم)، وأكّد بلام القسَم و نون التوكيد، ويقول لنا عندما يتلو الآية: هذه اللاّم هنا للقسَم كأنه يستفهمنا فنقول: نعم؛ ويقول: انظر كيف قدّم الشكر على الإيمان اعتناء بشأنه، فقال:(ما يفعلُ اللهُ بعذابِكُمْ إنْ شكرتُمْ وَآمنتمْ)، وربما عبّر به عن الإيمان وفسّره به كما تشير إليه المقارنة في هذه الآية فيقول: الإيمان هو الفرح بالمنعِم فيجعل الفرح الذي هو شكر القلب إيمانا ولا إشكال أن الإيمان لا يكون حقيقيا إلاّ معه إذ هو نتيجته ولازمه. وقد يكون العطف في الآية للتفسير فيوخذ منها ما قاله رضي الله عنه من أن الإيمان هو الشكر. ولو عرف الإنسان حقيقة الشكر لمُلئَ قلبه وطار عقله محبة في الله وسرورا وفرحا وحبورا. جُبِلت القلوب على حب مَن أحسن إليها وما أحسن في الحقيقة إلاّ ربّك، وهو الذي سخّر لك قلوب عباده فلو شاء لعَكس فلم ينفعوك بشيء يدل بذلك كله على شهود النعمة من الله ويرقى عن شهود الواسطة إلى المنعِم سبحانه وإنه لا منعِم إلاّ هو ولا محسن ولا نافع سواه وأن غيره لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضررا ولا نفعا ولا جلبا ولا دفعا. وكل من يعاملك ويأخذ بيدك فإنما ذلك لعلة وغرض حتى العارف إذا أخذ بيدك ورفعك إنما فعل معك ذلك ِلأجل مولاك فإنما رعاك لوجهه، فذلك لا لعلة إلاّ الله سبحانه وتعالى، إنما يعاملك ويرحمك فضلا وإحسانا وكرما وامتنانا لا ِلأمرٍ سابق ولا لشيء لاحِق إنما هو محض جوده من واجب الوجود.فلا ينبغي للعبد أن يعرف إلاّ مولاه ولا يرى إلاّ إحسانه ورُحماه فهو الذي أحسن إليه وأجرى منّته عليه يحبّب بذلك العبدَ كلّه في مولاه ويرشد ألاّ يطلب سواه ولا يلتفت بقلبه لِما عداه وأن يجمع المطالب كلها في مولاه ولا تتعلق له همّة بسواه ويدل على الله وحده وعلى توحيده خالصا وعلى محبته صرفا ويقول: ينبغي للعبد ألاّ يطلب إلاّ مولاه مخلصا لا لحظ عاجل أو آجل، فإذا طلبه كذلك، حصل له في ضمنه الدنيا والآخرة. وفرقٌ بين من يطلبك ومَن يطلب لك. فليس من أتاك زائرا ثم قال: أردت منك كذا وكذا كمن أتاك محبة فيك ورغبة في رؤيتك لا لشيء آخر. شتّان ما بينهما، فيصرف رضي الله عنه من الحظوظ واللحوظ وكل ما يُشْعِر بالشعور بالنفس، ويتلو قوله تعالى:(وما اُمِروا إلاّ لِيعبدوا اللهَ مخلصِين له الدّينَ حُنَفَاءَ)؛ ويسمى العمل على الحظ شِركا ويتلو على طريق الإشارة: (وما يؤمِنُ أكثرُهُمْ باللهِ إلاّ وهُمْ مشرِكونَ). وكثيرا ما يتكلم فيه فيرشد إلى المحبة ويقول: أصل كل شيء وأساسه المحبة وهو قوله تعالى في الحديث القدسي: كنتُ سمعَه. وأصل سبب المحبة هو شهود الحُسن والإحسان وبها يرتقي درجة الإيمان. وما يتكلم رضي الله عنه في فن من فنون الطريق إلاّ أشار في كلامه إليها ودلّ بحاله ومقاله عليها وحضّ على التقرب للمحبوب، والتودد والتملق والتواضع له والتذلل والانقياد لديه وكثيرا ما ينشد قول القائل:

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل اذا رضي المحبوب صح لك الوصل
تـذلّلْ تحظى بـــــــرؤيا جمالـــــه ففي وجه مَن تهوَى الفرائضُ والنّفلُ

ويرشد إلى ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى ويكثر الكلام فيه دائما ويتلو شاهدا على ذلك:(فلاَ وَرَبِّك لا يومنونَ حتّى يُحَكِّموك فيمَا شَجَرَ بينَهم) الآية،(وما كان لِمومنٍ ولا ِمومنة إذا قضَى اللهُ ورسولُه أمْراً) الآية، وقوله:(إنّما كانَ قوْلُ المومنينَ إذا دُعُوا إلى اللّهِ ورسولِهِ) الآية، وقوله:(ما كان لهُمُ الخِيَرَةُ)، ويقول: إنما يدبّر من يعلم عواقب الأمور، ومَن لا يعلمها كيف يدبّر؟ كما في بعض الآثار القدسية: تريد وأريد ولا يكون إلاّ ما أريد، فإن سلّمتَ لي فيما أريد، أعطيتك ما تريد، وإن نازعتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا

يكون إلاّ ما أريد. ويعدّ التدبير مع الله من الشرك، لأن الله تعالى منفرد بالإيجاد والتدبير،(ألاَ لَه الخَلْقُ والأمْرُ). فمن دبّر في ملكه شيئا فقد تعدّى ونازع أحكام الربوبية. فمن دبّر لنفسه عاد تدبيره عليه وَبالاً ولا يدلّ على الرضى بفعل الله والتسليم لأحكام الله لأنه سبحانه الحكيم وبأنه الرحيم . فإذا ذكرت له حادثة ألمَّت، ومصيبة نزلت قال: من أسمائه تعالى: الحكيم والحكيم هو الذي لا يفعل الشيء إلاّ لحِكمة، ولا تخلو عنها أفعاله أبدا ولو كشف للعبد على أسرار القَدَر لرأى تلك الأفعال التي هي في الظاهر نقمة على غاية ما يكون من الأحكام والإتقان وأنها لا ينبغي إلاّ أن تكون كذلك ولا يختار لنفسه غيرَها. وتنزل النازلة بالعبد هي في ظاهرها مصيبة وفي باطنها رحمة، ينقذه الله بها مما هو أشدّ مثلا، أو يدفع بها عنه فتنة في دينه. واللهِ ما قضى اللهُ لعبْده المومن قضاءً إلاّ كان خيرا له. ويدل على الله بأسمائه وشهود صفاته ويقرر ذلك بما يبهر العقول وتعجز عنه النقول مما لا يصل فهْمَ مثلي إليه ويقول: إن التحقيق بوصف واحد منها موجب للتحقق بجميعها ومستلزم له وياتي عن تبيينه حتى يتّضح بنوره الإفهام ثم يتجاوز ذلك إلى مرتبة أعلى من هذه وهي شهود الذات العلية والغيبة فيها ويقول: شهود الصفات حجاب عن شهود الذات وكثيرا ما يتكلم في هذا المعنى وفي البقاء بعد الفناء ومحو أوصاف العبد بظهور أوصاف ربه فيه ويستشهد بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن عادَى لي وليّا فقد ءآذنتُه بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضتُه عليه، ولا زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحِبّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها ورجلَه التي يمشي بها. وفي رواية: كنتُهُ. وهذه الرواية أصرَحُ في وجه الشاهد والله أعلم.ويقول: إن الوقوف عند كل مقام من المقامات يوجب القطع عن المقصود ثم يتلو قوله تعالى:(وأنّ إلى ربّكَ المُنْتَهَى). ويرحم الله القائل حيث قال:

ومَهْمى ترَى كلّ المراتبِ تَجْتَلِي عليك فحل عنها فعَنْ مثلها حُلنا
و قُلْ ليس لِي فِي ذاتــك مَطْلَبٌ فـلا صُورة تجلي ولا طَرفة تجنا

وربما يتكلم في الفناء عما سوى الله تعالى وينشده:

دع العلومَ ولا تبْقى الفهومَ ولا تبقي لإيّاك لا عيناً ولا خُبْرا

انتهى من الجواهر متصرف ما في بعض العبارات مع الاختصار. قال مؤلفه رحمه الله ورضي عنه: هذا ما أمكنني في هذا الباب جمْعُه وما جمعت إلاّ اليسير مما تكرر على اسماع الأيام والليالي غاية التكرار وقرر للإفهام المرة بعد المرة غاية التقرير. فرحم الله مؤلفه ما أشدّ احتياطه فيما أثبته من سيَر سيدنا رضي الله عنه انتهى. ولم يبق لنا إلاّ ذكر ما بقي من ترجمة الباب من ذكر اتّصاف سيدنا رضي الله عنه بالقطبية الجامعة المسماة بالغوثية في اصطلاح القوم وما يتبعها من الختمية والاتّصاف بالكتمية. فأقول مستعينا بالله إنه خير معين: قال شيخنا أبو المواهب السائحي رضي الله عنه في بغيته لما تصدّى لشرح ما عقده في المنية بقوله:

وفي المُحَرّم غدا غوثًا رشيدٌ خليفة من المُهيْمن المجيد
أُعطِيَ ذاك شيخُنا بعــرَفَــه حكاه مَن حققــه وعرّفـه

ما نصه: يقول في المحرّم الحرام فاتح العام الموالي لعام حلول سيدنا رضي الله عنه بحضرة فاس، وهو عام أربعة عشر بعد المائتين والألف(1214) من هجرة سيد الناس صلى الله عليه وسلم، حلّ سيدنا رضي الله عنه مقام القطبانية وظهر بحمد الله مصداق ما بشّره به من تقدم ذكره من أهل الكشوفات العيانية والمقامات السنية العرفانية. وكان حصول الفتح له رضي الله عنه في إدراك هذا المقام الأعظم، في جبل عرفة من البلد المحرم حسبما ذكر ذلك وبينه تبيينا من عرفه تحقيقا وعلما يقينا. ولم يتعرض في كتاب الجواهر لتعيين زمن بلوغ سيدنا رضي الله عنه درجة القطبانية ولا للمكان الذي أدرك فيه ذلك مع تصريحه ببلوغه المقام تحقيقا في غير ما موضع. ومن ذلك قوله في ذكر كماله

رضي الله عنه ما نصه:ومن كماله رضي الله عنه وعرفانه الأتمّ معرفته ِلاسم الله العظيم الأعظم... إلى آخر كلامه؛ ومعلوم أن ذلك من خصائص القطب كما ستقف عليه قريبا إن شاء الله تعالى. ومن ذلك قوله في هذا المحل أيضا: ومن كماله رضي الله عنه وعلوّ منصبه الشريف، ما أوتيه من مقام الخلافة والتصريف وَوُلِيَه من النيابة والتحكيم والأمر النافذ العميم إلى ءآخر كلامه، إلى غير ذلك من عباراته المصرّحة ببلوغه هذا المقام الأسنى والدرجة السامية العظمى. والذي يظهر والله أعلم أن الناظم تلقى ما عقده في هذين البيتين من العارف الكبير سيدنا محمد الحبيب ولد الشيخ رضي الله عنهما، فإنه أقام عنده بزاويته مدة وهو عمدته في كثير من أخبار الشيخ رضي الله عنه وعلومه وأسراره. وعلى هذا فيكون هو المشار إليه بقوله: حكاه من حققه وعرفه. وتحقيقه لما ذكره من أن سيدنا رضي الله عنه أُعطيَ القطبية العظمى في المحرم من العام المذكور بجبل عرفة إمّا بإخبار من الشيخ رضي الله عنه بذلك، فيكون من باب رواية الثقة ما لم يوافقه عليه غيره، وإمّا من طريق كشفه الصحيح وحصول التعريف له من الله بذلك. والنَّفس إلى هذا الاحتمال أمْيَل لِما يعضده من القرائن والشواهد الحالية والله تعالى أعلم. وعلى كل حال فإن الناظم رحمه الله اطّلع على ما لم يطّلع عليه غيره ومثله في ديانته وجلالة قدره لا يذكر مثل هذا من غير أن يثبت عنده. ثم إنّ قوله: أعطي ذاك شيخنا رضي الله عنه بعرفة على ما أوجبه سياق الكلام من أن المراد الجبل لا اليوم مشكّل بظاهره، لأن سيدنا رضي الله عنه كان في تلك السنة بفاس ولم يغب عنها. والجواب عن هذا الإشكال أن القطب حسبما ذكره الشعراني عن شيخه سيدي علي الخواص رضي الله عنهما وذكره في الجواهر عن سيدنا أيضا له ثلاثمائة ذات وستة وستون ذاتا إحداهم بمكة المشرفة لا تبرح منها، ما دام حيّا، والذات الترابية حيث أراد الله تعالى من البلاد. وعليه، فتكون القطبية نزلت على الذات التي لا تبرح من مكة ولا فرق في هذه الذوات باعتبار ما يختص به كل منهما وأيّ ذات اختصت بشيء من الترقيات والتجليات والفتوحات والأسرار وغيرها في بلد فذلك الاختصاص صار لجميعها. فالترابية وغيرها في ذلك سواء. فافهم ذلك. وهذا من المعروف المقرر في كتب الطريق. ولا عبرة بمن ينكره ممن لم يذق ذوقهم ولم ينحو نحوهم.وحيث جرى ذكر هذا المقام أعني مقام القطبانية العظمى، وكان سيدنا رضي الله عنه ممن أهّله الله للحلول بأقصى داره بلا شك عندنا والحمد لله، ولا بدّ من الإلهام بشيء مما يشير إلى بيان حقيقته علما. فنقول والله المستعان وهو سبحانه المستعاذ بجلاله من زلل القلم وفلتات اللسان.ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في كتابه المتقدم الذكر، حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام. ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام. الحديث. وقد تقدم في المطلب السادس من مطالب المقدمة بلفظه وذكر أيضا في هذا الكتاب بعد إيراد عدة أخبار ما نصه: وقال بعض العارفين: والقطب هو الواحد المذكور في حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرافيل عليه السلام ومكانه من الأولياء كالنقطة في الدائرة التي مركزها به يقع صلاح العالم, انتهى.وقال الشيخ محي الدين بعد كلام له في القطبانية: وقد يتوسعون في الإطلاق فيسمون كل من دار عليه مقام مّا قطبا ويسمّى رجل البلد قطبا وشيخ الجماعة كذلك، ثم قال: ولكن الأقطاب المصطلح عليهم لا يكون منهم في الزمان إلاّ واحد وهو الغوث. ثم قال بعد كلام: وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر وغير الأكثر قد يكون لهم الحكم والتصريف في الظاهر والباطن وذكر منهم العمريْن رضي الله عنهما، وعلي بن أبي طالب والحسين وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم. وذكر الشيخ محي الدين أيضا رضي الله عنه أن القطب يسمى عند أهل الله تعالى عبد الله وعبد الجامع وأن الإمامين منه بمنزلة الوزيرين، ويسمى الأيسر منهما عبد المالك والأيمن عبد ربه. وكان أبو بكر رضي الله عنه عبد المالك وعمر بن الخطاب عبد ربه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد

وفاته صلى الله عليه وسلم، يسمى أبو بكر عبد الله وعمر عبد المالك، والإمام الذي ورث مقام عمر عبد ربه. ولا يزال الأمر كذلك إلى يوم القيامة.ونقل بعضهم عن التوقيف على مهمات التعريف، للشيخ عبد الرؤوف المناوي رضي الله عنه ما نصه: والإمامان وزيران للقطب الغوث أحدهما عن يمينه ونظره إلى الملكوت، وهو مرآة ما يتوجه من الركن القطبي إلى العالم الروحاني من الإمدادات التي هي مادة الوجود والبقاء، والآخر عن يساره ونظره إلى الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية وهو أعلى من صاحبه فيخلف القطب إذا مات انتهى. وقال الشيخ محي الدين رضي الله عنه: وقد جرت السّنّة الإلهية في القطب إذا وليَ المقام أن يقوم في مجلس من مجالس القربة والتمكين وينصّب له فيه تخت عظيم لو نظر الخلق إلى بهائه لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الإمامان ويمد يديه للمبايعة وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحاني بمبايعته واحدا بعد واحد. ولا يبايعه إلاّ الأرواح المطهرة المقرّبة. ومن جملة المبايعين له النبات. ومن صفاته عند الشيخ محي الدين رضي الله عنه أنه المنعوت بمعاني جميع الأسماء تخلقا وتحققا، وهو مرآة الحق ومحلّ النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية؛ ومما وصفه به أيضا أن الغالب عليه الخفاء وأنه محفوظ من خزائن الغيرة ملتحِف بأردية الصّوْن لا تعتريه شبهة ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النّكاح راغب فيه يوفي الطبيعة حقّها على الحدّ المشروع له ويوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي. وقال في وصفه أيضا حالُه العبودية والافتقار ويقبّح القبيح ويحسّن الحَسن. وقال في وصفه أيضا: إنه لا يرى من الأشياء إلاّ وجه الحق فيها يضع الأسباب ويقيمها ويدلّ عليها ويجري بحكمها ينزل إليها حتى تحكم فيه وتؤثر فيه. وقال في ذلك أيضا: إن كان ذا دنيا وثروة يتصرف فيها تصرُّف عبدٍ في مِلك سيده وإن لم يكن له دنيا وكان على ما يفتح الله لم تستشرف له نفس، بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق يعرض عليه حاجة طبيعية كالشفيع لها عنده فيتناول لها منه بقدر ما يحتاج إليه وينصرف لا يجلس عن حاجته إلاّ لضرورة. فإذا لم يجد لجأ إلى الله في حاجة طبيعية لأنه مسؤول عنها لكونه واليا عنها ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأله، فإن شاء أعطاه ما سأل عاجلا وآجلا. فمرتبته الإلحاح في السؤال في الشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال، فإنّ الأشياء تكون عن هممهم وطرحهم الأسباب عن نفوسهم. فهم ربّانيون والقطب منزّه عن الحال ثابت في العلم مشهور فيه، فإن أطلعه الله على ما يكون أخبر به على جهة الافتقار والمنّة لله لا على جهة الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في الهواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء من خرق العوائد مما ذكرنا، إلاّ نادرا ِلأمر يريده الحق فيفعله. لا يكون ذلك مطلوبا للقطب، يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر على النكاح كذلك لعدم الطَّوْل يعلَم مِن تجلّي النكاح ما يحرّضه على طلبه والتعشّق به فإنه لا يتحقق له ولا لغيره من العارفين عبودية أكثر مما يتحقق له في النكاح. وأطال في ما يتعلق بفضيلة النكاح في حق الأقطاب والعارفين مما يطول بنا ذكره مع أن الفرض عندنا في هذا المقام ما يشير إلى معرفة حقيقة القطبانية. ومن كلام الشيخ سيدي علي الخواص رضي الله عنه في بعض أجوبته للعارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه ما نصه: وأما القطبانية فجلت أن يقوم مقامها الأحوط إلاّ من اتصف بها، وقد ذكر الشيخ محي الدين سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، أن للقطب ستة عشر عالَما إِحاطيا، الدنيا والآخرة ومن فيهما عالَم واحد من هذه العوالم. ومن هذه الأجوبة المذكورة أن الله تعالى إذا أراد إنزال بلاء وأمرٍ شديد تلقاه القطب بالقبول والخوف ثم ينظر ما يُظهر اللهُ تعالى من ألواح المحو والإثبات وهي ثلاثمائة وستون لوحا، فإن ظهر له المحو والتبديل نفذه الله بقضاء الله تعالى وأمضاه في العالَم بواسطة أهل التسليك الذين هم خاصته فينفذون ذلك غير عالمين أن الأمر مُفاض عليهم من غيرهم، وإن ظهر له أن الأمر ثابت لا محو فيه رفعه الى أقرب عدد ونسبة منه، وهما الإمامان فيتحمّلانه ثم يرفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما وهم الأوتاد. وهكذا

حتى يتناول أهل الدائرة جميعا ثم الأفراد وغيرهم من العارفين إلى آحاد المومنين وما يحسن به بعض الناس مما لا يعرَف له سببا من ذلك. ثم قال: فلو لم يحمل القطبُ وجماعتُه البلاءَ عن العالَم لتلاشى العالَم في لمحة. قال الله تعالى:(ولَوْلاَ ِدفاعُ اللهِ النّاسَ بعضَهم ببعضٍ لَفَسَدتِ الارضُ ولكنّ اللهَ ذو فضلٍ على العالَمينَ). انتهى ببعض اختصار. وذكر العارف الشعراني رضي الله عنه في كتابه الميزان، أن بعض المحققين قال: إن القطب لا يحيط بمقامات نفسه فضلا عن غيره وذلك أن صفات القطبية في العبودية تقابل صفات الربوبية. فكما لا تنحصر صفات الربوبية لا تنحصر صفات العبودية. وسئل سيدنا ومولانا القطب الفرداني أبو العباس سيدنا أحمد بن سيدنا محمد التجاني رضي الله عنه عن حقيقة القطبانية فأجاب رضي الله عنه بقوله: القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق تبارك وتعالى مُطْلَق في جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما الربّ إلاها كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَن عليه ألوهية ِلله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق. فلا يصِل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلاّ بحكم القطب وتولّيه نيابة عن الحق في ذلك وتفصيله كل قسمة إلى محلها ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا. فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا. وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها ثم تصرفه في مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم. فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والمدد لأربابها وله الاختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في درْكِه والسلام. قال رضي الله عنه: ومعنى البرزخية العظمى قيامه بين الحق والخلق بالنيابة عن الحقيقة المحمدية واختصاصه أيضا بالتحقيق بأمر الله في كل مرتبة من مراتب الوجود وإعطائه لكل مرتبة حقية أو خلقية حقها لما تستحقه من الأدب. وليس هذا لغيره من العارفين ولا لمفاتيح الكنوز، فهو في جميع هذه الأمور خليفة النبي صلى الله عليه وسلم دون جميع الأولياء. وبالجملة فهو في جميع المراتب بالنسبة لجميع العارفين ومَن ورائهم بمنزلة إنسان العَيْن من العيْن به يُرحم الوجود وبه تفيض الإفادة على جميع الوجود وبه يبقى الوجود في بقاء الموجود. انتهى بلفظه من الجامع وبعضه بمعناه ومثله في الجواهر. ومثله أيضا عن سيدنا رضي الله عنه أن من أوصاف القطب أن يرى عالِما كجاهل أبله فظّا آخذا تاركا زاهدا راغبا سهلا عسيرا هيّنا صعبا انتهى. و فيهما أيضا أنّ سيدنا رضي الله عنه سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عن مفاتيح الكنوز والقطب أيهما أعلى مرتبة ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم بأنه، أعني القطب في مقامات ومراتب، أورثه الله التجلّي الكامل المحيط بالتجليات كلها و أورثه الإسم الأعظم بجميع إحاطته وأورثه الله المدد من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وأورثه مدد جميع الأولياء على يده وتحريك الجمادات وتحريك كل حيّ والإمارة على كل شيء والتعظيم على كل شيء. انتهى المراد منه. وفي ءآخره التصريح بأنه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما ذُكِر. ومن كلام سيدنا رضي الله عنه فيما يتعلق بالقطب وغيره من ذوي المراتب ما نصه: مراتب الرجال ثلاث: الأولى مرتبة العارفين وهو شهود الحق في المراتب. الثانية: مرتبة الأفراد وهي شهود الحق لا في المراتب. الثالثة: مرتبة القطب وهي في غيب الغيب مكتومة لا تُذكر ولا يعرفها إلاّ صاحبُها وهو القطب الجامع لأن له المرتبتين السابقتين وهي شهوده للحق في المراتب للتّصرّف في الكون وفي غير المراتب أيضا. وله هذه المرتبة المكتومة لا يشاركه فيها غيره. انتهى. وعن سيدنا رضي الله عنه أنّ ممّا أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلّمه عِلم ما قبلُ وجودَ الكون وما وراءه وما لا نهاية له وأنْ يُشْهِدَه الذات بعين الذات وأن يعلمَه جميع الأسماء القائمُ بها نظام كلّ ذرّة من الوجود وهو الأسماء العالية وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه وما احتوى عليه. وبهذه خُصّ عن رؤوس الأفراد الذين هم مفاتيح الكنوز ولا يعلمون أنها خاصة به إلاّ أهل دائرة الإحاطة فإنهم يعْلمون أنه خاص به. وأما شهوده فلا علم لهم به لأنه يدخل الحضرة من

باب المخدع وهو محجوب عنهم انتهى.ونسبه سيدنا رضي الله عنه للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه. وفي جواب سيدنا رضي الله عنه لمن سأله عن حقيقة الولي: التصريح منه رضي الله عنه بأنه لا يحيط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التي تحتاج إليها الناس إلاّ القطب الجامع لأنه هو الحامل للشريعة في كل عصر ولو كان أميّا لم تسبق له قراءة انتهى. وهذا أيضا من أوصاف القطب وخصائصه. وفي بعض أجوبة سيدنا رضي الله عنه التصريح بأن قطب الأقطاب منذ جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم حجابية أصلاً. وحيثما جال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلاّ عينُ قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات انتهى. وفي بعض أجوبته رضي الله عنه أن من خصائص قطب الأقطاب الأمْنُ من السلب بخلاف من عداه من الأولياء إلاّ مَن كان عنده الإسم الأعظم أو ضمنه شيخ كامل انتهى.وفي أجوبة سيدنا رضي الله عنه وكلامه غير هذا مما يشير إلى حقيقة القطبانية وصفات القطب وأحواله وما خص به في مرتبة خلافته على الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نعوت كماله. وفي هذا الذي نقلناه من ذلك كفاية والله وليّ التوفيق والهداية.وإذا عرفت أن مقام القطبانية أجَلّ المقامات وأن صاحبه في كل زمان هو الجامع مما للأولياء والعارفين في ذلك الزمان من الأحوال والأسرار والكرامات فيجب أن تعرف أن الأقطاب وإن اشتركوا في إدراك هذا المقام والوصول إليهم فهم متفاوتون فيه بقدر ما اختص به كل واحد منهم في ترقيه لِما حواه وجَمعه من الرتب والدرجات واشتمل عليه. وأعلى الأقطاب درجة في هذا المقام الأقعس وأرفعهم مكانة في هذا المشهد الأقدس هو من بلغ مقام الختمية الأجل الأنفس و هو المقام المسمى بختم المقامات عند الخاصة من الرجال ولم يرتقه إلاّ أفراد من فحول هذا المجال. قال شيخنا الختم الأكبر وهو القطب المكتوم الأكبر، سيدنا ومولانا أبو العباس التجاني رضي الله عنه عند كلامه على الصفات الجليلة المقدسة جلّت وعلت بعد كلام في ذلك ما نصه:ولهذا قال الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: مَن ألِفَ البهاء من الله تعالى ولم يطالع إلاّ صفات الجمال لا يثبت لبدو العظمة و الكبرياء. انتهى. ثم قال شيخنا رضي الله عنه معناه: لا يثبت لذلك إلاّ أكابر الرجال لا العارفون فإن أكمَلَهم وهو القطب الكامل لا يتجلى له حقيقة الكبرياء إلاّ بعد بلوغه للمرتبة العليا من القطبانية وذلك المقام يسمونه ختْم المقامات ولم يرتقه من الأقطاب إلاّ القليل لبُعد مرامه. فإذا ارتقاه القطب ووصله فهنالك يتجلى له الحق بالكبرياء الذاتي ولا يزال مرتقيا فيه إلى الأبد. ولو تجلى بذلك الكبرياء بمقدار ذرة منه لجميع العارفين والصديقين لصاروا هباء منثورا في أسرع من طرفة العين ولا يقدر عليه إلاّ القطب الجامع، لكن بعد بلوغه لمقام الختم. وقبل بلوغه لا قدرة له عليه. قال مولانا علي كرم الله وجهه: المعرفة كشْفُ سبحات الجلال وغايتها الدّهَش في كبرياء الله تعالى. انتهى. أراد بغايتها مقام الختم في القطبانية وهو غاية الغايات. انتهى كلام شيخنا رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وأسراره. وهذا المقام، أعني مقام الختم في القطبانية، لم يكن إلاّ بحكم الإرث من النبي صلى الله عليه وسلم بعدَه لمن اختصه الله بذلك من الأقطاب المحمديين بالأخلاق الثلاثمائة، التي مَن تخلّق بواحد منها دخل الجنة وهم أكابر الأقطاب أهل الولاية الباطنة الخاصة، إذِ الولاية من حيث هي على قسمين: ظاهرة وباطنة. فالظاهرة لأهل الأمر والتصريف الظاهر وهي معروفة وهذه الولاية تُختم على الإمام العدل المسمى المنتظَر الذي يُظهره الله آخر هذه الأمة حسبما هو مشهور من خبره. والباطنة لأهل التصريف الباطن وهذه الباطنة تنقسم إلى قسمين أيضا، عامة وخاصة. فالعامة من آدم عليه السلام إلى سيدنا عيسى عليه السلام وعليه تُختم حين ينزل في آخر الزمان، والخاصة هي من نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الختم الأكبر الذي يُختم به مقامها و ينتهي إليه مرامها. والأقطاب المخصوصون بإدراك مقام ختم القطبانية هم أهل الولاية الباطنة الخاصة حسبما سبقت الإشارة إليه. ويسمى كل واحد ممن بلغ مقام الختمية بمعنى

من المعاني المتقدمة بالختم وبالخاتم كذلك أيضا وهو، أي الختم بالمعنى الأول الذي هو مَن بلغ مقام المرتبة العليا من القطبانية واحد لكن في زمانه خاصة لأن القطب من حيث هو واحد في زمانه، وعلى هذا فلا إشكال في قول من قال: أنّ لكل زمن ختما إلاّ أنه ليس المراد أنه لا يخلو زمان عنه وإلاّ لزم أن يدرك كل واحد من الأقطاب هذه الدرجة، بل المراد أنه يتعدد وجود من يبلغ هذه الدرجة في الأقطاب بمعنى أنه يأتي على رأس كل مدة من يصل ذلك المقام كما ورد في المجِدّد من أنه يكون على رأس كل مائة سنة. فيصحّ أنْ يقال: لكل زمن مجِدّدٌ لا باعتبار أنه لا يخلو زمان منه فافهم ذلك. والختم بالمعنى الثاني الذي هو للإمام الذي يبعثه الله في آخر الزمان حَكما عدلا واحد في الزمان بلا شك عند القائل به وعليه أهل الكشف رضي الله عنهم. والختم بالمعنى الثالث وهو الذي تختَم عليه الولاية العامة الباطنة، فهو واحد كذلك أيضا وهو سيدنا عيسى عليه السلام. وأما الختم الأكبر الذي ختم الولاية المحمدية أعني الباطنة وقد تقدم لنا في الكلام على البيت الثاني من هذه المنظومة أنّ معنى ختم هذا المقام عليه أنه لا يظهر بكمال الظهور الذي ظهر به واحد قبله ولا بعده وهو، أعني الختم الأكبر على قلب خاتم الأنبياء عليهم السلام. ومن علاماته أنه يحقق مواجيد الأولياء كلهم ويختص عليهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء كلهم، واختص عنهم بخصوصيته فافهم انتهى. نقله الشعراني رضي الله عنه في طبقاته عن الأستاذ الأكبر سيدي محمد وفا رضي الله عنه، انتهى نص ما تقدم في الكلام على البيت الثاني من هذه المنظومة. قوله: وأما التقرير الثاني فهو أن يقال إنما قال في الشيخ رضي الله عنه: خير الأولياء لأنه واحد الخاتمين للولاية، وهما أعظم الورثة، فهو رضي الله عنه خاتم الولاية المحمدية وسيدنا عيسى عليه السلام هو خاتم الولاية المطلقة حيث ينزل خاتما وارثا. ومعنى كونه خاتما بمنصب الولاية المحمدية أنه لا يظهر أحد في ذلك المنصب بمثل الظهور الذي ظهر به فيه وهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب، لا لنفس الظهور، وذلك لما تقرر عند علماء الطريق من أن يختم المناصب العالية باعتبار من تختَم عليه معنيين، أحدهما ألاّ يَظْهَرَ أحد بذلك المنصب بعد من ختِم عليه، وذلك كمنصب النبوءة والرسالة، فإنهما خُتِما على نبينا صلى الله عليه وسلم. ومعنى الختم في هذا المقام ألاّ يظهر أحد أصلا بذيْنك المنصبيْن الشريفين بعده عليه الصلاة والسلام.والثاني ألاّ يظهر بكمال الظهور في ذلك المنصب أحد بعد من ختم عليه، وذلك كما في منصب الولاية المحمدية، فإنه ختم على سيدنا الشيخ رضي الله عنه حسبما أخبر بذلك عن نفسه. وليس المراد بالختم في هذا المقام ألاّ يظهر أحد بعده بمثل كمال الظهور الذي ظهر به هو بذلك المنصب. ومن لازم من ختم عليه منصب مّا من المناصب سواء على المعنى الأول أو على المعنى الثاني، أن يبلغ في المنصب المختوم عليه أعلى درجة فيه بحيث ترتقي عن جميع من أدرك ذلك المنصب قبله أيضا، وذلك صادق بخيريته وأفضليته من هذه الحيثية فيصحّ اتصافه بالخيرية والأفضلية على جميع من عداه ممن أدرك ذلك المقام، إمّا على الحقيقة كما في نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع من عداه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأما بالنسبة للحيثية المذكورة وإن كان غيره قد يفْضُله من حيثية، أو حيثيات أخر، كما في حق من يختم عليه منصب الولاية المحمدية، أو غيره من المناصب والله أعلم انتهى. وانظر عقائد الصوفية وشرحها للشيخ فيروز الأكرابادي تقف على عين التحقيق فيما قررناه في هذه المسألة إن شاء الله تعالى. وقد تقدم كلام سيدنا رضي الله عنه في تفاوت الأولياء في المزايا العرفانية والمنح الإلهية وقوله رضي الله عنه هنالك: وليس مرتبة كاملة من جميع الوجوه إلاّ له صلى الله عليه وسلم. انتهى نصه في بعض أجوبته لمن سأله عن شطحات الأولياء رضي الله عنهم أجمعين: إنّ الله تعالى يفيض على كل ولي في حضرته من الخيرات الكثيرة والمنح الجسيمة ما لا يعلم قدره إلاّ معطيه وكل واحد مَن له حضرة خاصة به وربما اشترك في الحضرة الواحدة جماعة، لكنهم يتفاوتون فيها بحسب القِسَم الإلهية. فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الله تعالى قد يمنح بعضهم

أسرارا خاصة في الحضرة الخاصة أو المشتركة ويقال له: هذا لم يعطَ ِلأحد قبلك ولا يعطَى ِلأحد بعدك، فيتكلم به ويصرح فإنه في أعلى المراتب والمقامات ويأتي من بعده فيقول مثل مقالته أو أكثر، ويأتي آخر وآخر حسبما هو معلوم من شطحات الأولياء. ثم قال رضي الله عنه جوابا عما أورده السائل على هذا الكلام ما نصه: إن الأولياء صادقون فيما يدّعي كل واحد منهم لأن كل واحد يعطَى في حضرته ما لم يعطَ غيره، ويسمع في حضرته الخطاب به. قيل له: كيف نصنع بمراتب أهل الديوان فإن بعضها أعلى من بعض بلا ريب، كمرتبة القطب مع غيره؟ فقال رضي الله عنه: ما حاصله أن ذلك الذي يعطَى للولي في حضرته الخاصة به إنما هو مزية في حقه وهي لا تقتضي تفضيله على من هو أعلى منه كغير القطب مثلا مع القطب. ثم قال رضي الله عنه: وذلك كما يقع لبعض العارفين من أنه يدرك من العلوم المحمدية أكثر من القطب مع أنه لا يشم رائحة لمقامه ولا يقدر على تجلياته. وقضية سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام مع ما ذُكِر من أن لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ألفُ مجلس مع الله تعالى في مدة حياته كل مجلس وهبه الله تعالى فيه من العلوم ما يبهر عقول الخلائق أجمعين؛ وكالقطب المكتوم مع غيره، ثم قال رضي الله عنه: وليس مرتبة كاملة من جميع الوجوه إلاّ لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم انتهى. وقد ذكر هذا الختم غير واحد من الأئمة الكبار رضي الله عنهم، وأول من ذكره تصريحا فيما وقفنا عليه، علم الأعلام المشهود له من كمّل العارفين كالحاتمي والشاذلي رضي الله عنهما بالذوق التام، الشيخ الإمام المحدّث الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله عنه، فقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في غير ما كتاب من كتبه، أنه أنكروا عليه بسبب تأليفه في الختم وفي علل الشريعة وشنّعوا عليه في الكتابين وقالوا له: فضلتَ الأولياء على الأنبياء وأغلظوا عليه فألقى الكتابين في البحر فابتلعتهما سمكة ثم لفظتهما و انتُفِع بهما. وأما الشيخ محي الدين فقد ذكره في عدة مواضع من كتابه الفتوحات المكية، وألّف فيه بالخصوص كتابه الذي سماه: عَنقاء مُغْرِب في شمس الأولياء وختم المَغرِب. وقد طالعته فإذا هو كاسمه غريب، و له فيه الرمز المُعْمَى واللسان العجيب. وكذلك الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت والجواهر، وفي الطبقات وغيرهما، إلاّ أنه كثيرا ما يلتبس الكلام في الختم الأكبر بالكلام في ختم الولاية الظاهرة، وخصوصا في كلام صاحب الفتوحات بحيث يشكل ذلك، إلاّ على من يفرّق بين المقامين ويميز بين الحقيقتين. وقد ادّعى هذا المقام، أعني مقام الختم الأكبر، جماعة من الصادقين في الإخوان قاله الشعراني رضي الله عنه. وممّن ادّعاه وظن أنه له حين رآه الشيخ محي الدين رضي الله عنه وادّعاه له أيضا بعد وفاته جماعة لمّا رأوا له نثرا ونظما من الكلام الحائم حول ذلك المقام. والتحقيق أنه رجع عن ذلك في ءآخر أمره، أنه أ ُعْلِمَ أنه ليس له ما ظنّ وإنما هو لغيره. وكلامه في غير ما موضع من الفتوحات صريح في أنه غيره. وذكر فيها أنه اجتمع به يعني اجتماعا برزخيا وأطْلعه على العلاَمة التي أخفاها الله منه وذكر أنه رآه مبتلًى بالإنكار عليه لما يتحقق به من العلم في سره. وهو لا ينافي ما نُقِل عنه من أنه طالما جال ببصيرته الخ... لأنه لا يبعد أن يكون الله تعالى أراه إيّاه، ليتحقق وجوده عيانا أو لغير ذلك مما تقتضيه حكمته تعالى في ذلك الاجتماع ويستر عنه اسمه وبلده لأمر آخر اقتضته مشيئته وحكمته تبارك وتعالى.وممن ادّعاها أيضا الأستاذ سيدي علي وفا لوالده الأستاذ سيدي محمد وفا رضي الله عنهما حسبما نقله الشعراني رضي الله عنه. لكنه أتى بعده بما هو صريح في أنه لم يُقِرَّه وجنح فيه بحسب الظاهر إلى ما ينحو منحى التأويل. وادّعاها أيضا الإمام الجليل سيدي محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات وكذلك الشيخ العارف بالله الصفي القشّاشي حسبما ذكره في الرحلة العياشية.وقد تقدم لنا مما مرّ في طيّ رمز أول الكلام على أبيات هذه المنظومة أن الختم الأكبر المحمدي هو شيخنا وسيدنا وأستاذنا وإمامنا الشيخ الكامل والقطب الشامل مولانا أبو العباس رضي الله عنه من طريق الثقاة الأثبات من ملازميه وخاصته وأنه أخبر

تصريحا على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين بأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله. وهذا الختم هو المتلقي لجميع ما يفيض من ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأمداد وهو المفيض لتلك الأمداد على جميع الأولياء وإن لم يعلموا به إلى غير ذلك من فضائله العظام ومزاياه التي لا ترام. ولم يَطَّلِع صاحب الجامع على هذا ِلأنه لم يُفش التحدث به من سيدنا رضي الله عنه إلاّ بعد وفاته. وممن تلقاه من شيخنا رضي الله عنه الشريف المبجّل المنيف صاحبه وملازمه مولانا أحمد الودغيري السجلماسي المعروف بالفلالي وكتبه من إملاء سيدنا رضي الله عنه بخطه حسبما وقفنا عليه. وبالجملة، فقد أجمع على إثبات هذا المقام لشيخنا رضي الله عنه جميع من لازمه إلى وفاته رضي الله عنه ولم يختلف منهم إثنان فيه حتى استفاض ذلك على ألسنة الخاص والعام من الأصحاب والإخوان في سائر البلدان. فلا يُلتفَت لنفي من نفاه كائنا من كان. وقد ذكر العلماء في فن الأصول من وجوه الترجيح أنّ المثبت مقدّمٌ على النافي لأن معه زيادة علم. وقد تقدم أن معنى الختمية في هذا المقام هو ألاّ يظهر فيه أحد بالكمال الذي ظهر به هذا الختم رضي الله عنه وليس المراد أنه لا وَليّ بعده لأن ذلك إنما هو معنى الختمية في مقام النبوءة والرسالة فإنها ختم على نبينا صلى الله عليه وسلم. فلا نبي ولا رسول بعده. ومعنى الختمية فيه هو ألاّ يظهر أحد في ذلك المقام بعده أصلا. وأما معنى الختمية في مقام الولاية الظاهرة والباطنة بقسميْها فهو ما ذكرناه من أن معناه ألاّ يظهر أحد في ذلك المقام قبله ولا بعده بالظهور الذي ظهر فيه من الكمال فافهم ذلك.ومما يُدِلّ المحبّ المنصف على أن سيدنا رضي الله عنه هو صاحب هذا المقام الأعظم بلا ريب الصلاة التي هي إحدى الأذكار التي قامت عليها وظيفته اللازمة في طريقه هي الصلاة المسماة بجوهرة الكمال،ِلأنها ظاهرة الِدّلالة عند من خصه الله تعالى بذوق أسرارها ومعانيها ولاح له شيء في طيّ رموز مبانيها على أن لسيدنا رضي الله عنه في الحقيقة المحمدية المشرب الخاص الذي لم يُحكَ مثله عن أحد من كمّل أهل الاختصاص. وثَمّ استعدّ ِلما استعدّ له من تلقي الإمدادات الفائضة من ذوات المرسلين واستحق النيابة الكاملة عن سيد الخلائق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين و صحابته الأكرمين. وقد أشار إلى هذا أخونا وسيدنا العارف بالله تعالى سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير في شرحه للصلاة المذكورة الذي أبدى فيه بعض أسرارها المكنونة وخباياها المستورة جزاه الله خيرا ونفعنا ببركاته. وقد كنت فاوضت في هذا المقام بعض الأصحاب الموفقين فقال لي ما معناه: أنّ في زعم الشيخ رضي الله عنه بإذنٍ من النبي صلى الله عليه و سلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق عن غيرها من صيغ الصلوات وجعلها بخصوصها أحدَ الأذكار القائم منها ورده اللاّزم لطريقته مع الإمكان إشارة إلى أن صاحب هذه الطريق هو الختم المحمدي على التحقيق. فوقع كلام هذا الصاحب من قلبي موقع القبول. فلما وقفت على كلام السيد المتقدم الذكر في شرحه على الجوهرة زاد موقعه أعني كلام ذلك الصاحب من قلبي وتأيدتْ إشارته السنّيّة لديّ ولا سيما وقد كنت أسمع بعض أصحاب سيدنا رضي الله عنه كثيرا ما يقول في صلاة الفاتح لما أغلق: فيها سر الطريق انتهى. فافهم فتح الله بصائرنا ونوّر بأنوار معرفته سرائرنا وأرانا الحق حقا وألهمنا في متابعته رشدا وصدقا ءآمين.ولمعرفة هذا ومثله مما خُصّ به سيدنا رضي الله عنه في مقام القطبانية يظهر لك مصداق قول شيخه الشيخ محمود الكردي رضي الله عنه: لك أكثر منها يعني القطبانية؛.واعلم أن هذه الختمية بالمعنى السابق لمّا كان مقامها مختصا بمن يختص بمقام الكتمية الآتي ما يشير إليه في الأبيات بعد هذه تداخل الكلام في حقيقتيهما بحيث تُلبِّس الحقيقتان على الناظر في ذلك الكلام فيظن أنها حقيقة واحدة. وقد عرفت بحمد الله تعالى ما يشير إلى حقيقة الختمية مما تقدم، وسنذكر لك مما يشير إلى حقيقة الكتمية في الكلام على البيتين المواليَيْن لهذه ما تعرف به الفرق بين الحقيقتين والله الموفق بمنّه فنقول: قال الناظم رحمه الله تعالى:

و بعد شهر وليـــال ارتقـــى   إلى مقامه العزيــز المنتقـــى
مقامه المكتوم عن كل الورى   سـوى النبـي ما وراءه ورا

يقول: وبعد أن مضى على سيدنا رضي الله عنه من بلوغه مقام القطبانية العظمى شهر وليال ارتقى في درجات مقام قطبانيته الأكمل إلى أن حلّ مقامه العزيز المختار له في الأزل وهو مقام الكتمية الذي أخفى الله تعالى كنه حقيقته عن جميع الخلق ولم يطلع عليه إلاّ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وصاحبه المختص به بحكم اختيار الملك الحق وهو المقام الأخص الأرفع الذي ليس فوقه من مقامات العارفين والصديقين مقام إلاّ ما ثبت للصحابة الكرام الذين ليس فوقهم في الفضيلة والسبق إلاّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وعقد الناظم في هذين البيتين ما أشار إليه في الجامع من أن سيدنا رضي عنه حلّ هذا المقام أعني مقام الكتمية في صَفَر العام قبله لثمان عشرة خلت منه. وعليه فيكون حلوله في مقام القطبية في أول المحرم من هذا العام.هذا، والذي أحفظه من مذاكرة بعض الخاصة الفضلاء من أصحاب سيدنا رضي الله عنه، أنه رضي الله عنه حل هذا المقام، أعني مقام الكتمية عام ثمانية عشر من المائة المذكورة, وهي الثالثة عشر. ويعضد هذا الذي نحفظه عن السيد المذكور كون مؤلف جواهر المعاني إنما فرغ من تأليفه أواسط ذي القعدة من العام المذكور، فيكون قد تأخر فراغه منه عن وقت بلوغ سيدنا رضي الله عنه هذا المقام على مقتضى التاريخ المذكور بنحو الثمانية أشهر. ولم يسافر عن الشيخ رضي الله عنه ولم يفارقه إلا عام خمسة عشر، وهو لم يذكره أعني، هذا المقام في جواهر المعاني، ولم يعرج عليه فيه بشيء.وهذا مما لا يمكن أن يصدر منه رضي الله عنه لشدة اعتنائه التي لم يسبقه فيها غيره بلا شكّ. فظهر أن ما في النسخ الموجودة من الجامع تحريف من النّسّاخ لا غير إذ لم يعثر أحد بفاس وما يإزائها على نسخة مؤلفه ولا على نسخة مُصحّحَة من الأصل ليعرف ذلك. وأمّا ما يشير إلى بيان حقيقة هذا المقام أعني مقام الكتمية الذي اختص به سيدنا رضي الله عنه دون جميع أهل المراتب السنية فاعلم أمدّني الله وإياك بنور الإيمان والتصديق أن القطب المكتوم على ما يفيده كلام أهل التحقيق قطبان: الأول هو القطب الذي يُظهره الله إماما عدلا بالولاية الظاهرة في هذه الأمة آخر الزمان وهو غير الإمام المنتظر لأن الإمام المنتظر غير قطب. وهذا هو الذي اطّلع الشيخ محي الدين على اسمه وبلده ونسبه ووقع له التعريف من الله تعالى بجميع أحواله ثم وقع له النهي عن إفشاء ذلك فسمّاه مكتوما من عند نفسه بسبب نهيه عن إفشاء أمره. والثاني وهو القطب المكتوم الذي تحدّث الأولياء والأقطاب به وطالما تمنى كل واحد منهم مقامه ولم يعثر واحد منهم على ما يحقق التعريف به. وغاية ما اطلعوا عليه أنه يكون في آخر الزمان بالمغرب. وكثيرا ما يذكرون لفظة المكتوم مقرونة بلفظ الختم لِما قدمناه من تداخلِ الكلام في الحقيقتين مع قيام وصفهما بموصوف واحد. وانظر إلى ما ترجم به الشيخ محي الدين كتابه الذي ألّفه في ذلك حيث قال فيما ترجمه به عنقاء مُغْرِب في ختْم الأولياء وشمسِ المَغرِب. فلفظ ختم الأولياء ظاهر الدلالة على الختم المذكور وعطفُه عليه قوله: وشمس المغرب فيه إيماء إلى مقام الكتمية لأن الشمس لا تبصَر حقيقتُها لشدّة أنوارها، فكأنه قال في ختم الأولياء: المعلوم الذي هو القطب المكتوم والذي يؤيد أنه أومأ بشمس المغرب إلى مقام الكتمية هو ما ذكره في الفتوحات المكية في الكلام على حديث: لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة بعد ذكره لباب التوبة وأنّ غلقَه في ذلك الوقت المعلوم رحمة بالمومن ووبال على الكافر، لأنه لا يرتدّ من بعد ذلك كما أنه لا ينفع نفسا إيمانها حينئذ ونصه: وإنما جعله الله بالمغرب لأنه محل الأسرار والكتم وهو سر لا يلهمه الله إلاّ لأهل الاختصاص. انتهى المراد منه هنا. فصحّ بأنّ المغرب محل الكتم كما أضاف في الترجمة الشمس معطوفة على الختم إلى المغرب فاعرف ذلك. وقد ذكر سيدنا رضي الله عنه في مزايا القطب المكتوم التي اختص بها أن الحق يتجلى له في اللحظة الواحدة مائة ألف تجِلّ يعطيه في كل تجلّ ما يعطيه لأهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر ويؤدّي وظائف كل تجلّ وحده في

تلك اللحظة ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بما يصير جميع ما تقدم من التجليات بالنسبة إليه جزءا من مائة ألف جزء من تجلٍّ واحد منهما. وهكذا في اللحظة التي بعدها إلى ما لا نهاية له. ومن مزاياه التي اختص بها في هذا المقام أن له وقفة ومقابلة في الحقيقة المحمدية لم تكن لأحد من الأكابر رضي الله عنهم أجمعين. ومنها أنّ ما يفيضه كل قطب في زمانه من الأمداد على جميع العوالم الخلقية إنما هو بواسطته لكن لم يروها لأنها محجوبة وهو يستفيض من الحقيقة المحمدية فيما يفيضه على كل قطب مدة حياته وفيما يفيضه على العوالم الخلقية في زمانه بلا واسطة إلى غير ذلك من مزاياه العظام.وأما وجه تسميته مكتوما فِلأنّ له مرتبة باطنة لا يعلم حقيقته في تلك المرتبة أحد إلاّ الله تبارك وتعالى وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم وذلك ِلأن له نسبة من الحقيقة المحمدية وهي مرتبته صلى الله عليه وسلم التي لم يطّلع عليها أحد ولا يعلمها إلاّ الله تعالى وصاحبها صلى الله عليه وسلم.
قال سيدنا رضي الله عنه: وهو الحكم لها في الدنيا والآخرة. وهذا هو معنى الكتمية وهو الذي أشار إليه الناظم بقوله: مقامه المكتوم إلى آخر البيتين. فِلله دره، فقد أشار إلى حقيقتها بما يميّزها عن غيرها بلا ريب. وقال سيدنا رضي الله عنه فيما يشير إلى شفوف مرتبة الكتمية: نسبة الأقطاب معه يعني القطب المكتوم كنسبة العامة مع الأقطاب لأن مقامه في غيب الغيب لا علم له به لا في الدنيا ولا في الآخرة. وقال سيدنا رضي الله عنه: ليست مرتبة كاملة من كل وجه وصاحبها محيط بجميع المراتب إلاّ له صلى الله عليه وسلم وللقطب المكتوم فإن مرتبته يعني بين مراتب الأولياء جامعة ومحيطة بجميع المراتب. انتهى. وهذا أيضا مما يصدق إشارة شيخه الشيخ محمود الكردي رضي الله عنه، لمّا قال له سيدنا رضي الله عنه: مطلبي القطبانية العظمى فقال له: لك أكثر منها. ومن ذلك أنه رضي الله عنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجمع الله بين القطبانية والفردانية فضمن له صلى الله عليه وسلم ذلك. ذكره في الجامع. ورأيت بخط الخليفة المعظم سيدي علي حرازم في بعض تقاييده: والمراد والله تعالى أعلم أن يجمع له ما اختص به الأقطاب عن الأفراد مع ما اختص به الأفراد عن الأقطاب فإنهم يفضلونهم من جهة وهم كذلك أيضا حسبما هو مذكور في جواهر المعاني عن سيدنا رضي الله عنه. ومقام الأفراد بين الصديقية والنبوءة ونظيرهم من الملائكة الأرواح المُهَيّمون في جلال الله تعالى. قاله الشيخ محي الدين. ثم قال: قد جهلهم أكثر الناس من أهل طريقنا كأبي حامد وأمثاله لأن ذوق مقامهم عزيز انتهى. إلى غير ذلك مما زاد به سيدنا رضي الله عنه من الخصوصيات والفضائل على غيره من الأقطاب الواصلين والعارفين الكاملين المكمّلين رضي الله عنهم أجمعين. انتهى من البغية في عدة مواضع من مظانّ الكلام على القطبانية العظمى و مقام الكتمية منها. ومما يزيد ِلما تقدم وضوحا وأن سيدنا رضي الله عنه ما نصّ عليه حواري هذه الطريقة الشيخ عمر بن سعيد الفوتي في رماحه بقوله: اعلم أن أفراد الأحباب من الصديقين والأقطاب وجواهر الأقطاب وبرازخ الأغواث يعلمون أن مقام خاتم الأولياء الذي يكون مقامه ختْم المقامات يفوق جميع مقامات الولاية ولا يكون فوقه إلاّ مقامات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام. وذلك الخاتم هو سيد الأولياء وممدّهم وإنْ لم يعْلموا عينَه.
قال الشيخ محي الدين ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه ما نصه: فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ النبوّة إلاّ من مِشكاة خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم وإنْ تأخّر وجود طينته فحقيقته موجودة كما في قوله صلى الله عليه وسلم: كنتُ نبيئا وآدم بين الماء والطين، أي لم يكمل بدنه العنصري بعدُ، فكيف مَنْ دونَه من أنبياء أولاده. وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لمّا خلق النور المحمدي كما أشار له صلى الله عليه وسلم بقوله: أول ما خلق اللهُ نوري جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعا أحديا قبل التفصيل في الوجود العيني، وذلك في مرتبة العقل الأول. ثم تعينت الأرواح في مرتبة اللوح المحفوظ الذي هو النفس الكلية وتميزت بمظاهرها النور، فبعث الله عز وجل الحقيقة المحمدية لروحيّة النوريّة إليهم تنبئهم عن الحقيقة الأحدية الجمعية الكمالية. فلما وجدت

الصور الطبيعية العلوية من العرش والكرسي ووجدت صور مظاهر تلك الأرواح ظهرت تلك البعثة المحمدية إليهم ثانيا فآمن من الأرواح من كان مؤهّلا للإيمان بتلك الأحدية الجمعية الكمالية. ولما وُجِدَت الصور الطبيعية العنصرية ظهر حكم ذلك الإيمان في كمّل النفوس البشرية فآمنوا بمحمد صلى الله عليه و سلم.فمعنى قوله: كنت نبيئا: أنه كان نبيا بالفعل عالِما بنبوءته. انظر شرحها. ثم قال الحاتمي أي وشارح كلامه وغيره من الأنبياء ما كان نبيا بالفعل ولا عالما بنبوءته إلاّ حين بُعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكماله شرائط النبوءة فاندفع بذلك ما يقال من أن كل واحد من الأنبياء بهذه المثابة من حيث أنه كان نبيئا في علم الله تعالى السابق على وجوده العيني صورة وآدم بين الماء والطين. ثم قال الحاتمي أي شارحه: وكذلك خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلاّ بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإسمية في الاتّصاف بها من أجل كون الله تعالى تَسَمّى بالوليّ الحميد. وخاتم الأولياء هو الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهِد للمراتب العارف باستحقاق أصحابها ليعطي كل ذي حق حقه وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة انتهى كلام الحاتمي.وقال الشعراني رضي الله عنه في الرسالة المباركة في الموضع الذي يعد فيه علوم الأنبياء الخاصة بهم: ومنهم علوم صفات خاتم الأولياء في كل قرية وصفة خاتمهم الأكبر وعلم الصفات التي يستحق بها الختمية، كما يستحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون خاتم الأنبياء كلهم في التشريع أي لا في التلقي كما هو شأن عيسى عليه السلام انتهى. وقال في درر الغواص على فتاوى شيخه سيدي علي الخواص: وسألته يعني السيد عليا الخواص رضي الله عنهما عن قول الشيخ محي الدين ابن عربي رضي الله عنه: اجتمعتُ في مشهد أقدَس بجميع النبيئين والمرسلين و لم يكلمني منهم ولم يفرح بي إلاّ هود عليه السلام. ما سبب تخصيص هود عليه السلام بكلامه وفرحه به دون غيره ؟ ثم ذكر أنه أجابه بكلام من جملته أن هودا عليه السلام يعلم أن لهذه الأمة المحمدية ختمين جامعين لكل رتبة ومقام وارث وولاية بأحدية جمعها وتنوع وحدتها حتى تستغرق كل نعت ووصف وأمداد واستمداد أحديا كان أو واحديا بسر تنزّله وإحاطته بعوالمه المطلقة و المقيّدة . وما هو خصيص به أصلا وفرعا حكما وعينا سعة وضيقا قيدا وإطلاقا حتى أن كل ولي كان أو يكون إنما يأخذ عن هذين الختمين اللذين يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص و الآخر يختم به الولاية العامة . فلا وليّ بعده إلى قيام الساعة وقد أخبر العارف عن نفسه أنه أحد الختمين إلى أن قال: هذا ما ظهر لي من الجواب في هذا الوقت والله تعالى أعلم انتهى. قال صاحب الرماح: قلت: وإذا فهمت كلام هؤلاء السادات علمت أن خاتم الأولياء متصف بما وصفناه به أول الفصل من قولنا أنه خاتم الأولياء وسيد العارفين وإمام الصديقين وممدّ الأقطاب والأغواث وأنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث ألاّ يتلقى واحد من الأولياء مَن كبُر شأنه ومَن صغُر فيضا من حضرة نبي إلاّ بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به ذلك الولي. حيث كان الأمر هكذا فإيّاك يا أخي والإنكار على مثل هذا السيد العظيم والإمام الأعظم الكريم فإنه قد اجتمع أئمة الإسلام والمسلمين وجميع الأولياء والعارفين على أنّ الانتقاد والإنكار خسران. ومن ثمرات الأوصاف المتقدمة ما أخبر به سيدنا رضي الله عنه من قوله أن الفيوض التي تفيض من ذات الوجود صلى الله عليه و سلم تتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وقوله: إذا جمع الله خلْقه في الموقف ينادي منادٍ بأعلى صوته يسمعه كل من في الموقف: يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي كان مددُكم من كما تقدم. وقوله رضي الله عنه: روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا مشيرا بأصبعيه السّبابة والوسطى، روحه صلى الله عليه وسلم تمدّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى النفخ في

الصور. وقوله رضي الله عنه: قدمايَ هاتان على رقبة كل وليّ لله من لدن آدم إلى النفخ في الصور. و قوله رضي الله عنه: إن مقامه عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من كبر شأنه ولا من صغر وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا. وقوله رضي الله عنه: أعمار الناس كلها ذهبت مجّانا إلاّ أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق، فقد فازوا بالربح دنيا وأخرى، ولا يشتغل بها عمره إلاّ السعيد. وقوله رضي الله عنه في معرض التحدث بنعمة الله عليه: الحمد لله الذي بلّغنا في هذا الوقت مرتبة مولانا عبد القادر الجيلاني وزادني على ما أعطاه أربعين مقاما. وقوله رضي الله عنه: أعطاني الله في السبع المثاني وهي الفاتحة ما لم يعطه إلاّ الأنبياء. وقوله رضي الله عنه: إن الله أعطاني ما لم يعط لأحد من الشيوخ أبدا فضلا منه وجودا بلا استحقاق شيء عليه بل في سابق علمه قضى بذلك. فلله الحمد ومزيد الشكر. وقوله رضي الله عنه: أعطاني الله تعالى الشفاعة في أهل عصري من حين ولادتي إلى حين مماتي وزيادة عشرين سنة بعد وفاتي إلى غير ذلك مما يدل على أنه متصف بما وصفه به غير واحد من خاصته الملازمين له وأن أكابر الأولياء من العصور الماضية مجتمعون على أن خاتم الأولياء الآتي في آخر الزمان سيدهم وممدهم وأنه هو الواسطة بينهم وبين الأنبياء وإنما أخفى الله تعالى عنهم معرفة عينه لمقام الكتمية كما تقدم. وأما قوله: وقد أخبر العارف عن نفسه أنه أحد الختمين و قد تقدم عن البغية أنه رجع عن ذلك. و يبين ما قلنا و يشهد له أنه صرّح بعد ذلك بأنه لم يكن هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم والخاتم المحمدي المعلوم، وأنه بعد ما أنشأ هذين البيتين و هما:

بنا ختم الله الولاية فانتهت   إلينا فلا ختم يُكون من بعدي
وما فاز بالختم الذي لمحمد   من أمته والعلم إلاّ أنا وحدي

سمع مناديا يقول له: ليس لك ما ظننت وتمنيت وإنما هو لولي في آخر الزمان ليس ولي أكرم على الله تعالى منه. فعند ذلك قال الحاتمي رضي الله عنه: سلّمت الأمور إلى خالقها ومكوّنها. ولقد طالما جُلت ببصيرتي في الغيوب لأطّلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم بلده ومكانه وكيف حاله فما أطلعني الله تعالى على شيء ولا شممت له رائحة أصلا انتهى. قال صاحب الرماح: قلت وهذا الكلام من الحاتمي رضي الله عنه فيه تصريح بأنه تبرّأ من اِدّعاء الختمية الكبرى وأنه لم تحصل لواحد ممن تقدم من السادات الذين مضوا قبل زمانه وإنما تكون لولي في آخر الزمان. ومما يؤيد ذلك أن العارف بالله الشيخ المختار الكنتي رضي الله عنه قال في كتابه الطرائف: أن القرن الثاني عشر من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يشاكل قرنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أحدهما أن فيه خاتم الأولياء كما في قرنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فإنه رضي الله عنه قد صرح بختمية شيخنا وسيدنا ومولانا أبي العباس التجاني رضي الله عنه أن الشيخ المختار رضي الله عنه لم يدّعِ الختمية الكبرى لنفسه مع أنه من أهل ذلك القرن ومحي الدين رضي الله عنه مات في القرن السابع وشيخنا التجاني رضي الله عنه ولد عام خمسين ومائة وألف ووقع له الإذن بتلقين الأوراد من النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وبتربية الخلق على العموم والإطلاق سنة ألف ومائة وستة وتسعين(1196). وقد علم أن الختمية الكبرى لم تثبت لأحد قبل شيخنا رضي الله عنه، وأن الذي ادّعاها قبلُ لم يثبت على ادّعائها. وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا سيدي أحمد بن محمد الشريف الحسني التجاني رضي الله عنه فإنه قال: قد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنّي أنا القطب المكتوم منه إليَّ مشافهة يقظة لا مناما فقيل له: وما معنى المكتوم؟ فقال رضي الله عنه: هو الذي كتمه الله تعالى على جميع خلقه حتى الملائكة والنبيئين إلاّ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه عَلِم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما للأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها. وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لله ثلاث مائة خُلُق مَنْ تخلّقَ بواحد منها أدخله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا وليّ قبله إلاّ في سيد الوجود صلى الله عليه

وسلم. وأمّا الأقطاب الذين بعده صلى الله عليه وسلم حتى الحجة العظمى ابن العربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين وبه ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق الإلهية. وهذه الأخلاق لا يعرفها إلاّ من ذاقها ولا تدرَك بالوصف ولا يُعرَف ما فيها إلاّ بالذوق؛ فإن قلت: ما صورة برزخية القطب المكتوم المعبّر عنه عند العارفين والصديقين وأفراد الأحباب وجواهر الأقطاب؟ فالجواب: اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، أن الحضرات المستفيضة سبعٌ: الأولى، حضرة الحقيقة الأحمدية وهي كما في جواهر المعاني غيب من غيوب الله تعالى فلم يطّلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والأحوال العلية والأخلاق الزكية. فما ذاق أحد شيئا و لا جميع الرسل والنبيئين. اختص صلى الله عليه وحده بمقامها، إلى أن قال: فما نال أحد منها شيئا اختص بها صلى الله عليه وسلم لكمال عزها وغاية علوّها. والثانية حضرة الحقيقة المحمدية، فمنها كما في جواهر المعاني كلما أدرك النبيئين والمرسلين وجميع الملائكة المقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين إلى أن قال: وكل ما أدركه جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات والأحوال والمقامات والأخلاق إنما هي كله من فيض حقيقته المحمدية. والثالثة الحضرة التي فيها حضرات ساداتنا الأنبياء على اختلاف أذواقهم ومراتبهم وأهل هذه الحضرة هم الذين يتلقّون كل ما فاض وبرز من حضرة الحقيقة المحمدية كما قال شيخنا رضي الله عنه مشيرا إلى أهل هذه الحضرة بقوله: إنّ الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء وبقوله رضي الله عنه: روحه صلى الله عليه وسلم تمدّ الرسل والأنبياء إلاّ أنّ لخاتم الأولياء مشربا من النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا اطّلاع لهم عليه.والرابعة: حضرة خاتم الأولياء الذي يتلقا جميع ما فاض من ذوات الأنبياء لأنه رضي الله عنه هو برزخ البرازخ كما قال رضي الله عنه وأرضاه مشيرا إلى هذه الحضرة أنّ الفيوضات التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إلى قوله: وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ الصور وخُصِّصتُ بعلوم بيني وبينه منه إليَّ مشافهة لا يعلمها إلاّ الله عز وجلّ بلا واسطة وبقوله: أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وبقوله رضي الله عنه: لا يشرب وليّ ولا يسقى إلاّ من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وبقوله رضي الله عنه: إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادي مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي كان مَددكم منه. وبقوله رضي الله عنه مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى: روحي وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا روحه صلى الله عليه و سلم تمد الرسل والأنبياء وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء. فكل وليّ لله تعالى مَن كبُر شأنه ومن صغُر لا يتلقى فيضا من حضرة نبي إلاّ بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به وممدّ الخاص به إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطّلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه صلى الله عليه وسلم.والخامسة: حضرة طريقته الخاصة بهم وإلى هذه الحضرة أشار الشيخ رضي الله عنه بقوله: لو اطّلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبَكَوا وقالوا: يا ربنا ما أعطيتنا شيئا. وبقوله رضي الله عنه: لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبقوله رضي الله عنه: كل الطرق تدخل عليه طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره. وبقوله رضي الله عنه: من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع الطرق أمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة. فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسول الله ولا من شيخه أيّاً كان من الأحياء أو من الأموات. وأمّا من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحلّ به المصائب دنيا وأخرى ولا يعود أبدا. قلت: وهذا لأنه قد

ثبت أن صاحبها رضي الله عنه هو الختم الأكبر الممدّ الذي يستمد منه مَن سواه من الأولياء والعارفين والصديقين والأغواث. ومن ترك المستمد ورجع إلى الممدّ فلا لوم عليه ولا خوف بخلاف من ترك الممد ورجع إلى المستمد.وبقوله رضي الله عنه: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم،وضمنه صلى الله عليه وسلم أمر لا يحِلّ لي ذكره ولا يُرى ولا يُعرف إلاّ في الآخرة. ووجه تقديم حضرة أهل طريقته على الحضرة التي فيها حضرات الشيوخ الذين هم أهل الطرق من ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم بَيّنٌ ظاهرٌ، لأن أهل طريقته هم أول من يفيض عليهم ما يستمده رضي الله عنه من الحضرة المحمدية ومن حضرات سادتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن هنا صار جميع أهل طريقته أعلى رتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكابر الأقطاب وإنْ كان بعضهم في الظاهر من جملة العوام المحجوبين انتهى. والسادسة : الحضرة التي فيها حضرات ساداتنا الأولياء رضي الله عن جميعهم وهي مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نالوا وإليها يشير قول شيخنا رضي الله عنه كما في جواهر المعاني: فلِكّلٍ شيخٌ من أهل حضرة لا يشاركه فيها غيره انتهى. والسابعة: الحضرة التي فيها حضرات تلاميذهم انتهى. وقد بقيَ الكلام على الحضرة الخامسة ما نصه: أن ِلأهل طريقته لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم ِلآعتناء مولاهم الكريم بهم في أزله كاعتنائه بخاتم أوليائه لأنه تعالى كما اصطفى هذا الخاتم المحمدي بالغوثية والختمية والكتمية اصطفائية محضة لا تعلق لها بسبب من الأسباب، وخصه بهذه المرتبة التي قصر عن إدراكها جميع الأقطاب والأغواث بغير علة، كذلك اصطفى أهل طريقته بالولاية والتقريب والمحبوبية والقبول عنده تعالى، والتأهيل لخدمة هذا الخاتم وطريقته وتخصيصهم بذلك وجعله نصيبهم كما جعلهم نصيب اصطفائية محضة لا تعلقَ لها أيضا بسبب من الأسباب كما سبق له في الأزل العناية بالختمية وبجميع ما نال. كذلك سبقت لهم في الأزل العناية بالولاية والفضل وأهل محبته وموافقته. فلذلك وقعت لهم محبته وموافقته. ومن تلك الأهلية اتّبعوه وقبلوا أمره ووضعوا رقابهم تحت قدمه. ولولا تلك العناية الأزلية كان حالهم كحال الأعداء المنكِرين المنتقدين المحرومين لكن الأمر كما قال تعالى:(إنّ الفضل بيد الله يوتيه من يشاء). ومن هذه الحيثية كان فضلهم على غيرهم كفضله رضي الله عنه على غيره من الأولياء ِلأنّ فضل التابع على قدر فضل المتبوع. ومن هنا فضلُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرهم على الإطلاق بعد ساداتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولمّا ثبت واتضح مما تقدم أن شيخنا رضي الله عنه هو خاتم الأولياء أعنيٍ الخاتم الأكبر كما أن جدّه صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء ثبت فضله على جميع الأولياء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن فضله على الأولياء حينئذ كفضل خاتم الأنبياء على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وحيث كان الأمر كذلك فلا شكّ أن فضل أهل طريقته على غيرهم من أهل طرق هذه الملة المحمدية يكون كفضل هذه الأمة على جميع أمم الأنبياء. قال صاحب الرماح: قلت وهذه البشارة للطائفة الأحمدية المحمدية التجانية أعظم من الدنيا وما فيها. فهنيئا ِلأهل هذه الطريقة الصادقين فقد حازوا شرف الدنيا والآخرة. اللهم إنّا نسألك أن تحْيِينا عليها وتميتنا عليها وتحشرنا في زمرة أهلها بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ءآمين. فإذا فهمت جميع ما تقدم من أوصاف الختم الأكبر وما قيل فيه حصلت على طائل في حقيقة برزخيته رضي الله عنه لأن دائرة حضرته هي المتوسطة بين الدوائر فوقها ثلاث وتحتها ثلاث لا يصِل شيء إلى الثلاث التي تحتها إلاّ باستمداد أهلها من حضرته رضي الله عنه. فإن قلت كيف يكون المتأخر أفضل من الأولياء الكبار المتقدمين ؟ قلت : من حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن تقَدّمه من الرسل و الأنبياء. قال أبو المواهب التونسي: إحذروا من قولكم: ذهب الأكابر والصديقون من الفقراء فإنهم ما ذهبوا حقيقة وإنما هم ككنز صاحب الجدار. وقد

يعطي الله مَن جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول فإن الله تعالى قد أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ما لم يعطِ الأنبياء قبله ثم قدّمه في المدح عليهم. انتهى من قوانين الإشراق له. ولمثل ذلك قال العارف بالله السيد إبراهيم عبد القادر الرياحي:

كيف لا و الإمام أحمد قطب ... ما له في المقام قطب مسام
خاتم خصّه الإله بفضل ... و عطايا من المزايا عظام
دونها تنتهي النفوس علوّا ... و ارتقاء عن مدرك الإفهام
هكذا أخبر النبي فصِّدقْ ... أو تهيّأ هيّا لرشق سهام
إن تقل كيف ذاك وهو أخِير ... هل يفوق المأموم قدر الإمام
قلت فاق النبيّ وهو أخِير ... كل ذي رتبة سمت في الأنام
ليس للقدرة القديمة عجز ... و كذا الفضل لم يزل في انسجام
خَلِّ نعتَ النبي فهو محال ... و السوى جائز بغير ملام
ليس من حقك الجدال و لكن ... قد تكون الجفون منك نُوام

وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في تأسيس القواعد: النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعي أمر جاهلي، حيث قال الكفار:(لولا نزّلَ هذا القرءآنُ على رجلٍ منَ القريتين عظيمٍ أهُمْ يَقْسِمونَ رحْمتَ ربِّك) الآية. قال:(بَلْ قالُوا إنا وَجَدْنا ءابائَنا على أمّةٍ وإنّا على آثارِهِمْ مّهتدونَ.) فردّ الله تعالى بقوله عليهم:(قُلَ أوَ لَوْ جِئْتُكم بِأهْدَى مِمّا وَجَدتّمْ عليهِ آبَاءَكُمْ)...الآية. فلزم النظر لعموم فضل الله من غير مبالات بوقت ولا شخص إلاّ مَن خصه الله تعالى به. و الأولياء في ذلك تَبَعٌ للأنبياء لأن الكرامة شاهد المعجزة والعلماء ورثة الأنبياء في الرحمة والحرمة وإن تبايَن في أصل الفضل فافهم. انتهى.وفيه وجود الحجر مانع من قبول الجحود أو نوعه لنفور القلب عنه. والتصديق مفتاح الفتح لما صدق به وإن لم يتوجه له إذ لا دافع في المتوقف مع الفقه يتعين عليه تجويز المواهب والفتح من غير تقييد بزمان ولا مكان ولا عين لأن القدرة لا تتوقف أسبابها على شيء وإلاّ كان محروما بما قام به جحوده. ثم هو إن استند إلى أصل معذور وإلاّ فلا عذر له بإنكاره ما لا علم له به، فسلّمْ تسلم انتهى.قال صاحب الرماح: قلت: وما حمل من أنكر بلوغ شيخنا رضي الله عنه هذا المقام الذي هو الختمية الكبرى التي لم يبلغها أحد من الأولياء إلاّ ظنهم أن حصول هذا المقام لأحد بعد المشايخ المتقدمين ممنوع شرعا أو مستحيل عقلا وكِلا الأمرين منتفٍ واعتقاد من اعتقد أن بلوغه رضي الله عنه هذا المقام لا يصحّ لا يلزم منه كون معتقِده في نفس الأمر. قال الشعراني رضي الله عنه في العهود المحمدية: إن ردّ العلماء على الصوفية إنما هو لرقة مدارك الصوفية عليهم لا غير. فلا يلزم من الرّدّ عليهم فساد قولهم في نفس الأمر كما قال الغزالي: كنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم. قال: قال تعالى(بلْ كذّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بِعِلْمِهِ و لَمّا ياتيهِمْ تاويلُه) وقال:(وإذْ لَمْ يَهتَدُوا بِهِ فسيقولونَ هذا إفْكٌ قديم). انتهى. وبما قررناه يظهر لك أنه ما بقي للمنكِر المنتقد إلاّ منع فضل الله تعالى وأنّ إنكاره لوجود العناد فقط. والمنكِر عناداً لا يعتبَر إنكاره لأنه لا يقبل ما ظهر ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في أمره.انتهى ما أردنا ذكره في هذا الباب من مناقب سيدنا رضي الله عنه وفيه كفاية واستبصار لمن أراد الله هدايته. والله وليّ التوفيق والهداية.

الخاتمة في أمور تتعلق بالطريق:

وأعظمها ما يترتب على ما تقدم من جميع ما طُلِب من المريد في الكتاب كله. وأمّا الجواب عن زلات بعض الأفاضل من علماء الرسوم، إلى آخر ما سطّر في الترجمة، فقد أخّرناه إلى تأليف مستقل إن شاء الله. فأقول مستعينا بالله إنه خير معين: قال الشيخ زكريا الأنصاري في كتابه الفتوحات الإلهية: اتّفق المحققون على أن أفعال العبيد ليست سببا للسعادة والشقاوة، بل هما سابقتان بمشيئة الله تعالى، وأما الأعمال إنما هي شعار العبودية

وتابعة للسابقة وأمارة عليها، ومع ذلك اتفقوا على أنه تعالى يثيب ويعاقب عليها لأنه وَعَدَ على صالحها، وأوْعَدَ على سيّئها، فهو نجز وعده ويحقق وعيده لأنه تعالى صادق وخبره صدق لا يتخلّف. فإن قلت: إذا لم تؤثر الأعمال فما ثمّ إلاّ الاتّكال عليه تعالى؟ قلنا: الإتيان بها واجب على قصد الامتثال. قال صلى الله عليه وسلم: اعملوا فكلٌّ ميسَّر لِما خُلق له. مع أنها وإن لم تؤثر حقيقة أثرت عُرفا وعادة عملا بقوله تعالى:(تلكَ الجنةُ التي اُورثتُموها بما كنتُمْ تعمَلونَ) . وقوله:(جزاءً بما كانوا يعملون) وقوله:(وما أصابكم مّن مّصيبةٍ بما كسبتْ أيديكمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم: مَن عمِل بما علِم أورثه الله علْمَ ما لمْ يعلم. انتهى. وفيها أيضا أن الشريعة أمرت بالتزام العبودية بشرط التزامها ويقال: هي معرفة السلوك إلى الله تعالى والحقيقة مشاهدة الربوبية بالقلب. ويقال: هي سر معنوي لا حدّ له ولا جهة. ومن قال باتّحادهما أراد اتحادَهما صدقا لا مفهوما. والطريقة سلوك طريق الشريعة وهي أعمال الشريعة لهما حدود ككون الصلاة ركعتين أو ثلاثا أو جهات ككونه فرضا أو نفلا مؤقتا أو غير مؤقت، والثلاثة متلازمة لأن الطريق إلى الله لها ظاهر وباطن. فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة. فبطون الشريعة في الحقيقة والطريقة كبطون الزبد في لبنه لا يظفر من اللبن بزبده إلاّ الحكيم. فالمراد من الثلاثة إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد. انتهى. ولذلك لا يُظفَر بثمرات الثلاث إلاّ بالعلم المنقسم إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. العلم اللدُني الذي علّمَه الله تعالى الأرواحَ حين خاطبهم بقوله: ألَسْتُ بربِّكُمْ؟ هو معرفة ذات الله وصفاته بمشاهدةٍ لأنوارها وذوقٍ ببصائر القلوب لا بدليل العقل وشواهد النقل. وقيل: هو طريق معرفة ذاته تعالى لأنها انما تحصل بما أُوليَ به من التعريف، وهو تعالى يتعرف إلى عباده بقدر ما وهب لهم من العلم اللدني. ومن تعرّفَ إليه عرف نفسه. ومن عرف نفسه عرف ربّه ومن عرف ربه جهل نفسه. فالتعرف يتعلق بمعرفة النفس ومعرفة النفس يتعلق بمعرفة الرّبّ ومعرفته تتعلق بجهل النفس. ففي الخبر: أعْرَفُكُم بنفسه أعرَفكم بربه. واليقين ظهور نور الحقيقة في قلب الصوفي عند كشف الأستار البشرية بمشاهدة الوجد والذوق لا بدلالة العقل والنقل وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع. ويطلق اليقين مجازا على نتيجة ذلك وهو اطمئنان العبد ووثوقه بموعود الله تعالى فيستريح العبد من تعب السعي في تحصيل المرافق الدنيوية، فيكون حقيقة فيما هو من قبِل العلوم والمعارف ومجازا فيما هو من قبَل الأحوال والمقامات. وقيل: هو مشترك بينهما. وعلم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان وحق اليقين ما حصل عن عيان مع المباشرة. فالأول منها مَن علِم بالدليل وُجودَ الجنة، والثاني كمن حضرها والثالث كمن شاهدها ودخلها. و قال بعضهم: علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين حال جمع الجمع. قال الشيخ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه: التفرقة شهود الأغيار لله تعالى، والجمع شهود الأغيار بالله، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الشعور بغير الله عند غلبة الحقيقة. انتهى منها أيضا. وقال الشيخ محي الدين الحاتمي رضي الله عنه في بعض رسائله ما نصه: ويجب يا حبيبي تعظيم ما عظّمه الله وعظّمَته رسله صلوات الله وسلامه عليهم، ثمّ التسليم لأهل هذه الطريق في كل ما يحكى عنهم من كلامهم وإشاراتهم في كل ما نزل منهم مما لا يسعه علمك ومما لا بد منه حسنُ الظن كافة وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وخدمة الفقراء برؤية المنّة والفضل لهم في ذلك حيث ارتضوْك لهم خديما واحمِلْ كلّهم و تحمّلْ أذاهم وجفاهم والصبر على خُلُقهم. ومما لا بدّ منه الصمت إلاّ عن ذكر الله وتلاوة القرءان وإرشاد ضالّ أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو إصلاح بين متهاجرين أو تحريض على صدقة. ومما لا بدّ منه يا حبيبي طلب أخ موافق يعينك على ما أنت بسبيله فإن المومن يأنس بأخيه. وإياك وصحبة الضد. ومما لا بد منه طلب شيخ مرشد والصدق شعار المريد فإن المريد إذا صدق مع الله قيّض الله له من يأخذ بيده ويصير كل شيطان في حقه ملَكا، لا يَدُل إلا على خير فإنّ الصدق ما وُضع على شيء إلا قلب الله عينه. ومما لا

بدّ منه البحث عن هذه اللقمة فهي الأساس وعليها مقام عماد هذا الأمر. ومما لا بد منه أن ترفع كلك عن الخلق ولا تُشغِل أحدا على أحد ولا تقبل رفقا من أحد لنفسك ولا لغيرك واحترف و تورّع في كسبك ونطقك ونظرك وسعيك وجميع حركاتك ولا تتوسع في مسكن ولا ملبس ولا في مأكل فإن الحلال قليل لا يحتمل السَّرَف. واعلم يا حبيبي أن النفس إذا زرع الإنسان فيها الشهوات ثبت أصولها وقلّ أن تقتلع بعد ذلك وليس للمريد ساعة راحة. هذا كله لا بدّ للمريد منه. ومما لا بد للمريد منه التقليل من الطعام فإنه يورث النشاط في الطاعة ويُذهب الكسل، وعليك يا حبيبي بتعمير الأوقات في ليل ونهار فالساعات التي دعاك الشرع فيها إلى الوقوف بين يدي ربك هي خمس أوقات، الصلوات المفروضات و بقي ما بينهما. فإن كنت صاحب حرفة فاجتهد أن تعمل في يوم ما يقوتك أياما إن كنت من أهل ذلك الشغل ولا تفارق مصلاك بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس ولا من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس ذاكرا الله عز وجل بخضوع وخشوع، ولا يفوتك الوقوف بين يدي الله تعالى من الظهر إلى العصر ومن المغرب إلى العشاء الأخيرة بعشرين ركعة. وحافظ على أربع ركعات أول النهار وقبل الظهر وبعده وقبل العصر واجعل وترك ثلاث عشرة ركعة ولا تنم إلاّ عن غلبة ولا تأكل إلاّ عن حاجة ولا تلبس إلاّ عن وقاية من حرّ أو برد بنية ستر العورة ودفع الأذى القاطع عن العادة. وإن كنت ممن يعرف الكتابة، فاجعل على نفسك وردا من القرآن في مصحف تمسكه في حجرك وتلقي اليد اليسرى عليه وتمشي بيدك اليمنى على حروفه وأنت تنظر إليه وترفع صوتك بحيث تسمِع نفسك، وترتّل القرآن، وتسئل في الآية التي تحب السؤال، وتعتبر في آية الاعتبار وتقابل كل آية بمعناها من الاستعاذة والاستغفار وغير ذلك. وإذا قرأت وصفَ المومنين فانظر إلى ما عندك من تلك الصفات شيئا أم لا وإلى ما فقدت منها واشكر على ما عندك وحصِّل ما فاتك وكذلك إذا قرأت وصف المنافقين والكافرين، وانظر هل فيك من تلك الصفات شيء أم لا .ومما لا بدّ منه محاسبة نفسك ومرادات خواطرك مع الأوقات، وأشعِر الحياء من الله قلبَك، فإنك إذا استحييت من الله منعك قلبُك أن يخطر فيه خاطر يذمّه الله، أويتحرك في حركة لا يرتضيها الله سبحانه وتعالى. وقد كان لنا شيخ يقيّد حركاته في نهاره في كتاب فإذا أمسى جعل الصحيفة أمامه وحاسب نفسه على ما فيها هكذا. ومما لا بدّ منه مراعات الأوقات بأن تنظر الوقت الذي أنت فيه وتنظر ما قال لك الشرع أن تعمله فيه فافعله، إن كنت في وقت فرض فأدِّه أو ندْب فبادرْ إليه. وإن كنت في وقت مباح فأشغل نفسك بما ندبك الحق إليه من الخير على أنواعه. وإذا شرعت في عمل مشروع تُعطَى قُربه فلا تحدث نفسك بأنك تعيش بعده إلى عمل آخر، واجعل ذلك آخر عملك من الدنيا التي تلقى عليه ربك فإنك إذا فعلت هذا خلصت. ومع الإخلاص يكون القبول. ومما لا بدّ منه القعود على طهارة دائما ومتى أحدثت توضأت ومتى توضأت صل ركعتين إلاّ أن يكون الوقت وقت نهي عن إيقاع الصلاة فيه وهي ثلاثة أوقات، عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند الاستواء إلاّ يوم الجمعة خاصة فإن الصلاة تجوز فيه عند الاستواء. ومما لا بد منه يا حبيبي البحث عن مكارم الأخلاق وإتيانها مهما تعيّن عليك شيء منها وكذلك سوء الأخلاق فاجتنبْها كلها. واعلم يا حبيبي أن كل من ترك خلُقا كريما فإنه إنما تركه لسوء خلُق ذميم وهو تركه. واعلم أن الخَلْق على أصناف ينبغي أن تعرف أيّ خُلُق ينبغي أن تستعمل معه من الأخلاق الكريمة، والذين هم الأصناف: إيصال الرحمة ودفع الأذى عنهم ولكن في مرضاة الله تعالى، فاجتهد في ذلك يا حبيبي. واعلم ان خَلْق الله عبيد مسخّرون مجبورون في حركاتهم نواصيهم بيد محرّكهم والنبي صلى الله عليه وسلم قد أراحنا في هذا المقام فقال: بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق. فكل موضع قال الشرع فيه: إن شئت انتصرت وإن شئت تركت أو قال لك فيه: إن شئت جازيت وإن شئت عفوت، فاجنح إلى العفو والترك والصفح ولا تجعل نفسك محلاً للسيئة ولو كان قصاصا فإن الله سماها سيئة. فقال الله تعالى:(وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمَن عفا وأصلحَ فأجرُه على الله) وكل موضع يا

حبيبي قال لك الشرع فيه اغضَبْ فاغْضَبْ فإن لم تغضبْ فليس بخُلُق محمود، فإن الغضب لله من مكارم الأخلاق مع الله. ومَن أحسن معاملة مع الله فطوبى لمن صاحبه فمعه ينبغي أن تعرف الخلُق الكريمة التي بيّنها وأوضحها .ومما لا بد لك منه مجانبة الأضداد ومَن ليس من جنسك من غير أن تعتقد فيهم سوءا أو يخطر لك خاطر، ولكن بنية صحبة الخُلُق وأهله وإيثاره عليهم، وكذلك معاملتك مع الحيوانات من الشفقة عليهم والرحمة لهم فإنهم ممن سخرهم لكم فلا تحمّلهم فوق طاقتهم ولا تركبهم بَطَرا ولا أشرا. وكذلك مِلك اليمين من الرقيق فهم إخوانكم ملككم الله نواصيهم ليرى كيف تتصرف فيهم، وأنت عبد الله سبحانه وتعالى فما تحبّ أن يفعله معك سبحانه من الجميل والحسَن فذلك بعينه افعله مع غلمانك وجواريك فإن الله يجازيك. وما تحب أن يصرْفه عنك من القبيح والسوء فذلك بعينه افعله معه تجازى بذلك يوم تحتاج إليه. وكذلك إن كان له أهل فحسّن العشرة معهم فالكل عيال الله وأنت من جملة العيال،.وجماع الأمر كله أن كل ما تحب أن يفعله الحق معك افعله مع خلقه قدما بقدم وإن كان لك ولد فعلمه كتاب الله لا لغرض من أغراض الدنيا والزمْه محافظة الأدب الشرعية والأخلاق الدينية واحمله على الرياضة في صغره حتى يعتادها ولا تزرع الشهوات في قلبه وبغّض له زينة الدنيا وما يئول إليه تاركها من جزيل الحظ في الآخرة. ولا تعمل ذلك شحّا على درهمك ومالك. ومما لا بد منه ألاّ تقرع أبواب السلاطين ولا تصحب المتنافسين في الدنيا فانهم يأخذون بقلبك عن الله تعالى. فإن اضطرك أمر إلى صحبتهم فعاملهم بالنصيحة ولا تخدنهم فإنك إنما تعامل الحق. ومهما فعلت ذلك سُخِّروا لك، ولتكن في عموم أحوالك مصروف الهمّة في التوجّه إلى الله في تحليصك مما أنت فيه، بما هو أحسن لك في دينك. ومما لا بد لك منه الحضور مع الحق في جميع حركاتك وسكناتك. وأوصيك بالإنفاق في السراء والضراء فإن ذلك دليل على ثقة القلب بما عند الله في تخليصك فإن البخيل جبان يأتيه الشيطان فيمدّ أمله ويطول عليه ويقول له: إن أنفقت هلكت وبقيت بلا شيء بينك وبين أصحابك، فأمسكْ واستعدْ لصروف الزمان ولا تغترْ بهذا الرخاء الذي تراه فإنك لا تدري ما يحدُث به في العام الثاني. وأمّا إن كان وقت الضراء فيقول: أمسكْ عليك مالك ولا تعطِ منه أحدا شيئا فإنك ما تدري متى تنقضي هذه الشدة ولا تحسب هذا الأمر الا في زيادة وحط على نفسك فإن أحدا لا ينفعك إذا لم يبق مالك وتثقل على الخلق ويذهب ماء وجهك. فإذا استمرّت هذه الوسوسة الشيطانية على قلب المسلم اتصفَ بالشح والبخل وحالت بينه وبين قوله تعالى:(ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المفلحُونَ) وبين قوله:(ومَن يَّبخَلْ فإنّما يَبخَلُ عن نَفسه). وعندنا في هذه الطريق أنّ الرجل إذا التحق بالله تعالى وبأوليائه، ثم بخل فإنه يُستبدَل ويُنزَل عن ذلك المقام ويُجعَل فيه كريما من كرماء الخلق. قال تعالى عقب ءاية البخل:(وإنْ تتولّوْا يَسْتَبْدِلْ قوْماً غيرَكُمْ ثمّ لا يكونُوا أمثالَكم). وحالت بينه وبين قوله تعالى:(وما أنفقتُمْ من شيءٍ فهوَ يُخلِفه وهو خيرُ الرّازقين) وحالت بينه وبين قوله تعالى في دعوة موسى على قوم فرعون لمّا أراد هلاكهم دعى عليهم أن يُرزَقوا البخل فقال:(ربَّنا أطْمِسْ على أموالِهم واشْدُدْ على قلُوبهم) فضيّعوا فقراءهم حتى هلكوا بالجوع، فأخذهم الله سبحانه. وحالت بينه أيضا وبين قوله صلى الله عليه وسلم: أنفقْ يا بلال ولا تخفْ منْ ذي العرش إقلالا. وحالت بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم: إنّ لله ملكين في كل يوم يناديان عند كل صباح اللهم اجعل لكلّ منفقٍ خلفا ولكلّ مُمسِكٍ تلفاً. وحالت بينه وبين حالة النبي صلى الله عليه وسلم حين أُعطِيَ كنزين فاختار تركهما على أخذهما وبين فضل أبي بكر رضي الله عنه حين جاء بماله كله إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: ما تركتَ لأهلك؟ قال: الله ورسوله، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وترك النصف لأهله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهما: بينكما ما بين كلمتيكما.الإنفاق سبب لاستجلاب الأرزاق من الرزّاق في الدنيا والآخرة فكلّ من أمسك فهو لله متّهمٌ وعلى مالِه معتمِدٌ وكانت ثقته بدرهمه أعظم من ثقته بربّه، وكان هذا طعنا في إيمانه. نسئل الله السلامة والعافية. فعليك بالإنفاق في السراء والضراء ولا

تفزع ولا تخف فليس الرجل إلاّ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إلاّ من قال بماله هكذا وهكذا يمينا وشمالا، والله موفّ لك وعدك شئت أم أبيت، شاء العالم أم لا. فما هناك سخيّ قط. ولولا الاختصار لسقنا من الأخبار ما يتأيد به ما ذكرناه. وعليك بكظم الغيظ فإنه دليل على سعة الصدر فإنك إذا كظمت غيظك أرضيت الرحمن وأسخطت الشيطان وقمعت نفسك وردعتها حيث لم تنتصر لها وأدخلت السرور على من كظمت غيظك عنه ولم تجازه بفعله، فكان ذلك أشدّ عليه في نفسه وسببا لرجوعه إلى الحق وإنصافه وإقراره بالجفاء عليك والتعدّي. وربما كان وقع منه فعلك بموضع القول فيلحق بذلك فوجدته في ميزانك. ثم الفائدة العظمى المسرة الكبرى إنك إذا كظمت غيظك فإن الله لا يؤاخذك بما تفعله من الأفعال الرديئة المؤذية إلى غضب الله وإنك قد كظمت غيظك عن فعل ذلك مما أدّاك إلى الغضب فجازاك في فعلك. وأيّ فائدة أتمّ من فعلك وعفوك عن أخيك واحتمال أذاه وكظم غيظك وما أراد الحق منك أن تفعله مع عبيده فقد أراد من نفسه أن يفعله معك بعينه. فاجتهد في هذه الصفة فإنها تورث المودة في قلوب الناس فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد بالتودد والتحابب وهذا من أعلى الأسباب المؤدية إلى المحبة. و عليك بالإحسان فإنه دليل على الحياء من الله تعالى وعلى تعظيم الله تعالى في قلب المحسن. قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه. فهذا الإحسان دليل على تعظيم الله في قلب المحسن. ثم قال صلى الله عليه وسلم: فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فهذا الإحسان دليل على الحياء من الله تعالى. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الحياء خيرٌ كله، فمن المحال أن يكون معه شر. فكذلك إذا لزمه القلب من المحال أن يكون معه شيء عليك البتة من الدنيا والآخرة، وإذا غلب الدليل الثاني الذي هو الدليل على قلب المحسن، مُنع أن يكون لأحد زبانية على هذا القلب المذكور. فاجتهد في صفة الإحسان والزم هذا المقام فقد أعطيتك فائدة. وعليك بلزوم الذكر والاستغفار، فإن كان عقب ذنب محاه وأزاله وإن كان عقب طاعة وإحسان فنور على نور وسرور وارد على سرور فإن الذكر أجمعُ للهمّ و أطفئُ للخاطر. فإن سئمتَ فانتقل إلى تلاوة القرآن ولا أفضلَ ممن يتلو القرآن بتدبّر وتفكّرٍ وتعظيم عند آية التوحيد وتنزيه و سؤال عند الرجاء وتضرع عند آية خوف و وعيد واعتبار عند آية قصص، وأن القرآن لا يسأم قارءوه لاختلاف المعاني الواردة فيه.و عليك بحل عُقد الإصرار من قلبك ولا تطيق على ذلك إلاّ أن تقول لنفسك في النَفَس الخارج عليك، هل تُرى النفَسَ بعد هذا يأتيك أم لا؟ ولعلك تموت مصرّا على الذنوب وتلقى من العذاب ما لا تطيقه الجبال الراسيات فكيف بضعيف مثلك. فتب إلى الله فإنك لا تدري متى تفاجئك المنية، فإنّ الله تعالى يقول: (وليستِ التوبةُ للذينَ يعملونَ السّيّئاتِ حتّى إذا حَضرَ أحدَكُمُ الموتُ قال إنّي تُبتُ الآنَ). وقال صلى الله عليه وسلم: إنّ الله يقبل توبة عبده ما لم يُغَرْغِر. وكم من شخص فاجأه الموت وهو يأكل أو يشرب أو ينام فاستيقظ وتُمْسَك روحه وقد مات مصرّا على الذنوب. فعِظْ نفسك بمثل هذه الأشياء فإنها متى كثُر منك هذا انحلّت عنك عُقد الإصرار. وعليك بتقوى الله في السر والعلانية وهو الحذر من عقابه فإنه من حذر من عقابه تعالى بادر إلى الأفعال التي ترضي الله تعالى والله يقول: (ويُحَذِّرُكمُ اللهُ نفسَه)، وقال:(واعلموا أنّ اللهَ يعلمُ ما في أنفُسِكمْ فاحذَروه). فالتقوى مشتق من الوقاية وأعظم الجند وأقواها وقاية الله لك. فاتق فعل الله يفعل لك كما قال صلى الله عليه وسلم: أعوذ برضاك من سخَطك وبمعافاتك من عقوبتك. واتق الله بالله كما قال: أعوذ بك منك. فكل شيء تخافه وتخشاه فينبغي لك ألاّ تسلك الطريق الموصلة إليه، فإنّ المعاصي طريق موصلة إلى الشقاوة كما أن الطاعة موصلة إلى السعادة فتتّقي طريق الشقاوة. فطريق السعادة أن تتقيَ المعصية بالطاعة وتتقيَ النار بالجنة كما تتقي السّخط بالرضى. وهكذا منازل التقوى على ما رسمت لك ومراتبها وقد قال تعالى:(فاتّقوا الله) وقال في موضع آخر:(واتّقوا) فاسلك طريق التقوى على ما رسمت لك تنجو إن شاء الله تعالى. و إياك والاغترار وهو أن تخدع نفسك بكرم مولاك، وحلمه مع الاستمرار على

معصيته و يخدعك إبليس ويقول لك: لولا ذنبك في مخالفتك من أين يظهر كرمه تعالى وعفوه ومغفرته ورحمته؟ وهذا غاية الجهل من قائله فإنه من كرمه ورحمته أن وفقني وحالَ بيني وبين مخالفته ويقول لك: فإنّ المحسنين ما عليهم من سبيل، فإن الرحمة قد سبقت لهم في الدنيا بما وُفّقوا له من الطاعات فإذا كان غدا يظهر كرمه وحلمه ورحمته ومغفرته في مخالفتك و ذنبك.ويقول لك بمثل هذه المقالة فلا تغتر وحافظ على نفسك وقل له: أمّا حِلمه وكرمه وما ذكرته من عفوه فصحيح أنه لولا المخالفة والذنوب لما ظهرت هذه الأوصاف والآثار صحيحة والأخبار فيها كثيرة، ولكن يا ملعون تريد تغرني بكرم الله حتى أعصيه اتّكالا على رحمته. ومن أين أعرف أنّي ممن يُعفَى عنه أو يُرحَم أو يُغفَر له. نعم يلحق كرمه ومغفرته ورحمته من يشاء من عباده كما تلحق عقوبته ونقمته وعذابه طائفة من عصاة عباده وأنا لا أدري من أيّ الفريقين أنا عند فعلي هذه المعصية، ولعل كما حرمني التوبة من المعصية هناك يحرمني عفوه قبل دخول النار فينتقم مني، وحينئذ أخرج منها ما دمت مسلما. ألاَ وإنّ المعاصي بريد الكفر فلو علمت أنني ممن يعفى عنه قطعا ولا نواخَذ بذنب ربما اغتررت بكلامك وذلك خرْق مني وجهالة بل كان الواجب عليّ لو أمِنتُ من عذاب الله أن أجتهد في الطاعة شكرا لله تعالى وحياء منه، فإنه أولى مَن يُستحيَى منه, فكيف وما بشّرني وما أبكاني بل تركني مهملا في المعصية فكيف أغترّ بزورك وزور نفسي الأمّارة بالسوء.وعليك بالورع وهو اجتناب كل ما حاك لك في نفسك شيء قال عليه السلام: دعْ ما يريبُك إلى ما لا يريبُك. ولو لم تجد في الوقت غيره وأنت محتاج إليه فلا تستعمله البتّة واتركه لله تعالى فإن الله يعوضك خيرا منه ولا تستعجل. وإذا كان حالك الورع الذي هو أساس الدين والطريق إلى الله تعالى زكت أعمالك وأنجحت أفعالك وتمّت أحوالك و سارعت إليك الكرامات وكنت محفوظا في أمورك كلها حفظ الأتقياء لا شك عندنا فيه. ومتى عدلت عن طريق الورع وتهت في كل واحد خذلك الله ووكّلك إليك وتمكن منك الشيطان فالله الله الورع الورع ما استطعت. وعليك بالزهد وقلة الرغبة في الدنيا بل أخرجها من قلبك جملة واحدة. فإن كنت لا بد طالبا لها فاقتصر على قوتك منها من وجهٍ حلالٍ ولا تنافس أبنائها فإنها عَرَض ولا ينال الراغب فيها مراده منها أبدا فإنّ آمال الراغب فيها متسعة جدا والله تعالى لا يعطيه منها إلاّ ما قدّره له سواء رغب فيها أو رغب عنها. فلا يزال مهتما بها كثير الحزن عليها ممقوتا عند الله. فإن مَثَلَ طالب الدنيا الراغب فيها كشارب ماء البحر كلما زاد شربا ازداد عطشا. وحسبُك يا أخي بتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لها بالجيفة و المزبلة وهل يجتمع على الجيفة إلاّ الكلاب؟ أترضى لنفسك بهذه المنزلة ؟ لا والله وإن كنت عاقلا فارضَ بما قسمه الله لك، فإن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يوصل إليك شئت أو أبيْت.يقول الله تعالى لموسى عليه السلام: إن رضيتَ بما قسمتُ لك أرحتُ قلبك وبدنك وأنت محمود وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركْضَ الوحش في البريّة، ثم قال: وعزتي وجلالي لا تنال منها إلاّ ما قسمت لك وأنت مذموم. هَبْكَ يا أخي أعطاك الله الدنيا بجميع حذافيرها هل لك منها إلاّ بيت يُكِنُّك وثوب يسترك وكسرة تسدّ جوعك وهذا يناله من قبضت الدنيا عنه وزاد عليك بخفة الحساب وراحة القلب ووضع الوزر. فإياك ثم إياك أن تضيّع حظك من مولاك يغني عليك بفَنائك ولعلك تموت في أول قدَم في طلب الدنيا وما انقضى لك من آمالك شيء، وقد علِمت أن للدنيا والآخرة أبناء. وقد قال صلى الله عليه وسلم: فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا.دبِّرْ يا أخي وفكّرْ في كلام مولاك إذا قرأت وانظر في قوله (من كان يريد الحيوةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهمُ أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النارُ وحَبِطَ ما صَنَعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون). وفي قوله تعالى: (مَنْ كانَ يريدُ حرْثَ الآخِرةِ نَزِدْ له في حَرثِهِ ومن كان يريد حرثَ الدنيا نوتهِ منها وما له في الآخرةِ من نصيب). وقال في طلب الحلال:(تريد عرَضَ الدنيا واللهُ يريد الآخرة)، وقال تعالى في صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم أسلافنا الصلحاء حين أرادوا عمارة أحوالهم:(و

أنفِقوا في سبيلِ اللهِ ولا تُلقوا بأيديكُمُ إلى التَّهْلُكَةِ) رجوعهم إلى مولاهم،(وأحْسِنوا إنّ اللهَ يحبّ المحسنينَ).واعلم أيها الأخ أن الزهد صفة شريفة، إذا قامت بشخص على الكمال حالت بينه وبين رؤية الأكوان وشرطه ألاّ يحنّ إلى ما زهد فيه وأدبه ألاّ يذمّ المزهود فيه لكونه من جملة أفعال الله عز وجل. وليشغل نفسه بمن زهد من أجله فإنه إذا اشتغل بذلك تولاّه الحق بالحضور معه في بساط الأنس به في كل ما يطرأ من تفاصيل الكون. وقد يختبر يوما يُعَرَّفُ بمنّة الله عليه في تولّيه إيّاه بأخذه مما يتنافس فيه القلب المحجوب، فإذا لم يلتفت لذلك الأمر العارض عرف حينئذ منة الله عليه وعنايته به فيزيده شكرا ورغبة عمّا زهد فيه. وعليك يا أخي بصحبة الأخيار وهي نتيجة البسط ولا يقوى عليها إلاّ الأقوياء من الرجال الذين لا تغيّرهم الأحوال وحدّها ألاّ يقبل من صاحبه إلاّ ما يقبل منه ربه تعالى فإن لم يفعل فقد خانه في الصحبة فإن شرطها النصيحة وأدبها كُفَّ جفاك عن خليلك وتحمّلْ جفاه. ولها مراتب بحسب الأحوال فإن كان فوقك فاصحبه بالحُرمة وإن كان كفؤك فاصحبه بالوفاء وإن كان دونك فاصحبه بالرحمة. وإن كان عالما فاصحبه بالخدمة والتعظيم وإن كان جاهلا فاصحبه بالسياسة وإن كان غنيا فاصحبه بالزهد وإن كان فقيرا فاصحبه بالجود وإن كان صوفيا فاصحبه بالتسليم. واعلم أن صحبة الجليل سبحانه أولى من صحبة الخليل فإن الجليل يحفظك والخليل تحفظه, الجليل يعطيك والخليل تعطيه، الجليل يحملك والخليل تحمله، الجليل يتولاّك والخليل تتولاّه، الجليل يكون لك حيث تريد، والخليل يريد أن تكون له حيث يريد. وعلامة مَن آثر بصحبة مولاه ألاّ يأنس بسواه وإن يقف عند ما أمره به ونهاه، وأن يعامل الخلق برحماه، وأن يواليَ من والاه ويعاديَ من عاداه ولو كان ابنه أو أباه،(لا تجِدُ قوْماً يومنونَ باللهِ واليوْمِ الآخرِ يُوَادّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورسولَهُ ولوْ كَانُوا ءابَاءَهُمُ أوَ أبْناءَهُمُ أوِ اخوانَهُمُ أوْ عَشيرَتَهُمُ). الآية. من صاحَب الخلق لا يبالي من ذلة المنع والسؤال من طعمَ الهجر في هواه أذاقه لذّة الوصال. واعلم أن من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وإذا لقيت أحدا فالقه بالبشاشة وإن لم تقدر عليها فالقه بما تدوم عليه من الخير لئلاّ تتغيّر أحوالك في التقصير بطول المجالسة فيتغير عليك فربما يؤذيك. فاحذر، فإذا فهمت ما ذكر فأنصتْ لحديث الجليس ما لم يكن هجرا، فانصحه لله في الله تعالى إن علمت منه القبول باللطف والنصح فاعتذر في الانفعال وإن كان ما جاء به حسنا فحسّن الاستماع، ولا تقطع عليه حديثه واشخصْ بالنظر إليه ما دام محدّثا لك. وإن كان ما يأتي به ليس بعظيم الفائدة فإن لكل أحد عند نفسه قد أعرج عقله بأدب كل زمان. وعليك بالتواضع واعلم أنه سر من أسرار الله تعالى المخزونة عنده الذي لا يهتدي إليه على الكمال إلاّ نبي أو صدّيق. فليس كل تواضع تواضعاً وهو من أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهى إليه رجال الله وحقيقته العلم بعبودية النفس ولا يصحّ مع العبودية رياسة أصلا لأنها ضد التواضع ولهذا قال المشايخ: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولا يكون إلاّ مع الجهل.وقال عيسى عليه السلام لأصحابه: أين تنبت المحبة ؟ فقالوا: في الأرض، فقال عليه السلام: كذلك الحكمة لا تنبت إلاّ في قلب مثل الأرض يشير إلى التواضع. وإلى هذه الإشارة بقول سيد البشر: ظهرت ينابيع الحكمة في قلبه على لسانه والينابيع لا تكون إلاّ في الارض وهو موضع نبع الماء. ولا تظن أنّ التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين فليس بتواضع وإنما هو تملق لسبب غاب عنك وكلّ يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب بالتواضع شريف لا يتسور عليه كل أحد فإنه موقوف على صاحب التمكين في العلم والتحقيق في التخلّق. ولا تملّقْ أحدا إلاّ بما ينشّطه إليك ووازِنْه في عقله. قال بعض الحكماء: عاشروا الناس معاشرةَ إن متّم بكَوْا عليكم وإن غبتم حنّوا إليكم. وليس في المذاهب أشرف من مذهبك لتعلّقك بالله فلا تَأْتم لمذهب أحد سواه فإنه أشرف المذاهب. واستمرْ على حالتك والزم الاعتدال فإنه طريق الرجال. واعلم أن الوقت هدية الله إليك فخذْ فائدته وهو راجع إليه راحل عنك فزيّنه بالتقوى والعمل الصالح وإلاّ كان حسرة عليك إذا فاز غيرك به. فاسمعْ فلا يعجبنّك مدح

المادح لك عن معرفتك بنفسك. السياسة رأس الحكمة فالزمها ولا تصحب أحدا إلاّ مَن ترى معه الزيادة في دينك فإن نقص فاهرب منه هروبك من الأسد بل هو أشدّ فإن الأسد يهدّم دنياك ويعطيك الراحات والقرين السوء يحرمك الدنيا والآخرة. والورع في النطق من الحكمة، وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم إلاّ حصائدُ ألسنتهم. ولا تجلس في طريق المسلمين فإن اضطررت وغلبتك النفس فغَضِّ البصر وأرشِدِ الضّالّ و عِنِ الضعيف وأمِطِ الأذى ورُدّ السلام ولا تقعدْ وأنت تقابل دار أخيك وتورّع في مشيك على الطريق وقعودك وذلك ألاّ تمسك من الطريق إلاّ قدر ذلك. ووسّعْ على الناس طريقهم فإنه ليس لك منها إلاّ قدر قدميك إن كنت واقفا. ولقد حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم أن بعض المتورعين أتى بِقُلّتيْن فأوقفه بعض الناس في كلام طويل فأقعد القلتين على وجوه رجليه.وعليك يا أخي باحترام الشيوخ، فإن احترامهم واجب، ومن احترامهم ألاّ تلبس ثيابهم ولا تقعد في مكانهم، ولا ينكح المريد زوجة شيخه إن طلّقها أو مات عنها، ولا يَرُدَّ في وجوههم كلاما و يبادر لامتثال ما يقولونه. ومن احترامهم تعظيم من عظموه، فعظِّم من عظمه شيخك و تلمِذْ له إنْ قدّمه عليك وإن كنت أعلم منه لأن الشيخ أعرَف بالمصلحة لك منه. ولا يحجبنّك ما ترى من نقصِه عند تقديم الشيخ له وتقريبه. وإذا أتيت المساجد فلا تأتيها إلاّ طاهرا بنية احترامها وقدّم رجلك اليمنى في الدخول وءاخرها في الخروج و اركع عند دخولك ركعتين. و ان استطعت أن تكون أول داخل و آخر خارج فافعل. وإذا سلّمت فسلّم على كل عبد صالح في السماء والارض من ذلك المقام يردّ عليك، ولا تقل هجرا ولا فحشا ولا تدخلها للنوم ولا للراحة إن كان لك عَوَض منه . فإن اتّخذته بيتك وليس لك سواه فلا بأس. وأنت يا أخي كما يحرُم عليك في الصلاة التوجه لغير القبلة وإن فعلت بطلت صلاتك كذلك يحرُم عليك التوجه بقلبك لغير الله من دار وأهل ودكان وغير ذلك، مما يُشغِل عن الله تعالى. وكما يحرم عليك أن تتلو غير كلامه كذلك يحرُم عليك أن تناجي في قلبك غيره وتشاهده إلى أمثال هذا والزم الأدب فإنه لا يقبل من صلاتك إلاّ ما عقلت، انتهى. وبالجملة، فالمطلوب من جميع ما سطِّر في الكتاب كله تحقق العبد بوصف العبودية لأنها تكليف الباطن بأحكام ما وقف عليه القلب بعين اليقين من حقائق التوحيد فتنتفي عنه عوارض الشكوك وطوارق الأوهام والخُلْق الصادر عن ذوق وتحقيق بأن جميع تصاريف الخَلْق على اختلافها اقتضتها حكمة نظام هذا الوجود. فلا حركة ولا سكون إلاّ بالقدرة القديمة والإرادة الأزلية. فينتفي عن القلب وَهَنُ الشك وشغب الاشراك. وليس للعبد أن يُشغل قلبه في كل نفس بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل، وإنما عليه أن يعطيَ ما أبرزه الحق جل جلاله على يديه حقه، فإن كان طاعة حمد الله عليها واستغفره من تقصيره فيها وإن كان معصية حمد الله على تقديرها عليه ويستغفر من ارتكابه مخالفة أمره وإن كان غفلة وسهوا أو نحوها فعل ما هو اللائق بها. وقد قرّبنا لك طريق الأدب في كل ما يجريه عليك انتهى.وقد أحببت أن أختم هذا الكتاب بسعة رحمة الله تعالى كما ختم به كتاب: نزهة الناظرين إذ ليس لنا أعمال نرجو بها العفو ولا كنّا نرجو رحمة الله عز وجل. قال الله تعالى:(يا عباديَ الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رّحمة الله إنّ اللهَ يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى:(ومن يّعملْ سوءاً أو يظلمْ نفسه ثم يستغفر الله يجِد اللهَ غفورا رّحيما) وقال تعالى:(ورحمتي وَسِعتْ كلَّ شيء). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمّا خلق الله الخلْق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي. وقال صلى الله عليه وسلم: جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمِن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدّابّة حافرها على ولدها خشية أن تصيبه. وفي رواية: " إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخَّر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة. وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من عبد قال لا إله إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ

دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإنْ سرق؟ قال: وإنْ زنى وإن سرق وإن زنى وإن سرق، ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله قد حرّم النار على من قال لا إله إلاّ الله يبتغي بذلك وجه الله. هذه الأحاديث كلها في الصحيحيْن. وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني إلاّ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغتْ ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقُرابها مغفرة. اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا. اللهم رحمتَك نرجو، فلا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلاّ أنت. اللهم إنّا نستغفرك من أقوالنا التي تخالف أعمالنا ومن كل تصنّع تَزيَّنّا به للناس وكلّ علم و عمل قصدناه ثم خالطه ما يكدره فبكرمك نستشفع إلى كرمك وبجودك نسألك من جودك إنك قريب مجيب. إلهنا إن كانت رحمتك للمحسنين فإلى أين تذهب آمال المذنبين إلهنا ذنوبنا لها غاية وكرمك لا غاية له إلهنا إن كنّا لا نقدر على التوبة فأنت تقدر على المغفرة إلهنا إن ذنوبنا صغيرة في جنب عفوك وإن كانت عظيمة في جنب نهيك. إلهنا دُلّنا عليك وارحم دُلّنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا. إلهنا كيف نرجوك ونحن نحن فكيف لا نرجوك وأنت أنت. إلهنا إن كنا لا نقدر على ترك ذنب كتبته علينا فأنت تقدر على مغفرته لنا. إلهنا إن كنّا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث عِلمنا أنّ لنا ربّا يغفر الذنوب ولا يبالي. اللهم يا من ستر الزّلاّت وغفر السيئات وأبدلها حسنات أجِرنا من مكرك وزيّنّا بذكرك واستعمِلنا بأمرك ووفّقنا لشكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. انتهى.

فرغ مقيّده الفقير إلى الله الحسين بن الحاج أحمد الإفرني من تقييده عند ظهر يوم الأربعاء التاسع من رجب الفرد عام 1316. نسئل الله تعالى أن يسعدنا به وينفعنا به آمين بجاه عين الرحمة صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم حسبنا الله وكفى.

رقنه وصححه وقدمه للموقع:

السيد: محمد أبرباش

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي
إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ
الْعَظِيمِ